أصول ومميزات أهل السنة والجماعة

مستخرجة من كتب الإمام

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله تعالى

استخرجها وأعدها

إبراهيم بن عامر الأخضري الجزائري

عفا الله عنه

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

أصول و مُميِّزَات أهل السنة والجماعة المستخرجة من كتب العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى

إعداد

أبي بسطام إبراهيم بويران بن علي الأخضري الجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد :فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن العلم بأصول أهل السنة والجماعة ومميزاتهم التي تميَّزوا بها عن أهل البدع والضلال، ليعتبر من أشرف العلوم، وأجلها، كيف لا؛ وبه تعرف أصول وقواعد هذا المنهج السلفي الذي هو الإسلام بالمعنى والمفهوم الصحيح، الذي تمثله الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة .

ومن أحاط علمًا بأصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين يكون قد عرف سبيل المؤمنين مفصلة، ومن كان هذا حاله مع التزامه بهذه الأصول وتمسكه بها وبعده عما يخالفها، فهو من أفضل الناس وخيارهم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه "الفوائد" (ص:١٠٧-١١٠):

« قال الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥] ، والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء، وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفَّق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجلَّى سبحانه الأمرين في كتابه، وكشفهما وأوضحهما وبيَّنهما غاية البيان حتى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الأبصار للضياء والظلام .

فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة ، وبذلك برَّز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإنهم نشئوا في سبيل الظلال والكفر والشرك، والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة، ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم، فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغيِّ إلى الرَّشاد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الحيرة والعمى إلى الهدى والبصائر، فعرفوا مقدار ما نالوه وظفروا به، ومقدار ما كانوا فيه فإن الضِّد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه، ونفرة وبغضاً لما انتقلوا عنه، وكانوا أحب الناس في التوحيد والإيمان والإسلام، وأبغض الناس في ضده، عالمين بالسبيل على التفصيل.

وأما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين، فإن اللَّبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية »، وهذا من كمال

علم عمر رضي الله عنه فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ فإنه من الجاهلية؛ فإنها منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا إليها وكفَّر من خالفها واستحلَّ منه ما حرَّمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفر من خالفها.

والناس في هذا الموضع أربع فرق:

الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علمًا وعملا وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك .

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل،

وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئًا مما خالف سبيل المؤمنين صرف سمعه عنه ولم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه، وهو بمنـزلة من سَلِمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعُه إليها نفسه، بخلاف الفرقة الأولى فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله ... وقد كتبوا إلى عمر بن الخطاب يسألونه عن هذه المسألة أيُّما أفضل: رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله، أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله؟

فكتب عمر:« أن الذي تشتهى نفسه المعاصي ويتركها لله عز وجل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ».

وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه فأبغضها لله، وحَذِرَها وحذَّر منها ودفعها عن نفسه ولم يدعها تخدش وجه إيمانه، ولا تورثه شبهة ولا شكًّا، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له وكراهة لها ونفرة عنها أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه....

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة، وسبيل المؤمنين مجملة، وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع، فعرفها على التفصيل، ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفة مجملة وإن تفصلت له في بعض الأشياء، ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عيانًا، وكذلك من كان عارفًا بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالكا لها، إذا تاب ورجع عنها

إلى سبيل الأبرار يكون علمه بها مجملًا غير عارف بها على التفصيل معرفة من أفنى عمره في تصرفها وسلوكها .

والمقصود أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتُجتَنب وتُبغَض، كما يجب أن تُعرف سبيل أوليائه لتُحب وتُسلك...» اهـ .

ودراسة أصول أهل السنة والجماعة ومميزاتهم لا سيما من خلال كتب حامل لواء الجرح والتعديل بحق في هذا العصر ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله من أعظم ما يعين على معرفة سبيل المؤمنين مفصلة فتحب وتسلك، ومعرفة سبيل المجرمين المتقدمين منهم والمتأخرين فتبغض وتجتنب .

وذلك لما لهذا الإمام من معرفةٍ عظيمةٍ دقيقةٍ مفصلةٍ بأصول الفرقة الناجية، وبعقيدتها ومنهجها، وماله كذلك من الجهود الجبارة في شرح الدعوة السلفية ونصرتها والذَّب عنها و بيان أصولها وقواعدها، مع معرفة دقيقة مفصلة كذلك بسبل أهل الضلال والهوى، كل ذلك يلاحظه وبكل سهولة من قرأ كتب الشيخ حفظه الله أو سمع أشرطته، فتكاد تكون كلها بيان و تفصيل لسبيل المؤمنين، وبيان وتحذير من سبيل المجرمين .

وقد كنت شغوفا جدًّا منذ أن هداني ربي لهذا المنهج السلفي بقراءة كتب الشيخ حفظه الله القيمة، وسماع أشرطته النافعة المفيدة، فما من شريط له يخرج، أو كتاب له يطبع إلا و سارعت لاقتنائه، للاستفادة منه .

فلما طبعت كتب ورسائل الشيخ حفظه الله مجموعة في عدد من المجلدات فرحت بهذا العمل فرحا عظيمًا وسارعت لا قتنائه بعد رجوعي من دار الحديث بدماج اليمن حيث رحلت إليها لطلب العلم بتوفيق الله، وجلست فيها قرابة الأربع سنوات، واستفدت خيرًا كثيرًا في علوم شتى ولله الحمد والمنة .

فأخذت في المطالعة والقراءة في هذه الكنوز السلفية المباركة العظيمة، وكانت تمر بي بين الحين والآخر تقريرات الشيخ حفظه الله لأصول أهل السنة في عقيدتهم ومنهجهم ودعوتهم، والتي تميَّزوا بها عن أهل البدع والضلال .

ففكرت في جمعها وإخراجها لعظم الفائدة منها وشدة الحاجة إليها لا سيما في هذه الأزمنة المتأخرة التي جهل فيها كثير ممن ينتسب لهذه الدعوة أصولها وقواعدها فكانوا بذلك فريسة سهلة لأهل البدع والأهواء، والله المستعان .

فكان كلَّما مر بي تقرير الشيخ لأصل من أصول الدعوة السلفية دونته، حتى اجتمع عندي من ذلك الشيء الكثير .

ثم قمت بفهرسة هذه الأصول ورتبتها على شكل فصول، فمنها أصول متعلقة بمنهج أهل السنة في الاستدلال، ومنها ما هو متعلق بمنهجهم العام وهديهم، ومنها ما هو متعلق بدعوتهم..، وقسمت هذه الفصول إلى بحوث، والبحوث إلى مطالب حتى يتيسر الانتفاع بالكتاب، ويسهل الحصول على الفائدة منه .

وقد انتقيت من كلام الشيخ حفظه الله ما صرح فيه بنسبة الأصل أو الميزة إلى أهل السنة، و أن ما قرره يعتبر من أصول الدعوة السلفية ومميِّزاتها، ثم أُردفه بما كان من بابه مما وقفت عليه من كلام الشيخ حفظه الله، وقد أضيف إلى ذلك بعض التعليقات (١) المؤيدة لما قرره الشيخ حفظه الله نقلا عن العلماء والأئمة .

وهذا العمل في الحقيقة يعتبر خدمة لعلوم هذا الإمام السلفي، الذي أفنى عمره في خدمة السنة ومنهج السلف عملا وتعليمًا ودعوة وجهادًا، « وليس لي فيه يد سوى الجمع والترتيب والتنسيق، والتَّهذيب، فإن يكن هناك فضل فللعلامة ربيع المدخلي حفظه الله، فله غنمه، وعليَّ غرمه، ولقارئه ثمرته، وعليَّ عائدته، ولا يسعني إلا أن أقول: ما كان فيه من صواب فمن الله، بفضله وتوفيقه، وما فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان (٢)» .

(١) وما كان من هذه التعليقات من كلام الشيخ أكتب بعده كلمة ربيع بين قوسين، هكذا (ربيع) حتى أميِّز بذلك بين تعليقات الشيخ، وتعليقاتي .

(٢) ما بين القوسين نقلته من مقدمة رسالة شيخنا عبد المجيد جمعة "القواعد الفقهية من كتاب إعلام الموقعين" .

وقد اجتهدت في إعطاء الموضوع حقه حسب طاقتي، وجهدي المتواضع، وما انتهى إليه علمي القاصر .

ومع ذلك، فإن التقصير، والخطأ، ملازمان للإنسان، قال العماد الأصفهاني:« إني رأيت أنه لايكتب أحد كتابًا في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر» .

ولذا؛ فإني أقول: من وقف على خطإ في هذه الرسالة، أو سبق قلم، فلينبِّهنا عليه، ومن وقف أيضا على فائدة، فليفدنا بها، وله منَّا جزيل الشكر .

وأخيرًا نسأل الله أن ينفعنا و سائر المسلمين بما جمعناه من الدرر الغالية النفيسة، والعلوم النافعة الجليلة من كتب ومقالات هذا الإمام السلفي، والتي نتعرَّف من خلالها على دعوة أهل السنة والجماعة السلفيين، بمعرفة أصولها ومميِّزاتها، فجزى الله الشيخ خير الجزاء، وعظم أجره ومثوبته، وختم له بالحسنى، وجعل علمه وعمله حجة له لا عليه، وثقل به موازينه، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كتبه: أبو بسطام إبراهيم بويران .

الأخضرية . الجزائر سلَّمها الله .

المنهجية المتبعة في البحث

وقد جعلته بعد المقدمة في أربعة فصول وخاتمة على النحو التالي:

الفصل الأول: وذكرت فيه العناوين التالية:

ترجمة موجزة للشيخ ربيع حفظه الله .

التعريف بأهل السنة وذكر بعض ألقابهم، وتحت هذا العنوان ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من هم أهل السنة والجماعة؟ وما هي أوصافهم؟

المبحث الثاني: ذكر جملة من ألقاب أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث: شهادة كبار أئمة الإسلام لأهل السنة بأنهم على الصراط المستقيم والحق الواضح المبين، وبأنهم هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .

مجمل أصول أهل السنة العقدية، وتحت هذا العنوان مبحثان:

المبحث الأول: التزام أهل السنة بالعقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة والدعوة إليها والدفاع عنها وتأليف المؤلفات في نصرتها والذب عنها.

المبحث الثاني: ملخص أصول ومميزات أهل السنة في عقائدهم .

الفصل الثاني

أصول ومميزات أهل السنة والجماعة في التلقي و الاستدلال

وفيه إحدى عشر مبحثًا:

المبحث الأول: قيام دينهم على الكتاب، والسنة، وإجماع السلف .

المبحث الثاني: اعتمادهم في إثبات العقائد على الكتاب و السنة .

المبحث الثالث: الاحتجاج بالكتاب والسنة في أبواب الدين كلها من غير تفريق بينهما .

المبحث الرابع: الاستدلال بالسنة الثابتة كلها من غير تفريق بين المتواتر منها والآحاد.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شدة اهتمامهم و عنايتهم بالسنة، وحفظهم ورعايتهم لها .

المطلب الثاني: في إفادة خبر الواحد العلم عند أهل السنة خلافا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع .

المطلب الثالث: الاستدلال والاحتجاج بخبر الواحد في العقائد .

المبحث الخامس: الاحتجاج بالسنة الثابتة، وعدم الاعتماد على الروايات الضعيفة.

المبحث السادس: الوقوف عند الأدلة الشرعية وعدم مجاوزتها .

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعظيم النصوص الشرعية .

المطلب الثاني: الاستسلام للنصوص والانقياد لها .

المطلب الثالث: لا يتعمدون مخالفة النصوص .

المطلب الرابع: تقديم النصوص على أقوال الرجال .

المطلب الخامس: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ .

المطلب السادس: اتباع الدليل وذم التعصب والتقليد الأعمى .

المطلب السابع: تقديم الشرع على العقل .

المطلب الثامن: قبولهم للحق من كل من جاء به وردهم للباطل على كل من قال به، ودورانهم مع الحق حيث دار .

المبحث السابع: الأخذ بظواهر النصوص .

المبحث الثامن: العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه، ورده إلى المحكم .

المبحث التاسع: التقيد بفهم السلف للنصوص .

المبحث العاشر: لا يقولون بقول ليس لهم فيه سلف .

المبحث الحادي عشر: يعرفون الرجال بالحق ولا يعرفون الحق بالرجال .

الفصل الثالث

أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين في منهجهم وهديهم

وفيه اثنا عشر مبحثًا:

المبحث الأول: التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام .

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التزام أهل السنة وتمسكهم بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام واقتفاء آثار السلف والاقتداء بهم .

المطلب الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة .

المطلب الثالث: يزنون ما عليه الناس بميزان الكتاب والسنة وما كان عليه السلف .

المطلب الرابع: لا ينتسبون إلا للكتاب والسنة ومنهج السلف .

المبحث الثاني: مباينة أهل البدع وهجرانهم والتحذير منهم وعدم مجالستهم .

المبحث الثالث: التحاكم إلى الكتاب والسنة ورد التنازع إليهما .

المبحث الرابع: الوسطية والاعتدال .

المبحث الخامس:محبة السنة وأهلها .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: محبة السنة وأهلها وحرصهم على اتباعها .

المطلب الثاني: بغض البدع وذمهم لها ولأهلها .

المطلب الثالث: احترام علماء السنة ومحبتهم وذكرهم بالجميل .

المبحث السادس: سد ذرائع الفتن .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سد ذرائع الفتن ودرء المفاسد .

المطلب الثاني: مراعاة الألفاظ الشرعية والبعد عن الألفاظ المجملة والمشتبهة .

المبحث السابع: اتفاقهم في أصول دينهم وعدم اختلافهم في ذلك .

المبحث الثامن: الالتزام الكامل بالإسلام .

المبحث التاسع: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب النبي ﷺ، ومحبتهم والترضي عنهم وذكرهم بالجميل .

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: مكانة الصحابة ومنزلتهم في الإسلام .

المطلب الثاني: وجوب محبة الصحابة والترضي عنهم وذكرهم بالجميل .

المطلب الثالث: الإيمان بعدالة جميع الصحابة .

المطلب الرابع: الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة .

المطلب الخامس: تبديع من انتقص الصحابة أوذمهم أوطعن فيهم أو في واحد منهم .

المطلب السادس: تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين والترضي عنهن والذَّبِّ عن أعراضهن .

المطلب السابع: محبة آل بيت النبي ﷺ وتوليهم وحفظ وصية النبي ﷺ فيهم .

المبحث العاشر: السمع والطاعة لولاة الأمر .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية ونصيحتهم والدعاء لهم، والصبر على أذاهم .

المطلب الثاني: الجهاد مع ولاة الأمر أبرارًا كانوا أم فجَّارًا وصلاة الجمعة والجماعة خلفهم.

المطلب الثالث: تحريم الخروج على ولاة أمر المسلمين وعزلهم بمجرد الجور والمعاصي .

المبحث الحادي عشر: الإيمان قول وعمل واعتقاد .

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان عند أهل السنة قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص .

المطلب الثاني: الاستثناء في الإيمان .

المطلب الثالث: عدم تكفير المسلم بالمعصية التي دون الشرك ما لم يستحل .

المطلب الرابع: إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين .

المطلب الخامس: لا يشهدون لمعين بجنة ولا نار إلا من شهد له الشرع بذلك .

المبحث الثاني عشر: تحقيق الولاء والبراء .

الفصل الرابع

أصول ومميزات أهل السنة والجماعة في دعوتهم

وفيه تمهيد و أربعة مباحث:

المبحث الأول: التزام منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .

المبحث الثاني: الدعوة إلى الكتاب والسنة وجمع الناس عليهما .

المبحث الثالث: اتباع السنة والجماعة والتحذير من الشذوذ والخلاف والفرقة .

المبحث الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قيام أهل السنة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثاني: قيامهم بواجب النصح للمسلمين .

المبحث الخامس: الرد على المخالف .

وفيه تمهيد و خمسة مطالب:

المطلب الأول: الرد على أهل البدع ونقد الأخطاء .

المطلب الثاني: التحذير من أهل البدع ونقد أباطيلهم من غير موازنة بين حسناتهم وسيئاتهم، ومن غير حمل المجمل من كلامهم على المفصل والمبين .

المطلب الثالث: منهج النقد عند أهل السنة قائم على العدل والإنصاف .

المطلب الرابع: أخذ الناس بظواهر أقوالهم وأعمالهم .

المطلب الخامس: قبول خبر الثقة وبناء الأحكام عليه .

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل ما بذلته من جهد في جمع واستخراج هذه الأصول والمميِّزات السلفية العظيمة من كتب حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله في ميزان حسناتي، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه موافقًا لمرضاته، وأن ينفعني به و من قرأه، وأن يجعله نصرة لهذه الدعوة السلفية المباركة وشرح لها وبيان لمحاسنها، إن ربي ولي ذلك والقادر عليه .

الفصل الأول

ترجمة موجزة للعلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي

حفظه الله

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة المحدث ربيع بن هادي بن محمد عمير المدخلي، من قبيلة المداخلة المشهورة في منطقة جازان بجنوب المملكة العربية السعودية...

مولده:

ولد بقرية الجرادية وهي قرية صغيرة غربي مدينة صامطة بقرابة ثلاثة كيلومترات وقد اتصلت بها الآن، وكان مولده عام ١٣٥١ هـ في آخره وقد توفي والده بعد ولادته بسنة ونصف تقريباً فنشأ وترعرع في حجر أمه، رحمها الله تعالى فأشرفت عليه وقامت بتربيته خير قيام، وعلمته الأخلاق الحميدة من الصدق والأمانة وحثه على الصلاة و تتعاهده عليها، مع إشراف عمه عليه .

نشأته العلمية:

لما وصل الشيخ إلى سن الثامنة التحق بحلق التعليم في القرية وتعلم الخط والقراءة وممن تعلم عليه الخط الشيخ شيبان العريشي، وكذلك القاضي أحمد بن محمد جابر المدخلي ، وعلى يد شخص ثالث يدعى محمد بن حسين مكي من مدينة

صبياء، وقرأ القرآن على الشيخ محمد بن محمد جابر المدخلي كما قرأ عليه التوحيد والتجويد وقرأ بالمدرسة السلفية بمدينة صامطه بعد ذلك .

وممن قرأ عليهم بها: الشيخ العالم الفقيه: ناصر خلوفة طياش مباركي رحمه الله عالم مشهور من كبار طلبة الشيخ القرعاوي رحمه الله ودرس عليه شيئًا من بلوغ المرام ونزهة النظر للحافظ ابن حجر رحمه الله .

ثم التحق بعد ذلك بالمعهد العلمي بصامطة ودرس به على عدد من المشايخ الأجلاء ومن أشهرهم على الإطلاق الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي العلامة المشهور رحمه الله، وعلى أخيه صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحكمي، وكما درس به أيضاً على يد الشيخ العلامة المحدث أحمد بن يحي النجمي _حفظه الله _ ودرس فيه أيضاً على الشيخ العلامة الدكتور محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله في العقيدة.

وكذلك درس أيضاً على الشيخ الفقيه محمد صغير خميسي في الفقة _ زاد المستقنع _ ، وغيرهم كثير ممن درس عليهم الشيخ في العربية والأدب والبلاغة والعروض ، وفي عام ١٣٨٠ هـ وفي نهايته بالتحديد تخرج من المعهد العلمي بمدينة صامطة وفي مطلع العام ١٣٨١ هـ التحق بكلية الشريعة بالرياض واستمر بها مدة شهر أو شهر ونصف أو شهرين، ثم فتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فانتقل إلى

المدينة والتحق بالجامعة الإسلامية بكلية الشريعة ودرس بها مدة أربع سنوات وتخرج منها عام ١٣٨٤هـ بتقدير ممتاز .

وممن درس عليهم الشيخ بالجامعة الإسلامية:

سماحة الشيخ العلامة المفتي العام للملكة العربية السعودية: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله ودرس عليه شيئًا من العقيدة الطحاوية، كان يحضر دروسه في المسجد النبوي، وبخاصة في صحيح مسلم .

صاحب الفضيلة العلامة المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في الحديث والأسانيد، وكذا سبل السلام .

صاحب الفضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن العباد ودرس عليه الفقه ثلاث سنوات في بداية المجتهد، وكذا العقيدة الطحاوية.

صاحب الفضيلة الشيخ العلامة الحافظ المفسر المحدث الأصولي النحوي اللغوي الفقيه البارع محمد الأمين الشنقيطي _ صاحب أضواء البيان _ درس عليه في التفسير وأصول الفقه مدة أربع سنوات .

الشيخ صالح العراقي ودرس عليه شيئًا من العقيدة الطحاوية.

الشيخ المحدث عبد الغفار حسن الهندي في علم الحديث والمصطلح.

والشيخ المحدث شيخ أهل الحديث في باكستان محمد الجاندلوي في الحديث .

وبعد تخرجه عمل مدرساً بالمعهد بالجامعة الإسلامية مدةً ، ثم التحق بعد ذلك بالدراسات العليا وواصل دراسته وحصل على درجة " الماجستير " في الحديث من جامعة الملك عبدالعزيز فرع مكة عام ١٣٩٧ هـ برسالته المشهورة " بين الإمامين مسلم والدار قطني "، وفي عام ١٤٠٠ هـ حصل على الدكتوراه من جامعة الملك عبدالعزيز أيضاً بتقدير ممتاز بتحقيقه لكتاب " النكت على كتاب ابن الصلاح " للحافظ ابن حجر رحمه الله، ثم عاد بعد ذلك للجامعة يعمل بها مدرساً بكلية الحديث الشريف، يدرِّس الحديث وعلومه وترأس قسم السنة بالدراسات العليا مرارا وهو الآن برتبة " أستاذ كرسي " متعه الله بالصحة والعافية في حسن العمل.

صفاته وأخلاقه:

يمتاز الشيخ حفظه الله تعالى بالتواضع الجم مع إخوانه وطلابه وقاصديه وزواره وهو متواضع في مسكنه وملبسه ومركبه، لا يحب الترفه في ذلك كله، وهو أيضاً دائم البِشر، طلق المحيا، لا يمل جليسه من حديثه، مجالسه عامرة بقراءة الحديث والسنة، والتحذير من البدع وأهلها كثيراً، حتى يخيل لمن يراه ولم يعرفه ويخالطه أنه لاشغل له إلا هذا، يحب طلبة العلم السلفيين ويكرمهم ويحسن إليهم ويسعى في قضاء حوائجهم بقدر ما يستطيع بنفسه وماله، وبيته مفتوح لطلبة العلم دائماً

حتى إنه لايكاد في يوم من الأيام يتناول فطوره أو غداءه أو عشاءه بمفرده ويتفقد طلبته ويواسيهم، وهو من الدعاة الغيورين على الكتاب والسنة وعقيدة السلف يمتلئ غيرة وحرقة على السنة والعقيدة السلفية، قلَّ نظيره في هذا العصر وهو من المدافعين في زماننا هذا عن نهج السلف الصالح ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً من غير أن تأخذه في الله لومة لائم .

مؤلفاته:

هي كثيرة ولله الحمد وقد طرق الشيخ _ حفظه الله _ أبواباً طالما دعت إليها الحاجة خصوصاً في الرد على أهل البدع والأهواء في هذا الزمان الذي كثر فيه المفسدون وقل فيه المصلحون ، ومن مؤلفاته:

١- بين الإمامين مسلم والدار قطني " مجلد كبير وهو رسالة الماجستير.

٢- النكت على كتاب ابن الصلاح " مطبوع في جزئين وهو رسالة الدكتوراه .

٣- تحقيق كتاب المدخل إلى الصحيح " للحاكم طبع في أربعة أجزاء .

٤- تحقيق كتاب التوسل والوسيلة " للإمام ابن تيمية - مجلد.

٥- منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل .

٦- منهج أهل السنة في نقد الرجال و الكتب و الطوائف .

٧- "تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بين واقع المحدثين ومغالطات المتعصبين " رد على عبد الفتاح أبو غدة ومحمد عوامه.

٨- كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها.

٩- صد عدوان الملحدين وحكم الاستعانة بغير المسلمين.

١٠- مكانة أهل الحديث .

١١- منهج الإمام مسلم في ترتيب صحيحه .

١٢- أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية ـ حوار مع سلمـــان العودة ـ .

١٣- مذكرة في الحديث النبوي .

١٤- أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره.

١٥- مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله ﷺ .

١٦- العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم .

١٧- " الحد الفاصل بين الحق والباطل " حوار مع بكر أبو زيد .

١٨- مجازفات الحداد .

١٩- المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء .

٢٠- " جماعة واحدة لا جماعات و صراط واحد لا عشرات " حوار مع عبد الرحمن عبد الخالق .

٢١- النصر العزيز على الرد الوجيز، رد على عبد الرحمن عبد الخالق .

٢٢- التعصب الذميم وآثاره، عني به سالم العجمي .

٢٣- بيان فساد المعيار، حوار مع حزبي متستر .

٢٤- التنكيل بما في توضيح المليباري من الأباطيل .

٢٥- دحض أباطيل موسى الدويش .

٢٦- إزهاق أباطيل عبداللطيف باشميل .

٢٧- انقضاض الشهب السلفية على أوكار عدنان الخلفية .

٢٨- النصيحة هي المسؤولية المشتركة في العمل الدعوي، (طبع ضمن مجلة التوعية الإسلامية) .

٢٩- الكتاب والسنة أثرهما ومكانتهما والضرورة إليهما في إقامة التعليم في مدارسنا، (ضمن مجلة الجامعة الإسلامية العدد السادس عشر).

٣٠- حكم الإسلام في من سبَّ رسول الله أو طعن في شمول رسالته، (مقال نشر في جريدة القبس الكويتية) العدد (٨٥٧٦) بتاريخ (٩/ ٥/ ١٩٩٧).

٣١- كشف زيف التشيع .

٣١- كشف زيف التصوف .

٣١- الانتصار لصحابة النبي المختار .

وللشيخ كتب أخرى سوى ما ذكر هنا نسأل الله تعالى أن يعينه على إتمام مسيرة الخير وأن يوفقه لما يحبه و يرضاه إنه ولي ذلك والقادر عليه (٣) .

ثناء العلماء وتزكيتهم للعلامة ربيع المدخلي حفظه الله

جمع أخونا الشيخ خالد بن ضحوي الظفيري حفظه الله ووفقه، عددا من تزكيات العلماء للعلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، في كتاب سماه: **"الثناء البديع من العلماء على الشيخ ربيع"** .

قال في مطلعه:« إن مما ابتلى الله به أهل السنة والجماعة كثرة أهل الباطل ومناصريه وانتشار البدع ومن يؤيدها، ولكن وعد الله -سبحانه- متحقق بلا شك، فقد وعد جل جلاله بحفظ دينه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] ، ومن حفظه لدينه وذكره، أن هيَّأ لهذه الأمة رجالاً يذبون عن دينه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فهاهم صحابة رسول الله ﷺ

(٣) الترجمة منقولة من مكتبة الشيخ حفظه الله، وهي مطبوعة في المجلد الأول ضمن "مجموعة الكتب والرسائل"، وقد أجرى الشيخ ربيع حفظه الله عليها بعض التعديلات أثناء تَصفُّحِه لهذا الكتاب، كما تراه في مواضعه .

ذبوا عن دينه وكتابه ورسوله بألسنتهم وأسنتهم، ولم يألوا جهداً في حماية بيضة هذا الدين، وتبعهم على ذلك التابعون الأخيار ثم تابعوهم إلى عصرنا هذا بل إلى أن تقوم الساعة.

ومن هؤلاء الأعلام الذين بذلوا قصارى جهدهم في الذب عن دينه، وإعلاء كلمته، وتصفية عقول الناس من كثير مما لصق بها من خرافات المخرفين، وزيغ الزائغين، وبدع المبتدعين، وغير ذلك من أنواع الضلال: الشيخ العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله ورعاه– فاجتهد بما يستطيع لنصح هذه الأمة وبذل وقته وعمره لإرشاد شباب المسلمين وفتح صدره وبيته لكل من أراد الحق وسعى إليه.

لكن سنَّة الله في عباده الابتلاء والامتحان ولن تجد لسنة الله تبديلاً، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:١-٢] ، ومن تلك الابتلاءات التي ابتلي بها هذا الإمام النحرير مواجهةُ أهل البدع له وسعيهم الحثيث في إسقاطه، وبأي وسيلة من الوسائل، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، فهم قد استخدموا الكذب والإفك والبهت والبتر والتزوير والسب والشتم واعدد ما شئت من صفات الشر وخصال الشياطين.

لكنه –حفظه الله وثبته– صمد كالجبال الرواسي ولم تثنه هذه الأساليب عن سيره على طريق السلف، وعن نشره لدين الله ورسوله، وعن تصفيته ما علق به من

شوائب البدع والنفاق والفجور والعصيان، وعن فضح من تلبس بلباس السنّة وهي منه براء، وهذا كله من فضل الله عليه ونعمه التي لا تحصى.

ولا زال أهل البدع وأنصارهم، وأعوانهم، يحاولون ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، لإسقاطه حتى يسقط ما يحمله للناس من منهج نبوي وترتفع راية البدع والضلال.

فكتبوا الرد الوجيز فأتاهم بنصره العزيز، ودونوا إفكهم في المعيار فبين فساده وانهار، وهكذا ينصر الله دينه وعباده المؤمنين.

ولا تزال هذه السلسلة تتواصل ولكنها سرعان ما تنهار أمام الحق بحمد الله، وما ذلك إلا لأن باب الكذب عريض، وبوابة الافتراء مفتوحة على مصراعيها، وعقوبة الكذب الفضح والشنار، والعاقبة للمتقين.

وهذا العيب والسب والشتم من أهل الهوى والجهل كله أثم لهم، حسنات للشيخ ربيع، وهكذا الصحابة والتابعون ومن بعدهم، فما سب الرافضة لهم ولا الخوارج ولا المعتزلة ولا أهل البدع جميعاً إلا وهي حسنات في ميزان سلفنا الصالح، وإكرام من الله لهم ليرفع منزلتهم ولو بعد مماتهم، ولا يضرهم ذلك شيء في نظر أهل الحق والسنَّة.. .

وفي مقابل تلك الفئة التي تلمز الشيخ ربيع وتتهمه وتخفض من شأنه، فئةٌ ثناؤهم هو المعتبر، وتزكيتهم هي المقبولة، فقد عرف فضل هذا الرجل كل عالم بالسنَّة وطالب علم تحلى بالإنصاف ونزع ثوب التعصب والهوى، والفضل لا يعرفه إلا أهل الفضل وذووه.

فأثنى عليه علماء هذا العصر وشهدوا له بشهادة حق وصدق، وتحدثوا عن فضله وعلمه وثباته على السنة وعلى منهج السلف الصالح، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ محمد بن عبدالوهاب البنا، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، والشيخ محمد بن عبدالله السبيل، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ زيد بن محمد المدخلي، والشيخ عبيد الجابري، وغيرهم من العلماء والفضلاء وأهل الخير الصلحاء، وهؤلاء هم أهل العلم وكفى بشهادة أهل العلم شهادة، كيف لا وقد استشهد بهم الله تعالى في كتابه الكريم على وحدانيته سبحانه فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] .

ولنا وقفة مع بعض أقوالهم في مدح هذا الإمام الجليل والثناء عليه حتى يتبين لكل عاقل منزلة هذا الشيخ الجليل، ويتبين كذب وضلال من يطعن فيه ويلمز ويغمز.

فإلى تلك الأقوال، وبالله وحده أستعين.

الثناء البديع من العلماء على الشيخ ربيع:

(١) الإمام العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله.

قال رحمه الله: في إجازته الحديثية للشيخ ربيع ما نصُّه:

« أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله أبو الحسن عبيد الله الرحماني تلميذاً، السلفي الأثري مسلكاً، المباركفوري موطناً، ابن العلامة الشيخ عبدالسلام المباركفوري مؤلف "سيرة البخاري":« إنَّ أخانا في الله العالم النبيل، الفاضل الجليل، الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي من أهل قرية "الجرادية" من ضواحي "صامطة" بجنوبي المملكة العربية السعودية، المدرس في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، قد طلب مني الإجازة برواية الحديث عني...، ووصل سنده بسند أئمة الحديث من أصحاب الصحاح وغيرهم، وقد كتب إليَّ أنَّه درس أولاً بالمدرسة السلفية بصامطة، ثم بالمعهد العلمي فيها، ثم بالجامعة الإسلامية في المدينة، النبوية، وتخرج فيها، وأخذ الشهادة الجامعية سنة ١٣٨٥هـ، ثم أخذ في سنة ١٣٩٦هـ شهادة الماجستير، ثم الدكتوراة في سنة ١٤٠٠هـ من كلية الشريعة فرع جامعة الملك عبدالعزيز بجدة آنذاك، وقد ذكر لي -أيضاً- أنّه سمع من العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز –حفظه الله- في المسجد النبوي الشريف كثيراً

من صحيح البخاري ومسلم وشيئاً من جامع الترمذي، ولازم العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني كثيراً، واستفاد –أيضاً– من الشيخ حماد بن محمد الأنصاري وغيره من المشايخ الكبار، وقد كان مبعوثاً من قبل الجامعة الإسلامية في المدينة إلى الجامعة السلفية ببنارس الهند للتدريس بعد التخرج في الجامعة الإسلامية، وقبل أخذ شهادتي الماجستير والدكتوراة، وكلما ذهبت إلى الجامعة السلفية حين إقامته فيها جالسني وذاكرني في المسائل العلمية، وقدم هو –أيضاً– إلى بلدة مباركفور مراراً ولقيني في بيتي، وقد وجدته ذا علم غزير، وفضل كبير، صاحب فهم سليم، وطبع مستقيم، على طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم اعتقاداً وعملاً، متبعاً للكتاب والسنّة ناصراً لهما، ذاباً عنهما، متشدداً على أهل البدع والهوى، رادًّاعلى المقلدين الذين جلّ مساعيهم بقراءة الحديث وإقرائه تسوية الحديث على مذهب إمامهم، فبارك الله في علومه، ومتّع المسلمين بطول بقائه...»،إلى آخر الإجازة، وقد كتبها الشيخ في التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٤٠١هـ.

(٢) الإمام العلامة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله .

فقد سئل رحمه الله عن الشيخ ربيع بن هادي والشيخ محمد أمان فقال: « بخصوص صاحبي الفضيلة الشيخ محمد أمان الجامي والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، كلاهما من أهل السنة، ومعروفان لدي بالعلم والفضل والعقيدة الصالحة، وقد

توفي الدكتور محمد أمان في ليلة الخميس الموافقة سبع وعشرين شعبان من هذا العام رحمه الله ، فأوصي بالاستفادة من كتبهما..» "شريط الأسئلة السويدية" .

وقال: « الشيخ ربيع من خيرة أهل السنَّة والجماعة، ومعروف أنَّه من أهل السنَّة، ومعروف كتاباته ومقالاته » " شريط بعنوان ثناء العلماء على الشيخ ربيع- تسجيلات منهاج السنة".. .

(٣) الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله:

فقد وُجّه سؤال إلى الشيخ.. مفاده: أنه على الرغم من موقف فضيلة الشيخين ربيع بن هادي المدخلي ومقبل بن هادي الوادعي في مجاهدة البدع والأقوال المنحرفة، يشكك بعض الشباب في الشيخين أنهما على الخط السلفي؟

فأجاب رحمه الله:

«..الحط على هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل الداعيين إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف، ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفى على الجميع إنما يصدر من أحد رجلين: إما من جاهل أو صاحب هوى.

الجاهل يمكن هدايته ؛ لأنه يظن أنه على شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدى.. أما صاحب الهوى فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله ـ تبارك وتعالى ـ فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين ـ كما ذكرنا ـإما جاهل فيُعلَّم، وإما صاحب هوى

فيُستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله -عز وجل- إما أن يهديه وإما أن يقصم ظهره » .

ثم قال الشيخ رحمه الله: « فأريد أن أقول إن الذي رأيته في كتابات الشيخ الدكتور ربيع أنها مفيدة ولا أذكر أني رأيت له خطأ، وخروجاً عن المنهج الذي نحن نلتقي معه ويلتقي معنا فيه ».

وقال -أيضاً- في شريط "الموازنات بدعة العصر للألباني" بعد كلامٍ له في هذه البدعة العصرية :

« وباختصار أقول: إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع، والذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبداً، والعلم معه، وإن كنت أقول دائماً وقلت هذا الكلام له هاتفياً أكثر من مرة أنه لو يتلطف في أسلوبه يكون أنفع للجمهور من الناس سواء كانوا معه أو عليه، أما من حيث العلم فليس هناك مجال لنقد الرجل إطلاقاً، إلا ما أشرت إليه آنفاً من شئ من الشدة في الأسلوب، أما أنه لا يوازن فهذا كلام هزيل جداً لا يقوله إلا أحد رجلين: إما رجل جاهل فينبغي أن يتعلم، وإلا رجل مغرض، وهذا لا سبيل لنا عليه إلا أن ندعو الله له أن يهديه سواء الصراط » .

(٤) الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله.

فقد سئل فضيلته عن الشيخ ربيع كما في "شريط الأسئلة السويدية" فقال:« أما بالنسبة للشيخ ربيع فأنا لا أعلم عنه إلا خيراً والرجل صاحب سنة وصاحب حديث » .

وقال رحمه الله في شريط " إتحاف الكرام" وهو شريط سجِّل في عنيزة بعد محاضرة الشيخ ربيع فيها بعنوان "الاعتصام بالكتاب والسنَّة"، وقد كنت برفقة الشيخ ربيع في تلك الرحلة، وحضرت هذا اللقاء:

« إننا نحمد الله سبحانه وتعالى أن يسر لأخينا الدكتور ربيع بن هادي المدخلي أن يزور هذه المنطقة حتى يعلم من يخفى عليه بعض الأمور أن أخانا وفقنا الله وإياه على جانب السلفية طريــق السلف.. .

ثم قال أحد الحاضرين في الشريط نفسه: هاهنا سؤال حول كتب الشيخ ربيع؟

فأجاب رحمه الله: « الظاهر أن هذا السؤال لا حاجة إليه، وكما سئل الإمام أحمد عن إسحاق بن راهويه -رحمهم الله جميعاً- فقال: مثلي يسأل عن إسحاق ! بل إسحاق يسأل عني، وأنا تكلمت في أول كلامي عن الذي أعلمه عن الشيخ ربيع -وفقه الله-، ومازال ما ذكرته في نفسي حتى الآن، ومجيئه إلى هنا وكلمته التي بلغني عنها ما بلغني لاشك أنه مما يزيد الإنسان محبة له ودعاء له ».. .

وجاء في الشريط الأول الذي هو بعنوان " كشف اللثام عن مخالفات أحمد سلام"-عبر الهاتف من هولندا-:

سؤال: ما هي نصيحتكم لمن يمنع أشرطة الشيخ ربيع بن هادي بدعوى أنها تثير الفتنة وفيها مدح لولاة الأمور في المملكة وأن مدحه ـ أي مدح الشيخ ربيع للحكام ـ نفاق؟

الجواب: « رأيُنا أن هذا غلطٌ وخطأٌ عظيم، والشيخ ربيع من علماء السنة، ومن أهل الخير، وعقيدته سليمة، ومنهجه قويم.

لكن لما كان يتكلم على بعض الرموز عند بعض الناس من المتأخرين وصموه بهذه العيوب » .

وسئل ما نصُّه: يقال أن منهج الشيخ ربيع يخالف منهج أهل السنة والجماعة؟

فأجاب بقوله: « ما أعلم أنه مخالف، والشيخ ربيع أثنى عليه أهل العلم المعاصرين، أنا ما أعرف عنه إلا خيراً » "شريط ثناء أئمة الدعوة على الشيخ ربيع".

(٥) الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان –حفظه الله-:

قال –حفظه الله- في تقديمه لكتاب "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل":

« من هؤلاء الذين بينوا ونصحوا فضيلة الشيخ الدكتور: ربيع بن هادي المدخلي في هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو بعنوان: " منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل" فقد بين- وفقه الله وجزاه خيراً- منهج الرسل في الدعوة إلى الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وعرض عليه منهج الجماعات المخالفة ليتضح الفرق بين منهج الرسل وتلك المناهج المختلفة والمخالفة لمنهج الرسل، وناقش تلك المناهج مناقشة علمية منصفة مع التعزيز بالأمثلة والشواهد، فجاء كتابه - والحمد لله- وافياً بالمقصود، كافياً لمن يريد الحق، وحجة..» .

وسئل فضيلته في شريط " الأسئلة السويدية " (٥ ربيع الآخر ١٤١٧ هـ) فقال بعد ما ذكر الشيخ ربيعاً مع مجموعة من أهل العلم: « كذلك من العلماء البارزين الذين لهم قدم في الدعوة، فضيلة الشيخ عبدالمحسن العباد، فضيلة الشيخ ربيع هادي، كذلك فضيلة الشيخ صالح السحيمي، كذلك فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي، إن هؤلاء لهم جهود في الدعوة والإخلاص، والرد على من يريدون الإنحراف بالدعوة عن مسارها الصحيح، سواء عن قصد أو عن غير قصد، هؤلاء لهم تجارب ولهم خبرة ولهم سبر للأقوال ومعرفة الصحيح من السقيم، فيجب أن تُروَّج أشرطتهم ودروسهم وأن ينتفع بها؛ لأن فيها فائدة كبيرة للمسلمين » .

وسئل الشيخ في الحرم المكي في تاريخ ١٣/ ٦/ ١٤٢٤هـ: هل من نصيحة لشباب يطعنون في بعض أئمة الدعوة السلفية كالشيخ محمد أمان الجامي والشيخ ربيع المدخلي؟

فأجاب بقوله: « دعونا من الأفراد والقيل والقال، المشايخ إن شاء الله فيهم خير، وفيهم بركة للدعوة السلفية، وتعليم الناس، فلو ما أرضو بعض الناس فالرسول ما أرضى كل الناس، هناك ساخطين على الرسول ﷺ، مسألة النفسانيات والأهواء هذه لا اعتبار بها، المشايخ نحسن بهم الظن، وما علمنا عليهم إلا الخير إن شاء الله ، وندعو لهم بالتوفيق » .

(٦) فضيلة الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله:

فقد سئل الشيخ رحمه الله في شريط "الأسئلة الحضرمية": ما رأيك فيمن يقول عن الشيخ ربيع أنه متهوِّر؟

فأجاب رحمه الله: « الشيخ ربيع له خبرة بمعرفة الواقع لأنه عاش مع الإخوان المفلسين زمناً طويلاً -والحمد لله- هو أحسن من يعالجون الأمور وينكر على المبتدعة ابتداعهم فأسال الله أن يحفظه » .

وقال رحمه الله في شريط "الأسئلة السنية لعلاَّمة الديار اليمنية، أسئلة شباب الطائف": « مِنْ أبصر الناس بالجماعات وبدخن الجماعات في هذا العصر الأخ

الشيخ ربيع بن هادي –حفظه الله–، مَن قال له ربيع بن هادي إنه حزبي فسينكشف لكم بعد أيام أنه حزبي، ستذكرون ذلك، فقط الشخص يكون في بدء أمره متستراً ما يحب أن ينكشف أمره لكن إذا قوي وأصبح له أتباع، ولايضره الكلام فيه أظهر ما عنده، فأنا أنصح بقراءة كتبه و الاستفادة منها –حفظه الله تعالى–».

وقال رحمه الله:« بحمد لله أهل السنة يغربلون المجتمع غربلة، الشيخ ربيع، لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، الشيخ ربيع في أرض الحرمين ونجد، نعم بحمد الله يغربل الحزبيين غربله ويبيِّن ما هم عليه » "شريط ثناء العلماء على الشيخ ربيع – تسجيلات منهاج السنَّة".

وقال الشيخ رحمه الله في جواب له على سؤال: « وأنا أنصح الأخوة بالاستفادة من كتب أخينا الشيخ ربيع بن هادي –حفظه الله تعالى– فهو إن شاء الله بصير بالحزبيين، ويخرج الحزبية بالمناقيش، قال بعضهم: إنَّ بعض المحشين على الكشاف يخرج الاعتزال بالمناقيش، هذا –أيضاً– يخرج الحزبية بالمناقيش، أنا أنصح بالاستفادة من كتبه، وكذلك بالاستفادة من أشرطته.. » .

وفي السؤال (١٣٥) لما سئل عن العلماء الذين يرجع إليهم قال: « والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، فهو آية من آيات الله في معرفة الحزبيين، لكن لا كآيات إيران الدجالين.. » .

(٧) فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله السبيل -حفظه الله تعالى- إمام الحرم المكي الشريف:

فقد قال -حفظه الله تعالى- في تقديمه لكتاب"النصر العزيز على الرد الوجيز"(ص١١) : « الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية من العلماء المعروفين، والدعاة المشهورين في الأوساط العلمية في المملكة العربية السعودية، وقد عرف بتمكنه في علوم السنة وغيرها من العلوم الشرعية، ولفضيلته جهود كبيرة في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على منهج السلف الصالح، والدفاع عن العقيدة السلفية الصحيحة، والرد على المخالف لها من أهل البدع والأهواء بما يذكر لفضيلته فيشكر، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم عليه نعمه وأن يزيده من التوفيق والسداد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ».

وقال في شريط (كشف اللثام/ ١) مايلي:

سؤال : ماهي نصيحتكم لمن يمنع أشرطة المشايخ من أهل السنة المعروفين مثل الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله والشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- حيث يقول أن أشرطة الشيخ تثير الفتنة؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله-:

« أعوذ بالله، أعوذ بالله ... لا. شوف هذين الشيخين أشرطتهم من أحسن الأشرطة، هؤلاء يدعون إلى السنة، وإلى التمسك بالسنة، ولكن مايتكلم بهؤلاء إلا إنسان صاحب هوى، وأكثر مايتكلم بهؤلاء أهل الأحزاب الذين ينتمون إلى حزب من الأحزاب هم الذين ينكرون هذه الأشياء، أما بالنسبة لهذين الشيخين معروفين بالتمسك بالسنة وعقائدهم سلفية وهم من أحسن الناس.. » .

(٨) فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبدالوهاب البنا -حفظه الله-:

..ومن أقواله -حفظه الله- في شيخنا الشيخ ربيع ما قاله في تقديمه لكتاب "جماعة واحدة لا جماعات": « الدكتور ربيع بن هادي المدخلي أعرفه من يوم كان طالباً بالجامعة الإسلامية حريصاً على معرفة السنة وسيرة السلف الصالح والسير على نهجهم والدعوة إلى ذلك الصراط المستقيم، وقد خرجت معه والأخ عبد الرحمن عبد الخالق وعمر سليمان الأشقر والشيخ محمد أمان الجامي مع بعض الطلبة السودانيين الذين على نفس المنهج للدعوة في السودان أيام العطلة الصيفية،

ومن خير من ثبت على هذا الطريق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي نسأل الله له أن يديم تثبيته، فقد سد ثغرة وهو يدافع عن السنة ويوضح أخطاء بعض من وقع فيها ممن نشهد لهم بالفضل ممن اغتر بهم كثير من الناس كنصيحة الابن الشيخ عبدالرحمن في كتاب "جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات"، وبيَّن الحق الذي يراه فجزاه الله خير الجزاء ووفقنا والأخ عبد الرحمن وجميع الإخوة لمنهج الصراط المستقيم وأعاذنا جميعاً من السبل .

ولقد علمت بوفاة الشيخ محمد أمان الجامي، -غفر الله له- واسكنه فسيح جناته ولقد كان من المدافعين عن السنة والداعين إلى سلوك مذهب السلف أسأل الله أن يتقبل جهاده ويغفر لنا وله » "انظر مقدمة النصر العزيز للشيخ ربيع" .

وقد سئل -حفظه الله-: هل يعدُّ الشيخ ربيع من كبار العلماء؟

فقال: « من في هذا العصر وما قبله يعرف حقيقة جلّ الدعاة مثله؟! من؟ ويعرف بالدليل والبرهان، لا يتكلم عن أحد إلا بالدليل، ولهذا أنا أقول عن ربيع هادي كيحيى بن معين في هذا العصر، أنا أقول إنَّ ربيع هادي يحيى بن معين هذا الزمان ... وأعرف النَّاس بالرجال بالدليل والبرهان الشيخ ربيع هادي -الله يحفظه-، ويحفظ عليه عقله وحافظته ... فجزاه الله خيراً، وثبَّته الله، وأبقاه حتى يفنِّد الذين يلبسون ثوب السلفيَّة ومحاربتها، نسأل الله أن يبين حالهم ويفضحهم ويكفينا شرّهم » .

(٩) فضيلة الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي –حفظه الله–:

قال –حفظه الله– في تقريظه لكتاب "جماعة واحدة لا جماعات": « وإن الواجب على من عرف من نفسه القدرة على تمييز الحق من الباطل، والسنة من البدعة أن يقوم بذلك، ولعل الشيخ ربيع ممن جرب نفسه في هذه المواقف الجهادية فنجح ولله الحمد...وقد رأيت أن الشيخ ربيع كان موفقاً في نقده هذه الأخطاء والرد عليها بالأدلة الصحيحة والفكرة الصائبة والأسلوب المعتدل، فجزاه الله خيراً وأثابه على ما بذل من وقت وجهد، وإني لأوصي الشباب بقراءة كتابه حتى لا تنطلي عليهم البدع ولا تغرهم بروق خُلّب، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل » "انظر مقدمة النصر العزيز للشيخ ربيع" .

وقال –حفظه الله– في الشريط الأول من " أحكام العلماء في مقالات عدنان عرعور": « أما الشيخ ربيع معروف بجهاده في إظهار السنة، والردِّ على المبتدعين جزاه الله خيراً.. » .

وسئل الشيخ –حفظه الله–: هل يمكن أن تعتبر الشيخ ربيع بن هادي المدخلي و عدنان عرعور أقران؟

الجواب: « لا، لا، كما لا يقارن بين الثرى والثريا، عدنان عرعور يظهر منه أنه حزبي، ويأوي الحزبين، ويتكلم على السلف، ويريد جرح السلفيين، ويريد أن يقدح في السلفيين، لكنه يحامي عن المبتدعين، أما الشيخ ربيع معروف بجهاده في إظهار السنة والرد على المبتدعين » .

وقال في ردِّه على أبي الحسن المصري: « الشيخ ربيع رجل مجاهد جزاه الله خيراً، وأنا أغبطه بجهاده في نشر السنة، وقمع البدع وأهلها، واهتمامه بالسنة ونشرها بكل ما يستطيع؛ أسأل الله أن يجزيه عن ذلك خير الجزاء، ومن أجل ذلك، فأنا وجميع أهل السنة نحبه.. » .

(١٠) فضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي –حفظه الله–:

قال –حفظه الله– وهو يرد على محمد سرور: « وإنَّني لأؤكد لمحمد سرور وأعوانه أنَّه إذا لم يكن الشيخ ربيع بن هادي المدخلي ومشايخه وزملاؤه وتلاميذه على منهج السلف، وأتباع أهل الحديث والأثر، فلا أدري عن المقصود بالسلفية والسلفيين » "الإرهاب"(ص: ٨٩) .

وقال وهو يتحدَّث عن ردود الشيخ ربيع على عبدالرحمن عبدالخالق: « وقد كانت ردود الشيخ ربيع مؤيدة بتقريظ كوكبة من رجال العلم، شهدوا للشيخ ربيع بإصابة الحق، ووجاهة النقد، ووضوح الرد؛ لاشتمال ما كتب في الكتابين على

الأدلّة النقلية، والحجج العقلية التي تنير الطريق وتقوم بها الحجة » "الإرهاب" (ص:٩٣) .

وقال في كتابه "النظم المختار" في الحاشية (ص:٣٠): « المدخلي هو الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي صاحب المؤلفات المباركات والتحقيقات المشهورات النافعات والنصائح الخالصات، نسأل الله لنا وله التوفيق والسداد في كل ما نأتي ونذر، وحقاً أقول: إنه من أهل العقيدة السلفية والمنهج السلفي قولاً وفعلاً.. » .

(١١) فضيلة الشيخ علي بن ناصر الفقيهي –حفظه الله–:

قال أثناء تقريظه لكتاب "جماعة واحدة لا جماعات": « إني قرأت هذا الكتاب، وقد وجدته بحثاً علمياً موثقاً، ناقش فيه الشيخ ربيع الشيخ عبدالرحمن بن عبدالخالق مناقشة هادفة، لا شطط فيها، ولا خروج على الآداب الشرعية في المناقشة والحوار، بين فيه خطأ المنهج الذي سلكه الشيخ عبدالرحمن في كثير من كتبه وأشرطته، ورد على تلك الاتجاهات المخالفة لمنهج السلف بالحجة والبيان...» "انظر مقدمة النصر العزيز للشيخ ربيع".

(١٢) فضيلة الشيخ عبيد بن عبدالله الجابري –حفظه الله–:

سئل فضيلته عن الشيخ ربيع في شريط "التبيان في بعض أخطاء عدنان عرعور" فقيل له: كثر الكلام حول الشيخ ربيع وهل هو عالم من علماء المسلمين؟

فأجاب بقوله: « الشيخ ربيع ولله الحمد معروف عند الخاصة والعلماء، والشيخ - أي الشيخ ربيع- شيخنا عبد العزيز بن باز قد زكاه، وما كنت أظن أن توجهوا هذا السؤال لي.. » .

وقال -أيضاً-: « إنَّ الشيخ ربيع -حفظه الله-،والشيخ أحمد النجمي -حفظه الله-، لهم وزنهم العلمي، وهم -ولله الحمد- معروفون بصحة المعتقد، وسلامة المنهج، واستقامته، فلايجرحون إلا مَن هو أهلٌ أن يُجرح » .

وسئل -حفظه الله-: ما رأيكم فيمن يقول أن الشيخ ربيع يطعن في المشايخ والعلماء والدعاة ؟

فأجاب بقوله: « الشيخ ربيع صاحب راية قوية رافعة لواء السنة، وبشهادة أئمة زكوه وأثنوا عليه، فلا ينبغي لمثلي أن يسأل عنه حفظه الله، لكن ما دمت سئلت فلا بد الإجابة.

زكاه سماحة الإمام الوالد العلامة الأثري الفقيه الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وزكاه الإمام الفقيه المجتهد العلامة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، وزكاه الإمام المحدث في هذا العصر بلا نزاع الإمام ناصر رحمه الله ووصفه بأنه حامل لواء الجرح والتعديل في هذا العصر، وراية الشيخ ربيع التي رفعها جهاداً عن أهل السنة وذباً عنها وعن أهلها وهي شوكة في صدور المبتدعة حتى الساعة -ولله الحمد- ما

هانت وما لانت وما انتكست، وبهذا يستبين لكم أن هذه المقولة الذي تضمنها السؤال صادرة عن صنفين من الناس:

صنف ليس عنده خبرة ولا علم بما يجري في الساحة، وإنما يقال له فيقول .

والصنف الآخر وهم قادة هذا الفكر الضال المنحرف المعارض للسنة شق عليهم، وغصت حلوقهم وغص في حلوقهم ما كتبه الشيخ ربيع -حفظه الله- من الرد على القطبيين وغيرهم مما كتبه في سيد قطب، وبيان انحرافه وجهالاته وضلالاته، وما أبان من الحق لطالب الحق، فلا تستغربوا أن يقولوا هذا فالشيخ ربيع لم يطعن في داعية إلى الله على بصيرة أبدًا، ولم ينل منه شيئاً، وإنما هو مع إخوانه وأبنائه من المسلمين عامة وطلاب العلم خاصة يوجه وينصح ويسدد ويعلم ويزيل الشبهة عمن تعرض له هذا ما علمناه عنه -حفظه الله- حتى الساعة »... .

(١٣) فضيلة الشيخ الدكتور جابر الطيب بن علي قاضي وعضو في هيئة التمييز في محكمة مكة والمدرس في المسجد الحرام في مكّة المكرمة.

قال رحمه الله في تقديمه لكتاب "جماعة واحدة لا جماعات": « ومن هؤلاء الموفقين إن شاء الله فضيلة الدكتور ربيع بن هادي مدخلي صاحب المؤلفات الهادفة والردود الجرئية التي لا تخرج عن الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ...وخلاصة القول: أن أستاذنا الفاضل وعالمنا الجليل الدكتور ربيع قد أوضح الحق لطالبه المنصف والله من وراء القصد » "انظر مقدمة النصر العزيز للشيخ ربيع" .

(١٤) ثناء الشيخ حسن بن عبدالوهاب البنا –حفظه الله–.

قال وفقه الله: « بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه؛ أما بعد:

شاء الله تعالى أن طلبتني الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية للتدريس بها في العام الدراسي ١٣٩١/ ١٣٩٢ هـ وما بعده حتى عام ١٤٠٥/ ١٤٠٦ هـ، وقبل اختيار الجامعة لي كنت قد تعرفت على فضيلة الشيخ ربيع عن طريق شقيقي الشيخ محمد عبد الوهاب البنا – وهو قرين الشيخ ربيع في الدعوة إلى العقيدة السلفية ونبذ البدع–، وكان الشيخ ربيع قد تخرَّج في الجامعة الإسلامية ثم حصل على درجة الماجستير، وكان يدرس للحصول على درجة الدكتوراة وكان يحضر للقاهرة، ومقابلة بعض الأشياخ فيما يتعلق ببحوثه لدرجة الماجستير.

ثم نُقِل فضيلة الشيخ ربيع إلى مكة المكرمة لمتابعة دراساته، وبحوثه –بين مكة والمدينة– تحت إشراف الأساتذة المشرفين على البحث، وكنت أسافر إلى مكة للعمرة، وأُصاحب أخي لزيارة الشيخ ربيع، وأحيانًا كان هو يدعونا لزيارته، وكانت جلساته أكثرها عن العلم –وبخاصة علم الحديث–، وكنا نستفيد من مناقشات شقيقي والحاضرين مع الشيخ ربيع في هذه الجلسات.

ثم التحق فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي للعمل بالجامعة الإسلامية للتدريس بِها بعد حصوله على درجة الدكتوراة، وكان مُنكبًا على الدرس والتدريس، ثم استقر في المدينة حيث كنا نزوره ونستفيد من علمه أثناء تواجدنا لتدريس العقيدة والعلوم الشرعية بالجامعة الإسلامية مع أستاذي وزميلي فضيلة الأخ الدكتور سعد عبد الرحمن ندا أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية، والذي كان يناظر أهل البدع والانحراف في العقيدة من مدرسي الجامعة وغيرهم من أهل المدينة.

وكان فضيلة الشيخ ربيع بن هادي على صلة دائمة ودائبة بالأشياخ من أهل السنة، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ ناصر الدين الألباني – رحمهما الله– وغيرهما؛ وقد أخذ من علمهم ومناظرتهم، ثم بَرَع في تتبع كلام الدعاة على الساحة، ووزن أقوالهم بأصول أهل السنة، فمن وجده موافقًا أثنى عليه بما هو أهله –دون أن يزكيه على الله–، ومن وجده مخالفًا لأصول أهل السنة –عن علمٍ منه– نصح له، فإن رجع فهو أخٌ له؛ وإن لم يرجع وأصر على نشر بدعته، ذكره في أحاديثه بأنه خالف الأصول في كذا وكذا، وأنه نصح له فلم يرجع حتى يعرف الناس من هم أهل السنة الأصلاء ممن عراهم للمفاصلة والمُباينة؛ وهو يرى تبعًا لأصول علم الجرح والتعديل، أنه لو تُرِك أحدهم في مخالفته لتبعه غيره، وفي مسألة تخالف الأصول لتعداها إلى غيرها؛ ولاجتاح البعض أصول

أهل السنة بالزيادة فيها، والنقصان منها، أو تفصيل مجملها بما لم يقل به السلف؛ فكل من هؤلاء الذين يُراجعهم في مخالفاتِهم ينزعج من كلامه لأنه يكشف عورته أمام الناس فيعرفونه بنقصه، وربما انصرفوا عنه.

هذا وقد نَسَبَ إليه بعض أهل العلم أنه شديد في الحق؛ وهذه مَحمَدة وليست مذمة؛ وحجته ما سبق أن بيناه.

وقد حاول البعض إثناء الشيخ ربيع عن ثباته على الحق ونُصرة أهله، والدفاع عنه أمام كل مُبتدع ومناهض لأصول أهل السنة؛ ولكن الله ثبته وزاده ذلك قوة في الحق، وأخذًا بِهذا السبيل الذي فيه الكشف عن عورات المبتدعة وأساليبهم الظاهرة والخفية.

وأنا أشهد –رغم ضعفي في العلم والذي أرجو أن يجبره تمسكي بأصول أهل السنة والجماعة وما يتبعها من فروع- بأن فضيلة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي من علماء أهل السنة والجماعة عن علم وجدارة؛ وكلمتي هذه للتعريف به حتى يجد الحيارى من هذه الأمة بعد الله سبحانه وتعالى، من يرشدهم ويأخذ بأيديهم إلى طريق أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية إن شاء الله ليتحقق للأمة الوحدة تحت لواء التوحيد والسنة، فتعز وتنتصر، ويَعمها السعادة الدنيوية والأخروية.

ولا يفوتنا أن ننوه بأن فضيلة الشيخ مقبل بن هادي رحمه الله كان يأخذ من نفس المَعين الذي أخذ منه الشيخ ربيع بن هادي، وهو من أقرانه؛ وكلاهما معروفٌ بشدته المحمودة على المخالفين لأصول المنهج السلفي.

وكذلك الشيخ محمد عبد الوهاب البنا –من مؤسسي جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، ومدير التوجيه الإسلامي بمديرية التعليم بجدة بالمملكة السعودية سابقًا– هو من أقران الشيخ ربيع الذين شاركوه في الانتصار للسنة وقمع البدعة.

وقد استفدت من الشيخ ربيع كثيرًا، وتعلمت من كتبه، ويُشرفني أن أكون واحدًا من طلابه.. » انتهى بتصرف واختصار ما نقلناه من كتاب **"الثناء البديع من العلماء على الشيخ ربيع"** للشيخ خالد بن ضحوي الظفيري جزاه الله خيرًا .

التعريف بأهل السنة والجماعة وذكر بعض ألقابهم

لما كان موضوع بحثنا يدور حول أهل السنة والجماعة، وإبراز أصولهم ومميِّزاتهم التي تميَّزوا بها عن أهل البدع والأهواء، كان من المستحسن ذكر تعريف جامع مانع لهذه الجماعة السلفية، و بعض أوصاف أهلها، وذكر بعض ألقابها التي اشتهرت بها، وصارت شعارا لها تتميَّز به عن فرق الضلال والرَّدى .

وسيكون كلامنا حول هذا الموضوع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من هم أهل السنة والجماعة؟ وما هي أوصافهم؟

المبحث الثاني: ذكر جملة من ألقاب أهل السنة والجماعة .

المبحث الثالث: شهادة كبار أئمة الإسلام لأهل السنة بأنهم على الصراط المستقيم والحق الواضح المبين، وبأنهم هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .

المبحث الأول

من هم أهل السنة والجماعة؟ وما هي أوصافهم؟

وفي الجواب على هذا السؤال يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« أسعد الناس بالنَّجاة، وأسعد الناس بلقب أهلِ السُنة وأنصار السُنة وأتباع محمَّد ﷺ **هم أولئك الذين يتمسكون بكتاب الله وبسُنة رسول الله ﷺ وبما كان عليه السَّلف الصالح والقرون المُفَضَّلَة من عقيدة ومنهج**.

وإذا درسنا واقع المسلمين ومناهجهم وتأريخهم؛ أعني الفِرَق الإسلامية، نجد أنَّ من يَصدُق عليهم الفِرقة الناجية، أو الطائفة المنصورة، أو أهل الحديث، **إنما هم الذين يلتزمون هذا المنهج السَّلفي الصحيح القائم على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ في العقائد والعبادات والتشريعات والسِّياسة وغيرها، هم أَحَقُّ الناس بهذا الوصف الفرقة الناجية وهم أهل الحديث**؛ لأنَّ أئمَّة الإسلام حينما يُسأَلُون عن حديث الطائفة المنصورة يُفَسِّرونه بأهل الحديث، وأهلُ الحديث من بَيَّنَا لكم،

سُمُّوا أهلَ الحديث وإن كان كثيرٌ من الفِرَق يشاركونهم في دراسة الحديث وحفظه لكنَّهم هم يمتازون بأنهم يتمسكون بالحديث في أبواب الإسلام كلِّها في العقائد، والعبادات، والسِّياسات وغيرها، متمسكين بكتاب الله، إذا تتبعنا تأريخ الطَّوائف كلِّها وعقائدَها ومناهجَها نجد أنَّ أهل الحديث الذين وصفهم الإمام أحمد وابن المبارك وابن مهدي والبخاري وغيرهم طَبَّقُوا حديث « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة كُلُّهَا فِي النَّار إِلاَّ وَاحِدَة قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »(٤) وفي رواية « الجَمَاعَة »(٥) **يعني الجماعة الذين اجتمعوا على الحق الذي جاء به محمَّدﷺ**، إذا سُألُوا عن هذا الحديث يقولون: المراد به أهل الحديث؛ إذا لم يكن هم أهل الحديث فلا أدري من هم، يعني هم

---

(٤) أخرجه الترمذي، ٤١ -كتاب الإيمان، حديث (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. (ربيع).

(٥) أخرجه أبو داود، ٣٤- كتاب السنَّة، حديث (٤٥٩٧)،وأخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، و الدارمي (٢/ ١٨٥)، حديث (٢٥٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٢٨) من حديث معاوية - ت - .

وأخرجه ابن ماجة، ٣٦- كتاب الفتن: ١٧- باب افتراق الأمم، حديث (٣٩٩٣) من حديث عوف بن مالك.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنَّة (١/ ٣٢) وقال الألباني: إسناده جيد .

وأخرجه أبو داود ٣٤- كتاب السنَّة: باب شرح السنَّة، حديث (٤٥٩٦)، والترمذي ٤١-كتاب الإيمان، ١٨- باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث (٢٦٣٠)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وابن ماجة، ١٧- باب افتراق الأمم، حديث(٣٩٩١) من حديث أبي هريرة،

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنَّة (١/ ٣٢) قال الألباني: وهو صحيح وله شواهد كثيرة بعضها في الصحيحين.

وأخرجه أحمد (٣/ ١٤٥،١٢٠) من حديث أنس من طريقين.

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنَّة (١/ ٣٢) وقال الألباني: والحديث صحيح قطعاً لأنَّ له ست طرق وشواهد عن جمع من الصحابة، (ربيع). أخرجه الترمذي، ٤١ -كتاب الإيمان، حديث (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. (ربيع).

أهل الحديث؛ فإذا سُئل أحمد أو ابن المبارك أو غيره عن حديث « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (٦)»، إذا سُئلُوا عن هذا الحديث يقولون: هم أهل الحديث، لماذا؟ لأنَّهم وجدوا في الواقع أنَّ من يَصدُق عليهم هذان الحديثان المتواتران و لا يجدون في السَّاحة من الفِرَق إلاَّ أهل الحديث، وجدوهم يؤمنون بما يتضمنه الحديث من عقائد إلى جانب القرآن، ثم من ورث أهل الحديث في هذا المنهج من الاعتقاد والإيمان بما دلَّت عليه الآيات ودلَّت عليه الأحاديث سواءً بما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته، أو يتعلق بالجنَّة والنَّار وغيرها .

إذًا كانوا يؤمنون بما دلَّت عليه الأحاديث ودلَّت عليه الآيات إيمانًا صادقًا فهم – إن شاء الله– أهل الحديث .

وفي باب العبادة لا يُقدِّمون قول أحد على حديث رسول الله ﷺ،ونحن نجد في هذا البلد العلماء ينتسبون فِقْهِيًا إلى مذهب أحمد، لكن الذي وجدناهم يفضلون به على سائر أهل المذاهب أنَّ فتاواهم قائمة على الكتاب والسُنة، وإذا خالف المذهب حديثًا رَدُّوا المذهب من أجل الحديث، وإذا خالف آيةً رَدُّوا المذهب من أجل الآية؛ وجدنا هذا في تدريسهم، وفي خُطَبِهم، وفي محاضراتهم، وفي مؤلفاتهم،

(٦) الحديث أخرجه : مسلم في الإمارة (١٩٢٠) ، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، والترمذي في الفتن (٢٢٢٩)، وابن ماجه في المقدمة (١٠)، (ربيع) .

وفي فتاواهم؛ تجدهم يُقدِّمون الحديث حتى على قول أحمد بن حنبل أو غيره؛ فهم من أهل الحديث، وهم من الفِرقة الناجية، ومن الطائفة المنصورة، هذا ندين الله به، وهو شيءٌ ملموس، ومن أراد أن ينظر في الواقع فليرجع إلى الفتاوى والمحاضرات والكتب يجد هذا؛ فلهذا قد يسعى بعض أهل الفتن لاستغلال إطلاق أهل الحديث أو السَّلفيين على هؤلاء فيقولون: إنَّ المقصود به غيرهم، ويقولون: هذه كتبنا ومحاضراتنا كلُّها تُدخل - ولله الحمد- حَمَلَة هذه الدَّعوة قديمًا وحديثًا في هذا البلد الذي نفع الله بدعوته الأُمَّة الإسلامية، وأيقظها من سباتها، وأخرجها من ظلمات الجهل والضَّلال بهذه الدَّعوة ، فالآن الجماعات السَّلفية تسير على هدي كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ بتأثير دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب الذي حمل السَّيف إلى جانب المصحف، وأقام للإسلام دولة تحكم بشريعة الله، وتنصر الحق، وتؤسِّس له الجامعات والمدارس والمراكز، وتبذل الملايين للدَّعوة إلى الله في نصرة هذه الدَّعوة السَّلفية الصادقة التي نفع الله بها في مشارق الأرض ومغاربها... .

أقول: إنَّ أولى النَّاس بهذا الوصف: وصف الفِرقة النَّاجية والطائفة المنصورة هم أهل الحديث، وعلى رأسهم أصحاب محمَّد ﷺ فأصحاب رسول الله ﷺ ما فَتَحُوا الدنيا إلاَّ بـ" قال الله عز وجل قال رسول الله ﷺ "، ونشأ علماء أفذاذ في العالَم الإسلامي على "قال الله، قال رسول الله"، فكانت القرون الثلاثة المُفَضَّلَة

التي أثنى عليها رسول الله ﷺ بقوله :« خَيْرُ النَّاسُ قَرْنِي ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ (٧)»، هذه القرون المُفَضَّلَة بشهادة رسول الله ﷺ ما كان عندها إلا قال الله عز وجل قال رسول الله ﷺ، يُعَلِّمون العرب والعجم كل من يدخل في دين الله يُربُّونَه تربيةً صحيحة على قال الله عز وجل، وقال رسول الله ﷺ في العقائد، والعبادات، والأخلاق، والسِّياسة وكل شيء... .، ثم جاءت القرون التي قال عنها رسول الله ﷺ: « ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُون وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يُوفُون وَيَكْثُرُ فِيهِمْ السِّمَن »، وفي رواية: « تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَه وَيَمِينُهُ شَهَادَتَه (٨)» هذه القرون التي ينطبق عليها هذا الوصف **أنجى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من هذه الأوصاف الذَّميمة من تمسَّكوا بكتاب الله وبِسُنَّة رسول الله ﷺ وهم أهلُ الحديث في عقائدهم، وفي عباداتهم**، تَفَرَّق الناس إلى جهمية، إلى معتزلة، إلى خوارج، إلى روافض، إلى مرجئة، إلى كذا وكذا... ، ولهم مناهج منحرفة تخالف كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وبقيت هذه الطائفة المنصورة والنَّاجية على كتاب الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فتستحق وصف النَّصر؛ لأنَّ الله ينصرها في الدنيا إمَّا بالحُجَّة والبرهان، وإمَّا بالسَّيف والسِّنان، ووُصِفَت بالنَّاجية لأنَّها تنجوا في الآخرة من عذاب الله الذي تَوَعد به تلك الفِرَق التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّار إِلاَّ وَاحِدَة، قَالُوا:

---

(٧) أخرجه البخاري(٦٦٩٥)، ومسلم(٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ،(ربيع) .

(٨) قطعتان من الحديث السابق .

مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي (١)»، الآن فَتِّشوا في الفِرَق كلها تجدون على من ينطبق هذا الوصف: « مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي »، **لا ينطبق إلاَّ على أهل الحديث، أهل العقائد الصحيحة** الذين يحاربون الشرك، ويحاربون الضلالات، ويحاربون البدع سواءً تعلَّقت بالعبادات، أو تعلَّقت بالعادات، أو تعلَّقت بالعقائد، هم هؤلاء، فهم أهل النَّجاة باعتبار أنَّهم ينجون عندما تهلك هذه الفِرَق بسبب ضلالها، وهم أهل النَّصر المُؤَيَّدون من الله بالحُجَّة والبُرهان، فهم الآن لا يستطيع أن يواجههم أحد في ميدان الاستدلال والاحتجاج، لا في ميدان العقيدة ولا في غيرها؛ فهم منصورون - وَللهِ الحمد - وهذا أعظم النَّصر إذ هذا هو نصر الأنبياء -عَلَيْهِم الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم- . . .

فمن الآن يستطيع أن يقف في وجه هذه الفِرقَة بالحُجَّة والبرهان وإن تغلَّبَ بالسَّيف والسِّنان مؤقتًا، ولكن التمكين والنَّصر الحقيقي بالسَّيف والسِّنان دائمًا - إن شاء الله - في انتظار هذه الفِرقَة - إن شاء الله - ، ونسأل الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أن ينصرها في الدنيا والآخرة؛ لأنَّها صاحبة الحق التي نرجو الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - النَّجاة في الآخرة بسبب عَضِّها بالنَّواجذ على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

---

(١) سبق تخريجه قريبًا .

نعني بالفِرقَة الناجية والطائفة المنصورة من هذا الوقت إلى عهد الصَّحابة الكرام ﷺ وإلى القرون المُفَضَّلَة، وعلى رأس الصَّحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبشرين بالجنَّة وأهل بدر وأهل بيعة الرِّضوان وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ؛ فهم سادة هذه الطائفة وقادتها ولا أقول هذا من عندي قال هذا ابن تيمية رحمه الله: « إن رأس الفرقة النَّاجية رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ »، وإن كان أنا لي رأي أقول: « إنَّ أصحاب الرَّسول ﷺ فوق الفِرقَة الناجية والطائفة المنصورة »، لكن هذا رأي ابن تيمية رحمه الله نقلناه بأمانة، إنَّه يرى أنَّ سادة هذه الفِرقَة رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ .

ثم يأتي بعدهم التابعون أئمَّة التابعين ﷺ كسعيد بن المسيِّب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ومحمد بن شهاب الزهري، وغيرهم من أفاضل التابعين- رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم- ثم تلا هؤلاء أتباع التابعين أئمَّة الفِرقَة الناجية والطائفة المنصورة وأهل الحديث في نفس الوقت، وهم الإمام مالك، والإمام الأوزاعي، ويونس بن يزيد الأيلي من كبار أصحاب الزهري - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم- ، ومن الطبقة الثانية أيضًا من أتباع التابعين حمَّاد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وتلاميذهم مثل يحيى بن سعيد القطَّان، وعبد الرحمن بن مهدي، وزهير بن

حرب، وغيرهم، ثم يتلو هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة حقًا... فهو إمام أهل السُنَّة وإمام من بعده على الإطلاق، وكلُّ من حاد عن سبيل هذا الإمام كما يروي شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله « أنَّ عبد القادر رضي الله عنه سُئل: هل يكون هناك من وليٍّ لله على غير طريق أحمد؟ قال: « **ماكان ولا يكون** »، فهو إمام أهل السُنَّة، وكان من أقرانه علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأمثالهم من شيوخ البخاري ومسلم، ثم جاء وحَمَل الرَّاية بعدهم البخاري، وأبو حاتم، وأبو زرعة، والإمام مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومن عاصرهم من أئمَّة الإسلام، كان هؤلاء أئمَّة أهل السُنَّة والجماعة دعوةً وتدوينًا لهذه السُنَّة ورَدًّا على فِرَق الضَّلال كما سيأتي.

ثم تلاهم بعد ذلك تلاميذُهم، مثل ابن خزيمة ومن عاصره، وعثمان بن سعيد الدَّارمي، وأمثالهم، حملوا راية السُنَّة، وناضلوا عنها، وذَبُّوا عنها - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم-، ثم بعدهم جاء الدارقطني ومن عاصره، ثم جاء بعدهم الخطيب ومن عاصره، ثم جاء بعدهم عبد الغني المقدسي، وابن قدامة، والضياء المقدسي، ثم جاء بعدهم ابن تيمية وتلاميذه وزملاؤه كالمِزِّي، وابن القيم، والذهبي، وابن كثير، وابن رجب، ثم حصل فترة، ثم جاء المجدد الحق الذي جَدَّدَ الإسلام دينًا ودولة؛ الإمام محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه وجزاه الله خيرًا وتلاميذه ومن سار على نهجه.

هؤلاء يا إخوة في الجملة وباختصار هم الفِرقَة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل الحديث، والغرباء، وقُلْ ما شئت فيهم من المدح والثناء الذي يستحقونه، والذي دلَّ عليه كتابُ الله – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – وسادتهم في هذا الميدان صحابة رسول الله ﷺ »(١٠) .

وقال حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه في كتابه "مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين":

« إن الله بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحقّ ليُظهره على الدين كلِّه ولو كره الكافرون.

وإنَّ أسعدَ الناس بهديه واتباعِه وحبِّه وموالاته ونصرة ما جاء به من الحق: هم صحابته الكرام، ومن اتبعهم بإحسان من القرون المفضلة، ومَن سلك سبيلَهم، وترسَّم خطاهم إلى يوم الدين.

ثم إن مَن يدرس أحوال السابقين واللاحقين من الفِرق المنتسبة إلى أمة محمد ﷺ ويدرُس مناهجَهم وعقائدهم وأفكارَهم بإنصاف وفهم وتجرُّد، يجد أنَّ أهلَ الحديث هم أشدُّ الناس اتباعـًا وطاعةً وتعلُّقـًا وارتباطـًا بما جاءهم به نبيُّهم محمد ﷺ كتابـًا وسنَّةً، في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، ودعوتهم، واستدلالهم، واحتجاجهم؛ وهم على غاية من الثقة والطمأنينة بأن هذا هو المنهج الحق الذي لا

(١٠) انظر: رسالة الشيخ "الفرقة الناجية أصولها وعقائدها" (ص:١١ – إلى ٢٤) .

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الطريقُ السليم، والصراطُ المستقيم؛ وما عدا ذلك من المناهج والسبل فأمرٌ لم يشرعه الله ولم يرضَ به، ولا يؤدِّي إلاَّ إلى الهلاك والعطب.

فمن هم أهل الحديث إذًا؟

هم من نَهَج نَهْج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسُّك بالكتاب والسنة، والعض عليهما بالنواجذ، وتقديمهما على كلِّ قول وهدى، سواء في العقائد، أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، أو السياسة والاجتماع.

فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمد ﷺ .

وهم القائمون بالدعوة إلى ذلك بكل جد وصدق وعزم، وهم الذين يحملون العلم النبوي، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فهم الذين وقفوا بالمرصاد لكل الفرق التي حادت عن المنهج الإسلامي، كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والروافض، والمرجئة، والقدريَّة، وكلّ من شذَّ عن منهج الله واتبع هواه في كلِّ زمان ومكان، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

هم الطائفة التي مدحها رسول الله ﷺ وزكاها بقوله: «لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا مَن خالفهم حتى تقوم الساعة »(١١).

هم الفرقة الناجية الثابتة على ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه، الذين ميَّزهم رسول الله ﷺ وحدَّدهم عندما ذكر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة، فقيل: مَن هم يا رسول الله؟، قال: « مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي »(١٢).

لا نقول ذلك مبالغةً ولا دعاوى مجرَّدة، وإنما نقولُ الواقع الذي تشهد له نصوصُ القرآن والسنة، ويشهد له التاريخ، وتشهد به أقوالهم، وأحوالهم، ومؤلفاتهم.

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]؛ فكانوا أشدَّ بُعدًا عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ وأبعدهم عن الفتن.

وهم الذين جعلوا دستورهم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾

---

(١١) سبق تخريجه .

(١٢) سبق تخريجه .

[النساء: ٦٥] ؛ **فقدَّرُوا نصوص القرآن والسنة حق قدرها، وعظَّموها حق تعظيمها؛ فقدّموها على أقوال الناس جميعـًا، وقدموا هديها على هدي الناس جميعـًا، واحتكموا إليها في كل شيء عن رضى كامل، وصدور منشرحة، بلا ضيق ولا حرج، وسلَّموا لله ولرسوله التسليم الكامل في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم.**

هم الذين يصدقُ فيهم قول الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

هم بعد صحابة رسول الله جميعـًا ـ وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ـ سادة التابعين، وعلى رأسهم: سعيد بن المسيب (ت بعد ٩٠هـ)، وعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، وعلي بن الحسين زين العابدين (ت ٩٣هـ)، ومحمد بن الحنفية (ت بعد ٨٠هـ)، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت ٩٤ أو بعدها)، و سالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٦هـ)، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٠٦هـ)، والحسن البصري (ت ١١٠هـ)، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)، ومحمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٥هـ).

ثم أتباع التابعين، وعلى رأسهم: مالك (ت ١٧٩هـ)، والأوزاعي (ت ١٥٧هـ)، وسفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)، وإسماعيل بن علية (ت ١٩٣هـ)، والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ).

ثم أتباع هؤلاء، وعلى رأسهم: عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ)، ووكيع بن الجرَّاح (ت ١٩٧هـ)، والإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، وعبد الرحمن ابن مهدي (ت ١٩٨هـ)، ويحيى بن سعيد القطّان (ت ١٩٨هـ)، وعفّان بن مسلم (ت ٢١٩هـ).

ثم تلاميذ هؤلاء الذين سلكوا منهجهم، وعلى رأسهم: الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ويحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ)، وعلي بن المديني (ت ٢٣٤هـ).

ثم تلاميذهم كالبخاري (ت ٢٥٦هـ)، ومسلم (ت٢٦١هـ)، وأبي حاتم (ت ٢٧٧هـ)، وأبي زُرعة (ت ٢٦٤هـ)، وأبي داود (ت ٢٧٥هـ)، والترمذي (ت ٢٧٩هـ)، والنسائي (٣٠٣هـ).

ثم مَن جرى مجراهم في الأجيال بعدهم، كابن جرير (ت ٣١٠هـ)، وابن خزيمة (ت ٣١١هـ)، والدارقطني (ت ٣٨٥هـ) في زمنه، والخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، وابن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ)، وعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠هـ)، وابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)، وابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، والمزّي (ت ٧٤٣هـ)، والذهبي (ت ٧٤٨هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)؛ وأقران

هؤلاء في عصورهم ومَن تلاهم واقتفى أثرهم في التمسُّك بالكتاب والسنة إلى يومنا هذا، **هؤلاء الذين أعني بهم أهل الحديث** »(١٣).

(١٣) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ ربيع " (٣/ ٧- إلى- ١٠).

المبحث الثاني

ذكر جملة من ألقاب أهل السنة والجماعة

لأهل السنة والجماعة عددٌ من الأسماء والألقاب الشرعية التي اشتهروا بها وتميَّزوا بها عن أهل البدع والأهواء، ومن هذه الألقاب: أهل الحديث، والطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، والجماعة السلفية، والغرباء..وما إلى ذلك، وكلها أسماء لمسمًّى واحد، وأوصاف لموصوف واحد(١٤) .

---

(١٤) و هذه الأسماء والألقاب السلفية كلها شرعية، مستمدة من الشرع، ومن الكتاب والسنة، فمثلا: لقب «الفرقة الناجية» مستمد من حديث الافتراق، الذي قال فيه ﷺ: « **سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَة كُلُّهَا فِي النَّار إِلاَّ وَاحِدَة قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَاعَلَيْهِ وَأَصْحَابِي** » .

وهكذا لقب « أهل السنة والجماعة » مثلا: مستمد من نصوص كثيرة، جاء فيها الحث على لزوم السنة والجماعة، من ذلك حديث العرباض، الذي فيه:« **فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله** » .

ومن ذلك حديث الافتراق المتقدم، والذي فيه تسمية الفرقة الناجية:«**بالجماعة**» .

فالحاصل أن هذه الألقاب والأسماء التي اشتهر بها أهل السنة كلها شرعية، مستمدة من الكتاب والسنة، وهي مرضية ومقبولة عندهم، لا يتحرَّجون البتة في التسمي بها .

لكن هناك بعض الأسماء والألقاب التي لُقِّب بها ونُبِز بها أهل السنة بهتانًا وزورًا من قِبَل خصومهم من أهل البدع والأهواء، ليست بألقاب شرعية، ولا هي مقبولة ومرضية عندهم، بل هي من جنس ما كان المشركون يصفون به رسول الله ﷺ، فلا يجوز تسميتهم وتلقيبهم بها بحال من الأحوال .

من تلك الألقاب ما ذكره الإمام الصابوني في " عقيدة السلف وأصحاب الحديث "، حيث قال:« وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة وظاهرية، ومشبهة، اعتقادا منهم في أخبار الرسول ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتاج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة، وهواجس قلوبهم الخالية من الخير، وحجج! العاطلة بل شبههم الداحضة الباطلة...

وفي بيان بعض هذه الألقاب **يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:**« الخطيب ألّفَ كتاباً سماه: " شرف أصحاب الحديث"، **وصفهم بعشرات الأوصاف العظيمة اللائقة بمكانة أهل الحديث؛** من بينها :

- أنهم الطائفة المنصورة والطائفة الناجية .

- وأنهم خلفاء الرسول ﷺ في التبليغ عنه .

- وأنهم الغرباء .

- وأنهم أولى بالرسول ﷺ .

سمعت أبا منصور محمد بن عبد الله بن حماد العالم الزاهد يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقري الرازي يقول: قرأ علي عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي يقول: عَنِي به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي يقول: « علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، **وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشويه، يريدون بذلك إبطال الأثر، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة**، قلت: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث، قلت أنا: رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله ﷺ، فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحرا وبعضهم كاهنا، وبعضهم شاعرا، وبعضهم مجنونا، وبعضهم مفتونا، وبعضهم مفتريا مختلفا كذابا، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بعيدًا بريئا، ولم يكن إلا رسولا مصطفى نبيًّا، قال الله عز وجل: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:٤٨].

كذلك المبتدعة خذلهم الله، اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقلة آثاره ورواة أحاديثه المقتدين به المهتدين بسنته، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصابةٌ من هذه المعايب بريئةٌ زكيةٌ نقيةٌ، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله جل جلاله لا تباع كتابه ووحيه وخطابه، والاقتداء برسوله ﷺ في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منهما، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لمحبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته، ومن أحب قوما فهو معهم يوم القيامة بحكم ﷺ: « **المرء مع من أحب** » .

- وأنهم بشارة الرسول ﷺ .

- وأنهم حُماةُ الدين بذبِّهم عن السنن .

- وأنهم ورثة الرسول ﷺ فيما خَلَّفه من السنة .

- وكونهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر .

- وكونهم أمناء الرسول ﷺ لحفظهم السنن .

- وكونهم خيار الناس(١٥) .

- والاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث .

... إلى غير ذلك من الأوصاف الجميلة العظيمة التي وصفهم بها ونقلهم عن أئمة الإسلام »(١٦) .

وقال حفظه الله:« وحينما نذكر **الفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة أو أهل الحديث أو الغرباء أو أهل السنة والجماعة هذه كلُّها تُطلَق على جماعة واحدة هي جماعة الحق المُتَّبِعَة لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ** وسيأتي الكلام عليها، وإذا قلنا هذا؛ فإبعادًا لِلَّبس ولما يشيعه بعض النَّاس المتسرعين ويرجمون بالغيب ما يقولونه: أنَّنا نقصد بأهل الحديث أو الطائفة المنصورة جماعة في مكان مُعَيَّن، فنبرأ إلى الله من

(١٥) انظر: " شرف أصحاب الحديث " (ص ١٥-١٩-٢١-٢٥-٢٦)، تحقيق: محمد إسماعيل السلفي .(ربيع).

(١٦) انظر: " مجموعة الكتب والرسائل "(١٠/ ٥٥٢-٥٥٣) .

هذا القول، وأنا قد كتبت قبل سنوات كثيرة " مكانة أهل الحديث " وأدخلت فيهم في الدَّرجة الأولى أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعلماء هذا البلد وأهل الحديث في الهند وأنصار السُنَّة في السُّودان ومصر وفي شرق آسيا وفي كلِّ مكان، كلُّ من تَنْطَبِقُ عليه هذه الصِّفات يدخل في الفِرقة الناجية أو الطائفة المنصورة أو أهل الحديث الذين صَحَّت عقائدُهم..فإنَّنا نعني هؤلاء بهذه الكلمة الفِرقة النَّاجية، إذا قلنا فيهم: إنَّهم أهلُ الحديث فهم كذلك؛ لأنَّهم يتعبَّدُون الله بالحديث في عقائدِهم وفي عباداتِهم... .

فإذا قلنا: الطائفة الناجية، أو الطائفة المنصورة، أو أهل السُنة، أو أهل الحديث؛ فهم جماعة واحدة، هذا منهجهم وعلى رأسهم علماء هذا البلد... .

هذا؛ وأريد أن أبيِّنَ به يعني ما يدور حول هذا الموضوع؛ حتى إذا تحدَّثنا عن الفِرقة النَّاجية أو ذكرنا أهلَ الحديث أو ذكرنا أهل السُنة والجماعة فإنَّما نعني شيئًا واحدًا .

قد يَسبِقُ لساني إلى هذا، وقد يَسْبِقُ كلامي هذا، وكلُّ ذلك عندي شيء واحد كما ذكرت لك، جماعة واحدة اجتمعت على هذا الحق في السابق واللاحق »[١٧] .

---

(١٧) انظر: رسالة " الفرقة الناجية أصولها وعقائدها " (ص:٧ – إلى-١١) .

** فصل **

وقد تكلف بعضهم وهو الحزبي سلمان بن فهد العودة عبثًا التفريق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، ولم يجعل هذين الوصفين لموصوف واحد، ولم يجعل مُسمَّاهما واحدًا كما هو مسلك أهل السنة والجماعة، والأدهى أنه فضل الطائفة المنصورة بزعمه على الفرقة الناجية، فانبرى له حامل راية الجرح والتعديل ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله وبيَّن زيف دعواه، وبطلان قوله، ومخالفته لمنهج السلف، في كتابه الماتع: " أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية" .

قال في مقدمته:« ومنذ نزلت هذه الكارثة بالأمة – وهي التفرُّق – إلى يومنا هذا، **لم يختلف علماء الإسلام المعتبرون من أهل الحديث وغيرهم في الطائفة الناجية المنصورة أنها فرقة واحدة** .

معظمهم يقول: إنها أهل الحديث؛ مثل: الإمام أحمد، وابن المبارك، ويزيد بن هارون ... وغيرهم، وذلك في وقت احتدم فيه الخلاف بين أهل الحديث وأهل البدع الكبرى؛ مثل: الجهمية، والروافض، والخوارج، والمعتزلة.. .

وآخرون يلحقون بهم من هم على منهجهم في الاعتقاد الصحيح وفي التمسك بالكتاب والسنة في جميع الميادين الإسلامية ويشاركونهم في الذَّبِّ عن السنة وأهلها؛ من باب : « المرء مع من أحبَّ (١٨)» .

وما أظن أنه قد دار بِخَلَدِ أحد من أهل السنة أن هناك فرقاً بين الطائفة الناجية والطائفة المنصورة .

ولقــد دهشت حينما قرأت كتاب "صفــة الغرباء"(١٩) للأخ سلمان بن فهد العودة، فوجدته قد تكلَّف التفريق بين ما لا ينبغي الإقدامُ على التجزئة والتفرقة فيه، لا سيما وهو أمر عظيم، سَلَّمَ به علماء الأمة، وأصبح من الثوابت والأمور المقررة لديها؛ إذ الإقدام فيه على مخالفة عشرات الأئمة الذين لا يُعرف لهم مخالف معتبر بقوله في الخلاف والاتفاق لِمَّا يفتح الباب على مصراعيه على الجرأة على مخالفة علماء الإسلام وأئمته ومصاولتهم في قضايا كبيرة وخطيرة في أصول الدين وفروعه .

ولم يقف أمر الشيخ سلمان العودة عند هذا العمل الغريب، بل تجاوزه إلى ما هو أشد وأغرب منه، ويتمثل ذلك في مسائل كثيرة سأناقشه في بعض منها...»(٢٠)

---

(١٨) قطعة من حديث: أخرجه البخاري (٦١٦٨، ٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(١٩) وكذلك كتاب "من أخلاق الداعية" .(ربيع) .

(٢٠) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(١٠/ ٥٤٥) .

وقال حفظه الله:« لقد تبين للقارئ المنصف أن سلمان العودة قد تفرد بهذا التفريق المستنكر بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وأضاف إلى هذا التفريق المستغرب طامة أخرى، وهي تفضيله في زعمه الطائفة المنصورة على الفرقة الناجية التي لم تسلم من حطه وقسوته عليها، وهذا أشد نكراً .

وعلى فرض أن بينهما فرقاً؛ فالفرقة الناجية أفضل من الطائفة المنصورة عند جميع العقلاء؛ لأن النصر إنما هي وسيلة من وسائل النجاة، وأما النجاة؛ فهي الغاية القصوى المطلوبة لجميع المكلفين المؤمنين، بما فيهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لذا تجد الطوائف الضالة تدعي كل واحدة منها- بما فيها الروافض – أنها الفرقة الناجية؛ لأن النجاة أعلى مزايا هذه الفرقة، وعليها يقع التنافس »(٢١) .

(٢١) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٦٣٣-٦٣٤) .

المبحث الثالث

شهادة كبار أئمة الإسلام لأهل الحديث و السنة بأنهم على الصراط المستقيم والحق الواضح المبين، وبأنهم هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .

قال العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله في كتابه مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين" تحت عنوان: **"شهادة العدول الصادقين لهم بأنهم على الصراط المستقيم والحق الواضح المبين"**:

فذكر شهادة: فقيه الأدباء وأديب الفقهاء الإمام أبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) من كتابـه "تأويل مختلف الحديث" .

ثم شهادة: الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد التميمي (المتوفى سنة ٣٥٤هـ) من مقدمة "صحيحه" .

ثم شهادة: الإمام أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاَّد الرامهرمزي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) من مقدمة كتابه "المحدِّث الفاصل" .

ثم شهادة:الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥هـ) من مقدمة كتابه: " معرفة علوم الحديث" .

ثم شهادة: الإمام الكبير أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ) من كتابه: "شرف أصحاب الحديث" .

ثم شهادة: الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله (٢٢): (المتوفى ٧٢٨هـ) حيث قال:

« من المعلوم: أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم؛ فإن المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقـًا أخرى، مثل المعقول، والقياس، والرأي، والكلام، والنظر، والاستدلال، والمحاجة، والمجادلة، والمكاشفة، والمخاطبة، والوجد، والذوق، ونحو ذلك؛ وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها؛ فهم أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياسـًا، وأصوبهم رأيـًا، وأسدُّهم كلامـًا، وأصحهم نظرًا، وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً، وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهامـًا، وأحدهم بصراً ومكاشفة وأصوبهم سمعاً ومخاطبةً، وأعظمهم وأحسنهم وجدًا وذوقـًا؛ وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، **ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل**.

فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحدّ وأسدّ عقلاً، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرُهم في قرون وأجيال؛ **وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين**؛ وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه: قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى**

(٢٢) "مجموع الفتاوى": (٤/ ٩- ١١)، (ربيع) .

وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧] ، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:٦٦-٦٨] .

وهذا يعلم تارة بموارد النزاع بينهم وبين غيرهم؛ فلا تجد مسألة خولفوا فيها إلا وقد تبين أن الحق معهم، وتارة بإقرار مخالفيهم ورجوعهم إليهم دون رجوعهم إلى غيرهم، أو بشهادتهم على مخالفيهم بالضلال والجهل، وتارة بشهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض، وتارة بأن كل طائفة تعتصم بهم فيما خالفت فيه الأخرى، وتشهد بالضلال على كل من خالفها أعظم مما تشهد به عليهم.

فأما شهادة المؤمنين الذين هم شهداء الله في الأرض: فهذا أمرٌ ظاهر معلوم بالحس والتواتر لكل من سمع كلام المسلمين، لا تجد في الأمة عظم أحد تعظيمـًا أعظم مما عظموا به، ولا تجد غيرهم يعظم إلا بقدر ما وافقهم فيه، كما لا ينقص إلاَّ بقدر ما خالفهم، حتى إنك تجد المخالفين لهم كلهم وقت الحقيقة يقرُّ بذلك، كما قال الإمام أحمد: « آية ما بيننا وبينهم يوم الجنائز »؛ فإن الحياة بسبب اشتراك الناس في المعاش يعظم الرجل طائفته، فأما وقت الموت فلا بد من الاعتراف بالحق من عموم الخلْق؛ ولهذا لم يعرف في الإسلام مثل جنازته، مسح المتوكل موضع الصلاة عليه فوجد ألف ألف وستمائة ألف سوى من صلى في الخانات والبيوت.

وكذلك الشافعي، وإسحاق، وغيرهما إنما نبلوا في الإسلام باتباع أهل الحديث والسنة، وكذلك البخاري وأمثاله إنما نبلوا بذلك، وكذلك مالك والأزواعي، والثوري، وأبو حنيفة، وغيرهم إنما نبلوا في عموم الأمة وقُبل قولهم لما وافقوا فيه الحديث والسنة، وما تكلم فيمن تكلم فيه منهم إلا بسبب المواضع التي لم يتفق له متابعتها من الحديث والسنة إما لعدم بلاغها إياه، أو لاعتقاده ضعف دلالتها، أو رجحان غيرها عليها » .

وقال أيضاً(٣٣):« وما يوجد من إقرار أئمة الكلام والفلسفة وشهادتهم على أنفسهم وعلى بني جنسهم بالضلال، ومن شهادة أئمة الكلام والفلسفة بعضهم على بعض كذلك فأكثر من أن يحتمله هذا الموضع، وكذلك ما يوجد من رجوع أئمتهم إلى مذهب عموم أهل السنة وعجائزهم كثير، **وأئمة السنة والحديث لا يرجع منهم أحد لأن الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.**

وكذلك ما يوجد من شهادتهم لأهل الحديث بالسلامة والخلاص من أنواع الضلال وهم لا يشهدون لأهل البدع إلا بالضلال وهذا باب واسع كما قدمناه.

وجميع الطوائف المتقابلة من أهل الأهواء تشهد لهم بأنهم أصلح من الآخرين وأقرب إلى الحق فنجد كلام أهل النحل فيهم وحالهم معهم بمنزلة كلام أهل الملل مع المسلمين وحالهم معهم »...

---

(٣٣) في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٣)، (ربيع) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام كثير في الثناء على أهل الحديث ينتشر ذلك في كتبه وفتاويه.

شهادة الإمام ابن القيم:

قال شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) في قصيدته العديمة النظير الموسومة بـ "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" (ص:٣٢٠-٣٢١)، مادحاً أهل الحديث وذامًّا من يبغضهم ويذمهم:

« فصل: في أنَّ أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ وخاصَّته ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر:

يا مبغضاً أهل الحديث وشاتماً أبشر بعقد ولاية الشيطان

أوَ ما علمت بأنَّهم أنصار دي ـن الله والإيمان والقرآن

أوَ ما علمت بأنَّ أنصار الرسو ل هُمُ بلا شكٍّ ولا نكران

هل يبغض الأنصار عبدٌ مؤمنٌ أو مُدركٌ لروائح الإيمان

شهد الرسول بذاك وهي شهادة من أصدق الثَّقلين بالبرهان

أوَ ما علمت بأنَّ خزرج دينه والأوس هم أبداً بكلِّ مكان

ما ذنبهم إذ خالفوك لقوله ما خالفوه لأجل قول فلان

لو وافقوك وخالفوه كنت تشـ ـهد أنَّهم حقاً أولوا إيمان

لَّا تحيزتم إلى الأشياخ وانْـ ـحازوا إلى المبعوث بالقرآن

نسبوا إليه دون كلِّ مقالةٍ أو حالةٍ أو قائلٍ ومكان

هذا انتساب أولي الفرق نسبةً من أربعٍ معلومة التبيان

فلذا غضبتم حينما انتسبوا إلى غير الرسول بنسبة الإحسان

فوضعتمُ لهمُ من الألقاب ما تستقبحون وذا من العدوان

هم يشهدونكم على بطلانها أفتشهدونهمُ على البطلان

ما ضرَّهم والله بغضكمُ لهم إذ وافقوا حقَّاً رضى الرحمن

يا من يعاديهم لأجل مآكلٍ ومناصب ورياسةِ الإخوان

تهنيك هاتيك العداوة كم بها من حسرة ومذلّةٍ وهوان

فهذا قليل من كثير في حال أهل الحديث وواقعهم وما قيل من مدح بحق وشهادة بصدق؛ نقلتُ هذا لمن كان على نهجهم في اتباع الكتاب والسنة ليزداد إيمانـًا وثباتـًا، ولمن خدع من المنتسبين إلى السنة بمغالطات وتلبيسات الجهمية والمرجئة وغيرهما من الفرق الضالة فوقع في شيء من التعطيل والتأويل الجهمي أو التخريف الصوفي، أو وقع في مزالق الإرجاء، أو سقط في أفخاخ الجبرية ليعود إلى

أصله ويأوي إلى عرينه، فيلزم عرين أهل الحديث، ويكون في ركبهم ويتبع حاديهم.

أهل الحديث همو أهل النبي وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثار

لا ترغبن عن الحديث وأهله ... فالرأيُ ليلٌ والحديث نهار

ولربما غلط الفتى سبل الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٩ ـ ٧٠] .

جعلنا الله وإياكم من أتباع أهل الحديث والسلف الصالح، إنه سميعُ الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم »[٢٤] .

---

[٢٤] انظر: "المرجع السابق" (٣/ ٢٤-إلى-٤٨) .

** مجمل أصول أهل السنة والجماعة العقدية **

لم أذكر في صلب البحث فصلا في أصول أهل السنة والجماعة في عقائدهم من خلال كتب الشيخ حفظه الله، وإنما اقتصرت على الأصول والمميِّزات المنهجية التي قد تخفى على بعض من ينتسب لهذه الدعوة فضلا عن غيرهم، وإن كنت قد ذكرت شيئًا يسيرًا من ذلك كما تراه في مواضعه تتميمًا للفائدة .

ولذا رأيت أن أفرد الكلام حول بعض أصول أهل السنة العقدية في هذه المقدمة على سبيل الإجمال، حتى تتم الفائدة إن شاء الله، وقد جعلت ذلك في مبحثين:

المبحث الأول: التزام أهل السنة بالعقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة والدعوة إليها والدفاع عنها وتأليف المؤلفات في نصرتها والذب عنها.

المبحث الثاني: ملخص أصول ومميزات أهل السنة في عقائدهم .

المبحث الأول

التزام أهل السنة بالعقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة والدعوة إليها والدفاع عنها وتأليف المؤلفات في نصرتها والذَّب عنها

مما تميَّز به أهل السنة والجماعة عن أهل الأهواء والبدع تمسكهم بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ و ما فيهما من عقائد الإيمان، والتزامهم بذلك، واجتهادهم في نشر العقائد السلفية الصحيحة، والتحذير مما يضادها من العقائد الفاسدة .

وفي بيان ذلك يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى في كتابه "مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين" تحت عنوان:

"جهودهم-أي: أهل الحديث- الخاصة بالعقيدة والدعوة إلى الكتاب والسنة والتثبيت عليهما والدفاع عنهما":

« كان الصحابة رضي الله عنهم ومَن سلك منهجهم واتبعهم بإحسان في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم مؤمنين إيمانـًا كاملاً بما جاء في كتاب الله المجيد وسنة رسوله المطهرة في باب أسماء الله وصفاته المقدَّسة، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، وكذلك في الإيمان بالقدر، والجنة والنار، وعذاب القبر ونعيمه، وسائر المعتقدات التي حصل فيها الانحراف من بعض الفرق.

والله الخالق العليم الحكيم قد فطر الناسَ وأعدَّهم وهيَّأهم وأعطاهم عقولاً تناسب الحق وتوافقه، وأنزل إليهم كتبـًا تتضمن من العقائد والشرائع ما يوافق العقول السليمة والفطر الصحيحة التي سَلِمت من الانحراف والفساد؛ فيتلقى حواريُّو الأنبياء ومن ورثهم بحق وأتباعهم بإحسان ما جاء به الرسل والكتب بالإيمان والتسليم.

وهذا كان موقف الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان.

ولما ذرَّت قرون شياطين البدع وقفوا لهم بالمرصاد، فضلَّلوهم وبدَّعوهم، وكفَّروا من يستحق التكفير، وقتلوا بعض رؤساء البدع والفتن والزندقة، ثم ردُّوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم على أهل البدع، وبيَّنوا خطرها وضررها على الإسلام والمسلمين، وثبَّتوا المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم، وبيَّنوا لهم أن الواجب عليهم الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ومنابذة الأهواء وأهلها؛ إيمانـًا منهم أن القرآن والسنة كافيان غاية الكفاية في كل ما يجب على المرء الإيمان به واعتقاده كفيلان بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ وأن الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة في مخالفتهما؛ فاستنادًا إلى ما جاء في الكتاب والسنة من وجوب اتباع الرسول ﷺ وطاعته، والانقياد له، وإيجاب رد ما تنازع الناسُ فيه إلى الله والرسول والوعيد الشديد لمن خالف هذا المنهج وشرع في الدين ما لم يأذن به الله.

ومن تحذير رسول الله ﷺ من البدع وذمه لها وحكمه على كل بدعة أنها ضلالة وأنها مردودة لا يقبلها الله.

قام من لحقتهم هذه الفتن من الصحابة بقمع أهلِها والرد عليهم؛ فقام علي رضي الله عنه بقتل الخوارج، وروى هو وغيره من الصحابة عن رسول الله ما يحضّ على قتلهم وأنه من أفضل ما يقرب إلى الله؛ وأحرق غلاة الشيعة بالنار حينما غلوا فيه ورفعوه إلى درجة الألوهية.

ولما بلغ عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنَّ قومـًا ينفون القدر، وأن الأمر عندهم أُنف، قال لمن أخبره بهم: « إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم، وأنهم مني براء، والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبـًا فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئـًا حتى يؤمن بالقدر خيرِه وشره »(٢٥).

وسُئل مالك عمن يقول: « القرآن مخلوق » قال: « هو عندي كافر فاقتلوه ».

وعن ابن المبارك، والليث بن سعد، وابن عيينة، وهشيم، وعلي بن عاصم، وحفص ابن غياث، ووكيع بن الجراح مثله؛ ومثله عن الثوري، ووهب بن جرير، ويزيد بن هارون(٢٦):

---

(٢٥) صحيح: رواه الإمام مسلم في "صحيحه": (١/ ٣٦).(ربيع) .

(٢٦) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": (٤٩٤)، "خلق أفعال العباد"): (ص ٢٥)، "الشريعة" للآجري: (ص ٧٩).(ربيع) .

يُستتابون وإلاَّ ضربت أعناقهم(٢٧).

وقال الربيع بن سليمان المرادي ـ صاحب الشافعي: « لما كلم حفص الفرد الشافعي فقال حفص: القرآن مخلوق، فقال له الشافعي رضي الله عنه: « كفرتَ بالله العظيم ».

وسُئل مالك عن الاستواء فقال: « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا صاحب بدعة »، وأمر به فأُخرج؛ وكان يقول: « إن الله في السماء »، «وأخرج رجلاً من حلقته لأنه مرجئ »(٢٨).

وقال سعيد بن عامر: « الجهمية أشرُّ قولاً من اليهود والنصارى؛ قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان: أن الله تبارك وتعالى على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء »(٢٩).

وقال ابن المبارك: « لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض ها هنا، بل على العرش استوى »، وقيل له: كيف نعرف ربنا؟، قال: « فوق سمواته على عرشه... وإنا لنحكي كلامَ اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكيَ كلام الجهمية »(٣٠).

---

(٢٧) "شرح السنة" للبغوي: (١/ ١٨٧).(ربيع) .

(٢٨) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": (٦٦٤)، "الرد على الجهمية" للدارمي: (ص ٥٧).(ربيع) .

(٢٩) "خلق أفعال العباد": (ص ١٥).(ربيع) .

(٣٠) "خلق أفعال العباد": (ص ١٥)، "السنة" للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل: (١/ ١١١)، "الرد على الجهمية" للدارمي: (ص ٢١ ـ ١٨٤).(ربيع) .

وقال البخاري: « نظرتُ في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضلَّ في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلاَّ من لا يعرف كفرهم »(٣١).

ونقل الإمام البخاري أقوال كثير من الأئمة في تضليل وتكفير الجهمية في إنكارهم أن الله في السماء، وفي قولهم: إن القرآن مخلوق.

راجع "خلق أفعال العباد" له.

وخرّج البيهقي بسند جيِّد عن الأوزاعي قال:« كنا والتابعون متوافرون نقول: « إن الله على عرشه»، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ».

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: « اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب، من غير تشبيه ولا تفسير؛ فمن فسّر شيئـًا منها وقال بقول جهم فقد خرج عمَّا كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وفارق الجماعة؛ لأنّه وصف الربَّ بصفة لا شيء(٣٢).

وأخرج ابن أبي حاتم في "مناقب الشافعي" عن يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: « لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك

(٣١) "خلق أفعال العباد": (ص ١٩). (ربيع) .

(٣٢) "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": (٧٤٠).(ربيع) .

بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] »(٣٣) .

وروى الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (المتوفى ٢٧٩هـ) في "جامعه" حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره، حتى أنَّ اللقمة لتصير مثل أحد »(٣٤).

وقال عقبه: « هذا حديثٌ حسن صحيح ».

وروى عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا، ثم قال: « وقد قال غيرُ واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال كيف » .

هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: « أَمِرُّوها بلا كيف »؛ وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا هذا تشبيه، وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها

---

(٣٣) انظر: "فتح الباري": (١٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) .

(٣٤) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، و مسلم (١٠١٤) .

على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ها هنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه.

وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع؛ فهذا لا يكون تشبيهـًا؛ وهو كما قال الله تعالى في كتابه:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. . . .

أما المؤلفات في نصرة العقيدة والرد على البدع فهي كثيرة لا تحصى، نذكر منها ما يأتي:

ألف الإمام أحمد بن حنبل ـ إمام أهل السنة والحديث المتوفى سنة ٢٤١هـ ـ كتاب: "الرد على الجهمية والزنادقة"، وألف كتاب "السنة" ، وألف ابنُه عبد الله كتاب "السنة".

وألَّف أبو بكر بن أبي شيبة (المتوفى سنة ٢٣٥هـ) كتاب "الإيمان".

وألَّف الإمام البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) كتاب: "خلق أفعال العباد"، ضمنه الرد على الجهمية والمعطِّلة لصفات الله والقائلين بخلق القرآن.

وضمن كتابه "الجامع الصحيح" ثلاث كتب في هذا المجال: كتاب « الإيمان »، وضمنه الرد على المرجئة، وكتاب « التوحيد »، وضمنه الرد على معطلة الجهمية، وكتاب « الاعتصام »، وضمنه وجوب اتباع الكتاب والسنة، وضمنه الرد على أهل الرأي المفرطين في القياس، والرد على منكري حجية خبر الآحاد.

وألَّف أبو داود (المتوفى سنة ٢٧٥هـ) كتابه "السنن"، وأدخل فيه كتاب « السنة »، وضمنه الرد على القدرية، والمرجئة، والجهمية المعطلة؛ وهو يضع تراجم واضحة بأسماء هذه الفرق كقوله: « باب الرد على الجهمية » في موضعين من كتاب السنة، في الموضع الأول رد عليهم إنكار استواء الله على العرش، وفي الموضع الثاني رد عليهم إنكار النزول.

ووضع الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه (المتوفى سنة ٢٧٣هـ) مقدمة لكتاب "السنن" في اتباع سنة رسول الله ﷺ استغرقت (٩٨) صحيفة-، وضمنها ستة وستين حديثـًا ومائتي حديث، وضمنها أبوابـًا كثيرة من جملتها: « باب فيما أنكرت الجهمية » ذكر فيه إنكارهم الرؤية، والكلام، والاستواء على العرش؛ وساق أحاديث في الردّ عليهم، وذكر الخوارج وغيرهم من المبتدعة، وعقد بابـًا في اجتناب الرأي.

وألَّف عثمان بن سعيد الدارمي (المتوفى سنة ٢٨٠هـ) كتاب: "الرد على الجهمية"، وكتاب: "الرد على بشر المريسي".

وصنف أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي (المتوفى سنة ٢٩٢هـ) كتاب "السنة".

وصنف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) كتاب "الشريعة"، وكتاب "التصديق بالنظر إلى وجه الله وما أعدَّه لأوليائه".

وألف أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشافعي الطبراني ـ صاحب التصانيف ـ (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) كتاب "السنة" .

وألف الإمام أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم (المتوفى سنة ٢٧٣هـ) كتاب "السنة" .

وألف الإمام أبو علي حنبل بن إسحاق الشيباني ـ ابن عم الإمام أحمد بن حنبل وتلميذه ـ (المتوفى سنة ٢٧٣هـ) كتاب "السنة".

وألف الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلاَّل ـ مؤلِّف عِلم أحمد وجامعه (المتوفى سنة ٣١١هـ) كتاب "السنة"، وهو في ثلاث مجلدات.

وألف الإمام أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيَّان الأصبهاني ذو التصانيف (المتوفى سنة ٣٦٩هـ) كتاب "السنة" .

وألف أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني (المتوفى سنة ٢٨٧هـ) كتاب "السنة".

وصنف أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين الحافظ الكبير ذو التصانيف العجيبة (المتوفى سنة ٣٨٥هـ) كتاب "السنة".

وصنف الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفى سنة ٣٢٤هـ) كتاب "الإبانة"، وكتاب "الموجز على طريقة أهل الحديث في إثبات الصفات"، وضمنه الرد على الجهمية وغيرهم من فرق التعطيل.

وألف الإمام الحافظ خُشيش بن أصرم (المتوفى سنة ٢٥٣هـ) كتاب "الاستقامة والرد على أهل البدع" .

وألف إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (المتوفى سنة ٣١١هـ) كتاب "التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل" .

وألف إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ) «عقيدة» على منهج أهل الحديث، وجرى في تفسيره الكبير الشهير على المنهج نفسه.

وصنَّف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده الحافظ الرحال (المتوفى سنة ٣٠١هـ) كتاب "السنة" .

وصنف الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق الشافعي النيسابوري (المتوفى سنة ٣٤٢هـ) المعروف بالصبغي كتاب "الأسماء والصفات"، وكتاب "الإيمان بالقدر".

وألف أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسَّال الأصبهاني (المتوفى سنة ٣٤٩هـ) كتاب "السنة".

وألف أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (المتوفى سنة ٣٧٧هـ) كتاب "التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع".

وألف الإمام الحافظ الكبير أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (المتوفى سنة ٣٨٥هـ) كتاب "الصفات"، وكتاب "النزول"، وكتاب "الرؤية" .

وألف الإمام الحافظ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (المتوفى سنة ٣٨٧هـ) كتاب "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة))، و((الإبانة الصغرى"، و "السنة" .

وألف الإمام الحافظ الجوَّال صاحب التصانيف الكثيرة محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده (المتوفى سنة ٣٩٥هـ) كتاب "التوحيد"، وكتاب "الإيمان".

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي (المتوفى سنة ٤٩٠هـ) كتاب "الحجة" في مجلد.

وألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي محدث بغداد (المتوفى سنة ٤١٨هـ) كتاب "شرح أصول السنة".

وألف الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني (المتوفى سنة ٤٣٨هـ) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية.

وألَّف الإمام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي (المتوفى سنة ٤٨١هـ) كتاب "الفاروق في صفات الله"، وكتاب "ذم الكلام".

وافتتح الإمام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى سنة ٥١٦هـ) كتابه: "شرح السنة" بكتاب الإيمان (من ص ٧ ـ ٢٣١) ضمنه الأبواب التالية:

١ ـ باب الإيمان بالقدر .

٢ ـ باب وعيد القدرية .

٣ـ باب الرد على الجهمية .

٤ ـ باب الرد على من قال بخلق القرآن .

٥ ـ بـــاب الاعتصـام بالكتاب والسـنـة .

٦ ـ باب رد البدع والأهواء .

٧ ـ باب مجانبة أهل الأهواء.

ونهج في كتابه "التفسير" نهج أهل الحديث والسنة في إثبات الصفات ومخالفة أهل الأهواء في ذلك.

وألف العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي ـ صاحب شيخ الإسلام الهروي ـ (المتوفى سنة ٥٣٢هـ) عقيدة على منهج السلف.

وألف الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي الأصبهاني (المتوفى سنة ٥٣٥هـ) كتاب "الحجة في بيان المحجة على منهج أهل الحديث" .

وألف الإمام الحافظ محدث الإسلام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي الحنبلي ـ صاحب التصانيف ـ (المتوفى سنة ٦٠٠هـ) كتابـًا في الصفات في جزئين . [٣٥] .

وألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله (المتوفى سنة ٧٢٨هـ) عددًا من الكتب في العقيدة، والدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة، ومحاربة البدع كـ"العقيدة الواسطية"، و "العقيدة الحموية"، و"العقيدة

---

(٣٥)"تذكرة الحفَّاظ": (٣/ ١٣٧٤). (ربيع) .

التدمرية"، و"اقتضاء الصراط المستقيم"، و"منهاج السنة"، و"الرد على البكري"، و "الرد على الأخنائي"، و"الفتاوى"؛ وكلها تهدف إلى العودة بالأمة الإسلامية إلى الكتاب والسنة وإلى منهج السلف الصالح.

وألف تلميذه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رحمه الله (المتوفى سنة ٧٥١هـ) كتاب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"، و كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية"، و "القصيدة النونية" في مجال العقيدة، و "إعلام الموقعين" في باب الاعتصام بالسنة.

وألف الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ) كتاب "العلو للعلي الغفَّار" جمع فيه نصوص الكتاب والسنة في علو الله، وما بلغه من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وأئمة الفقه وأتباعهم إلى عصره.

وألف العلامة القاضي صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي (المتوفى سنة ٧٩٢هـ) رسالة سماها "الاتباع" موضوعها وجوب اتباع السنة، كما شرح "العقيدة الطحاوية" على منهج أهل الحديث في الصفات والقرآن والقدر وغيرها من العقائد الإسلامية.

ثم نشطت الدعوات إلى الكتاب والسنة وتصحيح العقائد ومحاربة البدع في العالم الإسلامي .

كدعوة الصنعاني (المتوفى سنة ١١٨٢هـ)، والشوكاني (المتوفى ١٢٥٠هـ) في اليمن، ودعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتوفى ١٢٠٦هـ) في الجزيرة العربية، ودعوة أهل الحديث في الهند امتدادً لدعوة أهل الحديث ومنهجهم؛ وهي لا تزال قائمة إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة »[٣٦][٣٧] .

---

[٣٦] سبق تخريجه .

[٣٧] انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(١٢/ ٣٦٨) .

.

المبحث الثاني

ملخص أصول ومميزات أهل السنة في عقائدهم

لأهل السنة والجماعة أصول عظيمة تنبني وتقوم عليها عقائدهم، من أعظمها أصول الإيمان الستة التي جاء التنصيص عليها في أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، من ذلك حديث جبريل المشهور، ويتفرع عن هذه الأصول أصول أخرى و شعب كثيرة من شعب الإيمان والعقائد(٣٨)، فمما يتفرع مثلا عن أصل الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وفتنته، وهكذا الإيمان بالبعث والحساب والميزان والصراط والشفاعة ورؤية الله في الآخرة، والجنة والنار... .

ومما يتفرع عن الإيمان بالله: الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ويتفرع عن الإيمان بالصفات: الإيمان بالقرآن وأنه كلام الله غير مخلوق، والإيمان بعلو الله، والإيمان بنزوله إلى السماء الدنيا، والإيمان بصفاته الذاتية والفعلية، وما إلى ذلك مما يتفرع عن أصول الإيمان الستة من المسائل العقدية العظيمة .

وفي بيان مجمل أصول أهل السنة العقدية يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله في سياق رده لأباطيل محمد الغزالي المصري:

---

(٣٨) وفي بيان كثير من هذه الأصول والشعب الإيمانية العقائدية ، ينظر: شرح الشيخ ربيع حفظه الله " لعقيدة السلف وأصحاب الحديث " للإمام الصابوني، و" شرح أصول السنة " للإمام أحمد، وكذا " شرح كتاب الشريعة للآجري"، و" عون الباري في بيان ما تضمنه شرح السنة للبربهاري" .

« وبعد هذه اللفتة إلى آثار المنهج السلفي في هذا البلد وغيره من البلدان، أوجه الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: أصحيح يا غزالي أن سلفية الشيوخ الأجلاء النبلاء سلفية مزعومة، عرفت من الإسلام قشوره، ونسيت جذوره ؟ .

إن تعاليم الإسلام أعزُّ لديهم وأجل عندهم من أن يكون فيها قشور، فإنهم يعتقدون: أن خير الهدى هدى محمد .

وعندهم أن «الإيمان بضع وستون، أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » هذه الشعب كشعب الشجرة الطيبة المباركة .

وهم يدعون إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في دروسهم ومؤلفاتهم، ومناهجهم في ميدان العقيدة : **كالإيمان بالله ، وأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، من غير تحريف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، إيمانا معتمدا على فيض هائل من الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة، ومعتمدا على مقررات السلف الصالح**: من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى، التى تضمنتها كتب التفسير الموثوق بها، وبإمامة وجلالة مؤلفيها، مثل: تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري، والإمام أبى محمد حسين بن مسعود البغوي، والإمام الحافظ إسماعيل بن كثير، وعلى ما ضمنه

أئمة الحديث كتبهم المشهورة المتداولة بين الأمة الإسلامية من مشارق الأرض إلى مغاربها، وعلى امتداد الزمان، جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا.

ويؤمنون بالرسل جميعا، وجهادهم في ذات الله، وصبرهم على الأذى في سبيل تبليغ رسالاتهم .

ويؤمنون بالملائكة، وباليوم الآخر، وما فيه من تفاصيل الثواب والعقاب .

ويؤمنون بالقدر خيره وشره.

ويؤمنون بأن الحاكمية لله وحده، وأنه لا طريق إلى السعادة في الآخرة والسيادة في الدنيا إلا في طاعة هذا الرسول ، واتباعه ، وحبه .

ويحافظون على الصلوات في أوقاتها، ويؤدونها في بيوت أذن الله أن ترفع، ويشيدون لأجل ذلك هذه البيوت .

ويؤدون الزكاة التي فرضها الله في كتابه وعلى لسان رسوله، ويرون أن مانعها يستحق القتل والقتال .

ويؤدون الصيام، ويحجون ويعتمرون، ويرون وجوب الجهاد، ولهم في هذا الوقت دور فعال في الجهاد الأفغاني بالنفس والمال، إلى جانب دعم الدعوات الإسلامية في العالم .

ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الله ، ويرون أنه لابد في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الحكمة.

ويعظمون نصوص الكتاب والسنة تعظيما لا يلحقون فيه، ويدعون إلى احترامها وتدبرها وتطبيقها، ولا يرون فيها قشورا »[٣٩] .

وقال الشيخ حفظه الله في سياق رده و تفنيده لضلالات عبد العزيز القارئ المدافع عن الصوفية:

« لا تخلط بين قضايا الفروع والأصول ، فهناك أصول من التزمها فهو من أهل السنة ولو انتمى إلى أحد المذاهب الأربعة، فهو من أهل السنة، ومن خالفها فهو من أهل تلك الأصول المخالفة المبتدعة، **وقد ذكر هذه الأصول أئمة الإسلام في كتب العقائد**، فمن خالفها بدَّعوه ومن التزمها وثبت عليها اعتبروه من أهل السنة .

من هذه الأصول: التوحيد بأنواعه: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، فمن خالف في واحد من هذه الأنواع بدَّعوه، وقد خالفت الجهمية فعطلوا في باب الأسماء والصفات فعطلوا أسماء الله وصفاته فبدعهم السلف بل كفروهم، وتابعهم في نوع التعطيل في هذا الباب المعتزلة فعطلوا الصفات وأثبتوا الأسماء دون معانيها .

---

(٣٩) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١١/ ٣٢٤-٣٢٥) .

وتابع الأشعرية والكلابية الجهمية في تعطيل الصفات الخبرية فجعلهم السلف من أصناف الجهمية وشاركت الصوفية هذه الفرق في تعطيل الصفات(٤٠) وأوغلت في ذلك حتى وقعت في الحلول ووحدة الوجود من زمن الحلاج إلا أفراداً منهم، وانحرفت في توحيد الربوبية فاعتقدت في الأولياء بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون .

وانحرفت الصوفية في توحيد العبادة فجعلوا مع الله أنداداً في الدعاء، والاستغاثة في الشدة بالأموات والأحياء، وفي تقديم القرابين لغير الله من الذبائح والنذور وشد الرحال إلى القبور والطواف بها وتشييد البنيان عليها، وغير ذلك من الأفعال الشنيعة التي يأنف منها ويسخر منها اليهود والنصارى والهندوك، واذهب إلى ما شئت من البلدان غير هذه البلاد لترى فيها هذه الشنائع والمخازي مثل الهند وباكستان والسودان ومصر وتركيا وسوريا والعراق وبخارى، ثم احكم على الطرق الصوفية التي تفعل هذه الأفاعيل بما يستحقون، هل هم من أهل السنة أو من شرار الضلال وأهل البدع الواقعين في الشرك الأكبر والضلال البعيد .

(٤٠) بعض الصوفية قد يشارك أهل السنة في باب الأسماء والصفات كالسلمي، ولكنه يأتي بطوام عظيمة في تصوفه وفي تفسيره المعروف ب« حقائق التفسير» .(ربيع) .

نحن لا نكفرهم لجهلهم إلا بعد إقامة الحجة أما التبديع وإخراجهم عن دائرة أهل السنة فلا يتقاعس عنه إلا أجهل الناس بالإسلام وأبعدهم عن السنة .

الأصل الثاني: الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، خالف فيه المعتزلة القدرية منهج أهل السنة والجماعة وأخرجوا أفعال العباد عن قدرة الله ومشيئته، واعتقدوا أن العباد يخلقون أفعالهم ولا دخل لمشيئة الله وإرادته وقدرته في ذلك، فضللهم أهل السنة وبدعوهم وبعضهم يكفرهم وبينوا ذلك بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقابلهم الجبرية فعطلوا قدرات العباد واختيارهم ومشيئتهم وقالوا إن العباد مجبرون على أفعالهم لا قدرة لهم ولا مشيئة ولا اختيار فهم كالريشة والأشجار تحركهم الرياح بدون إرادة ومشيئة، ووقع الصوفية في هذا الضلال فلا شك أنهم مبتدعة ضلال بهذه العقيدة الخبيثة التي تهدر الشريعة الإسلامية وتعطل نصوص الأمر والنهي والوعد والوعيد .

الأصل الثالث: دل القرآن والسنة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان وخالفهم في ذلك الخوارج والمعتزلة والمرجئة، فقالت الخوارج الإيمان قول وعمل واعتقاد لكن مرتكب الكبيرة المصر عليها يخرج من الإيمان، وحكم الخوارج بكفره واستحلال دمه وماله، وحكموا عليه بالخلود في النار، وأخرجه المعتزلة من دائرة

الإيمان ولم يدخلوه في الكفر، بل جعلوه في منـزلة بين المنـزلتين ثم حكموا عليه بأنه من المخلدين في النار .

وقابلهم المرجئة فأخرجوا العمل من الإيمان فقال بعضهم: إن الإيمان هو المعرفة فقط أو التصديق فقط، وقالت معها مرجئة الفقهاء: إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب والعمل ليس من الإيمان، وأنكر السلف هذه الأقوال الشنيعة وبدعوا أهلها، ودخلت الصوفية في الإرجاء .

والأصل الرابع: أن القرآن كلام الله وكفر السلف من قال: إن القرآن مخلوق، وبدعوا من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو توقف فقال: القرآن كلام الله ولا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، وقالت الأشاعرة: إن كلام الله هو الكلام النفسي والقرآن الذي بين أيدينا مخلوق وتابعهم الصوفية في ذلك .

الأصل الخامس: دلَّ الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة على مكانة الصحابة ومنزلتهم عند الله ولقد أثنى الله عليهم وزكاهم، وكذلك أثنى عليهم رسول الله ﷺ وزكاهم وبين أن حبهم إيمان، وبغضهم نفاق؛ لأنهم آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان وحازوا قصب السبق في العمل بأوامر الله واجتناب نواهيه.. وجاهدوا لإعلاء كلمة الله بأموالهم وأنفسهم، وهدى الله على أيديهم أمماً وشعوباً، إلى آخر فضائلهم التي لم يسبقهم غير الأنبياء سابق، ولا يلحقهم لاحق فمن أبغضهم أو سبهم فهو ضال، وبغضه لهم من علامات نفاقه ومن كفرهم فهو الكافر .

هذه لمحة موجزة ولا مجال لاستيفاء أصول أهل السنة التي من خالف فيها أو في بعضها حكموا عليه بالبدعة وأخرجوه من دائرة أهل السنة، ولو انتمى إلى أهل الحديث، أو إلى المذاهب الأربعة، أو غيرها، ولا شك أن للصوفية نصيباً وافراً من البدع ولا يغني عنهم شيئاً تسترهم بالمذاهب الأربعة »(٤١) .

و **قال حفظه الله**: « كلُّ من يَصدُق عليه الالتزام بكتاب الله وسُنة الرَّسول ﷺ ومنهج السَّلف الصالح عقيدةً وشريعةً وعبادة؛ فإنَّنا نعني هؤلاء بهذه الكلمة الفِرقة النَّاجية، إذا قلنا فيهم: إنَّهم أهلُ الحديث فهم كذلك؛ لأنَّهم يتعبَّدُون الله بالحديث في عقائدِهم وفي عباداتِهم، في الوقت الذي يرفض فيه أهل البدع اعتقاد ما دَلَّت عليه أحاديثُ رسول الله ﷺ **سواءً تعلَّق بصفات الله أو تعلَّق بأمر من الأمور الغيبيَّة، كعذاب القبر، وفتنة القبر، والصِّراط، والميزان، وما شاكل ذلك، أو نزول عيسى عليه السلام، أو خروج المسيح الدَّجال، أو ما شاكل ذلك**، يردُّون نصوص السنة بحجة أنها أخبار آحاد لا تفيد إلا الظن فلا تصلح لأن يبنى عليها الاعتقاد لا فيما يتعلق بالله ولا فيما يتعلق بالأمور الغيبية التي أشرنا إليها!

---

(٤١) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٥٠١-٥٠٤) .

فأهل السنة يخالفون هذه الفِرَق الضَّالة في هذه القضايا، ويؤمنون بكلِّ ما صَحَّ عن رسول الله ﷺ وثَبَت عنه سواءً في ميدان العبادة، أو في ميدان العقيدة، أو في الأمور الغيبيَّة، أو في أشراط السَّاعة، أو ما شاكل ذلك »(٤٢) .

** فصل **

وأصل جميع هذه الأصول وأساسها عند أهل السنة والجماعة هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة مع البراءة من كل معبود سواه .

وفي بيان ذلك يقول الشيخ حفظه الله:« التوحيد.. هو أصل الأصول، وإذا كان للناس أصولٌ وأصول، الأصول يدورون حولها، فإن أصل الأصول عند الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- وعند سادة هذه الأمة من الصحابة الكرام ومن اتَّبعهم بإحسان، إن أصل الأصول عندهم هو التوحيد..الأصل عندنا هو هذا الأصل الذي جاء به جميع الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- وعليه تدور كل العبادات، فالعبادات إنما هي تأكيد لهذا الأصل »(٤٣) .

(٤٢) انظر: رسالة الشيخ "الفرقة الناجية أصولها وعقائدها "(ص٨-٩) .

(٤٣) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (١/ ٤٣) .

الفصل الثاني

أصول ومميزات أهل السنة والجماعة في التلقي و الاستدلال

وفيه إحدى عشر مبحثًا:

المبحث الأول: قيام دينهم على الكتاب، والسنة، وإجماع السلف .

المبحث الثاني: اعتمادهم في إثبات العقائد على الكتاب والسنة .

المبحث الثالث: الاحتجاج بالكتاب والسنة في أبواب الدين كلها من غير تفريق بينهما .

المبحث الرابع: الاستدلال بالسنة الثابتة كلها من غير تفريق بين المتواتر منها والآحاد .

المبحث الخامس: الاحتجاج بالسنة الثابتة وعدم الاعتماد على الروايات الضعيفة.

المبحث السادس: الوقوف عند الأدلة الشرعية وعدم مجاوزتها .

المبحث السابع: الأخذ بظواهر النصوص .

العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه، ورده إلى المحكم .

المبحث الثامن: العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه، ورده إلى المحكم .

المبحث التاسع: التقيد بفهم السلف للنصوص .

المبحث العاشر: لا يقولون بقول ليس لهم فيه سلف .

المبحث الحادي عشر: يعرفون الرجال بالحق ولا يعرفون الحق بالرجال .

المبحث الأول

قيام دينهم على الكتاب والسنة والإجماع

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين ومميزاتهم، في التلقي والاستدلال: اعتمادهم على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وما أجمع عليه السلف الصالح، وهم ينطلقون في عقائدهم، وعباداتهم، ومناهجهم، وفي سائر شئون حياتهم، من هذه الأصول العظيمة، فهي مرجعهم، وعمدتهم، وميزانهم الذي يزنون الناس به (٤٤).

---

(٤٤) وقد قرر هذا الأصل غير واحد من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال كما في "مجموع الفتاوى"(٣/ ٣٤٥-٣٤٦):« وَلِهَذَا وَصَفَ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ بِأَنَّهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ الْجُمْهُورُ الْأَكْبَرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ؛ وَأَمَّا الْفِرَقُ الْبَاقِيَةُ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الشُّذُوذِ وَالتَّفَرُّقِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَلَا تَبْلُغُ الْفِرْقَةُ مِنْ هَؤُلَاءِ قَرِيبًا مِنْ مَبْلَغِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَكُونَ بِقَدْرِهَا بَلْ قَدْ تَكُونُ الْفِرْقَةُ مِنْهَا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ .

وَشِعَارُ هَذِهِ الْفِرَقِ مُفَارَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، فَمَنْ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ كَانَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ».

وقال رحمه الله في العقيدة الواسطية:« ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ق بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ:« عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ وَبِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ .

وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ ؛ وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ ؛ " وَالْإِجْمَاعُ " هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ »، قال الشيخ الهراس رحمه الله في شرحه على الواسطية، عند كلام شيخ الإسلام السابق:« هَذَا بَيَانُ الْمَنْهَجِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ كُلِّهَا، أُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، بَعْدَ طَرِيقَتِهِمْ فِي مَسَائِلِ الْأُصُولِ، وَهَذَا الْمَنْهَجُ يَقُومُ عَلَى أُصُولٍ ثَلَاثَةٍ:

أَوَّلُهَا: كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، الَّذِي هُوَ خَيْرُ الْكَلَامِ وَأَصْدَقُهُ، فَهُمْ لَا يقدِّمون عَلَى كَلَامِ اللَّهِ كَلَامَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

فلا يخرج أهل السنة والجماعة عن الكتاب والسنة وإجماع السلف، في جميع أمورهم، وشئونهم، خلافاً لأهل الأهواء والبدع؛ فإنَّ من شعاراتهم وعلاماتهم، مفارقة الكتاب والسنة والإجماع .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي **يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه:** « أما أهل الحديث، وأهل السنة والجماعة، فمرجعهم كتاب الله، وسنة رسوله، التي هي بيانه، وما كان عليه السلف الصالح، الذين ما كانوا ينطلقون في عقائدهم، وعباداتهم، ومناهجهم، وفي سائر شئون حياتهم، إلا من كتاب الله »(٤٥).

وقال حفظه الله: « **فأصل أهل السنة والجماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع سبيل المؤمنين، المعبر عنه بالإجماع، فدينهم مبني على هذه الأصول**(٤٦) .

وَثَانِيهَا: سُنَّةُ رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَمَا أُثر عَنْهُ مِنْ هَدْيٍ وَطَرِيقَةٍ، لَا يُقَدِّمُونَ عَلَى ذَلِكَ هَدْيَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.
وَثَالِثُهَا: مَا وَقَعَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَبْلَ التفرُّق وَالِانْتِشَارِ وَظُهُورِ الْبِدْعَةِ وَالْمَقَالَاتِ، وَمَا جَاءَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا قَالَهُ النَّاسُ وَذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ الْمَقَالَاتِ وَزَنُوهَا بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي هِيَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ، فَإِنْ وَافَقَهَا؛ قَبِلُوهُ، وَإِنْ خَالَفَهَا ردُّوه؛ أَيًّا كَانَ قَائِلُهُ ».

(٤٥) انظر: " المرجع السابق"(٩/ ٧١٠) .

(٤٦) ولذلك كان من خالف أهل السنة في أصل من أصولهم التي أجمعوا عليها، يعتبر خارجًا عن جماعة أهل السنة، مُلحقًا بالفرق الضالة، قال الإمام الشاطبي ﷺ في "الإعتصام" (٢/ ٢٠٠):« الفِرقُ إنما تصير فِرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنىً كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من

عقائدهم، وعباداتهم، وأحكامهم، الحلال والحرام، والمعاملات، وسائر شئون الحياة »(٤٧) .

وقال الشيخ ربيع حفظه الله مجيباً على سؤال هذا نصه: هل قول أئمة وعلماء السلف رحمهم الله تعالى في القرون الثلاثة حجة يرجع إليها؟

فأجاب:« إن أقوال أئمة السلف في القرون المفضلة، إن كانت من باب الإجماعات قامت، فهي حجة، فما أجمعوا عليه في العقائد والعبادات، والمعاملات فهو حجة، **من أصول أهل السنة، الكتاب والسنة والإجماع** »(٤٨) .

وقال حفظه الله:« إذا كانت المسألة مختلفًا فيها نتحاكم إلى الكتاب والسنة... .

وإذا أجمعوا فلا مخرج لنا من إجماعهم(٤٩)، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾[النساء:١١٥]، فهذا من أدلة الإجماع، ومن الأدلة على أن هذه

الجزئيات... ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة، عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضاً » .

(٤٧) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١٢/ ٣٦٨).

(٤٨) انظر: "المرجع السابق "(١٥/ ١٦٠).

(٤٩) وكذا إذا اختلفوا في مسألة ما على قولين: لا يجوز لأحد بعدهم أن يحدث قولا ثالثا، قال شيخ الإسلام كما في " الفتاوى "(٢٧/ ٣٥):« إذا اختلف الصحابة على قولين فمن أحدث قولا ثالثا فقد خالف إجماعهم ».

الأمة لا تجتمع على ضلالة، كما قال النبي ﷺ، **ولهذا فإن أصول أهل السنة الكتاب والسنة والإجماع** »(٥٠) .

** فصل **

و انطلاقًا من هذا الأصل السلفي أنكر العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى، وشنَّع كغيره من أهل السنة، على أهل البدع الذين لا يعوِّلون على هذه الأصول العظيمة، في عقائدهم ومناهجهم، ويتبعون في ذلك عقولهم وأهواءهم، مخالفين بذلك منهج السلف .

فقال حفظه الله:« يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذه الفرق من الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والقدرية لا يرجعون إلى الكتاب والسنة، وإنما يرجعون إلى اللغة، وإلى كلام الأدباء، وإلى كلام الفلاسفة، والمتكلمين وما شاكل ذلك .

أما أهل الحديث، وأهل السنة والجماعة فمرجعهم كتاب الله، وسنة رسوله التي هي بيانه، وما كان عليه السلف الصالح...أما هؤلاء فيرجعون إلى العقل، ويرجعون إلى الفلاسفة، والمتكلمين والأدباء المنحلين وما شاكل ذلك »(٥١).

---

(٥٠) انظر: "المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق "(ص١٨٧) .

(٥١) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(٩/ ٧١٠).

المبحث الثاني

اعتماد أهل السنة في إثبات العقائد على الكتاب والسنة

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين اعتمادهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في إثبات العقائد، لا يتعدَّون ذلك؛ وذلك لأنَّ مسائل العقيدة من علم الغيب؛ فلا يمكن معرفتها، والإحاطة بها إلا عن طريق الأدلة الشرعية المتمثلة في الوحي المنزَّل(٥٢) .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله وسدده:

« قال رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »(٥٣) هذه الطائفة عرفت كما عرف أسلافها عظمة هذا الدين...فعقائدهم مستمدة من كتاب الله تبارك وتعالى، ومن سنة رسوله ﷺ .

منهجهم الأصيل في الهداية في باب العقائد أن يستمدُّوا ذلك من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ، فصفات الله العليا، وأسماؤه الحسنى يستمدُّون اعتقادها والإيمان

---

(٥٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله في "درء التعارض"(٧/ ٢٧٤): «فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة، وإنما أخذ من أخذ منهم في العقل، إبطالاً لمذهب من زعم أنه غير مستقيم في العقل » .

(٥٣) أخرجه أبو داود(٤٢٥٢)، والترمذي(٢٢٢٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١٧٧٣)، (ربيع).

بها من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون، ولا يحرفون ولا يُؤَوِّلون، ولا على آراء الرجال وفلسفاتهم يعتمدون، و نعوذ بالله؛ بل من ذلك يحذِّرون »(٥٤) .

وقال حفظه الله:« **أهلُ الحديث وأهلُ السنة والجماعة فمرجعهم كتابُ الله، وسنةُ رسول الله التي هي بيانُه وما كان عليه السلف الصالح الذين ما كانوا ينطلقون في عقائدهم وعباداتهم ومناهجهم وفي سائر شؤون حياتهم إلا من كتاب الله...**

فديدنُهم كتاب الله وسنة الرسول، أهل السنة والجماعة معتقدهم ينطلق من كتاب الله ومن سنة الرسول، أعمالهم، مناهجهم من كتاب الله ومن سنة الرسول الكريم ﷺ »(٥٥) .

وقال حفظه الله: « **فأهل السنة عقائدهم دائمًا قائمة على كتاب الله، وعلى سنة رسوله ﷺ**، لا يزيدون عليها ولا ينقصون، ولا يخالفون من ذلك شيئًا، فهم ملتزمون بكتاب الله، وبسنة رسوله، في عقائدهم، وعباداتهم، وسائر شئونهم»(٥٦).

وقال حفظه الله: « وواقع هذه الفرقة(أهل السنة) في الماضي والحاضر يشهد بذلك، فهم دعاة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح،

---

(٥٤) انظر: "اللباب من مجموع نصائح وتوجيهات الشيخ ربيع للشباب "(١٤٧-١٤٨) .

(٥٥) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٩/ ٧١٠-٧١١).

(٥٦) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٦٢) .

والتقيُّد به، خصوصا في العقائد؛ فإنها توقيفية عندهم، لا تقبل الزيادة، ولا النقص »(٥٧) .

وقال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له في شرحه "لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني":« يعرض الصابوني رحمه الله ميزات أهل الحديث؛ الذين علاقتهم بالله قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ؛ فيصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ، ويؤمنون بالوعد والوعيد دون أن يضربوا هذا بذاك كما يفعل أهل الضلال .

فإن معتقداتهم في جميع أبواب الدين مبنية على كتاب الله وعلى سنة الرسول ﷺ، وليس بناءً على العقول والآراء...خلافًا للخوارج والروافض ومن سار على نهجهم... .

لكن السلفي الصادق المخلص ينظر في كل عمل أو عقيدة فيقيمها على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ، يحاربون الهوى، ويحاربون البدع والضلالات، ويرفعون راية السنة »(٥٨) .

وقال حفظه الله:« أهل الحديث..هم الذين يَلْتَزمون بالحق... تَعلُّماً وتعليماً، ونشراً ودعوةً، وبناء مساجد ومدارس؛ فمساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم في الدنيا

(٥٧) انظر: " المرجع السابق "(١٠/ ٥٦٧) .

(٥٨) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٢٤٠) .

كلها هي التي تقوم بنشر السنة تدريساً وتفقهاً على منهج سلفهم من أئمة الحديث، **فيأخذون عقائدهم من الكتاب والسنة كما هو شأن أسلافهم الكرام من الصحابة والتابعين** »(٥٩) .

** فصل **

أفاد العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى إلى أن اعتماد أهل السنة والجماعة السلفيين في عقائدهم على الكتاب والسنة واستغناؤهم بهما عما سواهما؛ إنما هو لأجل إيمانهم بأنهما كافيان غاية الكفاية، في كل ما يجب على المرء اعتقاده، فقال حفظه الله:« كان الصحابة رضوان الله عليهم ومَن سلك منهجهم واتبعهم بإحسان في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم مؤمنين إيمانـًا كاملاً بما جاء في كتاب الله المجيد، وسنة رسوله المطهرة.. .

وثبَّتوا المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيِّهم، وبيَّنوا لهم أن الواجب عليهم الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهمﷺ، ومنابذة الأهواء وأهلها؛ **إيمانـًا منهم أن القرآن والسنة كافيان غاية الكفاية في كل ما يجب على المرء الإيمان به واعتقاده كفيلان بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ وأن الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة في مخالفتهما** »(٦٠) .

---

(٥٩) انظر: " المرجع السابق " (١٠/ ٦١٥) .

(٦٠) انظر: "المرجع السابق "(٣/ ١٤) .

وقال حفظه الله: « وكما أخبر رسولنا الكريم ﷺ: « خير النّاس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم »(٦١)، لماذا حازوا هذه المنزلة العظيمة وهذه الخيرية التي فاقوا بها الأمم كلها وسادوا بها هذه الأمة، فلم يلحقهم لا حق، ولم يسبقهم سابق إلا الأنبياء، لماذا؟ لأنهم والله اهتدوا لهذا النُّور، وبهذا القرآن وبهذه السنة، **ورأوا أن فيهما الكفاية، وثقَّفوا بهما الشعوب، وفتحوا بهما القلوب** .

وكان الأعاجم من مختلف الأجناس يدخلون في هذا الدين يأخذون منه من القرآن والسنة عقائدهم، وعباداتهم وسائر شئون حياتهم، لا يحتاجون إلى فلسفة الشرق والغرب، ولا إلى آراء البشر من هنا وهناك .

وإنما كان عمدة الجميع: قال الله، قال رسول الله، تقوم لها المدارس، وتربى عليها الأجيال؛ لأن عندهم الاعتقاد الكامل، والقناعة الكاملة أن في هذا القرآن، وفي هذه السنة ما يشفي ويروي الغليل في كل مجالات الحياة .

فلم يحتاجوا إلى تأويلات الجاهلين، ولا إلى تحريفات المبطلين... .

إلى أن قال حفظه الله:« **رأى سلفنا الصالح ومن سار على نهجهم الكفاية في باب الاعتقاد، وفي باب العبادات، وفي باب السياسة والجهاد، وفي العلاقات الدولية، وفي كل شأن من الشئون الاكتفاء بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ** .

---

(٦١) سبق تخريجه .

لأن رسول الله ﷺ، ما ترك خيراً إلا دلَّ أمته عليه، ولا شرًّا إلا حذَّرها منه(٦٢) .

من يوم بعثه الله إلى يوم القيامة »(٦٣) .

** فصل **

وفي سياق تقرير العلامة ربيع المدخلي حفظه الله لأصل أهل السنة في بناء عقائدهم على الكتاب والسنة، أفاد بأنَّ أهل الأهواء والبدع، لا يسيرون على طريقة أهل السنة والجماعة السلفيين، في بناء عقائدهم على الكتاب والسنة، وذلك لأنهم لا يعتقدون أن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الهداية الكاملة، والكفاية

---

(٦٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى(٥/ ٧):« مِنْ الْمُحَالِ فِي الْعَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ السِّرَاجُ الْمُنِيرُ الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ؛ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ إلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَهُوَ يَدْعُو إلَى اللَّهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ - مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ : أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْعِلْمِ بِهِ مُلْتَبِسًا مُشْتَبِهًا وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ للَّهِ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلْيَا وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُ الْهِدَايَةِ وَأَفْضَلُ وَأَوْجَبُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَذَلِكَ الرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا الْبَابَ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا وَمِنْ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ، وَقَالَ : « **تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلَّا هَالِكٌ** » وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا : « **مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ** » .

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : «**لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا**»، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: « **قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا فَذَكَرَ بَدْءَ الْخَلْقِ ؛ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ** » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ - وَإِنْ دَقَّتْ - أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَيَعْتَقِدُونَهُ فِي قُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ الْمَعَارِفِ وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ الْمَقَاصِدِ وَالْوُصُولُ إلَيْهِ غَايَةُ الْمَطَالِبِ . بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ إيمَانٍ وَحِكْمَةٍ أَنْ لَا يَكُونَ بَيَانُ هَذَا الْبَابِ قَدْ وَقَعَ مِنْ الرَّسُولِ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ »انتهى . .

(٦٣) انظر: "اللباب من مجموع نصائح وتوجيهات الشيخ ربيع للشباب "(١٤٦-١٤٩) .

التامة في هذا الباب!!، وبيَّن حفظه الله بأن ذلك هو سبب انحراف كثير من المسلمين، وضلالهم، فقال: « قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣] ضمانٌ من الضَّلال وضمان أكيد من الشَّقاء، معناه الهداية الكاملة لمن يتبع هذا الهُدَى، والضَّمَان الكامل من الشَّقاء المُخزي في الدُّنيا والآخرة، وأيُّ خِزي وأَيُّ شَقَاء أَشَدُّ من هذا الخِزي الذي يعانيه المسلمون؟ وأَيُّ ضَلاَلٍ أَشَدُّ من هذا الضَّلال الذي يعيشه كثير من المسلمين؟ العقائد تخالف كتابَ الله، العبادات عند كثيرٍ من النَّاس تخالف العبادات التي جاء بها محمَّد ﷺ، بدءًا من توحيد العبادة؛ بابُ الأسماء والصِّفات تقوم مدارس على غير كتاب الله وعلى غير سُنَّةِ رسول الله ﷺ حتى بَلَغ ببعض أتباع الهوى والإغراق في الضَّلال أن يقول: إنَّ الأخذ بظواهر القرآن والسُنَّة شركٌ وكُفر!!

إلى هذا المنحَدَر انحَدَر كثيرٌ من النَّاس إلى أنَّهم لا يعتقدون أنَّ في كتاب الله الهداية الكاملة فلا يعتمدون في عقائدِهم على قال اللهُ، ولا على قال رسول الله ﷺ، يعتقدون فلسفةَ اليونان ومنطِقَهم ويُسَمُّونها بالمعقولات! ويُحَرِّفُون كتابَ الله لأجل هذه الفلسفة الجاهليَّة التي غَزَتْنَا من الغرب!» (٦٤) .

وقال حفظه الله: « فأصل أهل السنة والجماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع سبيل المؤمنين، المعبر عنه بالإجماع، فدينهم مبني على هذه الأصول، عقائدهم،

(٦٤) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (١/ ١٤٢-١٤٣) .

وعباداتهم، وأحكامهم، الحلال والحرام، والمعاملات، وسائر شئون الحياة...أما الفرق الأخرى، وأخص بالذكر منهم: الروافض والخوارج، فأصل دينهم الفرقة، والشقاق، والبعد عن العناية بالكتاب والسنة، وسوء الظن بالصحابة، والطعن فيهم، وكيل التهم الظالمة لهم...وبهذا السبب وبسبب بعدهم عن الاهتداء بالكتاب والسنة، والعناية بهما وما يتبعهما، نجد عندهم من الضلال العقائدي، والشركيات، والخرافات، والسحر والكهانة ما الله به عليم .

ونجدهم يبنون عقائدهم على المنطق والفلسفة والكلام والعقل كما يزعمون؛ لأن هذه العلوم اليونانية يرون أنها ضرورية، وأنها أصول الهداية عندهم »(٦٥) .

وقال حفظه الله: « ميزات أهل الحديث؛ الذين علاقتهم بالله قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ ... معتقداتهم في جميع أبواب الدين مبنية على كتاب الله وعلى سنة الرسول ﷺ، وليس بناءً على العقول والآراء... .

خلافًا للخوارج والروافض ومن سار على نهجهم؛ فإنهم لا يلتفتون إلى كتاب الله ولا لسنة رسول الله في عقائدهم، ولا في عباداتهم، ولا في مناهجهم، ولا في التعامل مع الحكام ولا مع العلماء ولا حتى مع المسلمين؛ تعاملاتهم تقوم على حسب الأهواء والعياذ بالله» (٦٦) .

---

(٦٥) انظر: "المرجع السابق "(١٢/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٦٦) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٤٠).

المبحث الثالث

الاحتجاج بالكتاب والسنة في أبواب الدين كلِّها من غير تفريق بينهما

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين ومميزاتهم في الاستدلال على مسائل الاعتقاد وغيرها: الاحتجاج بالكتاب والسنة، وعدم التفريق بينهما في ذلك.

وفي تقرير هذا الأصل يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه:«... من هذه التوجيهات القرآنية أدرك المؤمنون عظمة السنة ومكانتها، وأدركوا أنه يجب عليهم التزامها في كل شأن من الشئون الإسلامية، العقائدية والعبادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، **لافرق بينها وبين القرآن**، من حيث وجوب الالتزام، والطاعة والانقياد والتصديق .

إن توجيهات وتعاليم القرآن والسنة المطهرة متمازجة متساندة في كل المجالات التي خاضها القرآن، لا يعد مؤمناً من يفرِّق بينها(٣٧) في النواحي العقائدية والعبادية، أو العملية، ذلك لأنه يستحيل تطبيق القرآن بفهم، بدون هذه السنة المطهرة .

---

(٣٧) كذا في الأصل: ولعل الصواب: من يفرق بينها وبين القرآن .

وكيف يفرِّق بينهما من يؤمن بقول الله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤]، وما جرى مجراها في بيان منزلة الرسول ﷺ ؟!

من أين نعرف أعداد ركعات الصلوات الخمس، وأوقاتها وهيئاتها وأذكارها إذا كنا لا نعرف السنة؟

وكيف نعرف شروط الزكاة ومقادير أنصبتها إذا لم تكن لدينا سنة محمد ﷺ وبيانه؟

ومن أين نعرف حد شارب الخمر، ورجم الزاني، وقطع يد السارق إذا لم نرجع إلى السنة المطهرة؟

هذه وغيرها من الأمور الكثيرة التي يتوقف الإيمان بالقرآن، وتطبيقه على الإيمان بالسنة، ومعرفتها، وتطبيقها، والتزامها واتباعها(٦٨)؟!... .

---

(٦٨) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في" إعلام الموقعين " (٢/ ٢٢٠):« **وَالسُّنَّةُ مَعَ الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:**

أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ مُوَافِقَةً لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ فَيَكُونُ تَوَارُدُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى الْحُكْمِ الْوَاحِدِ مِنْ بَابِ تَوَارُدِ الْأَدِلَّةِ وَتَظَافُرِهَا.

الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ بَيَانًا لِمَا أُرِيدَ بِالْقُرْآنِ وَتَفْسِيرًا لَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ مُوجِبَةً لِحُكْمٍ سَكَتَ الْقُرْآنُ عَنْ إيجَابِهِ أَوْ مُحَرِّمَةً لِمَا سَكَتَ عَنْ تَحْرِيمِهِ، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ، فَلَا تُعَارِضُ الْقُرْآنَ بِوَجْهٍ مَا، فَمَا كَانَ مِنْهَا زَائِدًا عَلَى الْقُرْآنِ فَهُوَ تَشْرِيعٌ مُبْتَدَأٌ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ: تَجِبُ طَاعَتُهُ فِيهِ، وَلَا تَحِلُّ مَعْصِيَتُهُ، وَلَيْسَ هَذَا تَقْدِيمًا لَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، بَلْ امْتِثَالٌ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطَاعُ فِي هَذَا الْقِسْمِ لَمْ يَكُنْ لِطَاعَتِهِ مَعْنًى، وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ الْمُخْتَصَّةُ بِهِ، وَإِنَّهُ إذَا لَمْ تَجِبْ طَاعَتُهُ إلَّا فِيمَا وَافَقَ الْقُرْآنَ لَا فِيمَا زَادَ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَاعَةٌ خَاصَّةٌ تَخْتَصُّ بِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] .

من هنا أدركت الأمة الإسلامية عظمة السنة ومكانتها، فحفظوها كما حفظوا القرآن، وصانوها كما صانوا القرآن »(٦٩) .

وقال حفظه الله: « فهيَّأ الله هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وعلى رأسهم صحابة محمدﷺ، ثم التابعون لهم بإحسان فحفظوا في صدورهم ألفاظ السنة ومعانيها ودانوا بها عقيدةً وعملاً، **لا يفرقون بينها وبين القرآن لا في عقيدة ولا في أحكام وعمل، وتلاهم من سار على نهجهم من أهل الحديث والسنة** »(٧٠) .

وقال حفظه الله تعالى:« وميَّز الله الذِّكر المنـزَّل عليه بالحفظ، وهذا الذِّكر يشمل القرآن والسنة وهي بيانه ولا يتم حفظ القرآن إلا بحفظ بيانه.

وهذا كما يشهد به القرآن يشهد به الواقع وتاريخ هذه الأمة، وجهاد فحولها في الحفاظ على السنة وحفظها واتخاذ كل الوسائل الحكيمة، واستخدام الأصول والطرق والمناهج لتحقيق هذا الحفظ في أجلى صوره وأمتنها ولا يجحد هذا إلا مكابر.

وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَقْبَلَ حَدِيثًا زَائِدًا عَلَى كِتَابِ اللهِ؛ فَلَا يُقْبَلُ حَدِيثُ تَحْرِيمِ الْمَرْأَةِ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَتِهَا، وَلَا حَدِيثُ التَّحْرِيمِ بِالرَّضَاعَةِ لِكُلِّ مَا يَحْرُمُ مِنْ النَّسَبِ، وَلَا حَدِيثُ خِيَارِ الشَّرْطِ، وَلَا أَحَادِيثُ الشُّفْعَةِ، وَلَا حَدِيثُ الرَّهْنِ فِي الْحَضَرِ مَعَ أَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى مَا فِي الْقُرْآنِ، وَلَا حَدِيثُ مِيرَاثِ الْجَدَّةِ، وَلَا حَدِيثُ تَخْيِيرِ الْأَمَةِ إذَا أُعْتِقَتْ تَحْتَ زَوْجِهَا، وَلَا حَدِيثُ مَنْعِ الْحَائِضِ مِنْ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، وَلَا حَدِيثُ وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ عَلَى مَنْ جَامَعَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَلَا أَحَادِيثُ إحْدَادِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا مَعَ زِيَادَتِهَا عَلَى مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ الْعِدَّةِ..» .

(٦٩) انظر: "المرجع السابق "(٤/ ١١٧-١١٨) .

(٧٠) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ١٧١) .

هذه المزايا وغيرها مما لا يتسع المقام لذكره، لهذا الرسول الكريم ﷺ تعطي بداهة عند أولى النهى والألباب مكانة واعتباراً وإجلالاً لسنة محمد ﷺ، **وأنها براهين ساطعة وحجج قاطعة مع القرآن جنباً إلى جنب في كل أبواب الدِّين والدّنيا في العقائد والعبادات والمعاملات والسياسة والاجتماع والاقتصاد.**

ومن رأى أو قال غير هذا فقد تاه، وضل ضلالاً مبيناً، وشاق الله ورسوله، واتبع غير سبيل المؤمنين...» .

ثم ذكر الشيخ حفظه الله تعالى جملة من الأحاديث النبوية التي تدل على مكانة السنة النبوية، وأنه لا فرق بينها وبين القرآن في الاستدلال والاحتجاج على مسائل العقيدة وغيرها، فقال حفظه الله تعالى:« ومن السنَّة: ما جاء عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي» (٧١).

وعن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يوشك الرجل متَّكأً على أريكته يحدِّث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز

(٧١) أخرجه مالك في الموطأ(٢/ ٨٩٩) بلاغا، والحاكم في المستدرك(٢/ ٨٩٩) متصلا مرفوعا، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢٩٣٧)، وقال ابن عبد البر في التمهيد(٢٤/ ٣٣١): وهذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ، عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد. (ربيع) .

وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإنَّما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرَّم الله »(٧٢).

وعن أبي رافع رضي الله عنه ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا ألفينَّ أحدكم متَّكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه »(٧٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: « كلُّ أمتي يدخلون الجنَّة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟، قال: "من أطاعني دخل الجنَّة، ومن عصاني فقد أبى"»(٧٤).

وعن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: « إنّما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم! إنِّي رأيت الجيش بعينيَّ، وإنِّي أنا النذير العريان، فالنَّجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت

(٧٢) أخرجه ابن ماجة في مقدمة السنن(١/ ٦) حديث (١٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة حديث(١٢)، وأخرجه أبو داود في السنة حديث(٤٦٠٤) بلفظ أطول و فيه:«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه...»، وأخرجه الترمذي في العلم، حديث(٢٦٦٤)، (ربيع) .

(٧٣) أخرجه أبو داود في السنة حديث (٤٦٠٥)، والترمذي في العلم حديث (٢٦٦٣)، وابن ماجه في المقدمة حديث (١٣)، وإسناده صحيح وصححه الألباني في صحيح أبي داود وصحيح ابن ماجة، (ربيع).

(٧٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام حديث (٧٢٨٠)، (ربيع).

طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتَّبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق»(٧٥).

ثم قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى:

الفصل الثاني: « منزلة السنة عند الصحابة الكرام فمن بعدهم من خيار الأمة وسادتها .

قال:«...وقد يكون حكم المسألة الكبيرة في القرآن والسنة، فيكتفي الصحابة في الاستدلال عليها ببعض من السنة، فلا يسمع معارضاً لا من الصحابة، ولا من التابعين؛ **لأن سنَّة محمد ﷺ عندهم جميعاً حجة وأي حجة مثل القرآن، ولها عندهم منزلة وأي منـزلة.**

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسـابه على الله»، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها، قال عمر رضي الله عنه :

---

(٧٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام حديث (٧٢٨٣)، ومسلم حديث (٢٢٨٣)، (ربيع) .

فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنَّه الحق »(٧٦).

إنَّ كُلاًّ من أبي بكر وعمر قد احتج بالسنة في حضور الصحابة الكرام وأقرُّوهما على هذا الاستدلال، وهما أفضل الصحابة، وفي المسألة نصَّان من القرآن الكريم، وهما: قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[التوبة: ٥]، وترجح رأي أبي بكر؛ لأنَّ مانعي الزكاة أخلوا بشروط العصمة الواردة في الحديث الذي استدل به عمر وفي الآيتين المذكورتين وفي غيرهما.

والشاهد أن في احتجاج أبي بكر وعمر بالسنة في مسألة عظيمة منصوص عليها في القرآن وبحضور الصحابة الكرام دليل واضح على منزلة السنة عند الصحابة جميعاً، وأنه لا ينكر على أحد إذا سلك هذا المنهج، وأن للمسلم أن يسلك هذا المنهج وله أن يجمع بين القرآن والسنة، وله أن يكتفي بالنص من القرآن؛ شريطة أن يكون استدلاله صحيحاً بعيداً عن اتباع الهوى وتتبع المتشابهات كما هو فعل أهل الأهواء والزيغ، ومنهم أعداء السنة وخصومها.

٤- ولما قال معبد الجهني وجماعة معه في البصرة بالقدر، وبلغ ذلك ابن عمر من طريق يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن الحميري قال ابن عمر: « فإذا لقيت

(٧٦) البخاري في الزكاة حديث (١٤٠٠) ومسلم في الإيمان حديث (٢٠)، (ربيع) .

أولئك فأخبرهم إنِّي بريئ منهم وأنَّهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»، ثم روى عن أبيه الحديث المشهور الذي فيه سؤال جبريل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأجابه رسول الله ﷺ على أسئلته إجابة شافية، ومن إجابته عن السؤال عن الإيمان قوله: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٧٧).

والشاهد أن الصحابي الجليل عبدالله بن عمر اكتفى في هذه المسألة العقدية الكبيرة بالاحتجاج بالسنة النبوية مع أن هناك آيات في الإيمان بالقدر، وفي هذا دليل على منزلة السنة عند أصحاب محمد ﷺ .

والأدلة من تصرفاتهم كثيرة لا يتسع المقام لسردها.

٥- وعن سالم بن عبدالله بن عمر أن عبد الله بن عمر قال:« سمعت رسول الله ﷺ يقول:« لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم إليها » قال: فقال بلال بن عبدالله: والله لنمنعهنَّ، قال: فأقبل عليه عبدالله فسبَّه سباً سيِّئاً ما سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: «والله لنمنعهنّ »(٧٨)... .

(٧٧) صحيح مسلم الإيمان حديث (١)، (ربيع)..

(٧٨) صحيح مسلم الصلاة حديث (٤٤٢)، (ربيع)..

هذه هي منزلة السنة النبوية عند أصحاب رسول الله ﷺ، ثم سار على نهجهم التابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى في تعظيم سنة رسول الله ﷺ، يحتجون بها في كل جوانب الدين العقدية والعملية، ويعملون بها في كل شؤون حياتهم ويشدون الرحال إلى مختلف البلدان لحفظها وتدوينها ونشرها وتعليمها كما سبقت الإشارة إلى ذلك »(٧٩) .

(٧٩) انظر: "المرجع السابق "(٥/ ١٤-٢٠).

المبحث الرابع

الاحتجاج بالسنة الثابتة كلها من غير تفريق بين المتواتر منها والآحاد .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شدة اهتمامهم و عنايتهم بالسنة، وحفظهم ورعايتهم لها .

المطلب الثاني: في إفادة خبر الواحد العلم عند أهل السنة خلافا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع .

المطلب الثالث: الاستدلال والاحتجاج بخبر الواحد في العقائد .

المطلب الأول

شدة اهتمامهم و عنايتهم بالسنة، وحفظهم ورعايتهم لها .

من ميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي امتازوا بها عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع: اهتمامهم بالسنة النبويه، وحفظهم لها، وشدة عنايتهم بها .

وفي ذلك يقول العلامة المحدث ربيع المدخلي حفظه الله تعالى:« الحمد لله الذي بعث إلينا رسولاً من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة .

والحكمة هي السنة النبوية المطهرة، وشرَّف هذا الرسول العظيم بأن أسند إليه بيان هذا القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فقام رسول الله ﷺ ببيان هذا القرآن بياناً شافياً بأقواله وأفعاله و تقريراته يفصِّل مجملات هذا القرآن العظيم ويخصِّص عموماته ويقيِّد مطلقاته .

وتعهَّد الله بحفظ هذا الذِّكر الحكيم القرآن العظيم، والله عز وجل لا يخلف وعده ومن أصدق من الله قيلا .

ومن جملة هذا الذِّكر وهو الوحي هذه السنة وهذه الحكمة ألا وهي سنة رسول الله ﷺ .

فلا يتم هذا الحفظ الذي وعد الله به إلا بحفظ السنة المطهرة؛ كيف لا وهي من جملة الذِّكر الذي وعد الله بحفظه .

فهيَّأ الله هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وعلى رأسهم صحابة محمد ﷺ، ثم التابعون لهم بإحسان، فحفظوا في صدورهم ألفاظ السنة ومعانيها ودانوا بها عقيدةً وعملاً، لا يفرّقون بينها وبين القرآن، لا في عقيدة ولا في أحكام وعمل، وتلاهم من سار على نهجهم من أهل الحديث والسنة فأكبُّوا على حفظها، وتلقيها من علمائها وحفاظها سماعاً ومجالسة وملازمة، ثم قاموا بالرحلات الطويلة الشاقة إلى مختلف البلدان والأقطار، فيرحل أحدهم من أقصى المشرق الإسلامي إلى أقصى مغربه والعكس، ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب والعكس، حتى إنَّ أحدهم ليرحل الشهر واللَّيالي والأيام من أجل حديث واحد، لأن حب هذه السنة المطهرة واحترامها ومكانتها العظيمة احتلت سويداء قلوبهم واستولت – ونعم الاستيلاء – على مشاعرهم فهانت عليهم في سبيلها المشاق فسطّروها في الصحائف كما سطروها في سويداء القلوب .

واهتموا بمعرفة رجالها ورواتها فلا يأخذونها إلا من الصادقين الأمناء ولا يقبلونها من الكذَّابين والمتَّهمين والضُّعفاء، وذلك كلُّه وغيره تحقيقاً لوعد الله بحفظ دينه وذكره »(٨٠) .

(٨٠) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ١٧١-١٧٢) .

وقال حفظه الله: « ينبغي أولاً أن يدرك العقلاء الفروق بين أهل السنة وبين الفرق الضالة .

فأصل أهل السنة والجماعة الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع سبيل المؤمنين المعبر عنه بالإجماع، فدينهم مبني على هذه الأصول... .

ولذا يجد المطلع على التاريخ:

-أنهم هم الذين اعتنوا بالقرآن وعلومه، وألفوا في ذلك كتب التفسير وأصوله .

-وأنهم هم الذين اشتدت عنايتهم بالسنة، وألفوا فيها أنواع العلوم حتى يقال: إنها بلغت مائة نوع، فمنها:

أنهم ألفوا المصنفات كمصنف ابن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق .

والمسانيد وهي كثيرة، منها مسند أحمد، وإسحاق .

والصحاح ومنها «الصحيحين» للبخاري ومسلم .

والسنن ومنها السنن الأربع .

والمعاجم منها معاجم الطبراني .

والجوامع والفوائد والأجزاء .

ومنها عنايتهم بعلوم الرجال، ومنها كتب الجرح والتعديل وهي كثيرة جدًّا، كما ألَّفوا كتباً في بيان العلل، وكتباً في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كل ذلك عناية بدينهم وحماية له »(٨١) .

وقال حفظه الله:« ومن الأسباب الواضحة: اهتمام الصحابة بتبليغ رسالة محمد ﷺ، والاهتمام بالجهاد في نشرها...وحافظوا على سنة نبيهم ﷺ، فلم يَضِع منها شيء، **وتبعهم وراثهم بإحسان في المحافظة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وحفظهما في الصدور والسطور**»(٨٢) .

وقال حفظه الله وسدده وهو يرد على شبهات الضال: محمد صدقي، حول السنة:

« **الشبهة العشرون:**

قول محمد صدقي: لم يعتن المسلمون بحفظها(أي: السنة) في صدورهم كما اعتنوا بحفظ القرآن الشريف، فإذا كان هذا هو حال الأحاديث وما قاله المسلمون فيها، وما عملوه بها، فأي فائدة منها ترجون، وأي ثقة بها تثقون؟... .

قال الشيخ ربيع نصره الله:« والجواب من وجوه:

---

(٨١) انظر: "المرجع السابق "(١٢/ ٣٦٨) .

(٨٢) انظر: "المرجع السابق "(١١/ ٦٥١-٦٥٢) .

١- أن المسلمين من عهد الرسول ﷺ في الجملة وهم يعتنون بالقرآن والسنة حفظاً وعملاً بهما... .إلى أن قال:« فإذا كان هذا هو حال الأحاديث الشريفة عندك وعند أمثالك وأسلافك المندسين في المسلمين، وحالها عند اليهود والنصارى، ولا سيما المستشرقين؛ فإنَّ لها عند المسلمين حالاً آخر مضادًّا لما تفتريه على السنة النبوية وعلى علمائها؛ إن لها حالاً آخر عندهم هو احترامها وإجلالها والتزامها في عقائدهم وعباداتهم وسائر شؤون حياتهم جنباً إلى جنب مع نصوص القرآن الكريم، وهم على هذه الحال من عهد الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولقد لقيت من العناية العظيمة من الحفظ لنصوصها والعمل بها والرحلات في سبيلها، حتى إنَّه ليرحل الرجل مسافة الشهر وأكثر من أجل حديث واحد، بدأً من الصحابة رضي الله عنهم ، وألَّفوا فيها وفي العلوم التي تخدمها ما تزخر به المكتبات في شرق العالم الإسلامي وغربه، وأنشئوا لها المدارس إلى جانب مساجدهم التي تخرج الألوف من فحول العلماء وخاصة في السنة.

فهذا حالها عند المسلمين أما عند أعدائها من الزنادقة وغلاة الرفض والباطنية وسائر أعداء السنة فحال آخر، وقد تصدَّى لفضحهم وإهانتهم وإخزائهم علماء الإسلام والسنة على امتداد العصور، بما فيهم محمد توفيق وأمثاله من أفراخ الزنادقة والمستشرقين ووراث الحقد على الإسلام فهذا هو ما يقوله المسلمون ويعملونه » .

ثم بين حفظه الله تعالى وأعلى ذكره في سياق رده كذلك على السفيه محمد صدقي: بأن عز المسلمين في التمسك بسنة نبيهم والاهتمام بها، والعناية بها وتعظيمها؛ بل لا قيمة للمسلمين بدونها، وأن العناية بها من أعظم أسباب الفلاح والفوز والنجاح، فقال:

« يرجوا المسلمون من إجلالها واحترامها والتمسك بها الفوز والفلاح في الآخرة واستقامة حياتهم في هذه الدنيا.

فلا قيمة لحياة المسلمين بدونها ودون الاستضاءة بنورها؛ فالحياة بدونها خسران مبين، وضلال مهين، وغضب من رب العالمين، والله لحديث واحد منها خير من الدنيا وما عليها..، هذه بعض فوائدها وبها وبالقرآن ساد سلف هذه الأمة الدنيا وساسوها، وفتحت بهما الشعوب والقلوب، وذلت لهما أعناق الجبابرة والملاحدة والزنادقة، وعتاة اليهود والمجوس والنصارى، وبضعف المسلمين في التزامها وتطبيقها نزل بهم من الذل والهوان ما نزل ولا يرفع عنهم ما نزل بهم من ذلك إلا بالعودة إليها »(٨٣) .

ولشدة عناية أهل السنة والجماعة السلفيين بالسنة وخدمتهم لها؛ فقد أغناهم الله بها ولم يحوجهم إلى غيرها، في جميع أمور دينهم، ولم يحوجهم سبحانه أيضًا إلى ما عند غيرهم من البدع والضلالات، في الوقت الذي صار جميع الناس،

(٨٣) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ١٧٩-١٨١) .

وجميع الطوائف عالة عليهم، وفي أمس الحاجة والافتقار إلى ما عندهم من العلوم، وهذا في الحقيقة يعد إكرامًا من الله تعالى لأهل السنة، لأجل احتفائهم بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وتعظيمهم لهما وشدة عنايتهم بهما .

يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله مقررًا لما سبق:« أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، وهم مرجع الناس في العقيدة، وفي أبواب العلم كلِّها؛ فالفقهاء والمفسِّرون والمؤرِّخون وسائر طوائف الأمة محتاجة أشدَّ الحاجة إلى ما عند أهل الحديث من عقيدة، وبيان الأحاديث، والتفريق بين صحيحها وضعيفها، ومعرفة الرجال صادقهم من كاذبهم، وضعيفهم من قويهم؛ إذ لا يجدون هذا إلا عند أهل الحديث وهم عالة عليهم رضي الله عنهم ، ولهذا أخبر الرسول ﷺ أن الحق معهم، وأنَّهم هم أهل النجاة، بقوله:« لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»(٨٤) .

هذه الطائفة.. هي الطائفة الناجية؛ لأنها نهضت بأعباء الإسلام عقيدة ومنهجًا وعبادةً وأخلاقًا وبيانًا وتدوينًا لعلوم رسول الله ﷺ؛ بل هم عالة عليهم في التفسير؛ فتجدهم أئمة في التفسير، تجد عبد الرزاق من أئمة الحديث فسَّر القرآن، وابن أبي حاتم من أئمة الحديث فسَّر القرآن، وابن جرير الطبري من

(٨٤) سبق تخريجه .

أئمة الحديث فسَّر القرآن الكريم، والإمام البغوي من أئمة الحديث وقام بتفسير القرآن؛ التفسير المعتمد- تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة- لا تجده إلا عند هؤلاء، ولا تجده عند سائر الطوائف الأخرى.. .

فالعمدة في أبواب العقائد، وفي صحة الأحاديث وضعفها، وفي تمييز الحديث الصحيح من ضعيفه وبيان الرجال، كلُّ هذا عند أهل الحديث؛ فحُقَّ لمن يشهد لهم أن يشهد أنهم أهل الحق، وأنهم الطائفة المنصورة التي نص عليها رسول الله ﷺ »(٨٥) .

(٨٥) " المرجع السابق "(٢/ ١٠-١١) .

المطلب الثاني

في إفادة خبر الواحد(٨٦) العلم عند أهل السنة خلافًا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع

وقد كتب العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله ورعاه في هذه المسألة عدة كتب ومقالات، نصر فيها مذهب أهل السنة، ورد على من خالفهم من أهل الأهواء والبدع، من المتقدمين والمتأخرين، ومما سطرته يداه، ودبَّجته يراعه، في هذه المسألة، قوله ردًّا على أحد الحزبيين من أتباع أبي الحسن المأربي:

« هناك مذهبان رئيسيان في هذه المسألة :

١ – **قول أهل السنة وأهل الحديث قاطبة** بأن أخبار الآحاد التي تلقتها الأمة بالقبول تصديقاً بها أو عملاً بموجبها تفيد العلم اليقيني، وهذا القول دل عليه عشرات الأدلة في الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من هذه الأمة .

---

(٨٦) المراد بخبر الواحد: حديث الآحاد، وهو الحديث الَّذِي لم تبلغ نقلته فِي الْكَثْرَة مبلغ الْخَبَر الْمُتَوَاتر سَوَاء كَانَ الْمخبر وَاحِدًا أَو اثْنَيْنِ أَو ثَلَاثَة أَو أَرْبَعَة أَو خَمْسَة إِلَى غير ذَلِك من الْأَعداد الَّتِي لَا تشعر بِأَن الْخَبَر دخل بهَا فِي حيّز الْمُتَوَاتر .
وأما المتواتر: فهُوَ مَا يَكُونُ مُسْتَقْرًا فِي جَمِيعِ طَبَقَاتِهِ، أَنَّهُ مِنَ الِابْتِدَاءِ إِلَى الِانْتِهَاءِ وَرَدَ عَنْ جَمَاعَةٍ غَيْرِ مَحْصُورِينَ فِي عَدَدٍ مُعَيَّنٍ، وَلَا صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، بَلْ بِحَيْثُ يَرْتَقُونَ إِلَى حَدٍّ تُحِيلُ الْعَادَةُ مَعَهُ تَوَاطُؤَهُمْ عَلَى الْكَذِبِ، أَوْ وُقُوعَ الْغَلَطِ مِنْهُمُ اتِّفَاقًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ. وَبِالنَّظَرِ لِهَذَا خَاصَّةً يَكُونُ الْعَدَدُ فِي طَبَقَةٍ كَثِيرًا، وَفِي أُخْرَى قَلِيلًا ؛ إِذِ الصِّفَاتُ الْعَلِيَّةُ فِي الرُّوَاةِ تَقُومُ مَقَامَ الْعَدَدِ أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهِ.
هَذَا كُلُّهُ مَعَ كَوْنِ مُسْتَنَدِ انْتِهَائِهِ الْحِسَّ ؛ مِنْ مُشَاهَدَةٍ أَوْ سَمَاعٍ » انظر" النزهة"، و"توجيه النظر"، و"فتح المغيث" وغيرها من كتب المصطلح » .

وهذا القول هو القول الحق الذي لا يجوز خلافه .

وضَّح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في "فتاواه" وغيرها، والإمام ابن القيم في "الصواعق المرسلة" وقبلهم ابن حزم في كتاب "الإحكام في أصول الأحكام" والحافظ ابن حجر في "النكت على ابن الصلاح" والبلقيني في "محاسن الاصطلاح"، وتتابع السلف في ذلك، وأهل الحديث وجماهير العلماء من السلف والخلف فمن حاد عن هذا المنهج الحق بعد العلم به فقد ضل سواء السبيل واتبع أهل الضلال .

٢- قول المعتزلة والخوارج والروافض ومن قلدهم من الأشاعرة وعدداً ممن قلدهم من الفقهاء، قالوا: « بأن أخبار الآحاد تفيد الظن » **ولا يعبأ بقول هؤلاء فهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ولا يصير هذا الباطل حقاً وإن قال به من قال .**

والتعلق بهؤلاء القلة المقلدين من الفقهاء الذين لم يعرفوا مذهب السلف في هذه القضية ولا أدلتهم، تعلق بالباطل النابع عن الهوى ومخالف للكتاب والسنة .

فالله يقول: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[النساء:٥٩].

ويقول: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠] .

ويقول رسول الله ﷺ: « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين »(٨٧) أي: في مواطن الاختلاف .

فهذا هو المنهج الذي يجب أن يسلكه المسلم في قضايا الخلاف وقد بيَّنا هذا فيما سلف .

فإن المرجع هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح، وقد تولى الفصل في هذه القضية أهل الحديث قاطبة وجماهير السلف والخلف، كما نقل ذلك الإمام ابن تيمية وابن القيم وابن حجر وغيرهم، بل حكى ابن حزم وابن القيم الإجماع على ذلك فليست المسألة موقوفة على توجيهات مثل هذا المسكين ولا تنتظر أحكاماً من المعاصرين.

٣-وقولك: « فيها تفصيل لما قد غاب عن كثير من إخواننا الذين تكلموا في تبديع أبي الحسن » .

أقول: جنايات أبي الحسن على الأصول السلفية كثيرة ومع ذلك لم يبدِّعه أهل البيان وليتهم بدَّعوه .

---

(٨٧) قطعة من حديث العرباض المشهور، رواه أحمد (٤ / ١٢٦، ١٢٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود (٤٦٠٧) ، وابن ماجه (٤٢) ، والحاكم (١ / ٩٥، ٩٦، ٩٧) ، وابن أبي عاصم (٣١، ٥٤)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٧٣٥) .

وأما التفصيل الذي تُردِّد ذكره ولا تُبيِّن فيه الحق من الباطل ولا كيفية هذا التفصيل فهذا من التمويه الذي تسير عليه الطائفة العرعورية .

والحق يقال أن هناك مذهبان ظاهران دار فيهما الصراع بين أهل الحق والباطل وقد ذكرناهما سلفاً .

وبقي أن يقال: إن من أهل السنة من يرى أن أخبار الآحاد التي لم تحتف بها القرائن تفيد الظن الراجح، ومنهم من يقول: إن هذا النوع أيضاً يفيد العلم، وبه يقول الإمام مالك وجماعة من أصحابه، والإمام أحمد وجماعة من أصحابه، وبه يقول جمهور أهل الحديث والظاهرية .

وأما الأخبار الصحيحة المتلقات من الأمة بالقبول أو احتفت بها القرائن فإنها عند أهل السنة وأهل الحديث قاطبة وعند جماهير السلف والخلف إنَّما تفيد العلم، وعند أهل الضلال إنَّما تفيد الظن .

فهذا هو التفصيل الذي يجب توضيحه وما عداه فهو تمويه كفى الله شر أهله .

٤- وقولك :« وكأن أبا الحسن قد قال قولة أهل البدع... إلخ » .

يقال: نعم إن أبا الحسن قد قال بقولة أهل البدع من المعتزلة والخوارج والروافض **، وخالف أهل السنة الذين قام قولهم على الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وما**

سار عليه أئمة الإسلام وأهل الحديث قاطبة وجماهير السلف والخلف من هذه الأمة .

وليس للمعتزلة ومن تابعهم دليل لا من كتاب ولا من سنة »(٨٨) .

** فصل **

عقد العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى في المرجع السابق فصلاً، تحت عنوان:

"موقف العلماء من القائلين بأنَّ أخبار الأحاد تفيد الظن"

نقل فيه عن عدد من الأئمة القول بإفادة خبر الواحد للعلم، والرد على من قال بأنه يفيد مجرَّد الظن، فقال:

«١- قال أبو محمد ابن حزم رحمه الله في "الإحكام" (ص١٠٢) بعد أن ساق الأدلة على أن خبر الواحد العدل يوجب العلم والعمل، ويجب قبوله وساق الإجماع على ذلك قال: « فصحَّ بهذا إجماع الأمة كلها على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ، وأيضاً؛ فإن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ، يجري على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة والخوارج والقدرية حتى حدث متكلِّموا المعتزلة بعد المئة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك » .

---

(٨٨) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ١٧٩-١٨١) .

أقول(الشيخ ربيع): أليس من يقول: إن أخبار الآحاد تفيد الظن مخالف للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ثم من بعدهم من كل الفرق إلى أن حمل لواء هذه البدعة متكلِّموا المعتزلة معتمدين في هذه البدعة على عقولهم الفاسدة وفلسفتهم الكاسدة .

٢- قال الإمام أبو المظفر السمعاني في كتاب "الحجة في بيان المحجة" (ص٢١٤-٢١٧) : « فصل: ونشتغل الآن بالجواب عن قولهم فيما سبق:« إن أخبار الآحاد لا تقبل فيما طريقه العلم، وهذا رأس شغب المبتدعة في ردِّ الأخبار، وطلب الدليل من النظر، والاعتبار فنقول وبالله التوفيق:

إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ورواه الثقات والأئمة، وأسندوه خَلَفُهم عن سَلَفِهم إلى رسول الله ﷺ وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم.

هذا قول عامَّة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدريَّة والمعتزلة(٨٩) وكان قصدهم منه ردَّ الأخبار .

(٨٩) وهم الذين اخترعوا أيضًا تقسيم الحديث إلى متواتر وأحاد، وأن المتواتر يفيد العلم، والآحاد لا يفيد إلا مجرد الظن، ثم تلقفه عنهم كثير من الفقهاء والأصوليين، وأدخلوه في علوم الحديث، قال ابن الصلاح "في المقدمة"(ص٢٦٧):« مِنَ الْمَشْهُورِ (الْمُتَوَاتِرُ الْمَعْرُوفُ فِي الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ وَلَا يَذْكُرُهُ الْمُحَدِّثُونَ) بِاسْمِهِ الْخَاصِّ الْمُشْعِرِ بِمَعْنَاهُ الْخَاصِّ، وَإِنْ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْخَطِيبِ؛ فَفِي كَلَامِهِ مَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ اتَّبَعَ فِيهِ غَيْرَ أَهْلِ الْحَدِيثِ..» .

وتلقَّفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول .

ولو أنصف الفرق من الأمة لأقرُّوا بأنَّ خبر الواحد يوجب العلم، فإنَّهم تراهم مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد .

ترى أصحاب القدر يستدلون بقوله: « كل مولود يولد على الفطرة »(٩٠) .

وبقوله: « خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم »(٩١).

وترى أهل الإرجاء يستدلون بقوله: « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »، قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال:« نعم وإن زنى وإن سرق »(٩٢).

وقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله كما في "تحفة المجيب" (ص: ٩٨) وهو يتحدث عن كتب مصطلح الحديث:« قد دخلها دخيل من كتب الفقهاء، من الأمثلة على هذا تقسيم الحديث إلى متواتر وآحاد، فهذا من كتب الفقهاء، والفقهاء أخذوه عن إبراهيم بن علية، وعبد الرحمن بن كيسان الأصم فهما مبتدعان » .

وقال رحمه الله في كتابه "المقترح"(ص:١٧٣):« أما تقسيم الحديث إلى آحاد و متواتر فهو تقسيم مبتدع، أول من ابتدع هذا هو عبد الرحمن بن كيسان الأصم، وتبعه على ذلك تلميذه إبراهيم بن إسماعيل علية » .

(٩٠) أخرجه البُخَارِيّ (١٢٩٣) ، وَمُسلم (٢٦٥٨) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

(٩١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه .

(٩٢) أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ، ومسلم (الإيمان / ١٥٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

وترى الرافضة يستدلون بقوله:« يجاء بقوم من أصحابي فيسلك بهم ذات الشمال، فأقول: « أصيحابي أصيحابي » فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم »(٩٣).

وترى الخوارج يستدلون بقوله: « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٩٤).

وبقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »(٩٥).

إلى غير هذا من الأحاديث التي يستدل لها أهل الفرق .

ومشهور ومعلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث، ورجوعهم إليها، فهذا إجماع منهم على القول بأخبار الآحاد .

وكذلك أجمع أهل الإسلام متقدِّموهم ومتأخِّروهم على رواية الأحاديث في صفات الله وفي مسائل القدر، والرؤية، وأصل الإيمان، والشفاعة والحوض، وإخراج الموحدين المذنبين من النار، وفي صفة الجنة والنار، وفي الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وفي فضائل النبي ﷺ، ومناقب أصحابه، وأخبار

(٩٣) أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وجاء عن غيره.

(٩٤) أخرجه البخاري (٦٠٤٤) ، ومسلم (١١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٩٥) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الأنبياء المتقدمين عليهم السلام، وكذلك أخبار الرقائق والعظات، وما أشبه ذلك مما يكثر عدَّه وذكره، وهذه الأشياء كلها علمية لا عملية ، وإنما تروى لوقوع علم السامع بها .

فإذا قلنا: إن خبر الواحد لا يجوز أن يوجب العلم، حملنا أمر الأمة في نقل الأخبار على الخطأ، وجعلناهم لاغين مشتغلين بما لا يفيد أحداً شيئاً، ولا ينفعه، ويصير كأنهم قد دونوا في أمور مالا يجوز الرجوع إليه والاعتماد عليه، وربما يرتقي هذا القول إلى أعظم من هذا؛ فإن النبي ﷺ أدَّى هذا الدّين إلى الواحد فالواحد من أصحابه، ليؤدوه إلى الأمة، ونقلوا عنه، فإذا لم يقبل قول الراوي لأنه واحد رجع هذا العيب إلى المؤدّي، نعوذ بالله من هذا القول الشنيع والاعتقاد القبيح » .

قال الشيخ ربيع: انظر إلى هذه الالزامات القوية التي ألزم بها الإمام السمعاني هذه الفرق التي تدعي أن أخبار الآحاد الصحيحة تفيد الظن، ولا يخدعنّك من يقول: إن المسألة خلافية بين أهل السنة؛ فإنّ الخلاف إنّما هو بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن سار على نهجهم، وبين أهل الضلال، ومن قلّد من المنتسبين إلى السنة فلا قيمة لخلافه القائم على تقليد أهل الضلال .

فغاية أمره أن يعتذر له إذا لم يعاند أما أن يجعل خلافه حجة فلا .

أما من يعرف أنه خالف إجماع الصحابة ومن بعدهم من أئمة الهدى ثم يعاند ويحارب فهذا لا يكون إلا من أهل الضلال .

٣- أدخل ابن القيم رحمه الله موقف أهل البدع من أخبار الآحاد النبوية تحت كسر طاغوت تعطيل صفات الله(٩٦) .

ثم قال في (٢/ ٣٦٢): « ومن له أدنى إلمام بالسنة والتفات إليها يعلم ذلك ولولا وضوح الأمر في ذلك لذكرنا أكثر من مائة موضع .

فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله ﷺ خرقوا به:

١- إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة .

٢- وإجماع التابعين .

٣- وإجماع أئمة الإسلام .

ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج الذين انتهكوا هذه الحرمة وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء .

و إلاَّ فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك بل صرَّح الأئمة بخلاف قولهم » .

ونقل أقوال أئمة الإسلام في ذلك .

---

(٩٦) انظر: "الصواعق المرسلة" (٢/ ٣٣٢) .

أقول (الشيخ ربيع):

١- فيرى الإمام ابن القيم أن القول بأن أخبار الآحاد تفيد الظن يدخل ضمن الطواغيت مثل: التأويل والقول بالمجاز .

٢- وأنهم بهذا القول الباطل قد خرقوا إجماع الصحابة وإجماع التابعين وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا أهل الضلال من الجهمية والمعتزلة والرافضية والخوارج .

وهذا لا يعجب أبا الحسن وأمثاله(٩٧) بل هو غُصَّة في حلوقهم .

وقال(ابن القيم) في (ص٤٠٦): « إذا صح الخبر عن رسول الله ﷺ، ورواه الثقات والأئمة وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى النبي ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول فإنَّه يوجب العلم فيما سبيله العلم » .

هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة، وأما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال فلا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به حتى أخبر عنه القدرية والمعتزلة(٩٨) وكان قصدهم منه ردَّ الأخبار

---

(٩٧) أي: من الحزبيين والمبتدعة الخارقين لحرمة إجماع السلف، بقولهم: بأن أخبار الآحاد لا تفيد إلا مجرد الظن!

(٩٨) فهؤلاء الضلال من القدرية والمعتزلة الذين سلكوا غير سبيل المؤمنين هم أسوة كل من يقول: إن أخبار الآحاد الصحيحة بشروطها تفيد الظن وقلدهم هؤلاء الفقهاء الذين ليس لهم في العلم قدم ثابت وهم الذين يتستر بهم أبو الحسن فيقول: كما قرره غير واحد من العلماء، (ربيع) .

وتلقَّفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول.

٤- وقال ابن عبد الهادي(٩٩):« الوجه التاسع: أن تعظيمه هو موافقته في محبة ما يحب، وكراهة ما يكره، والرضا بما يرضى به، وفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والمبادرة إلى ما رغب فيه، والبعد عمَّا حذَّر منه، وأن لا يتقدم بين يديه، ولا يقدِّم على قوله قول أحد سواه، ولا يعارض ما جاء به بمعقول، ثم يقدم المعقول عليه، كما يقوله أئمة هذا المعترض الذين تلقى عنهم أصول دينه، وقدم آراءهم وهواجس ظنونهم على كلام الله ورسوله، ثم ينسب ورثة الرسول الواقفين مع أقواله المخالفين لما خالفها إلى ترك التعظيم والتنقص، وأي إخلال بتعظيمه، وأي تنقص فوق من عزل كلام الرسول عن إفادة اليقين، وقدم عليه آراء الرجال، وزعم أن العقل يعارض ما جاء به، وأن الواجب تقديم المعقول وآراء الرجال على قوله.. » .

قال الشيخ ربيع حفظه الله: الشاهد في قوله رحمه الله (أي: ابن عبد الهادي):

« وأي تنقص فوق من عزل كلام الرسول ﷺ عن إفادة اليقين وقدم عليه أراء الرجال » .

(٩٩) في "الصارم المنكي" (ص٤٤٩) تحقيق الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري .

ثم قال العلامة ربيع المدخلي: فهذا هو موقف العلماء الصادقين الغيورين على سنة رسول الله ﷺ، والذَّابِّيـن عن حياضها والحامين لحماها .

وهو الذي يجب أن يقفه السني الصادق تجاه أعداء الإسلام وخصوم أهل السنة من العقلانيين والمبتدعين من سائر الفرق، لا أن يحشد لهم الشبه(١٠٠) ويسير في ركاب من يمسكون بوسط العصى في كثير من قضايا الإسلام الأساسية من أشاعرة وغيرهم من المقلدين لأهل البدع والأهواء والمترسّمين لخطاهم في كثير من الأبواب »(١٠١) .

** تنبيه **

كتب العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله ورعاه، عدة كتب ومقالات، بيَّن فيها منهج أهل السنة في هذا الباب، منها: "موقف أبي الحسن من أخبار الآحاد" و "براءة أهل السنة مما نسبه إليهم ذوو الفتنة" و "مناقشة أبي الحسن في أخبار الآحاد" .

كما كتب وفقه الله وعفا عنه مقالا بعنوان:

"حجج وبراهين أهل السنة على أن أخبار الآحاد تفيد العلم"

---

(١٠٠) كما فعل أبو الحسن المأربي ، (ربيع)..

(١٠١) انظر: "المرجع السابق" (١٣/ ٢١٧-٢٢١).

نقل فيه عن العلامة ابن القيم رحمه الله من كتابه: **"الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"** ما يزيد عن عشرين دليلا من الكتاب والسنة .

وكلها مطبوعة ضمن المجلد(١٣) من "مجموعة كتبه ورسائله" فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

المطلب الثالث

الاستدلال والاحتجاج بخبر الواحد في العقائد

من أصول و مميزات أهل السنة والجماعة السلفيين في التلقِّي والاستدلال:

الاحتجاج بخبر الواحد في إثبات العقيدة، من غير تفريق بينه وبين المتواتر خلافًا لأهل البدع.

وقد كتب العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى في تقرير هذا الأصل السلفي كتابًا سماه: "حجية خبر الواحد في العقائد والأحكام"وهو مطبوع ضمن المجلد(٥) من "مجموعة كتب ورسائل" الشيخ حفظه الله .

كما أنه حفظه الله تعالى ورعاه وجعل الجنة مثواه، تناول هذا الموضوع في مواطن كثيرة من ردوده العلمية، وجهاده لأهل البدع والأهواء، أوضح فيها وبيَّن منهج أهل السنة والجماعة السلفيين في الأخذ بأحاديث الآحاد الثابتة في العقيدة .

من ذلك قوله:« أهل السنة والجماعة يقبلون أخبار الآحاد، وأخبار الصحيحين فيها الكثير من المتواترات، وفيها أحاديث من الآحاد، هذه الآحاد تلقاها أفذاذ العلماء وأئمتهم بالقبول، واطمأنّوا إلى أن الرسول ﷺ قد قالها؛ لأنَّها جاءتهم عن طريق مصادر موثوقة، وعن أئمة ثقات فتلقَّوها، ولم يتلقوها تلقي الخرافيين وأهل البدع .

يتلقَّى الخرافيون البدع والترهات والحكايات والمنامات التي توافق أهواءهم، فيقبلونها ويبنون عليها دينهم .

أهل السنة ليسوا كذلك، اشترطوا لقبول الحديث شروطا ولله الحمد، تضمن لهم سلامة العقيدة، وسلامة المنهج، وسلامة المسئولية أمام الله تعالى، فلا يقبلون الحديث إلاَّ إذا رواه العدول عن العدول إلى رسول الله ﷺ، رواية عدل تام الضبط متصل السند غير معلَّل ولا شاذّ .

وعلى هذا الأصل بنوا تلقي الأخبار، ومنها ما هو متواتر فتلقوه بالقبول، ومنها ما جاء من طريق الآحاد الثقات فهذا أيضا تلقوه بالقبول وبنوا عليه عقائدهم، وعباداتهم ومعاملاتهم »(١٠٢) .

وقال سدده الله:« أشيع وكثر الحديث أن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، وأنها لا يحتج بها في باب العقائد، بينما أنت ترى أئمة الإسلام يحتجون بالسنة في إثبات العقائد، والصحابة كما رأيتم يحتجون بالسنة في باب العقائد، وأئمة الحديث إلى يومنا هذا ولله الحمد، يحتجون بالسنة في باب العقائد، ويرون أن الحجة تقوم بها » (١٠٣) .

(١٠٢) انظر: "المرجع السابق" (١٥/ ٩٩-١٠٠) .

(١٠٣) انظر: "المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق "(ص٣١٣) .

** فصل **

وفي سياق تقرير العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى لأصل أهل السنة في الأخذ بآحاديث الآحاد الصحيحة في العقيدة، بيَّن بأن أهل الأهواء والبدع على خلاف ذلك، حيث إنهم أَنِفُوا الأخذ بأخبار الآحاد في العقائد، بدعوى أنها لا تفيد إلا مجرد الظن، والعقائد إنما تبنى على اليقينيات! (١٠٤)

فقال حفظه الله وسدده:« إن تلقي الأمة بالقبول لحديث ما معناه: أنها آمنت به ودانت به، وأن الرسول ﷺ قد قاله، وأن هذا النص قد ثبت عنه ﷺ .

---

(١٠٤) قال العلامة الألباني رحمه الله في رسالته " الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام"(ص٦٠):« عدم الإحتجاج بحديث الآحاد في العقيدة بدعة محدثة:

وبالجملة فأدلة الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوال العلماء تدل دلالة قاطعة – على ما شرحنا – من وجوب الأخذ بحديث الآحاد في كل أبواب الشريعة سواء كان في الإعتقاديات أو العمليات وأن التفريق بينهما بدعة لا يعرفها السلف ولذلك قال العلامة ابن القيم رحمه الله (٣/ ٤١٢):

« وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات "يعني العقيدة" كما تحتج بها في الطلبيات العمليات، ولا سيّما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه دينا، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته، ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته فأين سلف المفرقين بين البابين؟ نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ويحيلون على آراء المتكلمين وقواعد المتكلفين فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمرين ... وادعوا الإجماع على هذا التفريق ولا يحفظ ما جعلوه إجماعا عن إمام من أئمة المسلمين ولا عن أحد من الصحابة » اهـ .

وهذا يا إخوتاه قائم على أصل وهو قبول الأخبار ولو كانت آحادا، إذا جاءتنا عن طريق الثقات عن الثقات إلى رسول الله ﷺ، وهذا منهج أهل السنة والجماعة، وهو منهج الصحابة، ومنهج من تبعهم بإحسان، ومنهج إئمة الهدى .

بخلاف أئمة الضلال من المعتزلة والخوارج والروافض وغيرهم، فإنَّ منهجهم يختلف في تلقي الأخبار، حتى أحياناً أخبار متواترة قد يردُّونها بحجة أنها أخبار آحاد، وأحيانا يتأوَّلون نصوص القرآن القطعية فيخالفون رسول الله ﷺ، وصحابته الكرام ومن سار على منهجهم في تلقي مثل أحاديث الصفات وغيرها من العقائد .

يقولون: النص لابد أن يكون قطعيَّ الثبوت، قطعيَّ الدِّلالة، فإذا كان قطعيَّ الثبوت قطعيَّ الدِّلالة تلقيناه بالقبول وبنينا عليه عقائدنا، وإذا كان قطعيَّ الثبوت ظنيَّ الدِّلالة فإنَّنَا لا نأخذ بهذه الدلالة الظنية في عقائدنا، فيتأوَّلون صفات الله عز وجل من العلو والنزول والمجيء والرضا والغضب، وما شاكل ذلك بهذه التُرَّهات الضالة والعياذ بالله التي أملاها الشيطان على أهل الأهواء»(١٠٥) .

و قال حفظه الله:«...هؤلاء كثير منهم يُشوِّشون على القرآن، ويُشوِّشون على السنة، فيقولون: السنة أخبار آحاد، والأحاديث الصحيحة التي تلقتها الأمة

(١٠٥) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (١٥/ ٩٨-٩٩) .

بالقبول أخبار آحاد ما نحتج بها في العقائد، عندما يحتج أهل السنة بالنصوص القرآنية على إثبات صفات الله يقولون: نصوص القرآن وإن كانت قطعية الثبوت فإنها ظنية الدلالة، والعقائد لا تثبت بالظن .

ومع هذا التعنت والتنطع تجاه نصوص القرآن، والسنن الصحيحة الثابتة، إذا جاءت أحاديث باطلة لا يحتج بها أهل السنة، وهم يحتجون بها في العقائد، إذا جئت إلى باب العقائد وناقشتهم في عقائدهم الفاسدة؛ في تعطيل صفات الله وغيرها قالوا: لا، هذه أخبار آحاد! وهم من جهة أخرى يحتجون بالأباطيل، على ضلالاتهم وخرافاتهم »(١٠٦) .

** فصل **

لقد تأثر بعض الكتاب المعاصرين لا سيما من الحزبيين بأفكار المعتزلة، ومن ذلك عقيدتهم الباطلة في أخبار الآحاد النبوية، وأنها لا تصلح دليلًا في مسائل الاعتقاد.

ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: سيد قطب، والغزالي، وغيرهما... .

وقد انبرى للرد عليهم وبيان ضلالهم حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى وأجزل له المثوبة.

---

(١٠٦) انظر: "المرجع السابق" (١٥/ ٩٩) .

فقال حفظه الله وختم له بالحسنى في معرض رده على سيد قطب تحت عنوان:

"سيِّد لا يقبل أخبار الآحاد الصحيحة في العقيدة؛ بل لا يقبل الأحاديث المتواترة"

« يقول (أي: سيد قطب) في سياق رده للروايات التي تذكر أن النبي ﷺ قد سحره رجل من اليهود:

« وقد وردت روايات، بعضها صحيح ولكنه غير متواتر، وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد ».

قال الشيخ ربيع حفظه الله معلقًا:

فأنت تراه يعترف بصحة بعض الروايات في الموضوع المذكور، ولكنه لا يأخذ بها؛ لأن التواتر عنده شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد.

لكن؛ هذا الشرط ما دليله؟ ومن قاله؟

إنَّهم فرق الضلال من الجهمية والمعتزلة والخوارج الذين جاراهم سيِّد، وخالف جماهير العلماء من السلف والخلف، حيث ذهبوا إلى أن خبر الآحاد إذا تلقته الأمة

بالقبول تصديقاً له وعملاً بموجبه؛ أفاد العلم، وعلى هذا المذهب الصحيح أهل الحديث قاطبة، وأحاديث الصحيحين من هذا النوع...» (١٠٧) .

وقال في معرض رده على الغزالي المصري:

« خذ مثلاً قوله:« والأحاديث الصحاح من رواية الآحاد تفيد العلم المظنون لا العلم المستيقن، وقد اتفق علماؤنا على العمل بها في فروع الشريعة .

ورأيت قلة من الظاهرية والحنابلة يرون العمل بالآحاد في القضايا القطعية بَيْد أن هذا رأي مردود.

وعلى أيَّة حال فعقائدنا تعتمد على نصوص متواترة سواء كان التواتر لفظيا أو معنويا... .

ويقول الغزالي:« إننى آبى كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته، كيف أجازف بعقائد ملة شامخة الدعائم عندما أقول: لا يؤمن بها من لم يؤمن بهذا الحديث » .

أقول(الشيخ ربيع): مهَّد بهذا الكلام لإنكار أحاديث انشقاق القمر الدالة على إحدى المعجزات الكبرى والمدعمة بقول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[القمر:١٢] .

(١٠٧) انظر: "المرجع السابق" (٦/ ١٦٣) .

ولإنكار أحاديث وقوف الشمس لأحد الأنبياء(١٠٨) عليهم الصلاة والسلام الثابتة بالسنة الصحيحة المتلقاة من الأمة بالقبول .

فالرجل يأبي كل الإباء أن يؤمن وأن ينقاد لأحاديث الرسول العظيم ﷺ مهما بلغت من الصحة جاهلاً أو متجاهلًا لأكثر من ثلاثين آية قرآنية تأمر بطاعة رسول الله ﷺ وتحذِّر من مخالفة أمره وتتوعده بعذاب النار والخلود فيها والعياذ بالله ...» إلى أن قال:

« **ملاحظة**: من الجدير بالذِّكر حسب تتبعي لمنهج الأشاعرة أني لم أجدهم - لا سيما المتقدمين منهم - يردون أخبار الآحاد لا في العقائد ولا في غيرها، وإنما نجدهم يسلمون بما لا يتعارض مع عقائدهم، ويتأوَّلون ما يخالفها كما يتأوَّلون نصوص القرآن .

وتفريقهم بين الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد إنما هو أمر نظري، ولها جلالتها ومكانتها عندهم .

وما رأيت أحداً منهم يستخفُّ بأخبار الآحاد أو يحاربها بضراوة كما يفعل الغزالي، وقد ذكرت سلفاً موقفهم منها؛ بل موقف بعض المعتزلة .

---

(١٠٨) رواه البخاري (٥٧)، كتاب فرض الخمس حديث(٣١٢٢)، ومسلم في الجهاد حديث(٣٢)، (ربيع).

فإذا نسب الغزالي إلى الأشاعرة أو إلى غيرهم من أهل السنة أنهم لا يبنون عقائدهم على أخبار الآحاد فذلك راجع إلى أحد أمرين:

إما أنه جاهل بالواقع الذي عليه المنتسبون إلى السنة .

وإما أنه يعرف ذلك ويسلك مسلك المغالطين لترويج مذهبه، وأفكاره الشاذة التي تؤدي إلى نبذ معظم السنن الصحيحة»(١٠٩) .

(١٠٩) انظر: "المرجع السابق" (١١/ ٢٩١-٢٩٩) .

المبحث الخامس

الاحتجاج بالسنة الثابتة وعدم الاعتماد على الروايات الضعيفة

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين في باب التلقي والاستدلال أنهم يعتمدون على ما ثبت من السنة دون ما لم يثبت منها .

وفي تقرير هذه الميزة السلفية يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في سياق رده على أبي غدة ومحمد عوامة:« ما الذي دعاكما إلى الخوض في أمر لا تعرفانه ولا تدركان أبعاده؟

ثم إن لشيخ الإسلام ابن تيمية أهدافا سامية منها **بيان مناهج أئمة الإسلام في الاحتجاج بالسنة وتحريهم فيما يأخذون به في أبواب الدين من العقائد والحلال والحرام، وأنهم لا يحتجون فيما يجب أو يستحب إلا بما ثبت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة والحسنة.**

ثم الرد على من يزعم أن الأئمة ومنهم الإمام أحمد يحتجون بالأحاديث الضعيفة في هذه الأبواب المهمة »(١١٠) .

وقال حفظه الله ورعاه:« ماذا يريد محمد عوامه وشيخه أبو غدة من الإلحاح على هذه القضية تقديم الإمام أحمد الحديث الضعيف على القياس؟.

---

(١١٠) انظر: "المرجع السابق" (٥/ ٥١٦) .

إنهما يريدان توجيه ضربة قاصمة لمنهج الإمام أحمد ومذهبه وأن مذهبه يقوم – لعله إلى حد بعيد – على الأحاديث الضعيفة....

وأنا أسال الشيخين الكريمين من سبقكما إلى جعل المنكر والمردود في القسم الثاني الضعيف، المتوسط الضعف"؟.

وأرجو الإجابة المقنعة:

ألا تعلمان أن المردود، وما في مرتبته من الضعيف الشديد الضعف الذي لا يَنجبر ولا يتقوى بحال، ولا يجوز الاعتبار به فضلا عن الاحتجاج به وبناء الأحكام عليه عند علماء الإسلام وعلى رأسهم أحمد؟! »(١١١) .

وقال حفظه الله وسدده نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله « **ولم يقل أحد من الأئمة أنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً أو مستحبًّا بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع...**

ولا كان أحمد ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن؛ فقد غلط عليه، لكن كان في عرف أحمد ومن قبله من العلماء: أن الحديث ينقسم إلى نوعين: صحيح وضعيف، والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك

(١١١) انظر: "المرجع السابق" (٥/ ٤٤٦-٤٤٧) .

لا يحتج به، وإلى حسن، كما أن ضعف الإنسان بالمرض ينقسم إلى مرض مخوف يمنع التبرع من رأس المال، وإلى ضعيف خفيف لا يمنع ذلك.

وأول من عرف أنه قسم الحديث ثلاثة أقسام: صحيح، وحسن، وضعيف: هو أبو عيسى الترمذي في « جامعه »، والحسن عنده ما تعددت طرقه، ولم يكن في رواته متهم بالكذب وليس بشاذ .

فهذا الحديث وأمثاله يسميه أحمد ضعيفًا ويحتج به؛ و لهذا مثل أحمد الحديث الضعيف الذي يحتج به بحديث عمرو بن شعيب، وإبراهيم الهجري، ونحوهما وهذا مبسوط في موضعه!!».

قال الشيخ ربيع حفظه الله معلِّقًا على كلام شيخ الإسلام:« هذا ما قاله شيخ الإسلام هنا، وكلامه في سائر كتبه في معناه فترى أن الإمام ابن تيمية:

١- ينزه جميع أئمة الإسلام عن أن يثبتوا في دين الله شيئًا واجبًا أو مستحبًا بحديث ضعيف.

أيسوء هذا أبا غدة ومحمد عوامة، فيعز عليهما أن يكون هذا هو موقف أئمة الإسلام؟ أم يصعب عليهما أن يكون هذا هو موقف أحمد؟

٢- نزه ابن تيمية مرة أخرى أئمة الإسلام بقوله:

« ولا كان أحمد ولا أمثاله من الأئمة يعتمـدون على مثل هـذه الأحاديث في الشريعة»، أيشرق أبوغدة وتلميذه وأمثالهما من أهل الأهواء من هذا الكلام؟

فيريدون أن يكون لهم وضع آخر وواقع آخر كواقع الرافضة وغيرهم من فـرق الضلال والجهل.

أم يقصدون الإمام أحمد من بينهم؟ أم ماذا يريدون؟ .

٣- قال شيخ الإسلام: « لكن كان في عرف أحمد ومن قبله من العلماء أن الحديث ينقسم إلى نوعين: صحيح، وضعيف».

والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لا يحتج به وإلى حسن.

فماذا يُحب أبوغدة وعوامة وأمثالهما لأئمة الإسلام بما فيهم الإمام أحمد..؟

أيريدون منهم أن يعتمدوا على الأحاديث المتروكة..؟ فابن تيمية بيَّن واقعهم ونظرتهم إلى المرويات، قسم منها ضعيف متروك ولا يحتجون به ولا كرامة.

وقسم حسن أو في معنى الحسن فهذا يحتجون به.

أفيما نسبه ابن تيمية ما يرفع مكانتهم ويبين منزلتهم في الدين وحراستهم له؟ أم فيه تنقص لهم يوجب معارضة ابن تيمية ومحاولة النيل منه والإساءة إليه؟.

أفي ما قاله الإمام ابن تيمية منكر..؟ كلا.. ثم كلا..

ليس في كلامه ما يوجب الاعتراض ولا المعارضة.. فهذا والله ما نظنه في علماء الإسلام...

وإذا قال ابن تيمية أو ابن القيم: إن الأئمة يحتجـون بالضعيف، فإنما يريدون بالضعيف: ما يسمى بالحسن الذي اصطلح عليه الترمذي.

هذا منهجهم، ولا نرضى منهم إلا ذلك، وقد أرضونا وشرَّفونا ورفعوا هاماتنا فوق السحاب فرضي الله عنهم وأرضاهم » (١١٢) .

(١١٢) انظر: "المرجع السابق" (٥/ ٥٠٥-٥٠٧) .

المبحث السادس

الوقوف عند الأدلة الشرعية وعدم مجاوزتها

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعظيم النصوص الشرعية .

المطلب الثاني: الاستسلام للنصوص والانقياد لها .

المطلب الثالث: لا يتعمدون مخالفة النصوص .

المطلب الرابع: تقديم النصوص على أقوال الرجال .

المطلب الخامس: كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ .

المطلب السادس: اتباع الدليل وذم التقليد الأعمى .

المطلب السابع: تقديم الشرع على العقل .

المطلب الثامن: قبولهم للحق من كل من جاء به وردهم للباطل على كل من قال به، ودورانهم مع الحق حيث دار .

المطلب الأول

تعظيم النصوص الشرعية

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين، التي تميزوا بها عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع، تعظيمهم للنصوص الشرعية، المتمثلة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وتقديمها على قول كل أحد كائنًا من كان .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى في سياق تفنيده لشبهات المارق محمد صدقي حول السنة:

« ١- علماء الإسلام وعلى رأسهم أئمة الفقه والحديث متفقون على تعظيم سنة رسول الله ﷺ، وعلى وجوب الأخذ بها في دينهم ودنياهم وأنها الأصل الثاني مع كتاب الله وعلى أنها حجة في دين الله أصوله وفروعه.

٢- أنه ما من إمام إلا حث أتباعه على التمسك بالكتاب والسنة ودعاهم إلى ترك أقواله إذا خالفت الكتاب والسنة، وقد سبق أن ذكرنا أقوالهم في هذا الشأن، ومن ذلك قول الإمام الشافعي المشهور عنه عند أصحابه وغيرهم: « **إذا صح الحديث فهو مذهبي**»، وقوله: «**إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله ﷺ، واضربوا بقولي عرض الحائط** » .

وقد خالف كثير من أصحابه أقواله التي خالفت ما ثبت عن رسول الله ﷺ، وصح عندهم من حديثه.

ونصائح أبي حنيفة رحمه الله لأصحابه في الأخذ بقول الله وقول رسول الله ﷺ؛ بل بأقوال الصحابة معروف، ومن هنا خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن في ثلث أو ثلثي المذهب، وما ذلك منهما إلا اتباعاً للحق وتقديماً منهما لما صح لهما عن رسول الله ﷺ، على رأي واجتهاد شيخهما.

٢- إنَّ ما يحصل من بعضهم من مخالفة لحديث رسول الله ﷺ فليس من المنطلق الذي يرجف به أعداء السنة - حاشاهم من ذلك - **فهم يعظمون السنة ويؤمنون بها وأنها حجة من حجج الله على عباده** ولا يقع لأحد منهم مخالفة لحديث ثابت إلا لعذر من الأعذار الشرعية التي يعذره الله بها... إلى أن قال الشيخ ربيع حفظه الله:«...وقولك (أي: محمدصدقي): «وأي ثقة بها تثقون؟» .

نقول: **إن ثقة المسلمين فوق ما يخطر ببالك وبال أمثالك، إن ثقتهم بها مثل ثقتهم بالقرآن ومثل ثقتهم بالرسول الكريم ويحبونها إلى درجة الإيثار على الأبناء والآباء ويوالون ويعادون من أجلها، يوالون الأبعدين نسباً إن احترموها، ويعادون أقرب الأقربين إن هم نالوا من كرامتها.**

لقد أهان عبد الله بن عمر ابنه وهجره من أجل حديث واحد، وهجر عبد الله بن أبي أوفى ابن أخيه من أجل حديث واحد، وشك أحد وجوه قريش في حديث واحد في مجلس الرشيد فغضب الرشيد وقال: «النطع والسيف زنديق يطعن في حديث رسول الله ﷺ »(١١٣).

فكيف لو رأى الرشيد وسمع مثل هذه الطعون والشبهات الخبيثة، والاستهانة بعموم سنة رسول الله ﷺ والسخرية بها إلى درجة أنه لا فائدة ترجى منها والدعوة إلى إسقاط كل ثقة بها؟! فأين سيف ونطع الرشيد عن أمثال محمد توفيق المجاهرين بالحرب على سنة محمد ﷺ، والمعلنين للطعن فيها والاستهانة والسخرية بها؟»(١١٤) .

وقال حفظه الله مبينًا تعظيم السلف للكتاب والسنة، وتقديمهما على آرائهم واجتهاداتهم، في سياق تفنيده كذلك لشبهات المارق محمد صدقي:

« قال محمد صدقي:

« وقال أبو حنيفة وأضرابه من أهل الرأي والقياس: إن الصحيح منها قليل جداً، حتى إنه لم يأخذ إلا ببضعة عشر حديثاً» .

---

(١١٣) " تاريخ الخلفاء والملوك " للسيوطي (ص:٢٨٥)، (ربيع).

(١١٤) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(٥/ ١٢٣-١٢٤-١٢٧-١٢٨) .

والجواب: أين قال هذا أبو حنيفة وأضرابه؟، وهل عندك أسانيد متواترة إلى هؤلاء ؟ وهل استقرأت كتب الأحناف كلها فلم تجدها قائمة في كل أبواب الفقه إلا على بضعة عشر حديثاً؟!.

إن أبا حنيفة كان يحث أتباعه على اتباع السنة، فمن أقوالهرحمه الله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» .

ومنها:« لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من أين أخذناه».

وفي رواية:« حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي»(١١٥) .

ومنها:« إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسولﷺ فاتركوا قولي»(١١٦).

وهل عرف هذا الرجل مؤلفات الأحناف في السنة؟.

مثل "موطأ " محمد بن الحسن، و"شرح معاني الآثار" في أربعة أجزاء، و"مشكل الآثار" في ستة عشر مجلداً، كلاهما للطحاوي، و"نصب الراية" للزيلعي في "تخريج أحاديث الهداية" في أربعة أجزاء، فهؤلاء هم أضراب أبي حنيفة وهذه

(١١٥) راجع " صفة صلاة النبي ق " (ص:٢٣-٢٤) وقد أشار إلى مصادره، (ربيع) .

(١١٦) " إيقاض الهمم» للفلاني " (ص:٦٢)، (ربيع) .

مواقفهم من السنة؛ نعم لهم عثرات وليسوا كأهل الحديث وفقهائهم، ولكن أصلهم الكتاب والسنة ويحترمونها ويعظمونها ويدافعون عنها إلى يومنا هذا .

وقد تصدوا لأمثالك من القرآنيين وغيرهم، فهم منك ومن أمثالك برآء وأنتم بريئون منهم ومن كل من يحترم السنة والقرآن.

الشبهة التاسعة:

قال محمد صدقي:« قال مالك رحمه الله :إن عمل أهل المدينة مقدَّم عليها، وكذلك أهل الرأي والقياس يقدِّمون القياس الجلي عليها».

والجواب:

أن الإمام مالكاً إمام أهل السنة عقيدة ومنهجاً ومن أشد الناس تمسكاً بسنة رسول الله ﷺ، وحضاً للمسلمين على الأخذ بها، فمن أقواله رحمه الله :

« إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »(١١٧) .

ومنها: « ليس أحد بعد النبي ﷺ، إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ »(١١٨).

---

(١١٧)" جامع بيان العلم " (٢/ ٣٩)، وابن حزم في إحكام الأحكام(٦/ ٨٦٠)، (ربيع) .

(١١٨) انظر «المؤمل» لأبي شامة، فقرة (١٥٨و١٦٠)، (ربيع) .

وكانت تشد إليه الرحال من أنحاء العالم الإسلامي من الأندلس إلى خراسان لأخذ سنة رسول الله ﷺ.

وكان من أشد الناس تحرياً في أخذ السنة والأخذ عن الرجال ومن أشد أئمة السنة في نقد الرجال حتى أنه لا يحدث عن رجال عرفوا بالصدق والصلاح.

وتقديمه لعمل أهل المدينة ليس فيه رد للسنة ولا الطعن في أخبار الآحاد، وإنما هو من باب ترجيح سنة على سنة؛ لأن أهل المدينة في نظره أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأشدهم تمسكاً بها؛ لأنها دار الهجرة ودار الخلافة الراشدة، وأهلها هم أصحاب محمد ﷺ ومن تبعهم بإحسان، فليس الأخذ بعملهم من باب تقديم الرأي على السنة حاشا وكلاَّ؛ وإنما هو تقديم لعمل يراه قام على الكتاب والسنة، والترجيح عند تعارض النصوص في الظاهر أصل من أصول أهل السنة، ومع هذا فقد خالف مالكاً علماء مثل الليث والشافعي وأحمد وأتباعهم وأبي حنيفة وأتباعه، وقد يقدم العالم مالك وغيره سنة على سنة ترجحت له وقد يقع في مخالفة سنة أو نص من القرآن لعذر يعذره الله به.

ولا يجوز لمسلم أن يتهم أحداً من هؤلاء الأئمة الذين عرفوا بالتقوى والعلم وتعظيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، و الحث على التمسك بهما بأنهم يردون السنة لهوى من الأهواء »(١١٩) .

وقال حفظه الله في سياق تعليقه على حديث النبي ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين » الحديث(١٢٠):

« هذه الطائفة عرفت كما عرف أسلافها عظمة هذا الدين، وعظمة القرآن، وعظمة السنة، وما فيها من الهدى ما يكفي ويشفي ويغني عن أقوال الناس، وعن آرائهم، وعن أهوائهم...فاعتصموا بحبل الله وعضوا على ذلك بالنواجذ »(١٢١) .

وقال سدده الله:« فمن هم أهل الحديث إذاً؟

هم من نَهَج نَهْج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة، والعض عليهما بالنواجذ، وتقديمهما على كل قول وهدي...إلى أن قال:«...فقدَّروا نصوص القرآن والسنة حقَّ قدرها، وعظَّموها حقَّ تعظيمها؛ فقدَّموها على أقوال الناس جميعاً، وقدَّموا هديها على هدي الناس جميعاً »(١٢٢) .

---

(١١٩) انظر "المرجع السابق "(٥/ ٧٦-٧٧-٧٨).

(١٢٠) سبق تخريجه .

(١٢١) انظر "اللُّباب"(ص١٤٧) .

(١٢٢) انظر "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٩/ ١٥-١٦) .

** فصل **

وفيه جملة من الأمثلة التطبيقية ذكرها العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى تبيِّن وبكل وضوح مكانة الكتاب والسنة عند السلف، وشدة تعظيمهم للأدلة و للنصوص الشرعية، حيث قال:

« والصحابة كانوا يعرفون قيمة هذه السنة، ويعرفون مكانتها، ويغضبون إذا عرضت على شخص وتردد في تطبيقها، فهذا "عبد الله بن المغفل" في مجلس من المجالس رأى أحد أقاربه ابن أخيه يخذف، يأخذ حصى فيخذفها، فقال: إن رسول الله ينهى عن الخذف، وقال:« إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو، ولكنه يفقأ العين، ويكسر السن»(١٣٣)، فإذا به يعود يخذف، فقال له: أقول لك نهى رسول الله ﷺ عن الخذف وتخذف؟! والله لا أكلمك، الآن كثير من طلاب العلم تقول له: قال الله، قال رسول الله، فلا يرفع بذلك رأسا مع الأسف الشديد! كان الصحابة يعرفون قيمة الحديث، يكون الصحابي سمع الحديث من رسول الله ﷺ ثم أراد أن يضبطه ضبطا صحيحا كما سمعه من رسول الله ﷺ، فيفكر يذكر من شارك في سماع هذا الحديث، فيتذكر أن له صديقا في الشام أو في مصر قد شاركه في هذا الحديث، فيشتري البعير ويشد الرحال في شدة الحر والظمأ، ويذهب يسافر يضرب أكباد الإبل مسافة شهر أو أكثر، ويأتي إلى هذا الشخص الذي يعتقد

---

(١٣٣) أخرجه مسلم (١٩٥٤) .

أنه شاركه في سماع هذا الحديث، فيستأذنه فيخرج فيعانقه، أول شيء يطلبه منه أن يسمع منه هذا الحديث؛ فإذا سمع منه هذا الحديث لوى عنق راحلته وعاد إلى المدينة! هذا حصل لجابر بن عبد الله وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما، أبو أيوب رحل إلى مصر، وجابر رحل إلى الشام، إلى عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

هذا انطلاقاً منهم من مكانة السنة في صدورهم، وإكرام وإعزاز وإجلال لسنة رسول الله ﷺ، واليوم قد يسمع الرجل بالدرس أو المحاضرة، فيقول موضوع تافه! وهذه الرحلة رحلة ضياع!!.. لكن الصحابة ما كانوا ينظرون هكذا، ولا الأئمة السابقون ما كانوا ينظرون بهذا المنظار إلى سنة رسول الله ﷺ؛ بل كان الرجل منهم يرى حديثاً واحداً خيراً من الدنيا وما عليها، كان الحديث الواحد من أحاديث رسول الله ﷺ عندهم خيراً من الدنيا وما عليها »(١٢٤).

(١٢٤) انظر: "المجموع الرائق"(٣٠٥-٣٠٧).

المطلب الثاني

الاستسلام للنصوص والانقياد لها

من الأصول والمميزات العظيمة لأهل السنة والجماعة السلفيين، التي تميزوا بها عن أهل الأهواء والبدع، و التي تدل على شدة تعظيمهم لدين الله: تسليمهم التام للأدلة الشرعية، وانقيادهم لها، ووقوفهم عندها وعدم مجاوزتها .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى:« الفرق بين أهل السنة وأهل البدع: فأهل البدعة إذا سمعوا نصًّا إما أن يردوه علانية هكذا و يدفعوه، وإما أن يتحايلوا عليه فيتأوَّلونه، أما أهل السنة فبعكس ذلك وبخلاف ذلك؛ **فإنهم يقبلون هذا النص ويسلِّمون به، ويعتقدون ما دل عليه، بخلاف أهل البدع!!**

فلا تأويل عند أهل السنة، ولا رد لما جاء به الرسول ﷺ؛ بل يؤمنون به ويسلمون به تسليما(١٢٥)**، دون أي حرج، فهذا منهج أهل السنة والجماعة، وذاك مذهب أهل**

---

(١٢٥) قال ابن أبي العز رحمه الله في " شرح الطحاوية "(١/ ٢١٠) عند قول المصنف الطحاوي: **" وَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيمِ وَالْاسْتِسْلَامِ "**.

قال:« هَذَا مِنْ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ، إِذِ الْقَدَمُ الْحِسِّيُّ لَا تَثْبُتُ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ شَيْءٍ. أَيْ لَا يَثْبُتُ إِسْلَامُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ، وَيَنْقَادُ إِلَيْهَا، وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهَا وَلَا يُعَارِضُهَا بِرَأْيِهِ وَمَعْقُولِهِ وَقِيَاسِهِ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: « مِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَمِنَ الرَّسُولِ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ ».

البدع والضلال...قال الزهري:« من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم » .

في العقيدة في العبادة، في أي شيء سواء فهمنا النص أو ما فهمناه، قد يشكل النص على بعض الناس فعليه أن يسلم أن هذا حق، وأن رسول الله لا ينطق عن الهوى، وأنه لا يقول على الله من عنده .

وهو رحمه الله (الزهري) يشير إلى معنى الآية(١٢٦):﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥] »(١٢٧) .

---

(١٢٦) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في" التبيان في أقسام القرآن " (ص٢٧٠) مفسرا لهذه الآية العظيمة:« أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسما مؤكَّدًا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدروهم لحكمه كل الانشراح، وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتى ينضاف إليه مقابلة حكمة الرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض، فهنا قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والانقياد إذ قد يحكمه وينتفى الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه، والتسليم أخص من انتفاء الحرج، فالحرج مانع والتسليم أمر وجودي ولا يلزم من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه إذ قد ينتفي الحرج ويبقى القلب فارغا منه ومن الرضى به والتسليم له فتأمله .

وعند هذا يعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق وعند الامتحان تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلب أكثر من يدعى الإسلام أم لا ؟

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » اهـ .

(١٢٧) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (٢/ ١١١-١١٢) .

و « عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النَّفر الذين يدنيهم عمر، وكان القُرَّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شُبَّاناً، فقال عيينة لابن أخيه، يا بن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هيه يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف:١٩٩]، وإنَّ هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافاً عند كتاب الله » .

هدأ غضبه، ذهبت عنه سورة الغضب وعفا عن هذا الإنسان كما أمره الله تبارك وتعالى .

الشاهد من هذا:أن ابن عباس يشهد لعمر أنه كان وقافاً عند كتاب الله عز وجل .

عمر كان محدثا، كان فقيها إماما، لكن قد يجتهد فيخطئ، وإذا نبهه أحد رجع، وقاف عند كتاب الله .

وله قصة أخرى رضي الله عنه، قال أبو وائل:« جلست إلى شيبة-يعني: الحجبي- كانت مفاتيح الكعبة عنده ولا تزال عند بني شيبة في الجاهلية والإسلام، الرسول

أعطاهم مفاتيح الكعبة، قال أبو وائل: جلست إلى شيبة في هذا المسجد، قال: جلس إليَّ عمر في مجلسك هذا، فقال: هممت ألا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها بين المسلمين، قلت: ما أنت بفاعل، قال: لم؟ قلت: لم يفعله صاحباك، قال: هما المرآن يقتدى بهما»، وقف .

الأمثلة كثيرة في حياة عمر في وقوفه عند كتاب الله وعند سنة رسوله ﷺ؛ لكن الآن، هل نحن وقافون عند كتاب الله؟. . .

كان الصحابة كلهم وقافون عند كتاب الله، وكان السلف الصالح كلهم وقافون عند كتاب الله، والذي يخطئ يرجع، والذي يذنب يتوب...؛لأنهم أناس استسلموا لله »(١٢٨).

** فصل **

ومما يدل على استسلام أهل السنة السلفيين للنصوص وتعظيمهم لها، ووقوفهم عندها وعدم مجاوزتها، زيادة على ما سبق، ما أصلوه في هذا الباب، وهو قولهم: « لا اجتهاد مع النص»، كما أبان ذلك العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال في معرض رده على أبي الحسن المأربي الزائغ:

(١٢٨) انظر: " المرجع السابق"(٤/ ١٠١-١٠٢ -١٠٣) .

« أبو الحسن يدعي أنه وأهل السنة(١٢٩) من أصحاب الدليل، ولا يقبلون إلا الدليل

ثم تراه في قضايا الخلاف يخالف الأدلة والأصول الإسلامية مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء:٥٩]، ومثل قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[الشورى:١٠]، **ومثل الأصول المعروفة في هذا الباب كقول العلماء:« لا اجتهاد مع وجود النص» ... تعظيماً للنصوص القرآنية والنبوية** »(١٣٠) .

(١٢٩) ولا ندري من هم أهل السنة عنده، ولعله يريد بهم أتباعه الذين وصفهم بأنهم يسيرون على أصول علمية، وعندهم إدراك للمصالح والمفاسد، والحال والمآل، أي أن هؤلاء العوام المتعلقين بمنهجه الفاسد قد وصلوا إلى مراتب الأئمة الكبار، الذين يدركون المصالح والمفاسد ، (ربيع).

(١٣٠) انظر: " المرجع السابق"(١٣/ ٧٩) .

المطلب الثالث

لا يتعمدون مخالفة النصوص

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميزوا بها عن أهل الباطل، والتي تدل على شدة تعظيمهم لدين الله: أنهم لا يتعمدون مخالفة النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، خلافًا لأهل الأهواء والبدع(١٣١) .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي العظيم، يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله وجعل جنة الفردوس مثواه، في سياق رده لشبهات المارق الزائغ "محمد صدقي" حول السنة(١٣٢):

« قال: الشبهة التاسعة عشرة:

قوله: « إن أئمة المسلمين لم يتفقوا على الصحيح منها وما منهم من أحد إلا خالف في مذهبه كثيراً منها ».

---

(١٣١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مقدمة رسالته " رفع الملام عن الأئمة الأعلام ":«وَلِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ -الْمَقْبُولِينَ عِنْدَ الْأُمَّةِ قَبُولًا عَامًّا- يَتَعَمَّدُ مُخَالَفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ سُنَّتِهِ؛ دَقِيقٍ وَلَا جَلِيلٍ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ اتِّفَاقًا يَقِينِيًّا عَلَى وُجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ، وَعَلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ، إلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

وَلَكِنْ إذَا وُجِدَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْلٌ قَدْ جَاءَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بِخِلَافِهِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ عُذْرٍ فِي تَرْكِهِ، وَجَمِيعُ الْأَعْذَارِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

أَحَدُهَا: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ .

وَالثَّانِي: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ إرَادَةَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ بِذَلِكَ الْقَوْلِ.

وَالثَّالِثُ: اعْتِقَادُهُ أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ مَنْسُوخٌ.

وَهَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ تَتَفَرَّعُ إلَى أَسْبَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ » اهـ .

(١٣٢) انظر: " المرجع السابق "(٥/ ١٢٣-١٢٥) .

والجواب على هذا من وجوه:

١- أن علماء الإسلام وعلى رأسهم أئمة الفقه والحديث متفقون على تعظيم سنة رسول الله ﷺ ، وعلى وجوب الأخذ بها في دينهم ودنياهم

وأنها الأصل الثاني مع كتاب الله وعلى أنها حجة في دين الله أصوله وفروعه.

٢- أنه ما من إمام إلا حث أتباعه على التمسك بالكتاب والسنة ودعاهم إلى ترك أقواله إذا خالفت الكتاب والسنة، وقد سبق أن ذكرنا أقوالهم في هذا الشأن، ومن ذلك قول الإمام الشافعي المشهور عنه عند أصحابه وغيرهم.

« إذا صح الحديث فهو مذهبي» وقوله: «إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ، فخذوا بقول رسول الله ﷺ، واضربوا بقولي عرض الحائط »، وقد خالف أصحابه أقواله التي خالفت ما ثبت عن رسول الله ﷺ، وصح عندهم من حديثه.

ونصائح أبي حنيفة رحمه الله لأصحابه في الأخذ بقول الله وقول رسول الله ﷺ ؛ بل بأقوال الصحابة معروف، ومن هنا خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن في ثلث أو ثلثي المذهب، وما ذلك منهما إلا اتباعاً للحق وتقديماً منهما لما صح لهما عن رسول الله ﷺ على رأي واجتهاد شيخهما.

٣- إنّ ما يحصل من بعضهم من مخالفة لحديث رسول الله ﷺ فليس من المنطلق الذي يرجف به أعداء السنة - حاشاهم من ذلك - فهم يعظمون السنة ويؤمنون بها وأنها حجة من حجج الله على عباده ولا يقع لأحد منهم مخالفة لحديث ثابت إلا لعذر من الأعذار الشرعية التي يعذره الله بها.

وذلك مثل:

أ- أن تأتيه حادثة لم يكن قد بلغه فيها نص من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ فيجتهد فيها فيخالف نصاً عن رسول الله ﷺ، قد بلغ غيره من أئمة الإسلام وصحَّ عندهم فقالوا به ودانوا الله به.

ب- أو يكون قد بلغه النص لكنه عند فتواه أو تدوينه نسيه فيعذره الله في ذلك ويثيبه على اجتهاده.

قال تعالى تعليماً للمؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ثم قال الله كما في الحديث القدسي: «قد فعلت»(١٣٣) .

وقد وقعت فتاوى من بعض العلماء مخالفة لنصوص من القرآن والسنة لا تعمُّدًا منهم؛ وإنما هو لعذر من الأعذار التي يعذرهم الله بها، ومنها ما ذكرناه كالنسيان

(١٣٣) أخرجه مسلم (١٢٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

أو عدم بلوغ النص، ويحصل مثل ذلك للأئمة الكبار للأسباب نفسها التي يعذرهم الله بها.

ومن ادعى عليهم أو على أحدهم تعمد المخالفة لما صح عن رسول الله ﷺ، فقد افترى عليهم افتراءً عظيماً، ومن زعم لأحد منهم أنه قد أحاط علماً بكل ما صح عن رسول الله ﷺ، فقد غلا فيه وقال الباطل .

والحاصل أننا نجزم أن علماء الإسلام المشهود لهم بالعلم والورع والتقوى وقدم الصدق في الإسلام لا يتعمدون مخالفة أو رد الأحاديث الثابتة عن نبيّهم؛ كيف وهم يوصون بردِّ أقوالهم إذا خالفت ما ثبت عن رسول الله ﷺ ؟

كيف وبعضهم يحتج بالمرسل والضعيف أحياناً، فكيف يتصور مسلم في أحد منهم أنه يرد الأحاديث الصحيحة أو يخالفها عمداً؟.

ج- أو يكون في المسألة حديثان أحدهما ناسخ والآخر منسوخ، فيبلغ أحدهم المنسوخ دون ناسخه، فيأخذ بما بلغه ويبلغ عالماً آخر الناسخ فيأخذ به، ويبلغ ثالثاً الناسخ والمنسوخ فيقدم الناسخ على المنسوخ.

د- أو يكون في الباب أحاديث مطلقة وأحاديث مقيدة، أو أحاديث عامة وأخرى تخصصها، فيبلغ بعضهم العامة دون المخصصات ،أو المطلقات دون المقيدات، فيعمل ويفتي بما بلغه ويعذره الله ذلك.

ويبلغ غيره العامة والخاصة، والمطلقة والمقيدة، فيحمل العام على الخاص والمطلق على المقيد .

وقد يختلفون في الأصول فيقدم بعضهم العام على الخاص، والمطلق على المقيد، وقد استوفى شيخ الإسلام الأعذار للأئمة التي يعذرهم الله بها في كتابه القيِّم **"رفع الملام عن الأئمة الأعلام"** فأوصلها إلى عشرة أسباب »(١٣٤) .

---

(١٣٤) ولا بأس أن نذكرها هنا ملخصة لعظيم فائدتها، وهي كالتالي" قال رحمه الله :

« **السَّبَبُ الْأَوَّلُ**: أَن لا يَكُونَ الْحَدِيثُ قَدْ بَلَغَهُ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ الْحَدِيثُ لَمْ يُكَلَّفْ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمُوجَبِهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ بَلَغَهُ – وَقَدْ قَالَ فِي تِلْكَ الْقَضِيَّةِ بِمُوجَبِ ظَاهِرِ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ آخَرَ؛ أَوْ بِمُوجَبِ قِيَاسٍ؛ أَوْ مُوجَبِ اسْتِصْحَابٍ– فَقَدْ يُوَافِقُ ذَلِكَ الْحَدِيثَ تَارَةً، وَيُخَالِفُهُ أُخْرَى.

وَهَذَا السَّبَبُ: هُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَكْثَرِ مَا يُوجَدُ مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ مُخَالِفًا لِبَعْضِ الْأَحَادِيثِ....

السَّبَبُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ قَدْ بَلَغَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ.

إمَّا لِأَنَّ مُحَدِّثَهُ، أَوْ مُحَدِّثَ مُحَدِّثِهِ، أَوْ غَيْرَهُ مِنْ رِجَالِ الْإِسْنَادِ مَجْهُولٌ عِنْدَهُ أَوْ مُتَّهَمٌ أَوْ سَيِّئُ الْحِفْظِ. وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْهُ مُسْنَدًا بَلْ مُنْقَطِعًا؛ أَوْ لَمْ يَضْبُطْ لَفْظَ الْحَدِيثِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ الْحَدِيثَ قَدْ رَوَاهُ الثِّقَاتُ لِغَيْرِهِ بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ، بِأَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ يَعْلَمُ مِنْ الْمَجْهُولِ عِنْدَهُ الثِّقَةَ، أَوْ يَكُونُ قَدْ رَوَاهُ غَيْرُ أُولَئِكَ الْمَجْرُوحِينَ عِنْدَهُ؛ أَوْ قَدْ اتَّصَلَ مِنْ غَيْرِ الْجِهَةِ الْمُنْقَطِعَةِ، وَقَدْ ضَبَطَ أَلْفَاظَ الْحَدِيثِ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ الْحُفَّاظِ؛ أَوْ لِتِلْكَ الرِّوَايَةِ مِنْ الشَّوَاهِدِ وَالْمُتَابَعَاتِ مَا يُبَيِّنُ صِحَّتَهَا. وَهَذَا أَيْضًا كَثِيرٌ جِدًّا، وَهُوَ فِي التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إلَى الْأَئِمَّةِ الْمَشْهُورِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ الْعَصْرِ الْأَوَّلِ، أَوْ كَثِيرٌ مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ....

السَّبَبُ الثَّالِثُ: اعْتِقَادُ ضَعْفِ الْحَدِيثِ بِاجْتِهَادٍ قَدْ خَالَفَهُ فِيهِ غَيْرُهُ، مَع قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ طَرِيقٍ آخَرَ، سَوَاءٌ كَانَ الصَّوَابُ مَعَهُ، أَوْ مَعَ غَيْرِهِ...

السَّبَبُ الرَّابِعُ: اشْتِرَاطُهُ فِي خَبَرِ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ الْحَافِظِ شُرُوطًا يُخَالِفُهُ فِيهَا غَيْرُهُ. مِثْلَ اشْتِرَاطِ بَعْضِهِمْ عَرْضَ الْحَدِيثِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاشْتِرَاطِ بَعْضِهِمْ أَنْ يَكُونَ الْمُحَدِّثُ فَقِيهًا إذَا خَالَفَ قِيَاسَ الْأُصُولِ، وَاشْتِرَاطِ بَعْضِهِمْ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَظُهُورَهُ إذَا كَانَ فِيمَا تَعُمُّ بِهِ الْبَلْوَى، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَوَاضِعِهِ.

السَّبَبُ الْخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ قَدْ بَلَغَهُ وَثَبَتَ عِنْدَهُ لَكِنْ نَسِيَهُ...

السَّبَبُ السَّادِسُ: عَدَمُ مَعْرِفَتِهِ بِدَلَالَةِ الْحَدِيثِ، تَارَةً لِكَوْنِ اللَّفْظِ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ غَرِيبًا عِنْدَهُ، مِثْلَ لَفْظِ "الْمُزَابَنَةِ وَ "الْمُخَابَرَةِ"...

وقال حفظه الله في سياق صده لعدوان الغزالي المصري المتطاول على السنة وأهلها:« وهل من الأدب مع الله ورسوله ومع السنة النبوية الطاهرة أن تقول وتكثر: «هذا حديث مرفوض » و«قد رفض هذا الحديث فلان » و«ركام الأحاديث » و« الأخبار التافهة » و« قشور » و« ما من إمام من الأئمة الأربعة إلا وقد رفض أحاديث صحيحة »، فهل في هذه الأساليب دعوة إلى اتباع رسول الله ﷺ واحترام سنته، أو هما حرب على السنة تحت ستار الدفاع عن الأئمة، والأئمة برآء غاية البراءة من هذا التهويش على السنة وأهلها؛ بل هم أئمة المسلمين في احترام السنة وحبها والدعوة إليها والاحتجاج بها في العقائد والعبادات والحلال والحرام، بل يحتجُّ أكثرهم بالمراسيل وعند الحاجة بالأحاديث الضعيفة في العمليات ويقدمونها على الرأي والقياس، ويأمرون أتباعهم بترك

وَتَارَةً لِكَوْنِ مَعْنَاهُ فِي لُغَتِهِ وَعُرْفِهِ، غَيْرَ مَعْنَاهُ فِي لُغَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَحْمِلُهُ عَلَى مَا يَفْهَمُهُ فِي لُغَتِهِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ بَقَاءُ اللُّغَةِ...

السَّبَبُ السَّابِعُ: اعْتِقَادُهُ أَنْ لَا دَلَالَةَ فِي الْحَدِيثِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الَّذِي قَبْلَهُ، أَنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَعْرِفْ جِهَةَ الدَّلَالَةِ. وَالثَّانِي عَرَفَ جِهَةَ الدَّلَالَةِ، لَكِنْ اعْتَقَدَ أَنَّهَا لَيْسَتْ دَلَالَةً صَحِيحَةً، بِأَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ الْأُصُولِ مَا يَرُدُّ تِلْكَ الدَّلَالَةَ، سَوَاءٌ كَانَتْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ صَوَابًا أَوْ خَطَأً..

السَّبَبُ الثَّامِنُ: اعْتِقَادُهُ أَنَّ تِلْكَ الدَّلَالَةَ قَدْ عَارَضَهَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مُرَادَةً. مِثْلَ مُعَارَضَةِ الْعَامِّ بِخَاصٍّ، أَوْ الْمُطْلَقِ بِمُقَيَّدٍ، أَوْ الْأَمْرِ الْمُطْلَقِ بِمَا يَنْفِي الْوُجُوبَ، أَوْ الْحَقِيقَةَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْمَجَازِ. إلَى أَنْوَاعِ الْمُعَارَضَاتِ، وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ أَيْضًا..

السَّبَبُ التَّاسِعُ: اعْتِقَادُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ مُعَارَضٌ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ؛ أَوْ نَسْخِهِ؛ أَوْ تَأْوِيلِهِ إنْ كَانَ قَابِلًا لِلتَّأْوِيلِ، بِمَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُعَارَضًا بِالِاتِّفَاقِ مِثْلَ آيَةٍ، أَوْ حَدِيثٍ آخَرَ، أَوْ مِثْلَ إجْمَاعٍ...

السَّبَبُ الْعَاشِرُ: مُعَارَضَتُهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ أَوْ نَسْخِهِ أَوْ تَأْوِيلِهِ، مِمَّا لَا يَعْتَقِدُهُ غَيْرُهُ أَوْ جِنْسُهُ مُعَارِضاً؛ أَوْ لَا يَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ مُعَارِضًا رَاجِحًا؛ كَمُعَارَضَةِ كَثِيرٍ مِنْ الْكُوفِيِّينَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَ بِظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ مِنْ الْعُمُومِ وَنَحْوُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى نَصِّ الْحَدِيثِ، ثُمَّ قَدْ يَعْتَقِدُ مَا لَيْسَ بِظَاهِرٍ ظَاهِرًا، لِمَا فِي دَلَالَاتِ الْقَوْلِ مِنْ الْوُجُوهِ الْكَثِيرَةِ » اهـ .

أقوالهم إذا خالفت نصاً من كتاب الله أو نصاً من سنة رسول الله ﷺ، فهذا الإمام أبو حنيفة يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي ».

«إذا قلت قولا يخالف كتاب الله تعالى أو خبرًا لرسوله ﷺ فاتركوا قولي » .

وقال الإمام مالك رحمه الله: « إنما أنا بشر أخطيء وأصيب فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »(١٣٥) .

وقال الإمام الشافعي:« ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصَّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت؛ فالقول ما قال رسول الله ﷺ، وهو قولي »(١٣٦) ....

وقال: « إذا صح الحديث فهو مذهبي »(١٣٧) .

ويقول للإمام أحمد: « أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به، أي شيء يكون كوفيًّا أو بصريًّا أو شاميًّا، حتى أذهب إليه إذا كان صحيحا »(١٣٨).

---

(١٣٥) ابن عبد البر في الجامع:(٢/ ٣٢)، وابن حزم في أصول الأحكام:(٦/ ١٤٩)،(ربيع) .

(١٣٦) تاريخ دمشق:(١٥/ ١-٢)، (ربيع) .

(١٣٧) المجموع للنووي:(١/ ٦٣)، (ربيع) .

(١٣٨) آداب الشافعي لابن أبي حاتم:(ص:٩٤-٩٥)، (ربيع) .

ويقول: « كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتى »(١٣٩) .

ويقول: « إذا رأيتموني أقول قولاً وقد صح عن النبي ﷺ خلافه؛ فاعلموا أن عقلي قد ذهب »(١٤٠) إلى غير ذلك من أقواله المعظمة لسنة رسول الله ﷺ .

فأي احترام للسنة أعظم من هذا؟ »(١٤١) .

وقال الشيخ ربيع حفظه الله: « **الواجب المحتم على الأمة أن تتبع الكتاب والسنة، وأنه لا يجوز لأحد أن يتعمد مخالفة نص من نصوص الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، وهذا أمر مجمع عليه من الصحابة فمن بعدهم** .

لكن هناك حالات يعذر فيها المجتهد المخلص الجاد في طلب الحق إذا خالف نصًّا...، و انطلاقاً من هذا المنهج كان يرجع الصحابة عن أخطائهم، والعلماء عن أخطائهم، ومنه رجع أبو يوسف ومحمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة عن ثلث أو ثلثي المذهب بعدما تبين لهم أن الحق في خلاف مذهب أبي حنيفة »(١٤٢) .

وقال حفظه الله: « الشافعي يرى أنه إذا صح الحديث عن النبي ﷺ فإنَّه يجب الأخذ به، ولهذا قال:« وإذا لم آخذ به فاعلموا أن عقلي قد ذهب»؛ لأن هذا من

---

(١٣٩) الحلية:(٩/ ١٠٧)، و إعلام الموقعين:(٢/ ٣٦٣)، (ربيع) .

(١٤٠) آداب الشافعي:(ص:٩٣)، والحلية:(٩/ ١٠٦)، (ربيع) .

(١٤١) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٢٧٦-٢٧٧) .

(١٤٢) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٤٩٩-٥٠٠) .

الجنون والعياذ بالله، وفعلاً الذي يتعمد مخالفة سنة رسول الله ﷺ؛ مجنون! قد يخالفها جهلًا منه؛ يعني: ما بلغته فهذا يعذر وإن كان من كبار العلماء؛ لأن السنة ما أحاط بها أحد، ومن هنا يقول الشافعي:« إذا صح الحديث فهو مذهبي »(١٤٣) وهذا يقوله احتياطا لما لم يبلغه من الأحاديث؛ لأنه لم تبلغه كل الأحاديث؛ فقد يفوته بعض الأحاديث، أو يقف على حديث إسناده ضعيف، والإسناد الضعيف لا يحتج به ولا سيما في الحلال والحرام، فيعلق الأمر على الصحة، فإن كان الحديث صحيحاً فلا يمكن أن يخالفه الشافعي إذا بلغه، فإذا خالفه فليشهد عليه الناس أن عقله قد ذهب .

ومعنى هذا: أن من عنده عقل وإيمان صادق لا يخالف سنة الرسول ﷺ، ولا يخالفها إلا سخيف العقل أو مجنون والعياذ بالله، يكون متبعا لهواه؛ لأنه إذا خالف الحديث الصحيح اتبع من؟ اتبع الهوى:﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[القصص:٥٠] .

طبعاً للأئمة خلافات لبعض الأحاديث الصحيحة؛ **لكن ليس ذلك منهم تعمدًا، ومن ظنَّ أن عالماً من أئمة الإسلام المعتبرين عند الأمة ولهم قدم الصدق في**

(١٤٣) قال الحافظ العراقي رحمه الله: وأما الإمام الشافعي رحمه الله فالنقول عنه في ذلك أكثر و أطيب، وأتباعه أكثر عملا بها وأسعد، فمنها ما روى الحاكم والبيهقي عنه أنه كان يقول:« إذا صح الحديث فهو مذهبي» المستخرج على المستدرك(ص١٦)،(ربيع) .

الإسلام، أو اعتقد فيهم أنهم يتعمدون مخالفة سنة الرسول ﷺ؛ فهذا قد أساء إلى الإسلام وإلى المسلمين! لا يجوز أن يظن بهم هذا .

ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله في هذه القضية كتابا سماه: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وجاء فيه بأعذار للأئمة في الأحاديث التي خالفوها...وهذا كله انطلاقا من قول الرسول ﷺ: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»(١٤٤) هذا في المجتهد المخلص الصادق، وأما المتبع لهواه فهذا إنما يتبع هواه .

لهذا يجب أن نفرق بين أئمة السنة المشهود لهم بالسنة والإمامة في الدين وبين أهل الأهواء، أهل الأهواء يتعمدون مخالفة الكتاب والسنة! والأئمة الأعلام الراسخون في العلم المجتهدون بحق؛ هؤلاء لا يخالفون ولا يتعمدون مخالفة نصوص الكتاب والسنة رحمهم الله تعالى »(١٤٥) .

** فصل **

فمن ميزات أهل السنة الحسنة أنهم لا يتعمدون مخالفة الأدلة والنصوص الشرعية، ولهم في هذا الباب ميزة أخرى وهي أنه إذا حصل من أحدهم شيء من

---

(١٤٤) أخرجه البخاري رقم(٧٣٥٢)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومسلم رقم(١٧١٦) كتاب الأقضية من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه . (ربيع).

(١٤٥) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ١٠٧-١٠٨) .

المخالفة جهلا، أو بسبب تأويل سائغ، أو ما أشبه ذلك من الأعذار، رجع إلى الحق متى تبين له الصواب، وهذه منقبة من مناقبهم كذلك.

وفي بيانها يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في سياق رده على المجهول المتستر صاحب رسالة " المعيار ":

« **أليس في دين الله وجوب الرجوع إلى الحق؟**

ألم يكن عمر رجاعاً إلى الحق وقافاً عند كتاب الله؟

ألم يكن من منهج السلف وواقعهم الرجوع إلى الحق؟

أليس لكل واحد من أئمة الإسلام قولان أو أكثر في كثير من المسائل ؟

بل للإمام الشافعي مذهبان، مذهب قديم ومذهب جديد ؟

أليس من الممادح والمكرمات أن يرجع المسلم من الخطأ إلى الصواب؟

ومن الباطل إلى الحق ، فما بالكم تجعلون الممادح مذام ، والمكرمات نقائص؟»[١٤٦].

---

(١٤٦) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٥٠٨-٥٠٩) .

المطلب الرابع

تقديم النصوص على أقوال الرجال

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميزوا بها عن أهل الأهواء والبدع، والتي تدل على تعظيمهم لله ولكتابه ولسنة رسوله ﷺ: تقديم الأدلة والنصوص الشرعية على قول كل أحد كائنًا من كان(١٤٧) .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي سدده الله وغفر له: « **من أصول أهل السنة التي أجمعوا عليها:**« إن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله »(١٤٨) .

وقال أيَّده الله:« أئمة الهدى من فقهاء ومحدثين ومفسرين، **وكلهم مجمعون على وجوب اتِّباع محمد ﷺ، وطاعته والتأسي به، ولا يجوز لأحد أن يخالفه في شيء أبداً كائناً من كان، ولا يجوز لأحد أن يتابع من خالفه في أي أمر من الأمور دق أو جل**

.

---

(١٤٧) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله:« فالواجب على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة وينصح لهم ويأمرهم باتباع أمره وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة؛ فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأى أيِّ معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة وربما أغلظوا في الرد لا بغضا له بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم لكن رسول الله أحب إليهم وأمره فوق أمر كل مخلوق فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفورا له بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه » اهـ ، نقلا عن مقدمة "صفة صلاة النبي ﷺ "للعلامة الألباني رحمه الله .

(١٤٨) انظر: " المرجع السابق"(١٣/ ١٧٥) .

قال الشافعي رحمه الله: « أجمعت الأمة على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد»(١٤٩) .

وقال الشيخ عفا الله عنه:« فلو جاءنا أبو الحسن بقال فلان، وقال علان؛ نقول له: سلم للأدلة، **واعرف قواعد السلف المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.**

مثل قولهم:« إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل»(١٥٠) .

وسئل الشيخ ربيع حفظه الله: ما قولكم فيمن يقول: لا تخرج عن المذاهب الأربعة، فيقول إلى أين تخرج؟ وإذا قلنا قبلهم الأوزاعي وغيره، يقول: مذاهبهم اندرجت تحت هذه المذاهب الأربعة؟

فأجاب: هذا كلام لا يقوله عالم، ولا نعرف عالماً يقول هذا إلا أهل الضلال، أما علماء الإسلام وعلى رأسهم الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة، وغيرهم، **متفقون مجمعون على أنه إذا استبانت السنة لأحد لم يكن له أن يتركها لقول أحد .**

وقد جاء أن كثيراً من الأئمة خالفوا وخرجوا عن المذاهب الأربعة كلها، وما خرجوا عن دائرة الإسلام، ولا عن دائرة الكتاب والسنة، لأن الإسلام أوسع من المذاهب الأربعة، الإسلام أوسع من دائرة الأئمة الأربعة .

---

(١٤٩) انظر: " اللباب"(١٧/ ١٨) .

(١٥٠) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (١٣/ ٣١١) .

والأئمة الأربعة ما أنشئوا مذاهب ليلزموا بها الناس وحاشاهم؛ ولو ألزموا الناس بذلك لما وجبت طاعتهم؛ لأن الله ما ألزمنا إلا باتِّباع محمد واتِّباع الوحي:﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[الأنعام: ١٠٦]،﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:٣]، مأمورون باتِّباع الوحي، والاعتصام به، ولسنا ملزمين بقول أحد من البشر، وكلهم رادٌّ ومردود عليه، وهذا الذي يقول هذا الكلام مخالف لدعوة الله والاعتصام بكتابه وبسنة نبيه ﷺ، ومخالف لما عليه الصحابة والتابعون، ولما عليه أئمة المذاهب الأربعة، والفحول من أتباعهم الذين اتبعوا كتاب الله، واتبعوا الصحابة، واتبعوا السلف الصالح، واتبعوا الأئمة الأربعة في الدعوة إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وبسنة الرسول ﷺ، ونبذ ما خالف ذلك »(١٥١).

وقال حفظه الله:« الأئمة برآء غاية البراءة من هذا التهويش على السنة وأهلها؛ بل هم أئمة المسلمين في احترام السنة وحبها والدعوة إليها...ويأمرون أتباعهم بترك أقوالهم إذا خالفت نصًّا من كتاب الله أو نصًّا من سنة رسول الله ﷺ، فهذا الإمام أبو حنيفة يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي »(١٥٢)، «إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله تعالى أو خبرًا لرسوله ﷺ فاتركوا قولي »(١٥٣)...، وقال الإمام أحمد رحمه الله:« رأي

(١٥١) انظر: " المرجع السابق"(١٥/ ٧٥-٧٦) .

(١٥٢) ابن عابدين في الحاشية:(١/ ٦٣) ، (ربيع).

(١٥٣) الفلاني في الإيقاظ:(ص:٥٠)، (ربيع) .

الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبى حنيفة كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار »(١٥٤) .

وقال:« من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة » فأي احترام للسنة أعظم من هذا؟ »(١٥٥) .

وقال حفظه الله: « وطالب الحق لا يصرفه الإعجاب والإكبار للشخصيات الكبيرة عن اتباع الحق والإنصاف والعدل، فإنَّ الحق أحق أن يتبع، والحجة لا يجوز إسقاطها من أجل هذا الرجل العظيم أو ذاك، فمبدأ المسلم المنصف الطالب للحق دائماً ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١]. . .

نحن نرى أئمة الحديث والفقه قد سلكوا المنهج الإسلامي الحق في أخذ الأقوال المدعمة بالبراهين والحجج، ورد الأقوال التي لا برهان عليها، فقد أخذ العلماء من أقوال الصحابة ما أيده الدليل وردوا ما لم يكن كذلك، وكذلك تعاملوا مع أئمة التابعين وأتباعهم .**ومنهج المحدثين إلى يومنا هذا ثابت على هذا الخط... وهذا هو سبيل المؤمنين**»(١٥٦) .

---

(١٥٤) مسائل الإمام أحمد لأبي داود:(ص:٢٧٦و٢٧٧)، (ربيع) .

(١٥٥) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٢٧٦-٢٧٧) .

(١٥٦) انظر: "المرجع السابق"(٨/ ٨١-٨٢) .

المطلب الخامس

كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميزوا بها عن أهل الأهواء والبدع، والتي تدل على شدة تعظيمهم للنصوص الشرعية: أنهم لا يعاملون أقوال أئمتهم وعلمائهم معاملة النصوص الشرعية من حيث القبول والتسليم المطلق، ولا يجعلون أقوال أئمتهم وعلمائهم بمنزلة النصوص التي تحرم مخالفتها ومعارضتها؛ بل يأخذون منها ما وافق الحق والأدلة، ويتركون ما خالف ذلك؛ لأنها ليست وحياً منزَّلاً صادراً عن معصوم؛ وما ذاك إلا لإيمانهم بأنه لا معصوم إلا رسول الله ﷺ، وأما ما عداه فهو معرض للخطأ كائنا من كان(١٥٧) .

ومن هذا المنطلق صرحوا بأن أقوال الأئمة والعلماء مهما بلغوا من العلم يحتج لها ولا يحتج بها، وأنه ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وذلك خلافا لكثير من أهل البدع والتعصب الذين يرفعون أقوال أئمتهم إلى مصاف الأدلة الشرعية حيث إنهم يسلمون لهم بكل ما يقولون، ولا ينتهجون نهج

---

(١٥٧) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا مِنْ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ يَجِبُ لَهُمْ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ؛ بِخِلَافِ الْأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا تَجِب طَاعَتُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ وَلَا الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا يُخْبِرُونَ بِهِ؛ بَلْ يُعْرَضُ أَمْرُهُمْ وَخَبَرُهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَا وَافَقَ الْكِتَاب وَالسُّنَّةَ وَجَبَ قَبُولُهُ وَمَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مَرْدُودًا وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَكَانَ مُجْتَهِدًا مَعْذُورًا فِيمَا قَالَهُ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ. لَكِنَّهُ إذَا خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَانَ مُخْطِئًا وَكَانَ مِنْ الْخَطَإِ الْمَغْفُورِ إذَا كَانَ صَاحِبُهُ قَدْ اتَّقَى اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ»"الفتاوى"(١١/ ٢٠٨) .

أهل السنة في عرض أقوالهم على الأدلة فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردوه على قائله كبيرا كان أو صغيرا.

و قد قرر حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه هذا الأصل العظيم، وبين وبكل وضوح منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بياناً يثلج له صدر كل سلفي يعظم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقال:

« ومن غلو الصوفية في شيوخهم أنهم ينقلون كلامهم كأنه وحيٌ يوحى، ولا يزنون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا مما دفع الشيوخ إلى الأقوال الكثيرة التي لا صلة لها بالكتاب والسنة .

وهذا بخلاف أهل السنة وعلمائهم الذين يزنون أقوال الناس بعد الأنبياء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردوه، ومن أصولهم قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] .

ومن أصولهم المستمدة من الكتاب والسنة:« كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ » .

وتجد الصوفية من أبعد الناس عن هذه الأصول، ارجع إلى تراجم شيوخهم وأقوالهم لترى الغلو، والمبالغات والأقوال والعقائد، والإسراف في حكايات

الكرامات، ومنها ادعاء علم الغيب، والرقابة على الناس وخطراتهم ما لا نجد منه شيئاً من هذا عند السلف»(١٥٨) .

وقال أيده الله:« أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فهو من أعظم أئمتنا وله جهاد عظيم في نصرة الإسلام والسنة قلَّ من يلحقه فيه، وله نقد شديد على الصوفية في عدد من كتبه كالفرقان، والفرقان بين الحق والباطل، والرد على أهل وحدة الوجود، كما له مؤلفات عظيمة في الرد على الأشاعرة، والفلاسفة واليهود والنصارى والروافض، ولتلاميذه الكبار كابن القيم وابن عبد الهادي ردود على طوائف أهل البدع ولاسيما الصوفية .

ومع هذه المنازل العظيمة لهم، ومع جهادهم العظيم فإننا نتعامل مع أقوالهم بتلك القاعدة الذهبية التي قررها السلف، وعلى رأسهم الإمام مالك« كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ»، ونتعامل بما يقوله شيخ الإسلام:« الرجال يحتج لهم ولا يحتج بهم»، وبما يقوله:« إذ الأمة متفقة على أنه إذا اختلف مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة لم يجز أن يقال قول هذا هو صواب دون هذا إلا بحجة»(١٥٩) . ولا نتعامل معهم كما يتعامل متعصبة أهل الأهواء فنسلم بكل ما يقولون، ولا بقاعدة الصوفية،« كن مع شيخك كالميت بين يدي الغاسل »، وقاعدة:« لا

---

(١٥٨) انظر: " المرجع السابق"(١١/ ٥٢٠-٥٢١) .

(١٥٩) " مجموع الفتاوى " (٢٠/ ٥٨٥) .

تعترض فتنطرد »؛ بل نأخذ منهم ما وضح برهانه وقامت حجته، وما ليس كذلك، أو فيه مخالفة، أو ضعف فلا نلتزمه؛ بل نرده مع احترامنا لهم وإكبارنا لهم، واعتقاد أنهم أئمة مجتهدون كغيرهم من أهل الاجتهاد، للمصيب أجران، وللمخطئ أجر »(١٦٠) .

وقال حفظه الله: «من أصول أهل السنة: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ .

من أصول أهل السنة:« إن الرجال يحتج لهم ولا يحتج بهم »(١٦١) .

وقال سدده الله في سياق رده على الحدادي عبد اللطيف باشميل ، في اتهامه لأهل السنة بالمدينة بأنهم يتعصبون لأخطاء الألباني رحمه الله، بل ويدعون إليها!:

«سادسا: نحن نرفض أخطاء الألباني، وأخطاء من هو أكبر وأجل منه، ولا ندين الله إلا بالحق الثابت بالكتاب والسنة بفهم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن سار على نهجهم في هذا المنهج وقواعده، لاسيما قاعدة:« كل يؤحذ من قوله ويرد؛ إلا رسول الله ﷺ » هذا هو منهجنا»(١٦٢) .

---

(١٦٠) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٤٨٧) .

(١٦١) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ١٧٥) .

(١٦٢) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٤٨٠-٤٨١-٤٨٣) .

وقال حفظه الله في سياق تفنيده لشبه الحدادية: « **ونحن على طريقة السلف نقول: كلام العلماء يحتج له و لا يحتج به، وكل يؤخذ من قوله ويرد.**

وهؤلاء الصحابة يرد بعضهم على بعض، ويرجع المردود عليه إذا كانت الحجة مع أخيه.

وهذا أحمد يرد على الشافعي و إسحاق وغيرهم من إخوانه، ويرد على سفيان الثوري ومالك، ويخالفهم في كثير من المسائل.

وهذا الشافعي يرد على مالك، والليث يرد على مالك.

والبخاري ومسلم وغيرهم مجتهدون لا يلتزمون مذهب أحد من الأئمة.

وهذا ابن تيمية يرد ويأخذ ويعطي من أقوال الأئمة.

وكذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه يأخذون من أقوال الأئمة الكبار ما يوافق الدليل، ويردون ما خالف ذلك.. **فهذا هو منهج السلف** »(١٦٣) .

(١٦٣) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٦١٧-٦١٨) .

المطلب السادس

اتباع الدليل وذم التعصب والتقليد الأعمى .

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين اتباع الدليل الشرعي من الكتاب والسنة، والبعد عن التعصب والتقليد الأعمى للرجال، بخلاف غيرهم من متعصبة المذاهب، وكذا أصحاب الأحزاب والجماعات التي تقوم على الطاعة العمياء لأمرائها وقاداتها .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي سدده الله في سياق رده على الحزبي عبد الرحمن عبد الخالق:« لو كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب من دعاة التعددية الحزبية لما جاز لأتباعه أن يتبعوه؛ **إذ إن دعوة الإسلام ومنهج الإسلام: أن على المسلم اتباع الحق الثابت بالحجة والبرهان ، لا الاتباع الأعمى للشيوخ بدون حجة وبرهان .**

فهل يظن الشيخ عبدالرحمن أن لو وقع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في خطأ القول بتعدد الأحزاب أو تعدد الفرق أن تلاميذه سيتَّبِعونه هو أو غيره كائنا من كان على ذلك الخطأ؟ **كلا فإن منهجهم السلفي يحجزهم عن التقليد الأعمى**؛ لا سيما إذا كان ذلك الخطأ يصطدم بالنصوص الواضحة كالنصوص المحرمة للدعوة إلى

التحزب والتفرق ..**وهذه الأحزاب والجماعات تقوم على الطاعة العمياء لأمرائها وقاداتها وأحبارها ورهبانها** »(١٦٤) .

وقال حفظه الله:« المنهج السلفي قائم في كل قضية، وفي مواجهة أي باطل، على مثل قول الله تعالى:﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١] »(١٦٥) .

وقال حفظه الله في سياق رده على سلمان العودة، ودحض افتراءاته عن أهل السنة السلفيين:« يؤسفني أن يصدر هذا الكلام – والذي قبله – من رجل يعيش في بيئة سلفية جاهدت وناضلت للعودة بالناس إلى نور الكتاب والسنة **وإلى منهج السلف الصالح ـ ومنهم الأئمة الأربعة ـ في ذم التقليد والحث على الاعتصام بالكتاب والسنة** ، وأقوالهم في هذا الباب مدونة ولا تحصى.. »(١٦٦) .

وقال حفظه الله في معرض إزهاقه لأباطيل باشميل الحدادي الذي يزعم أنه على مذهب أهل السنة في ذم التعصب والتقليد، تحت عنوان:« **(دعوى عبد اللطيف بأن أهل المدينة يتعصَّبون للألباني تعصباً مذموماً يصل ببعضهم إلى حَدِّ الغلو، وفضح كذبه الغليظ في ذلك)**..

---

(١٦٤) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ١٠١) .

(١٦٥) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٤٨٩) .

(١٦٦) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٥٦٩-٥٧٠) .

قال- أي: باشميل- في (ص/ ٣٣):« تحذير أئمة أهل السنّة من التعصّب وذمّهم إيّاه » .

قال الشيخ ربيع حفظه الله:« وجعل هذا عنوانـًا، ونقل تحتَه عن الإمام البَرْبَهاري، وشيخ الإسلام ابن تيميَّة، والشَّاطبي، والشيخ محمد أمان؛ **ما يوهم النَّاس أنَّه يحارِب الباطل والتعصُّب، وأنَّه على طريقة أهل السنّة والجماعة في هذا الميدان .**

وما أبعده عن ذلك، فبينَه وبين ذلك بعد المشرقين »(١٦٧) .

** فصل **

اشتد نكير أهل السنة على أهل التعصب المقيت، والتقليد الأعمى للرجال والمذاهب والجماعات، كما حذَّروا من صنيعهم الباطل؛ لما يفضي إليه من المفاسد العظيمة .

ومن هذه المفاسد الوخيمة ما ذكره العلامة ربيع المدخلي في رسالته القيمة "التعصب الذميم وآثاره " فقال تحت عنوان:«

مفاسد التعصب:

نصوص كثيرة رُدت وهي في غاية الوضوح ... من أجل ماذا ؟ وما الذي حملهم على ردها أو تأويلها أو تحريفها ؟ إنما هو ذلكم الداء المقيت داء التعصب

(١٦٧) انظر: "المرجع السابق" (٩/ ٥٠٠) .

والعصبية العمياء ، والعياذ بالله وقد ذكر بعض العلماء ومنهم ابن القيم المفاسد التي تردى فيها المتعصبون للمذاهب فقال منها :

أولا: مخالفة النصوص الثابتة من الكتاب والسنة تعصبا للمذاهب، وتقديم الرأي المحض أحيانا عليها .

ثانيا: كثرة الأحاديث الضعيفة والموضوعة والاحتجاج بها واستنباط الأحكام منها، حملهم التعصب وبعضهم يكذب ويفتري نصرةً لمذهبه، وكتب مصطلح الحديث فيها أمثلة من هذه النماذج لهؤلاء المتعصبين .

ثالثا: تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة المتقدمين.. .

رابعا: الانحباس في مذهب واحد وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى وجهود رجالها وكتبها تعصبا لمذهب معين .

خامسا: خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة كثير عن دراسة الكتاب والسنة إلى هذه الكتب .

سادسا: شيوع التقليد والجمود وإقفال باب الاجتهاد .

وقد اختلفت دعوى إقفال باب الاجتهاد متى كان هذا الإقفال ؟

فمنهم من يقول: على رأس المائتين أغلق باب الاجتهاد .

ومنهم من يقول: على رأس الأربعمائة .

ومنهم من يقول: أغلق باب الاجتهاد على أحمد بن حنبل، إلى آخر الأقوال القائمة على الجهل والهوى والتي دفع إليها التعصب الأعمى.. .

سابعا: التشدد في بعض المسائل مما فيه عنت كبير على الناس ومما يجر عليهم الوسوسة وما شابه ذلك..» (١٦٨) .

وقال حفظه الله: التعصب « داء عضال فتك بعقول الأمم، وحطم المباديء وفتك بالأرواح، وإنه لأول داء ابتلي به الخلق، فإبليس اللعين أول عاص كان سبب معصيته هو التعصب ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] تعصب واعتزاز بعنصره، وقوم نوح وغيرهم من الأمم الضالة التي كذب الرسل الأحزاب .. الفرق .. أهل الأديان من اليهود والنصارى والمجوس والهنادك ، وسائر الكفرة والوثنيين، ما فتك بهم إلا هذا الداء العضال ـ والعياذ بالله ـ

الفرق الضالة المنتمية للإسلام قديما وحديثا سواء أصابها هذا الداء في عقائدها أو في عباداتها .

الأمراض القبلية كلها من هذا المنطلق .

---

(١٦٨) انظر "المرجع السابق" (١/ ٤٢٦-٤٣٣) .

إذاً هو داء فتاك بالأفراد والجماعات ويؤدي إلى تكذيب الرسل، وإلى الكذب والمغالطات في نشر المباديء الهدامة والأفكار الضالة ، فيجب أن يتحسس كل فرد وكل جماعة مواطن هذا الداء فيخلص كل واحد وكل جماعة فكره وعقله وحياته من هذا الداء الخطير ، ويتجه كل مسلم منا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ففيهما الشفاء والدواء الناجع للتخلص من هذه العاهة الكريهة البغيضة ، نسأل الله أن يعافي الأمة الإسلامية من هذا المرض الفتاك وأن يوحد صفوفها ويجمع كلمتها .

إن التعصب الذميم للأديان والقبائل والأشخاص والأفكار والمذاهب والأحزاب قد حاربه الإسلام أشد الحرب، ذلك أن التعصب المقيت هو المنبع الوحل المتعفن ،والمصدر البغيض لكل هذه الأدواء الفتاكة ، فهو الدافع للأحزاب الكافرة الظالمة لأن تقف في وجه الرسل والرسالات بالتكذيب والافتراء والاتهامات والجدال والخصام بالباطل »[١٦٩] .

---

[١٦٩] انظر "المرجع السابق" (١/ ٤١٣-٤١٤) .

المطلب السابع

تقديم الشرع على العقل

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تدل على تعظيمهم للنصوص الشرعية واستسلامهم لها: أنَّهم لا يقدِّمون عليها عقولهم؛ بل الأصل عندهم هو الكتاب والسنة، فهما أساس العلم والدِّين، ومن قواعدهم في هذا الباب:« إذا ورد النَّقل سلَّم العقل» وذلك خلافاً لأهل الأهواء والبدع الذين يقدِّمون عقولهم الفاسدة، بل خيالاتهم وشبهاتهم على نصوص الوحيين، فيجعلون العقل هو الأساس وهو الميزان، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالفها ردوه، ومن قواعدهم الكاسدة في هذا الباب:« إذا ورد النقل حكم العقل» فيجعلون العقل حاكما على الشرع! ومن ثم احتقروا الأدلة الشرعية، فقدموا عليها عقولهم وآراءهم، وإن ذكروا شيئاً منها فللاعتضاد لا للاعتماد، فجعلوها عبارة عن شواهد ومتابعات لعقولهم، وتصرفوا فيها بأنواع التأويلات والمجازات(١٧٠)، والله المستعان وعليه التكلان .

---

(١٧٠) قال أ أَبُو المظفر السَّمْعَانِيّ رحمه الله كما في" الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة "(١/ ٣٤٧):« وَاعْلَم: أَن فصل مَا بَيْننَا وَبَين المبتدعة هُوَ مَسْأَلَة الْعقل فإِنهم أسسوا دينهم عَلَى الْمَعْقُول، وَجعلُوا الِاتِّبَاع والمأثور تبعا للمعقول، وَأما أهل السّنة؛ قَالُوا: الأَصْل فِي الدّين الِاتِّبَاع والمعقول تبع، وَلَو كَانَ أساس الدّين عَلَى الْمَعْقُول لَا ستغنى الْخلق عَنِ الْوَحْي، وَعَن الْأَنْبِيَاء، ولبطل معنى الْأَمر وَالنَّهْي، ولقال من شَاءَ مَا شَاءَ » اهـ .

وبياناً لهذا الأصل السنِّي السلفي يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي وفقه الله وحفظه:« وكذلك المعتزلة والقدرية والجهمية والصوفية؛ كلهم عندهم تأويلات وتحريفات وردٌّ للنصوص بطرق ملتوية، خاصة في القرون المتأخرة من بعد ما انتشر الكلام في الأشاعرة وغيرهم؛ فقد ساد التأويل إلى أبعد الحدود، ودخل التصوف في الأشاعرة، فاتسعت دائرة الفتنة والضلال والانحراف، ومواجهة كثير من نصوص الكتاب والسنة خاصة الأمور الغيبية .

فهم يقولون: إذا تعارض العقل والنقل نقدم العقل! لماذا؟ لأنه أصل النقل! انظروا هذا الضلال .

أما أهل السنة فالأصل عندهم اتباع الكتاب والسنة، والعقل السديد هو الذي يفهم القرآن والسنة، والعقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح؛ لا يتعارض العقل والنقل أبداً(١٧١) .

لكن هم ليس عندهم عقول؛ وإنما عندهم شبهات ووساوس يسمونها عقليات؛ فلذلك تتصادم أهواؤهم وخيالاتهم بالقرآن والسنة .

---

(١٧١) قال شيخ الإسلام في "درء التعارض"(١/ ٢٣١):« وهذا مما يبين أن ما جاءت به الرسل هو الحق، وأن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه » اهـ .

أما أهل العقول الراجحة الصريحة الواضحة؛ فهؤلاء تنسجم عقولهم مع الكتاب والسنة، ويستسلمون لنصوص الكتاب والسنة:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]، ويرون أن هذه النصوص لا تخالف العقل أبداً، وأصرح العقول يتتلمذ على هذه النصوص؛ لأنها وحي من الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[النجم: ٤ – ٥] .

والله أمر باتباع الكتاب والسنة والاعتصام بهما »(١٧٢) .

وقال حفظه الله مُبيِّنًا أساس العلم عند أهل البدع:« أساس العلم هو العقل وهو الميزان؛ العقل هو الميزان؛ فإن جاء الشرع يوافق العقل قبلوه لا لأجل أنه شرع وإنما لأنه وافق عقولهم الفاسدة، وإن خالف عقولهم قدموا العقل على الكتاب والسنة، فأيُّ شرّ يفوق هذا؟! أن يقدم عقله الفاسد الجاهل على كلام الله الحكيم، العليم، الخبير، الذي أحاط بكل شيء علما، الذي قدره حكمة وشرعه حكمة، وكل قضية من القضايا التي يشرعها حكمة، وكل خبر قائم على العلم و العدل والحكمة .

(١٧٢) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٣١٩) .

فهؤلاء بعقولهم الفاسدة الكاسدة يردُّون النصوص النبوية ويحرفونها، لأنها أخبار آحاد! وأما نصوص القرآن فيصبون عليها التأويلات؛ لأنها وإن كانت قطعية الثبوت فإنها-عندهم- ظنية الدلالة، وهكذا يتعاملون مع نصوص الكتاب والسنة، ثم يوجِّهون هذه التهم لأهل السنة من حشوية ومشبهة وظاهريةو..و..إلى آخره، وهم أهل العقول، وأهل الوعي، وأهل الذكاء! أما أهل السنة فيأخذون بنصوص القرآن...ثم انحرف هؤلاء وأخذوا فلسفات اليونان وغيرها، فصارت عقولهم لا تقبل ظواهر نصوص القرآن!!» (١٧٣) .

(١٧٣) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٣١٧-٣١٨) .

المطلب الثامن

قبول أهل السنة للحق من كل من جاء به، وردهم للباطل على كل من قال به، ودورانهم مع الحق حيث دار

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« أهل الحديث يدورون مع الحق-إن شاء الله-(١٧٤) مع المحبة والاحترام لبعضهم البعض »(١٧٥) .

وقال حفظه الله نقلا عن الإمام ابن رجب رحمه الله قوله:«..فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم، يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم، كما قال

---

(١٧٤) قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة "(٢/ ٥١٦):« والاختلاف المذموم: كثيرا ما يكون مع كل فرقة من أهله بعض الحق فلا يقر له خصمه به بل يجحده إياه بغيا ومنافسة فيحمله ذلك على تسليط التأويل الباطل على النصوص التي مع خصمه وهذا شأن جميع المختلفين، **بخلاف أهل الحق فإنهم يعلمون الحق من كل من جاء به فيأخذون حق جميع الطوائف ويردون باطلهم**، فهؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣]، فأخبر سبحانه أنه هدى عباده لما اختلف فيه المختلفون. وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: « **اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** ».

فمن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممن هُدي لما اختلف فيه من الحق، فهذا أعلم الناس وأهداهم سبيلا وأقومهم قيلا »اهـ .

(١٧٥) انظر: "المرجع السابق " (١٥/ ٢٢٨) .

عمر رضي الله عنه في مهور النساء، وردّت المرأة بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [النساء:٢٠] .

فرجع عن قوله، وقال: « أصابت امرأة ورجل أخطأ » .

ورُوِيَ عنه أنه قال: « كل أحد أفقه من عمر » .

وكان بعض المشهورين إذا قال في رأيه بشيء يقول: « هذا رأينا؛ فمن جاءنا برأي أحسن منه قبلناه » .

وكان الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) يبالغ في هذا المعنى، ويوصي أصحابه باتباع الحق، وقبول السنة إذا ظهرت لهم على خلاف قوله، وأن يُضرب بقوله حينئذٍ الحائط، وكان يقول في كتبه: « لا بد أن يوجد فيها ما يخالف الكتاب أوالسنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢] »(١٧٦) .

وقال حفظه الله:« لكن أهل السنة والحمد لله هم دائمًا يدورون مع الحق ومع النصوص حيثما دارت »(١٧٧) .

---

(١٧٦) انظر: "المرجع السابق" (٥/ ٣١٦-٣١٧) .

(١٧٧) انظر: " قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرَّازيين " (ص٣٤) .

المبحث السابع

الأخذ بظواهر النصوص

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تدل على تعظيمهم للأدلة، والتي تميَّزوا بها عن أهل الأهواء والبدع، الأخذ بظواهر النصوص الشرعية، والوقوف عندها، من غير تأويل، ما لم يكن ثمَّت موجب لذلك، خلافاً لأهل البدع الذين ديدنهم تأويل؛ بل تحريف النصوص من غير أدلة ولا قرائن قوية موجبة لذلك التأويل؛ بل لمجرد شبهات وخيالات .

وفي بيان هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« في المنهج السلفي – منهج الفرقة الناجية المنصورة – ضمانات تمنع من الوقوع في الضلال والانحراف في الأصول والفروع؛ بشهادة القرآن والسنة... .

وواقع هذه الفرقة في الماضي والحاضر يشهد بذلك؛ فهم دعاة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح... .

ومن أصولهم الأخذ بظاهر النصوص(١٧٨)**؛ خلافاً لأهل البدع المحرِّفين**»(١٧٩) .

وقال حفظه الله:« سمُّوا(أي: أهل البدع) أهل السنة ظاهرية؛ لأنهم يؤمنون بالنصوص القرآنية والنبوية، ويأخذون بدلالتها الظاهرة الواضحة، فلا يئوِّلونها

---

(١٧٨) انظر: " الرسالة للشافعي" (ص٢١٧، ٣٢٨، ٣٤١)، وغيرها من كتب أصول الفقه، (ربيع) .

(١٧٩) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٥٦٧-٥٦٨) .

ولا يحرّفونها كما يفعل أهل الأهواء...إلى أن قال:«... فهؤلاء بعقولهم الفاسدة الكاسدة يردُّون النصوص النبوية ويحرفونها؛ لأنَّها أخبار آحاد! وأما نصوص القرآن فيصبُّون عليها التأويلات(١٨٠) ؛ لأنها وإن كانت قطعية الثبوت فإنها- عندهم- ظنية الدلالة .

وهكذا يتعاملون مع نصوص الكتاب والسنة... .

أما أهل السنة فيأخذون بنصوص القرآن؛ ما من صفة تقريباً إلا وفيها مئات وعشرات النصوص:« صفة الرحمة»؛ خمسمائة آية غير الأحاديث كلها تدل على هذه الصفة، ويأتي هؤلاء يئوّلونها! يخالفون قواعد اللغة، وقواعد القرآن، وقواعد

---

(١٨٠) قال العلامة العثيمين رحمه الله في " تلخيص الحموية "(ص٢٣):« علم مما سبق أن معاني التأويل ثلاثة:

أحدها: التفسير وهو إيضاح المعنى وبيانه، وهذا اصطلاح جمهور المفسرين ومنه :قوله ﷺ لابن عباس: « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**» وهذا معلوم عند العلماء في آيات الصفات وغيرها.

الثاني: الحقيقة التي يئول الشيء إليها، وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة كما قال تعالى:﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ** ﴾ [الأعراف:٥٣] ، ﴿ **ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء: ٥٩]، فتأويل آيات الصفات بهذا المعنى هو الكنه والحقيقة التي هي عليها، وهذا لا يعلمه إلا الله.

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى الذي يخالف الظاهر وهو اصطلاح المتأخرين من المتكلمين وغيرهم. وهذان نوعان: صحيح وفاسد:

فالصحيح: ما دل الدليل عليه . . .

والفاسد: ما لا دليل عليه كتأويل استواء الله على عرشه باستيلائه ويده بقوته ونعمته ونحو ذلك» .

والتأويلات التي يصّبُّها أهل الأهواء على النصوص كما قال الشيخ ربيع هي من نوع التأويلات الفاسدة التي لا دليل عليها، بل الدليل على خلافها، وهي في حقيقتها تحريفات للنصوص، وتعطيل لها عن المراد بها .!! .

أهل السنة وما كان عليه الرسول والصحابة! هل رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ تأوّل؟! هل الرسول تأوّل شيئاً من هذه النصوص؟!

ثم انحرف هؤلاء وأخذوا فلسفات اليونان وغيرها، فصارت عقولهم لا تقبل ظواهر نصوص القرآن!! **والأصل في الإسلام الأخذ بظاهر النص القرآني أو النبوي، الأصل فيه الأخذ بالظاهر**، ولا يجوز التأويل إلا بقرينة قوية واضحة،(١٨١) وهم ليس عندهم قرائن، إنما عندهم شبهات وخيالات!

---

(١٨١) ولا يصح التأويل عند أهل السنة إلا بشروط، ذكرها غير واحد من أهل العلم منهم العلامة ابن القيم رحمه الله كما في كتابه " الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة " (١/ ٢٩٢) حيث قال تحت عنوان: " الفصل التاسع: في الوظائف الواجبة على المتأول الذي لا يقبل منه تأويله إلا بها ":

« **لما كان الأصل في الكلام هو الحقيقة والظاهر كان العدول به عن حقيقته وظاهره مخرجا له عن الأصل فاحتاج مدعي ذلك إلى دليل يسوغ له إخراجه عن أصله فعليه أربعة أمور لا تتم له دعواه إلا بها.**

الأمر الأول: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي تأوله في ذلك التركيب الذي وقع فيه وإلا كان كاذبا على اللغة منشئا وضعا من عنده فإن اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة، وإن احتمله فقد لا يحتمله في ذلك التركيب الخاص... .

الثاني: وأن يكون ذلك المعنى مما تجوز نسبته إلى الله وأن لا يعود على شيء من صفات كماله بالإبطال والتعطيل وأن يكون معه قرائن تحتف به تبين أنه مراد باللفظ وإلا كانت دعوى إرادته كذبا على المتكلم... .

الثالث: إقامة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره فإن دليل المدعي للحقيقة والظاهر قائم فلا يجوز العدول عنه إلا بدليل صارف يكون أقوى منه .

الرابع: الجواب عن المعارض فإن مدعي الحقيقة قد أقام الدليل العقلي والسمعي على إرادة الحقيقة » اهـ .

نحن قد نرى مثلاً نصين متعارضين، فنجمع بينهما، وهذا فيما يبدو لنا وإلا فهي ليست متعارضة(١٨٢)، فنجمع بينهما؛ هذا نوع تأويل .

لكن النّصوص الواضحة مثل نصوص الصفات هذه ليست من المتشابه ولا تحتاج إلى تأويل؛ لهذا ما أولها الصحابة ولا التابعون ولا أئمة الهدى(١٨٣) .

ولما برز هؤلاء بفتنهم وتأويلاتهم الفاسدة، واجههم أهل السنة بالحجج والبراهين التي تدحض شبهاتهم وأباطيلهم »(١٨٤) .

---

(١٨٢) قال الشاطبي في كتابه " الموافقات "(٥/ ٣٤١):« الشَّرِيعَةَ لَا تَعَارُضَ فِيهَا أَلْبَتَّةَ، فَالْمُتَحَقِّقُ بِهَا مُتَحَقِّقٌ بما في [نفس] الأمر؛ فيلزم أن لا يَكُونَ عِنْدَهُ تَعَارُضٌ، وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ الْبَتَّةَ دَلِيلَيْنِ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى تَعَارُضِهِمَا بِحَيْثُ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْوُقُوفُ؛ لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَفْرَادُ الْمُجْتَهِدِينَ غَيْرَ مَعْصُومِينَ مِنَ الْخَطَأِ؛ أَمْكَنَ التَّعَارُضُ بَيْنَ الأدلة عندهم » اهـ .

(١٨٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "الفتاوى "(٦/ ٣٩٤):« وَأَمَّا الَّذِي أَقُولُهُ الْآنَ وَأَكْتُبُهُ – وَإِنْ كُنْت لَمْ أَكْتُبْهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَجْوِبَتِي وَإِنَّمَا أَقُولُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْمَجَالِسِ – أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَات فَلَيْسَ عَنْ الصَّحَابَةِ اخْتِلَافٌ فِي تَأْوِيلِهَا، وَقَدْ طَالَعْت التَّفَاسِيرَ الْمَنْقُولَةَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَمَا رَوَوْهُ مِنْ الْحَدِيثِ وَوَقَفْت مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِنْ الْكُتُبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَفْسِيرٍ فَلَمْ أَجِدْ – إلَى سَاعَتِي هَذِهِ – عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ تَأَوَّلَ شَيْئًا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَوْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ بِخِلَافِ مُقْتَضَاهَا الْمَفْهُومِ الْمَعْرُوفِ ؛ بَلْ عَنْهُمْ مِنْ تَقْرِيرِ ذَلِكَ وَتَثْبِيتِهِ وَبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ مَا يُخَالِفُ كَلَامَ الْمُتَأَوِّلِينَ مَا لَا يُحْصِيهِ إلَّا اللهُ، وَكَذَلِكَ فِيمَا يَذْكُرُونَهُ آثِرِينَ وَذَاكِرِينَ عَنْهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا» اهـ .

(١٨٤) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٣١٧-٣١٨) .

المبحث الثامن

العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه ورده إلى المحكم

من أصول ومميِّزات أهل السنة والجماعة السلفيين في تعاملهم مع النصوص الشرعية: أنهم يؤمنون ويعملون بالنصوص المحكمة، ويبنون عليها دينهم وعقائدهم، وأما النصوص المتشابهة فإنهم يؤمنون بها كذلك(١٨٥)، ويردُّونها إلى المحكمات فيفسرونها بها، فتتَّفِق حينذاك دلالتها مع دلالة النصوص المحكمة، و يزول ما يتبادر إلى الأذهان من التعارض؛ لأنَّهم يؤمنون بأنَّ الكل من عند الله، وما كان من عند الله فلا تناقض فيه ولا تعارض ولا اختلاف .

وذلك بخلاف أهل البدع والأهواء؛ فإنَّهم يتَّبعون ما تشابه من النصوص، ولا يردُّونها إلى المحكمات، ويسعون في تأويلها وليِّ أعناقها إلى ما يوافق أهواءهم، ابتغاءً للفتنة وصداً للناس عن دينهم، فضربوا نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، ليدعِّموا مناهجهم الفاسدة، وآراءهم الضالة، فضلُّوا وأضلُّوا كثيراً، وضلُّوا عن سواء السبيل .

---

(١٨٥) ومعنى المحكم والمتشابه هو: أن المحكم مُفْعَلٌ مِنْ أَحْكَمْتُ الشَّيْءَ أُحْكِمُهُ إِحْكَامًا ؛ فَهُوَ مُحْكَمٌ: إِذَا أَتْقَنْتَهُ ؛ فَكَانَ عَلَى غَايَةٍ مَا يَنْبَغِي مِنَ الْحِكْمَةِ. وَمِنْهُ بَنَّاءٌ مُحْكَمٌ، أَيْ: ثَابِتٌ مُتْقَنٌ، يَبْعُدُ انْهِدَامُهُ.

وَالْمُتَشَابِهُ: مُتَفَاعِلٌ مِنَ الشِّبْهِ، وَالشَّبَهِ، وَالشَّبِيهِ، وَهُوَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَمْرٌ مُشْتَرَكٌ ؛ فَيَشْتَبِهُ وَيَلْتَبِسُ بِهِ.

وَأَمَّا مَعْنَاهُ: فَأَجْوَدُ مَا قِيلَ فِيهِ: إِنَّ الْمُحْكَمَ الْمُتَّضِحُ الْمَعْنَى، كَالنُّصُوصِ وَالظَّوَاهِرِ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْبَيَانِ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ.

وَ «الْمُتَشَابِهَ مُقَابِلُهُ» : أَيْ: مُقَابِلُ الْمُحَكَّمِ، وَهُوَ غَيْرُ الْمُتَّضِحِ الْمَعْنَى ؛ فَتَشْتَبِهُ بَعْض مُحْتَمَلَاتِهِ بِبَعْضٍ لِلاشْتِرَاكِ، أَيْ: تُشَابِهُهُ »: "شرح مختصر الروضة" (٢/ ٤٣) .

وفي تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، والردِّ على مخالفيهم من أهل الزَّيغ والأهواء يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي غفر الله له:« في القرآن الكريم تقرءون قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧] (١٨٦) .

---

(١٨٦) اختلف أهل العلم في الوقف في هذه الآية على قولين، كما أفاد ذلك غير واحد من المفسرين، منهم الإمام ابن كثير رحمه الله، حيث قال:« اخْتَلَفَ الْقُرَّاءُ فِي الْوَقْفِ هَاهُنَا، فَقِيلَ: عَلَى الْجَلَالَةِ، كَمَا تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: « **التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي فَهْمِهِ .**

وَتَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ لُغَاتِهَا .

وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي العلم .

وتفسير لا يعلمه إلا الله، وَيُرْوَى هَذَا الْقَوْلُ عَنْ عَائِشَةَ وَعُرْوَةَ وَأَبِي الشَّعْثَاءِ وَأَبِي نَهِيكٍ وَغَيْرِهِمْ...

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، وَتَبِعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ الْأُصُولِ، وَقَالُوا: الْخِطَابُ بِمَا لَا يُفْهَمُ بَعِيدٌ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ:«لا أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ »...

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ فَصَّلَ فِي هَذَا المقام وقال: التَّأْوِيلُ يُطْلَقُ، وَيُرَادُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ مَعْنَيَانِ:

أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٠]، وَقَوْلُهُ:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٣]، أَيْ: حَقِيقَةُ مَا أُخْبِرُوا بِهِ مِنَ أَمْرِ الْمَعَادِ .

فَإِنْ أُرِيدَ بِالتَّأْوِيلِ هَذَا: فَالْوَقْفُ عَلَى الْجَلَالَةِ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَكُنْهَهَا لَا يَعْلَمُهُ عَلَى الْجَلِيَّةِ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأ، و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خَبَرَهُ .

وَأَمَّا إِنْ أُرِيدَ بِالتَّأْوِيلِ المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ أَيْ بِتَفْسِيرِهِ، فَإِنَّ أُرِيدَ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، فَالْوَقْفُ عَلَى وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ وَيَفْهَمُونَ مَا خُوطِبُوا بِهِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَإِنْ لَمْ يُحِيطُوا عِلْمًا بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى كُنْهِ ما هي عليه » اهـ .

نبَّهَنا الله في هذه الآية التي ذكرناها أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، يتقصدون فتنة النّاس في دينهم والانحراف بهم عن دين الله الحق إلى ما هم فيه من البدع والضلال، وما هم فيه من الشبهات.. .

الرسول عليه السلام تلا هذه الآية لما تلاها قال:« فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(١٨٧) .

فهؤلاء أهل الأهواء، وأهل الزَّيغ هم الذين يتتبعون المتشابهات، الرسول ﷺ يقصد أنَّ أهل الزَّيغ الذين يتَّبعون المتشابه هم الذين يجب أن يحذرهم الناس، **فمن علامة أهل البدع، ومن علامة أهل الزيغ أنّهم لا يسلكون مسالك أهل السنة في بناء دينهم على الآيات المحكمة، ورَدَّ المتشابهات إلى المحكمات**(١٨٨)؛ وإنما يتعلقون بما يوافق هواهم، ويستطيعون أن يروِّجوا به لدعواهم الفاسدة، وبدعهم

---

(١٨٧) أخرجه البخاري في التفسير حديث(٤٥٣٥)، ومسلم في البر حديث(٢٦٢٨) كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها. (ربيع).

(١٨٨) قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "إعلام الموقعين"(٢/ ٢٠٩):« وَهَذَا فِعْلُ الَّذِينَ يَسْتَمْسِكُونَ بِالْمُتَشَابِهِ فِي رَدِّ الْمُحْكَمِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا لَفْظًا مُتَشَابِهًا غَيْرَ الْمُحْكَمِ يَرُدُّونَهُ بِهِ اسْتَخْرَجُوا مِنْ الْمُحْكَمِ وَصْفًا مُتَشَابِهًا وَرَدُّوهُ بِهِ، فَلَهُمْ طَرِيقَانِ فِي رَدِّ السُّنَنِ:

أَحَدُهُمَا: رَدُّهَا بِالْمُتَشَابِهِ مِنْ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ السُّنَنِ .

الثَّانِي: جَعْلُهُمْ الْمُحْكَمَ مُتَشَابِهًا لِيُعَطِّلُوا دَلَالَتَهُ .

وَأَمَّا طَرِيقَةُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ كَالشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ وَالْبُخَارِيِّ وَإِسْحَاقَ فَعَكْسُ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إلَى الْمُحْكَمِ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ الْمُحْكَمِ مَا يُفَسِّرُ لَهُمْ الْمُتَشَابِهَ وَيُبَيِّنُهُ لَهُمْ، فَتَتَّفِقُ دَلَالَتُهُ مَعَ دَلَالَةِ الْمُحْكَمِ، وَتُوَافِقُ النُّصُوصُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَإِنَّهَا كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَنَاقُضَ، وَإِنَّمَا الِاخْتِلَافُ وَالتَّنَاقُضُ فِيمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ » اهـ .

الضالة؛ كما فعل الخوارج والروافض، والمرجئة، والقدرية؛ فإنهم يتعلقون من النصوص المجملة والمتشابهة بما يوافق هواهم؛ فيضلون به ويضلون الناس، وعلى هذه الشاكلة أهل البدع في كل زمان ومكان، مهما كان نوع بدعتهم»(١٨٩) .

وقال حفظه الله تعالى:« أهل السنة يتفقهون في كتاب الله وسنة رسوله على طريقة الصحابة والتابعين، في العقائد والعبادات والمعاملات، ويردون النصوص المتشابهة إلى النصوص المحكمة(١٩٠).

---

(١٨٩) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥-٣٥٦) .

(١٩٠) **فائدة:** قال العلامة العثيمين رحمه الله في "تقريب التدمرية"(ص٧٩):« اعلم أن الله تعالى وصف القرآن بأنه محكم، وبأنه متشابه، وبأن بعضه محكم وبعضه متشابه.

فالأول كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [لقمان: ٢] .

والثاني كقوله:﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر: ٢٣] .

والثالث كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] .

- فالإحكام الذي وصف به جميع القرآن هو: الإتقان والجودة في اللفظ والمعنى، فألفاظ القرآن كله في أكمل البيان والفصاحة والبلاغة، ومعانيه أكمل المعاني وأجلها وأنفعها للخلق حيث تتضمن كمال الصدق في الأخبار، وكمال الرشد والعدل في الأحكام، كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

- والتشابه الذي وصف به جميع القرآن هو: تشابه القرآن في الكمال والإتقان والائتلاف، فلا يناقض بعضه بعضاً في الأحكام، ولا يكذب بعضه بعضاً في الأخبار كما قال الله تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] .

- والإحكام الذي وصف به بعض القرآن هو: الوضوح والظهور بحيث يكون معناه واضحاً بيناً لا يشتبه على أحد، وهذا كثير في الأخبار والأحكام.

مثاله في الأخبار قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فكل أحد يعرف شهر رمضان، وكل أحد يعرف القرآن.

وأهل الأهواء يفسرون القرآن والسنة حسب أهوائهم ويقدمون المتشابهات على المحكمات »(١٩١) .

وقال سدده الله وعافاه:« أهل السنة لاجفاء ولاغلوّ، ولا إفراط ولا تفريط؛ بل يجمعون بين النصوص.. .

ما من صاحب بدعة إلا وتجده يتتبع المتشابهات ويعرض عن المحكمات، وأهل السنة يأخذون بالمحكمات، ويُرجعون المتشابهات إلى المحكمات بالتوفيق بينهما(١٩٢).

ومثاله في الأحكام قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فكل أحد يعرف والديه، وكل أحد يعرف الإحسان.

– وأما التشابه الذي وصف به بعض القرآن فهو: الاشتباه ، أي: خفاء المعنى بحيث يشتبه على بعض الناس دون غيرهم، فيعلمه الراسخون في العلم دون غيرهم.

* موقفنا من اختلاف هذه الأوصاف وكيفية الجمع بينها:

موقفنا من اختلاف هذه الأوصاف وكيف نجمع بينها أن نقول:

– إن وصف القرآن جميعه بالإحكام، ووصفه جميعه بالتشابه لا يتعارضان والجمع بينهما: أن الكلام المحكم المتقن يشبه بعضه بعضاً في الكمال والصدق، فلا يتناقض في أحكامه، ولا يتكاذب في أخباره.

– وأما وصف القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه فلا تعارض بينهما أصلاً؛ لأن كل وصف وارد على محل لم يرد عليه الآخر، فبعض القرآن محكم ظاهر المعنى، وبعضه متشابه خفي المعنى، وقد انقسم الناس في ذلك إلى قسمين:

فالراسخون في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا، وإذا كان من عنده فلن يكون فيه اشتباه يستلزم ضلالاً أو تناقضاً، ويردون المتشابه إلى المحكم فصار مآل المتشابه إلى الإحكام.

وأما أهل الضلال والزيغ: فاتبعوا المتشابه وجعلوه مثاراً للشك والتشكيك فضلوا وأضلوا، وتوهموا بهذا المتشابه ما لا يليق بالله عز وجل ولا بكتابه ولا برسوله » اهـ .

(١٩١) انظر: "المرجع السابق"(٧/ ٢٨٩) .

(١٩٢) مما ينبغي أن يعلم: أن التشابه الواقع في القرآن نوعان: حقيقي ونسبي:

بتخصيص العام، وتقييد المطلق، والناسخ والمنسوخ عندهم و..إلى آخره؛ لكن الناسخ والمنسوخ لا يدخل في الأخبار .

الشاهد أنهم لا يضربون النصوص بعضها ببعض كما يفعل هؤلاء وهؤلاء »(١٩٣).

وقال أيّده الله ودفع عنه كل سوء ومكروه:« الأخذ بالشريعة بارك الله فيكم بكاملها والجمع بين النصوص؛ لكن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه

– فالحقيقي: ما لا يعلمه إلا الله عز وجل مثل: حقيقة ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر فإنا – وإن كنا نعلم معاني تلك الأخبار – لا نعلم حقائقها وكنهها، كما قال الله تعالى عن نفسه: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠] . وقال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

وقال عما في اليوم الآخر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

وفي الحديث القدسي الثابت في الصحيحين عن النبي ﷺ أن الله قال: « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر** ».

فما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا، كما أخبر عن نفسه أنه حي، عليم، قدير، سميع، بصير ... ونحو ذلك.

ونحن نعلم أن ما دلت عليه هذه الأسماء من الصفات ليس مماثلاً في الحقيقة لما للمخلوق منها، فحقيقتها لا يعلم معناها إلا الله.

كما نعلم أن في الجنة لحماً، ولبناً، وعسلاً، وماء، وخمراً ... ونحو ذلك، ولكن ليس حقيقة ذلك من جنب ما في الدنيا، وحينئذ لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

والإخبار عن الغائب لا يفهم إن لم يعبر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الشاهد، ويعلم بها ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد، مع العلم بالفارق المميز، وأن ما أخبر الله به من الغيب أعظم مما يعلم في الشاهد.

وهذا النوع الذي لا يعلمه إلا الله لا يسأل عنه لتعذر الوصول إليه.

– وأما النسبي؛ فهو ما يكون مشتبهاً على بعض الناس دون بعض، فيعلم منه الراسخون في العلم والإيمان ما يخفى على غيرهم، إما لنقص في علمهم أو تقصير في طلبهم، أو قصور في فهمهم، أو سوء في قصدهم.

وهذا النوع يسأل عن بيانه، لأنه يمكن الوصول إليه، إذ ليس في القرآن شيء لا يتبين معناه لأحد من الناس »، انظر: "تقريب التدمرية"(ص٧٩) للعلامة العثيمين رحمه الله .انظر: "المرجع السابق"(٧/ ٢٨٩) .

(١٩٣) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ١٨٨) .

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وأهل السنة يأخذون بالمحكمات ويردون المتشابهات إلى المحكمات، فهذه النصوص المتشابهة يردونها، ويُجمع بينها، ولا يضرب بعضها ببعض كما يفعل الخوارج، وكما يفعل غيرهم من أهل البدع من المرجئة والمعتزلة وغيرهم، يتعلق بشبهة نص، ويذهب يخترع به بدعة؛ فيكفر به المسلمين أو كذا وكذا. .

أما الراسخون في العلم فهذه طريقتهم الجمع بين النصوص والتأليف بينها، والتوفيق بينها بحيث يمكن العمل بالجميع »(١٩٤) .

** فصل **

و فيه عدد من الأمثلة التي ضربها الشيخ ربيع نصره الله لبعض النصوص المتشابهة التي تعلق بها بعض أهل البدع ابتغاء الفتنة، وبين طريقة أهل السنة في التوفيق بينها وبين المحكمات، وذلك بردِّها إلى المحكمات وتفسيرها بها، فقال في شرح حديث:« ثلاث من كنّ فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» وفي رواية: « إذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر»(١٩٥):

---

(١٩٤) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٤٤١) .

(١٩٥) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، حديث رقم(٦١٠٤،٦١٠٣)، مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم(٥٨،٥٩)، (ربيع) .

« وهذه علامات تسمى علامات المنافقين نفاقاً عملياً؛ يعني ليس عندهم كفر باطن وقد يكون، ولهذا قال: « من كن فيه كان منافقا خالصاً »، فقد يكون منافقاً مائة في المائة، وقد يكون عنده نفاق عملي؛ ولكن يجب أن نحذر من هذا الذي إذا وعد أخلف، وإذا حلف كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر،-والله- يجب أن نسيء به الظن وأن نحذر منه، لأنّ فيه علامات قوية من علامات المنافقين الحقيقيين، ولا نجزم ولكن نكون على حذر .

نسوق الأحاديث التي لا نجزم بأن أهلها كفار وإنّما نتوقف فيها، وهذا أهيَب للأحاديث..فإذا مثلاً نوقشنا فيها نبيّن للنّاس أنّ هذا نفاق عملي وأن هذا كفر دون كفر. .

ومذهب أهل السنة لا يكفرون أهل الكبائر، فمثلا: قوله ﷺ:« لا ترجعوا بعدي كفاراً ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض »(١٩٦) الخوارج يكفرون بهذه النصوص، وأهل السنة يقولون: لا، ليس كذلك، فالله يقول:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[الحجرات:٩-١٠]، فشهد لهم بالإيمان، وشهد لهم بالأخوة الإيمانية، مع أنهم اقتتلوا وقاتل بعضهم بعضاً، وسلّوا السّيوف بعضهم على

(١٩٦) أخرجه البخاري (٧٠٧٧، ومواضع أخر) ، ومسلم (٦٥) عن جرير رضي الله عنه .

بعض؛ لكن إذا كان هذا الذي سلّ السّيف وقاتل المسلم مستحلًّا لذلك فهو كافر، وإن كان يرى حرمة دم هذا المسلم وإنما لشهوة و غرض وأحقاد وأشياء مع أنّه يرى أنّ هذا القتال حرام، فهذا ليس بكافر وإنما عنده كفر دون كفر، كفر عملي لا يخرجه من الملّة، ولهذا فسر أبو عبيدة وغيره، وابن تيمية وأئمة الإسلام كلهم هذه الأحاديث التي تعلق بها الخوارج وذهبوا يكفرون بها المسلمين بارتكاب هذه الكبائر، بالزنا وشرب الخمر والقتل والقتال وما شاكل ذلك، فيكفرونهم .

أهل السنة شرحوا هذه الأحاديث بمثل ما قلنا لكم .

وكذلك« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »(١٩٧) يقام عليه الحدّ إما رجماً وإما جلداً، ولو كان كافرا يأتي قوله ﷺ :« من بدّل دينه فاقتلوه»(١٩٨) حكمه القتل فقط، يستتاب فإن تاب و إلا قُتل قَتلَ ردّة لا قتل حدّ .

والسارق تقطع يده حدًّا قال تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨] .

لو كان كفرا يقتل ولا تقطع يده »(١٩٩) .

---

(١٩٧) سبق تخريجه .

(١٩٨) أخرجه البخاري (٦٩٢٢، ٣٠١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(١٩٩) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٤٣٩-٤٤٠-٤٤١) .

المبحث التاسع

التقيد بفهم السلف(٢٠٠) للنصوص

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميّزوا بها عن أهل البدع والأهواء، تقيدهم بفهم السلف الصالح للنصوص الشرعية، بخلاف أهل البدع والأهواء؛ فإنهم لا يعوِّلون على فهم السلف للنصوص، بل يعتدُّون بأفهامهم القاصرة، وعقولهم الفاسدة .

---

(٢٠٠) السلف في اللغة:

جمع سالف، وهو: المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون .

ومنه قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ .

قال البغوي في تفسيرها: « والسلف: من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين؛ ليتعظ بهم الآخرون » .

وقال ابن الأثير: « سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح »، نقلا عن رسالة " وسطية أهل السنة بين الفرق"(ص٩٦) .

وأما السلف في الاصطلاح، ففي بيانه تقول اللجنة الدائمة جوابًا على سؤال ورد إليها برقم (٦١٤٩) (٢/ ١٦٤) هذا نصه:

أريد تفسيراً لكلمة السلف ومن هم السلفيون . . . ؟

الجواب: « السلف هم أهل السنة والجماعة المتبعون لمحمد ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة ،

ولما سئل ﷺ عن الفرقة الناجية قال : « هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

وجاء في الفتوى رقم (١٣٦١) (١/ ١٦٥) : ما هي السلفية وما رأيكم فيها ؟

الجواب: السلفية نسبة إلى السلف، والسلف هم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى رضي الله عنهم الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير في قوله: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم .

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السنة والجماعة »، نقلا عن رسالة " تبصير الخلف بشرعية الانتساب إلى السلف " .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي العظيم يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى وسدَّده:

« ها هنا أمور أحب أن ألفت نظر القارئ إليها؛ منها:

١ – أن في المنهج السلفي – منهج الفرقة الناجية المنصورة – ضمانات تمنع من الوقوع في الضلال والانحراف في الأصول والفروع؛ بشهادة القرآن والسنة :

قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] (٢٠١).

ومن السنة: « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله، وسنتي »(٢٠٢) .

والأدلة كثيرة على هذا الأصل .

٢ – وواقع هذه الفرقة في الماضي والحاضر يشهد بذلك؛ فهم دعاة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح، والتقيّد به. . .

---

(٢٠١) قال الإمام ابن جرير في " تفسيره " عند هذه الآية: « حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ يَزِيدَ الطَّحَّانُ، قَالَ: ثنا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: « تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ »، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ. . .

حَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْدِيُّ، قَالَ: ثنا حَكَّامٌ الرَّازِيُّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مَرْوَانَ، ثنا الْمُلَائِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّ اللهَ قَدْ ضَمِنَ. فَذَكَرَ نَحْوَهُ » اهـ .

(٢٠٢) سبق تخريجه .

٣- ومن شروطهم لِفَهم الكتاب والسنة التقيُّد بفهم السلف في الأصول والفروع؛

فهذه من الأسباب الواقية – بعد رعاية الله – من الوقوع في الضلال والانحراف، وواقعهم يشهد بذلك »(٢٠٣) .

وقال سدده الله:« **كل من تمسك بالكتاب والسنة وسار على طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان وطريقة أئمة الهدى في فهم الكتاب والسنة من الفرقة الناجية المنصورة** »(٢٠٤) .

وسئل الشيخ ثبَّته الله على الحق:« هل من يرد تفسير ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المائدة: ٤٤]، ويقول الآية على إطلاقها ولا يجوز تخصيصها، والحاكم بغير ما أنزل الله كافر مطلقًا، هل يعتبر هذا الرجل من الخوارج؟

فأجاب:« لا شك أن هذا مسلك الخوارج؛ فالذي يخالف أئمة التفسير وعلى رأسهم ابن عباس، ويخالف أئمة الحديث والسنة، وأئمة العقيدة والمنهج في مثل هذه الأحكام الخطيرة، وهذه الأصول العظيمة، فلا شك أنه قد اختار غير طريقة أهل السنة والجماعة، ومنهجاً غير منهج أهل السنة والجماعة، وغير منهج الراسخين في العلم.. .

---

(٢٠٣) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٥٦٧-٥٦٨) .

(٢٠٤) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٦٠٩) .

وليس الغريب من أهل البدع أن يخالفوا الصحابة؛ بل أن يخالفوا الكتاب والسنة.. .» (٢٠٥) .

ولا شك بأن مخالفة السلف في فهم الكتاب والسنة كما حصل من أهل البدع: هلاك وضلال، وسبب لتفريق الأمة، كما أفاده العلامة ربيع المدخلي حفظه الله .

حيث قال:« نحن يجب علينا أن نأخذ بفهمهم، وإذا خالفنا فهمهم هلكنا؛ ولهذا أول من هلك الخوارج، وسماهم الرسول ﷺ: « **كلاب النار..شر الخلق والخليقة..فإذا لقيتموهم فاقتلوهم** » لماذا؟ لأنهم احتقروا فهم الصحابة، واعتمدوا على أفهامهم السقيمة، فضلوا وأضلوا، وأهلكوا أنفسهم، وخلفوا في الأمة شرًّا وبلاءً عظيماً .

فلابد من احترام فهم السلف، والثبات عليه، والتمسك به، والعض عليه بالنواجذ »(٢٠٦) .

** فصل **

وفيه بيان من العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بأن فهم السلف هو الميزان الذين توزن به فهوم الناس لنصوص الكتاب والسنة، فما وافق منها فهم السلف فهو

(٢٠٥) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٤١٧-٤١٨) .

(٢٠٦) انظر: "المرجع السابق"(١٥/ ٣٠) .

حق، وما خالفه فهو باطل، حيث قال: « الروافض يدَّعون أنهم يدعون إلى الكتاب والسنة، وعبّاد القبور يدّعون أنهم يدعون إلى الكتاب والسنة، والأحزاب-كثير منهم- يدّعون أنهم يدعون إلى الكتاب والسنة، فميزانهم أن نرجع إلى فهم السلف في تفسير النصوص، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ...نرجع إلى فهم السلف...وإلى فهوم السلف، وإلى تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وتفسير ابن أبي حاتم، وأمثالها لنميِّز بين المحق والمبطل، وهناك تتساقط الدعاوى الباطلة، ويظهر الفرقان بين الحق والباطل، وبين أهل الحق وأهل الباطل »(٢٠٧) .

** فصل **

وفيه إشارة من الشيخ ربيع حفظه الله إلى مسألة مهمة وهي فيما إذا اختلف السلف في بعض المسائل، فحينئذ نرد المسألة إلى الكتاب والسنة فنرجِّح في ضوء الأدلة الشرعية، وفي إطار هذا المنهج ما نراه صواباً، ولا نأتي بآراء وأقوال جديدة، لأن ذلك يؤدي إلى الفرقة والخلاف، والخروج عن فهم السلف .

قال الشيخ نصره الله:« تجد مسائل اختلف فيها السلف؛ فإن مفاهيم السلف تختلف في شيء من القضايا الفرعية في فهم النصوص، في الأمور الفرعية قد يوجد خلاف بين مالك والشافعي، بين الشافعي وأحمد، فيدرس في ضوء الأدلة

(٢٠٧) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ١٨٠) .

الشرعية، وفي ضوء النصوص القرآنية والنبوية فيترجح له مذهب على مذهب، فله ذلك... .

أما إذا كان يقصد الانفلات- وما أظن سلفياً يقصد هذا-... فأما إذا كان هذا الإنسان يريد الانفلات من فهم السلف ويقارعهم بفهمه الذي ابتدعه ولم يسبقه إليه أحد، فلا ولا كرامة .

وأقول بهذه المناسبة: أنا أنصح السلفيين في كل مكان أن يتقيدوا بمنهج السلف وفهمهم، وله أن يرجح في إطار هذا المنهج، وإطار هذا الفهم، يرجح ما يتبّين له أنه الحق، لكن لا يخرج على السلفيين بآراء جديدة يقتبسها من خارج منهج السلف، من طوائف البدع والضلال ومن الأحزاب وغيرها، ثم يريد أن يفرضها على السلفيين، فتؤدي إلى الفرقة والخلاف »(٢٠٨) .

وقال حفظه الله:« لن نفهم القرآن إلا إذا اتبعنا واقتفينا آثار السلف، إذا تأدبنا معهم وعرفنا قدرهم ومنزلتهم... .

نعم إذا اختلف بعض السلف حينئذٍ نعرض أقوال المختلفين على الكتاب والسنة فنأخذ بما وافقهما »(٢٠٩) .

---

(٢٠٨) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٤٥٩) .

(٢٠٩) انظر: "المرجع السابق"(١٥/ ٣١) .

المبحث العاشر

لا يقولون بقول ليس لهم فيه سلف

من أصول ومميِّزات أهل السنة والجماعة كما سبق التقيد بفهم السلف الصالح للنصوص، وهكذا السير على طريقتهم ومنهجهم، ولذا؛ فإنهم لا يقولون بقول ليس لهم فيه سلف، فشأنهم الاتباع لا الابتداع . (٢١٠)

سئل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله وجعل الجنة مثواه: هل يشترط لكل مسألة سلف، نرجو التفصيل؟

فأجاب:« نعم، هذا الأصل في أمور الدين أنه لابد من سلف في أمور العقيدة، وأمور المنهج، لابد من سلف، وكلام الإمام أحمد رحمه الله في هذا مشهور: « إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام » .

---

(٢١٠) قال الإمام الأوزاعي رحمه الله :«فاصبر نفسك على السنة، **وقف حيث وقف القوم**، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم » "الإبانة الكبرى" (١٢١٠) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :« قِفْ حَيْثُ وَقَفَ القوم، فَإِنَّهُم عَنْ عِلْم وَقَفوا، وببَصر نافذ كفوا، وهُم عَلَى كَشْفِها كانوا أقْوَى، وبالفضْلِ لَو كان فيها أَحْرى، فلئِن قُلتم: حَدَثَ بَعدَهُم؛ فما أَحْدَثهُ إِلا مَنْ خالفَ هَدْيَهُم، ورَغِبَ عَنْ سُنتِهم، وَلَقَدْ وصفوا منه ما يشفي، وتَكلَّموا منهُ بما يَكْفي، فما فوقهُم مُحَسر وما دُونهُم مُقصر، لقد قصرَ عَنْهُم قَومٌ فَجفَوْا وتجَاوزهُم آخرون فَغلَوْا، وَإنهم فيما بين ذلك لَعَلى هُدى مُستقَيم » أورده ابن قدامة في: " لُمعَة الاعتِقَاد الهادي إِلى سبيل الرشاد " .

وقال الإِمام الأَوزاعي رحمه الله :« عَلَيْكَ بآثارِ مَنْ سَلف وإِنْ رَفَضَكَ الناس، وإِيَّاك وآراءَ الرجال وإِنْ زَخْرَفُوها لكَ بالقَول؛ فإِنَ الأَمْرَ يَنْجلي وأَنتَ عَلى طريقٍ مُستقيم » أخرجه الخطيب في: " شرف أصحاب الحديث ".

فمسائل الدين فيها اتباع، وليس فيها اختراع »(٢١١) .

وقال حفظه الله:« وواقع هذه الفرقة في الماضي والحاضر يشهد بذلك؛ فهم دعاة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح، والتقيد به.. .

ومن وصاياهم ما قاله الإمام أحمد، وعليه تسير هذه الطائفة : « إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام »(٢١٢) .

** فصل **

وفيه بيانٌ لخطورة المخالفة في هذا الأصل حيث إن السلف قد يُبدِّعون من قال بقول لم يُسبق إليه، وليس له فيه سلف .

وفي بيان ذلك يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في سياق كلامه على تبديع الإمام أحمد للَّفظية:« ما هي وجهة نظر أحمد في تبديعهم؟ كيف بدعهم أو حكم عليهم بأنهم جهمية، أو شر من الجهمية؟!

قال: لأنهم ليس لهم سلف، ليس لهم سلف في هذا اللفظ؛ والله عز وجل يقول:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، **لماذا تترك سبيل المؤمنين**

---

(٢١١) انظر: "المرجع السابق " (١٥/ ٢٨) .

(٢١٢) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ٥٦٧-٥٦٨) .

وتخترع سبلًا أخرى وطرقًا للفتن والمشاكل؟!! بدَّع الإمام أحمد هؤلاء وضللهم وحكم عليهم بهذه الأحكام الحاسمة الشديدة؛ لأنهم ليس لهم سلف.

ومثل هؤلاء – في هذا العصر – « أهل جنس العمل» الذين أدخلوه في الإيمان؛ ليهلكوا أهل السنة ويضلِّلوهم، نسأل هؤلاء الذين يرجفون على أهل السنة بجنس العمل، **ونقول لهم: من سلفكم في هذا؟!! من سبقكم إلى هذه الفتنة وأرجف بها**(٢١٣)**؟!! من أدخلها وجعلها ركنًا في تعريف الإيمان – يا كذّابين –؟!! من سلفكم في هذا التضليل وفي هذه الفتن؟**» . (٢١٤) .

وقال حفظه الله:« ..الشاهد: أنَّ الإمام أحمد بدَّع الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق! بأي شيء؟ لأنهم لا سلف لهم »(٢١٥) .

وقد كان الشيخ ربيع حفظه الله ملتزمًا غاية الالتزام بهذا الأصل السلفي العظيم سائرًا عليه مطبقًا له، عاملًا به، يدل على ذلك تبديعه للحدادية الفجرة بسبب الأقوال بل الأصول التي أحدثوها وليس لهم فيها سلف، فمن ذلك قوله:

---

(٢١٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كما في "الفتاوى"(٢١/ ٢٩١): « وكلّ قول يَنْفَرِدُ بِهِ الْمُتَأَخِّرُ عَنْ الْمُتَقَدِّمِينَ **وَلَمْ يَسْبِقْهُ إلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ يَكُونُ خَطَأً**، كما قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ:« إيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَك فِيهَا إمَامٌ »اهـ .

(٢١٤) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٦٨-٦٩) .

(٢١٥) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٧١) .

« أنا أُدخِل القول بجنس العمل وألحق أصحابه من هذا الصنف ممن يريد الفتن والشغب على أهل السنة! بهؤلاء الذين بدَّعهم الإمام أحمد بمسألة اللفظ؛ لأنهم ليس لهم سلف، فهم مبتدعة ضلاَّل يريدون إهلاك المسلمين وضرب الدعوة السلفية وأهلها والحكم عليهم بالإرجاء! فهم مبتدعة ضلال »(٢١٦) .

ومن تطبيقات الشيخ ربيع حفظه الله لهذا الأصل السلفي العظيم، قوله مخاطبًا الحدادي فالح الحربي الذي أدخل في تعريف الإيمان أركانًا ليس له فيها سلف:

« أرجو أن تُعرِّف لي بعد هذا جنس العمل تعريفاً جامعاً مانعاً، **ولا يقبل منك هذا التعريف إلا إذا نقلته نقلا موثقا.. .**

فإن استطعت أن تنقل لنا تعريفاً يبدد هذه الاحتمالات ولا يعرض السلفيين للمهاترات فأبرز هذا التعريف السلفي فإن لنا في سلفنا أسوة »(٢١٧) .

---

(٢١٦) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٦٨-٦٩) .

(٢١٧) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٣٣٤) .

المبحث الحادي عشر

يعرفون الرجال بالحق ولا يعرفون الحق بالرجال

وفي تقرير هذا الأصل السني والميزة السلفية يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، وذلك في سياق رده على المأربي أبي الحسن:« قال أبو الحسن:.. كم ونحن نردد: «لا اتباع لقول أحد إلا بالدليل والبرهان»، كم رددنا ونردد « **اعرف الحق تعرف أهله، والحق بالدليل لا بالأقاويل** كلمات جميلات، لكن أين واقعنا من هذه الكلمات ».

قال العلامة ربيع المدخلي معلِّقًا على كلام أبي الحسن هذا: « **إن السلفيين الصادقين على هذه الأصول وغيرها من الأصول السلفية والنصوص الشرعية، ولو قصر فيها من قصر، أو خالفها من خالف، ولتمسكهم بها وثباتهم عليها يردون الباطل مهما كان مصدره، ويعرفون الهدى بدليله فيتمسكون، به ولو خالفهم أهل الأرض جميعاً** »(٢١٨) .

وقال حفظه الله:« ومن هنا قال أهل السنة: إن الحق لا يتعدد فلا بد أن يكون الحق مع أحد المختلفين في كل قضايا الخلاف.. .

من أصول أهل السنة: « **اعرف الحق تعرف الرجال ولا تعرف الحق بالرجال** » .

---

(٢١٨) انظر: " المرجع السابق " (١٣/ ٥٧) .

من أصول أهل السنة: « أن الرجال يحتج لهم ولا يحتج بهم »(٢١٩) .

وسئل حفظه الله: ما رأيكم فيمن يقول: انظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال؟

فأجاب:« هذا قد يكون له وجه، هذا يشبه قول القائل:« اعرف الرجال بالحق، ولا تعرف الحق بالرجال »، فكأنه يريد هذا المعنى، **أنك إذا عرفت الحق عرفت أهله، يجتهد لمعرفة الحق ليميِّز بين أهل الحق وأهل الباطل**، أما إذا كنت تقول: **اعرف الحق بالرجال، فإن هذا هو طريق الضلال**، فما قاله فلان هو الحق، وما لم يقله وخالفه فهو باطل **فهذا هو الضلال** »(٢٢٠).

وقال حفظه الله:« هناك كلام يقوله العلماء يمكن أن نسميه قاعدة وهو:« الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال » .

« الرجال يعرفون بالحق » يعني: ما نقول أنهم على حق إلا إذا وجدنا الحق يُؤيِّدهم، ونصوص القرآن والسنة تُؤيِّدهم .

« ولا يعرف الحق بالرجال » يعني: تجعل من الرجل هو قناتك الوحيدة، وتجعله ميزانًا ومقياسًا للحق، فما يقوله هو الحق، وما لا يقوله هو باطل، وما يرفضه هو

---

(٢١٩) انظر: "المرجع السابق " (١٣/ ١٥٧) .

(٢٢٠) انظر: "المرجع السابق " (١٤/ ٤٨١) .

الباطل وقد يكون حقًّا، وما يقبله هو الحق وقد يكون على خلاف الأمر باطلًا، إذًا نحن لا نعرف الحقَّ بالرجال، إنما نعرف الرجال بالحق »(٢٢١) .

(٢٢١) انظر: "المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق "(ص٢٥٠) .

الفصل الثالث

أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين في منهجهم وهديهم

وفيه اثنا عشر مبحثًا:

المبحث الأول: التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام .

المبحث الثاني: مباينة أهل البدع وهجرانهم والتحذير منهم وعدم مجالستهم .

المبحث الثالث: التحاكم إلى الكتاب والسنة ورد التنازع إليهما .

المبحث الرابع: الوسطية والاعتدال .

المبحث الخامس:محبة السنة وأهلها .

المبحث السادس: سد ذرائع الفتن .

المبحث السابع: اتفاقهم في أصول دينهم وعدم اختلافهم في ذلك .

المبحث الثامن: الالتزام الكامل بالإسلام .

المبحث التاسع: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب النبي ﷺ، ومحبتهم والترضي عنهم وذكرهم بالجميل .

المبحث العاشر: السمع والطاعة لولاة الأمر .

المبحث الحادي عشر: الإيمان قول وعمل واعتقاد .

المبحث الثاني عشر: تحقيق الولاء والبراء .

المبحث الأول

التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التزام أهل السنة وتمسكهم بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام واقتفاء آثار السلف والاقتداء بهم .

المطلب الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة .

المطلب الثالث: يزنون ما عليه الناس بميزان الكتاب والسنة وما كان عليه السلف .

المطلب الرابع: لا ينتسبون إلا للكتاب والسنة ومنهج السلف .

المطلب الأول

التزام أهل السنة وتمسكهم بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام واقتفاء آثار السلف والاقتداء بهم

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميزوا بها عن أهل الأهواء والبدع: تمسكهم بالسنة وبما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام وتابعوهم بإحسان، واقتفاء آثار السلف الصالح و الاقتداء بهم، والسير على طريقتهم وهديهم، والعض على ذلك بالنواجذ (٢٢٢) .

وفي تقرير هذا الأصل السنِّي، وبيان هذه الميزة السلفية، يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله وغفرله:« فإذا قلنا للناس احرصوا على المنهج السلفي، فإنما نأمرهم بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه رسول الله وأصحابه .

---

(٢٢٢) قال شيخ الإسلام اب تيمية رحمه الله في منهاج السنة(٦/ ٨١):«فَالصَّحَابَةُ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ وَأَفْقَهُهَا وَأَدْيَنُهَا، وَلِهَذَا أَحْسَنَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله فِي قَوْلِهِ: « هُمْ فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفِقْهٍ، وَدِينٍ وَهُدًى، وَفِي كُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ وَهُدًى، وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا » أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: **" أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ »**.

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه حَيْثُ قَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ: أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، **وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ** » .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه : " يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَوَاللهِ لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » اهـ .

هذا هو المنهج السلفي: التمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله وبما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام، المنهج السلفي يتميَّز بأنه الحق و أنه الهدى، ويتميَّز أهله بأنهم يتمسكون بهذا الحق والهدى الذي كان عليه رسول الله وصحابته »(٢٣٣) .

وقال حفظه الله في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، عند قول الصابوني رحمه الله:« ويقتدون(أي: أهل السنة والحديث) بالنبي ﷺ وبأصحابه؛ الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا؛ كما كان رسول الله ﷺ يقول فيهم .

ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين... .

قال الشيخ ربيع حفظه الله تعالى معلقاً:« يذكر المصنف رحمه الله ما يذكره من ميزات وصفات أهل الحديث والسنة، وقد ذكر شيئاً منها فيما سلف؛ فيقول:« ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه الذين هم كالنجوم...إلخ » .

أما الاقتداء بالنبي ﷺ فأمر واجب ولا شك، قال الله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

(٢٣٣) انظر: "اللباب "(١٧٤) .

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣]، وقال تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر:٧] .

وكذلك التأسِّي بأصحابه رضوان الله عليهم، وسلوك طريقهم ومنهجهم، لأن الله عز وجل أثنى عليهم، وأخبر أنه رضي عنهم ورضي عمن يتابعهم؛ فقال: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[التوبة: ١٠٠]؛ فما اتبعوهم إلا لأنهم أسوة للاتباع وقدوة، وحريُّون بذلك رضوان الله عليهم (٢٢٤) .ويقول النبي ﷺ في أبي بكر وعمر: « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر »(٢٢٥) .

---

(٢٢٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة "(٢/ ٧٧):« فَلَوْ لَمْ نَكُنْ نَحْنُ عَالِمِينَ بِأَحْوَالِ الصَّحَابَةِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ نَشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا نَعْلَمُ مِنْ فَسَادِ الْقَصْدِ وَالْجَهْلِ بِالْمُسْتَحَقِّ... فَكَيْفَ إِذَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْمَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَقْلًا وَعِلْمًا وَدِينًا؟ كَمَا قَالَ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ كَانُوا وَاللَّهِ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَبَرَّهَا قُلُوبًا ، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ ». رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمُ ابْنُ بَطَّةَ عَنْ قَتَادَةَ.

وَرَوَى هُوَ غَيْرُهُ بِالْأَسَانِيدِ الْمَعْرُوفَةِ إلَى زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: « إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ» اهـ .انظر: "اللباب "(١٧٤) .

(٢٢٥) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) ، والترمذي (٣٦٦٢) ، وابن حبان (٦٩٠٢)، والحاكم (٣/ ٧٥) من حديث حذيفة ت وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم(١٢٣٣) .

ويقول أيضاً:« فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم و محدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة وإنّ كل بدعة ضلالة»(٢٢٦).

ولما تحدث رسول الله ﷺ عن الفرق قال:« افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»(٢٢٧)، وفي رواية: قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي »(٢٢٨) والمعنى واحد، فهم الجماعة لأنهم اجتمعوا على الحق، وعلى ما جاء به محمد ﷺ، واللفظ الثاني:« ما أنا عليه وأصحابي» يعني: اتبعوا الرسول عليه السلام وتمسكوا بالكتاب والسنة، وتمسكوا بالحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

وأما الحديث الذي ذكره المؤلف وهو قوله:« **أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم**»؛ فهو ضعيف جدًّا... وفي الآيات التي ذكرناها والأحاديث ما يشفي ويكفي ويغني في فضل الصحابة ومكانتهم .

---

(٢٢٦) سبق تخريجه .

(٢٢٧) أخرجه ابن ماجة في سننه برقم(٣٩٩٢)، والطبراني في الكبير برقم(١٢٩) وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم(١٤٩٢)، (ربيع) .

(٢٢٨) الترمذي برقم(٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة تحت رقم(٢٠٤)، (ربيع) .

قال المصنف(الصابوني):« **ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدِّين المتين والحق المبين**»

قال الشيخ ربيع معلِّقاً:« أي: يتبعون الصالحين من أئمة الدين: مثل: التابعين بعد الصحابة، كسعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، ومن كان في طبقتهم، وكذا الزهري وغيرهم من كبار التابعين ومن صغارهم .

ومن أتباع التابعين مثل: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد، وابن عيينة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وامثالهم، وبعدهم يحي بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد، وغيرهم من أئمة الدين الذين اشتهروا بالعلم والثبات على الإسلام والتمسك بدين الله تبارك وتعالى والتحذير من أهل البدع والضلال رحمة الله عليهم... .

فمن جاء بعدهم من أهل الحق ومن أهل السنة ومن يقال فيهم إن شاء الله: الطائفة المنصورة؛ ساروا على إثرهم في التمسك بالكتاب والسنة؛ واقتدوا برسول الله، واقتدوا بالصحابة، واقتدوا بأئمة الهدى من التابعين، وأتباع التابعين إلى القرون الثلاثة المفضلة رضوان الله عليهم »[٢٢٩] .

وقال حفظه الله:« فمن هم أهل الحديث إذاً ؟

---

[٢٢٩] انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (٢/ ٢٩٨-٣٠٠) .

هم من نَهَج نَهْج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة، والعض عليهما بالنواجذ، وتقديمهما على كل قول وهدي، سواء في العقائد أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، أو السياسة والاجتماع... .

هم الفرقة الناجية الثابتة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، الذين ميَّزهم رسول الله ﷺ وحدَّدَهم عندما ذكر أنَّ هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال:« من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي »(٢٣٠) .

وقال حفظه الله:« من الغلط بمكان أن يظهر إنسان الفرق كلها على مستوى واحد، **وقد أخبر رسول الله ﷺ أن هناك فرقة متميزة عنها كلها؛ بأنها على الحق، وأنها على ماكان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، واعترف لها أئمة الإسلام على مدار التاريخ بهذه الميزات العظيمة**، وشهد لها ويشهد لها الواقع التاريخي»(٢٣١) .

** فصل **

لما كان منهج أهل السنة والجماعة قائماً على ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كان هو الدين الحق الذي يجب اتباعه؛ لأن النبي ﷺ وصحابته لم يكونوا

---

(٢٣٠) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ١٥-١٦) .

(٢٣١) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٥٤١) .

إلاَّ على الحق والهدى، فمن تمسك بما كانوا عليه، كان على الجادَّة الصحيحة، وعلى الصراط المستقيم، وعلى الدِّين القويم .

وفي ذلك يقول العلامة ربيع المدخلي سدَّده الله:« يا إخوتاه، كتاب الله تعالى بين أيدينا، وسنة رسوله بين أيدينا، وبيان الصحابة وعملهم وواقعهم، وتأريخهم وعقائدهم، **كلها تشهد لهذا المنهج السلفي بأنه دين الله الحق، وأفضل ميزان للثبات على الحق والالتزام بالحق أن تكون على ما كان عليه محمدﷺ وأصحابه رضي الله عنهم** »(٢٣٢) .

وقال حفظه الله: « فلنعض على هذا المنهج السلفي الذي قلناه لكم فإنه هو الحق وهو منهج الطائفة المنصورة.. هذه الطائفة أهل الحديث الذين شهد لهم حتى أهل البدع بعد أهل السنة أنهم هم أهل الحق »(٢٣٣) .

** فصل **

أفاد العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بأن أهل السنة السلفيين لما كانوا متمسِّكين بما كان عليه النبيﷺ وصحابته الكرام سائرين على طريقة السلف: اجتمع فيهم الخير الذي تفرق في غيرهم، وجمعوا محاسن الفرق كلها، وكانوا بذلك خير الناس، ومنهجهم خير المناهج .

---

(٢٣٢) انظر: "المرجع السابق"(١/ ٤٥٥) .

(٢٣٣) انظر: "المرجع السابق " (١/ ٤٩٧) .

فقال نصره الله في معرض ردِّه على الحزبي عبد الرحمن عبد الخالق:« إنَّ السلفيين ليسوا بالمعصومين؛ ولكنهم هم أهل الحق، وأهل السنة وهم خير الناس (٢٣٤)عقيدةً ومنهجاً وديناً وأخلاقاً وأدباً وعلماً، فإن كان عندك غير هذا فهات عقائد من تدافع عنهم، ومناهجهم ودينهم وإخلاصهم لنرى أيُّ الفريقين خير بميزان الله لا بالعواطف ولا بالهوى»(٢٣٥) .

وقال حفظه الله: « والذي نعتقده أنه لا يوجد خير في غير السلفيين؛ إلا وهو في السلفيين أكثر وأفضل؛ فلا يخرج شيء من الخير عنهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في " الفتاوى "(٢٣٦): « وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين؛ فمن المعلوم أن أحقَّ الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك؛ فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل مِلَّةٍ، **وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة؛ فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون**

---

(٢٣٤) قال شيخ الإسلام في "منهاج السنة(٥/ ١٥٨):« **وأهل السنة نقاوة المسلمين فهم خير الناس للناس** » .

قلت: هذه النقاوة والخيرية اكتسبوها من نقاوة عقيدتهم ومنهجهم وعباداتهم، فهم أنقى الناس وخير الناس عقيدةً ومنهجاً وعبادةً وسلوكاً ومعاملةً، لأنَّ كل ذلك ساروا فيه على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام وتابعوهم بإحسان، وفي الحديث« خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» فكل من كان على مثل ما كانوا عليه في عقيدته ومنهجه وعبادته.. فهو خير الناس في كل زمان ومكان، والناس في ذلك بين مقلٍّ ومستكثر.

(٢٣٥) انظر: "المرجع السابق" (١٠/ ١١٥) .

(٢٣٦) (٤/ ٢٦).

عنهم بما اخْتُصُّوا به من العلم الموروث عن الرسول مما يجهله غيرهم أن يُكَذِّبُ به

» (٢٣٧) .

** فصل **

ولما كان أهل السنة أيضًا متمسِّكين بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام سائرين على طريقة السلف الصالح، كانوا هم الفرقة الناجية و الطائفة المنصورة، التي لا تزال على الحق ظاهرة حتى يأتي أمر الله .

وفي بيان ذلك يقول الشيخ ربيع حفظه الله:« وأما أهل السنة فهم الطائفة المنصورة الذين هم على ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه »(٢٣٨) .

وقال حفظه الله:« فلنعض على هذا المنهج السلفي الذي قلناه لكم فإنه هو الحق وهو منهج الطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أنها على الحق، وأنها لاتزال على هذا الحق، وأنه منهج الفرقة الناجية وهي الطائفة المنصورة التي حينما تحدث رسول الله عن افتراق الأمه وصدق الله هذا الخبر، وافترقت الأمه بقيت هذه الطائفة أهل الحديث الذين شهد لهم حتى أهل البدع بعد أهل السنة أنهم هم

(٢٣٧) انظر: " المرجع السابق " (١٠/ ٥٦٥-٥٦٦) .

(٢٣٨) انظر: "المرجع السابق " (١٤/ ١٦٩) .

أهل الحق وأنهم هم الطائفة المنصوره وأنهم الفرقة الناجية، والتي احتذى حذوها ابن تيمية وابن عبد الوهاب رضوان الله عليهم »(٢٣٩) .

وقال حفظه الله: « **فأهل الحديث وأهل السنة والجماعة الذين ثبتوا على ما عليه رسول الله ﷺ هم الفرقة الناجية، وهم المشار إليهم في حديث حذيفة**(٢٤٠): « **الزم جماعة المسلمين وإمامهم**»(٢٤١) .

(٢٣٩) انظر: "المرجع السابق " (١/ ٤٩٧) .

(٢٤٠) انظر: "المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق " (ص٢١٤) .

(٢٤١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧) .

المطلب الثاني

الاعتصام بالكتاب والسنة

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين اعتصامهم بكتاب الله، وبسنة رسوله ﷺ واستقامتهم عليهما، والبعد عما يخالفهما، والدعوة إلى ذلك .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول حامل راية الجرح والتعديل العلامة ربيع السنة المدخلي أثابه الله:« فنحن ندعو إلى التوحيد، ونحارب الشرك، وندعو إلى السنَّة ونحارب البدعة، **وندعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، والاجتماع عليهما، ونحارب التحزُّب، ونحذِّر منه، مستقين ذلك من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، واتِّباعـًا للسَّلف الصالح من الصَّحابة والتَّابعين وأئمَّة السُّنة والهدى** »(٢٤٢) .

وقال حفظه الله:« تؤلف اليوم المؤلفات لترسيخ هذه الاختلافات تحت شعار « جواز التعدد السياسي » وتحت شعار « نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » **دون التفات إلى مقررات القرآن والسنة ومنهج علماء الأمة في خطورة الخلاف وشره وضرره .**

وفي وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والقضاء على الخلاف والفرقة »(٢٤٣) .

---

(٢٤٢) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (٩/ ٤٩٧) .

(٢٤٣) انظر: "المرجع السابق " (١/ ٣٨٧) .

وقال سدده الله: « **وواقع هذه الفرقة(أهل السنة) في الماضي والحاضر يشهد بذلك، فهم دعاة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح** »(٢٤٤) .

وقال حفظه الله ونصره، في معرض تفنيده لشبه عبد الرحمن عبد الخالق الذي نصب نفسه محاميًا عن الجماعات الحزبية: « **إن ابن تيمية وأئمة السلف جميعاً يدعون الأمة كلها إلى أن تكون جماعة واحدة ، لأن دينهم يدعوا إلى ذلك ويحرم التفرق والتحزب** .

وهذا هو الذي وجده عبدالرحمن عبدالخالق في كتب ابن تيمية وابن عبدالوهاب ولن يجد غيره ولو أفنى حياته في البحث.

لم يستطع عبدالرحمن أن يجد في كتب ابن تيمية إلا أنه يدعو إلى جماعة واحدة هي جماعة الحق والائتلاف عليه والالتفاف حول الكتاب والسنة ، وهذا هو عين ما يدعوا إليه السلفيون اليوم وقبل اليوم»(٢٤٥) .

** فصل **

ومما يناقض ما أمر الله به، وقام عليه أصل أهل السنة في هذا الباب، من وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة على منهج السلف: التفرق والتحزب، وهو الذي مزق

---

(٢٤٤) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٥٦٧) .

(٢٤٥) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٧٢-٧٣) .

الأمة الإسلامية شر مُمَزَّق، وشتَّتها إلى شيع وأحزاب، كل حزب بما لديهم فرحون، ولا سبيل إلى وحدة الأمة، ولمِّ شملها، وجمع كلمتها على الحق إلا بتحقيق هذا الأصل السلفي في الاعتصام بالكتاب والسنة على منهج السلف .

وفي بيان ذلك يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع السنة المدخلي حفظه الله:« اتباع السنة هو سفينة النجاة، والآيات والأحاديث في الحض على الاعتصام بالكتاب والسنة لا تحصى. . .

فالبدع المذهبية والحزبية السياسية هي التي فرقت ومزقت وتمزق الأمة الإسلامية، ولا يجمعهم ويوحد صفـوفهم إلا الاعتصام بالكتاب والسنة على منهاج سلف الأمة، والحرص على سلامة المعتقد »(٢٤٦) .

** فصل **

لقد حذَّر أهل السنة تحذيرًا شديدًا، من التفرق والتحزب، وذمُّوه غاية الذَّم، لمناقضته لأصل الاعتصام بالكتاب والسنة، و لما يفضي إليه من تمزيق الأمة المؤدي إلى وهنها وضعفها .

وقد عقد حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله في رسالته" النصيحة هي المسؤولية المشتركة في العمل الدعوي" فصولا ذكر فيها عددًا من

(٢٤٦) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٥٧١-٥٧٢) .

الأدلة الشرعية الناهية عن التفرق والتحزب، والآمرة بالاعتصام بالكتاب والسنة، كما بيَّن موقف أهل السنة من هذا التفرق، فقال حفظه الله :« **الأدلة على تحريم الاختلاف بين الأمة الاسلامية وذم ذلك في شرعة الاسلام وموقف العلماء الناصحين من ذلك.**

قال تعالى:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢]

وقال تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦] .

وقال تعالى:﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾[الشورى:١٣] .

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾[البينة: ٤] .

وقال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾، وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[الأنعام: ١٥٩]....

ثم عقد العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بعد كلامه السابق فصلا بعنوان:« **دعوة أئمة السنة البارزين إلى وحدة المسلمين واجتماعهم على الحق وإلى نبذ التفرق والتحزب والاختلاف** » .

قال تحته:« لأئمة السلف كتب لا تحصى تتضمن الدعوة إلى اجتماع الأمة واعتصامها بكتاب ربها وسنة نبيها والسير على هدي السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين وإلى نبذ البدع والتفرق والاختلاف، وسوف أقتصر على النقل عن بعض الأئمة المعتبرين الذين سارت كتبهم مسير الشمس بين خيار الأمة فلا تحظى منهم إلا بالقبول والتسليم، وهي مصادر أساسية لمن جاء بعدهم من دعاه الحق وأئمة الهدى...

ثم نقل الشيخ حفظه الله كلام عدد من الأئمة الأعلام في ذلك .

وقد آثرت عدم نقلها بألفاظها خشية الإطالة، فمن أحب أن يراجعها فعليه بالرسالة الآنفة الذكر، وإلا في الجزء(١/ صفحة ٣٨٩إلى ٤٠٤) من " مجموعة الكتب والرسائل ".

** فصل **

ولما كان التفرق والتحزب والنزاع الذي دبَّ في الأمة يعتبر من الأمراض الفتاكة التي عصفت بها، حيث تسبب في وهنها وضعفها، فقد بذل أهل السنة والجماعة

جهودًا جبارة للقضاء عليه، كما بيَّن ذلك العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال بعد أن ذكر ما هو حاصل في الأمة من الخلاف والنزاع والتفرق:« لم تبذل الجهود الجادة لإنهائه و تخليص الأمة منه، و لم يلتفت قادة الفتن و الفرقة إلى قوله الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء :٥٩] .

لم تبذل الجهود للقضاء عليه إلا من أئمة أهل السنة الطائفة الناجية المنصورة، و كل المحاولات من غير هذه الجهة لم تكن موفقة في تلك المحاولات، وما كانت تعرف ولا تهتدي إلى طرق العلاج الصحيح، بل ما يأتي علاجها إلا من باب: وداوني بالتي هي الداء، بل وما تزيد الطين إلا بلة، بل تجدها تهون من شأن الخلاف وخطورته وترى أنه أمر ضروري يجب التسليم به، بل أضحت المحاولات لإنهائه أو تضييق نطاقه أمراً مستنكراً يفرق الأمة؛ لا سيما في هذا العصر الذي استهانت فيه الدعوات السياسية الحزبية بقضية الخلاف حتى في العمق العقائدي ونشطت للتقريب بين أهل القبلة كما يزعمون ولا سيما بين أهل السنة والروافض ذلك التقريب الذي يطغى فيه الباطل على الحق ويهان فيه الحق وأهله »(٢٤٧) .

(٢٤٧) انظر: "المرجع السابق "(١/ ٣٨٦-٣٨٧) .

المطلب الثالث

يزنون ما عليه الناس بميزان الكتاب والسنة وما كان عليه السلف .

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين أنهم يزنون ما عليه الناس من عقائد ومناهج وأقوال وأعمال ومذاهب، بميزان الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، لأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، وبهذا الميزان والمقياس يظهر المُحِقُّ من المبطِل، ويتميَّز أهل الهدى من أهل الضلال .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:

« تحدث رسول الله ﷺ عن الفرق:« افترقت اليهود على واحد وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»(٢٤٨) .

هذا ميزان لكلِّ إنسان هل هو على الحقِّ أو الباطل؟.. الرسول ﷺ وأصحابه لم يكونوا إلاَّ على القرآن والسنة ما عندهم شيء آخر غير هذا .

خذ هذا الميزان وزن به نفسك، وزن به الطوائف والأشخاص تدرك الحق- إن شاء الله-إن أخلصت لله عز وجل، أما وأنت تفقد هذا الميزان فستظلُّ ملعبة لأهل

---

(٢٤٨) سبق تخريجه .

الأهواء: أهل الشبهات وأهل الشهوات، إذا ضيَّعت هذا الميزان ضعت وصرت لعبة بأيدي العابثين »(٢٤٩) .

وقال حفظه الله:« ومن غلو الصوفية في شيوخهم أنهم ينقلون كلامهم كأنه وحيٌ يوحى، ولا يزنون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا مما دفع الشيوخ إلى الأقوال الكثيرة التي لا صلة لها بالكتاب والسنة .

وهذا بخلاف أهل السنة وعلمائهم الذين يزنون أقوال الناس بعد الأنبياء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافقهما قبلوه، وما خالفهما ردوه، ومن أصولهم قوله تعالى:﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] »(٢٥٠) .

وقال حفظه الله: « وأنا أرجو شباب المسلمين ألا يُعبِّدوا أنفسهم للأشخاص..**أن يحكموا هذا في أنفسهم قبل كل شيء، وفي الناس جميعًا، وفي معتقداتهم، وأن يزنوا عقائد الناس وأعمالهم وأقوالهم بميزان الله العدل الذي لا يحيف ولا يظلم، ويصدعوا بالحق .**

فإن سلفنا الصالح-رضوان الله عليهم- هكذا تعاملوا مع عقائد الناس وأقوالهم، ولهذا تجدهم في كتبهم يزنون الفرق والطوائف بميزان الله-تبارك وتعالى-

---

(٢٤٩) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١/ ٤٥٥) .

(٢٥٠) انظر: " المرجع السابق"(١١/ ٥٢٠-٥٢١) .

وينزلون كل طائفة المنزلة التي تستحقها، ويصنفونها ويضعون الأشخاص والطوائف في مواقعهم، لا يرفعون شخصًا ولا جماعة فوق المكان والمنزلة التي يستحقونها، وهكذا يجب أن نتعامل مع هذا أو ذاك »(٢٥١) .

وقال حفظه الله:« أهل السنة يسيرون على منهج السلف في الاحتكام إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما، ووزن أقوال الرجال بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ؛ فما كان حقًا وموافقًا للكتاب والسنة قبلوه وأيدوه ونصروه، وما كان مخالفًا ردوه »(٢٥٢) .

** فصل **

وخلافًا لأهل السنة والجماعة السلفيين فإن أهل البدع والتحزب لهم موازين أخرى فاسدة يزنون بها الناس، كما أفاد ذلك العلامة ربيع المدخلي سدده الله، حيث قال:« الإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه يأخذون من أقوال الأئمة الكبار ما يوافق الدليل، ويردون ما خالف ذلك.

فهذا هو منهج السلف بخلاف منهج الحدادية الذين يأخذون ما يوافق هواهم، ويردون ما خالف هواهم، ولو اجتمع عليه السلف واستند إلى الكتاب والسنة.

---

(٢٥١) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٥٢٤-٥٢٥) .

(٢٥٢) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٥٥٣) .

وأنتم أيها الحدادية لا تقبلون من أقوال العلماء إلا ما يوافق أهواءكم، وتردون أقوال العلماء الواضحة القائمة على الكتاب والسنة، فميزانكم فيما تأخذون وتردون إنما هو أهواؤكم، لا كتاب الله ولا سنة رسوله »(٢٥٣) .

وقال حفظه الله:«أهل البدع والفتن لهم أساليب كثيرة للطعن في أهل السنة وتشويههم، ويجعلون من رموزهم مقاييس لمن يخضع لهم وينقاد لهم، ويمتحنون السلفيين في الجامعات وفي دار الحديث، وفي غيرها بالأسماء »(٢٥٤) .

** فصل **

ولما كان الدين الحق والإسلام الصحيح هو ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان، وأن ما كانوا عليه هو الميزان الصحيح في معرفة أهل السنة من أهل البدعة والضلالة، لم يكن من أهل السنة من ضيَّع هذا الأصل، وخالف النبي ﷺ و أصحابه في عقيدته ومنهجه، واتَّبع غير سبيلهم .

وفي ذلك يقول العلامة الكبير ربيع المدخلي حفظه الله:« فالسنِّي من كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وما عدا ذلك من الفرق لا نكفرهم ولكنهم

(٢٥٣) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٦١٧-٦١٨) .

(٢٥٤) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٢٨٤) .

أهل بدع على تفاوتهم في الضلال، ومنهم الصوفية على مختلف طرقهم ومناهجهم **فمن لم يكن على طريقة الصحابة في عقيدته ومنهجه فليس من أهل السنة**»(٢٥٥) .

** فصل **

ضرب العلامة ربيع المدخلي حفظه الله أمثلة تطبيقية لهذا الأصل العظيم بجماعة الإخوان و جماعة التبليغ، وهكذا الصوفية وغيرهم بيَّن فيها حفظه الله انحراف هذه الجماعات عن منهج أهل السنة وركوبهم للبدع والمحدثات، وذلك بعد عرضها على ميزان الكتاب والسنة وفهم السلف .

فقد سئل حفظه الله: هل جميع الجماعات التي في الساحة اليوم داخلة في حديث الثنتين وسبعين فرقة الهالكة، وهل جماعة الإخوان المسلمين والتبليغ معهم أيضًا؟

فأجاب: « كل من لم يكن في عقيدته ومنهجه ودعوته على ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فهو من الفرق الضالة.. .

وقد سئل الشيخ ابن باز: عن هاتين الفرقتين فقال: إنهما من الفرق الأخرى، وليسوا من أهل السنة والجماعة .

---

(٢٥٥) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٦٠٢) .

وأهل السنة والجماعة هم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، هذا الميزان للإخوان المسلمين ولغيرهم، هل هم في عقائدهم ومنهجهم ودعوتهم وولائهم وبرائهم على ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه؟ أو هم ينتحلون مناهج أخرى؟

فالجواب: لهم مناهج أخرى تختلف تمامًا عما كان عليه الرسول ﷺ وأصاحبه في عقيدته ومنهجه وولائه وبرائه »(٢٥٦) .

وقال حفظه الله في سياق رده على المدعو عبد الحفيظ ملك عبد الحق الصوفي:

« عقائد الصوفية من أبعد العقائد عن عقائد أهل السنة والجماعة وهات كتب عقائدهم في مشارق الأرض ومغاربها، من عهد القشيري والغزالي، إلى عهد شيوخ البريلوية والديوبندية والتجانية والمرغنية إلى يومنا هذا، **هات كتبهم لنقارنها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومؤلفات أهل السنة الموجودة في كتب العقائد،** كالسنة لعبد الله بن أحمد، وأصول السنة لأحمد ولابن أبي حاتم، والسنة للخلال، والشريعة للآجري، والإبانتين لابن بطة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، وكتب ابن تيمية وهي كثيرة، وكتب ابن القيم، وكتب أئمة الدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ومن سار على نهجه، فإن وافقتها في توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة وتوحيد الربوبية، وفي الدعوة إلى التمسك

---

(٢٥٦) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٤١٠) .

بالكتاب والسنة والتحذير من الشرك والبدع والضلال، سلمنا لك أنهم من أهل السنة والجماعة. . .

وإن عجزتَ عن ذلك ولابد أن تعجز، فلن تجد مؤلفات وعقائد ومناهج الصوفية موافقة لمؤلفات وعقائد ومناهج أهل السنة والجماعة، وحينئذ فما عليك إلا أن تتوب إلى الله من هذه الدعاوى الباطلة، وأن تنصح للمسلمين على طريقة الأنبياء والمصلحين بوجوب تصحيح عقائدهم ومناهجهم وعباداتهم، وذلك لا يتم إلا بالاعتصام الجادِّ بالكتاب والسنة لا بالدعاوى الفارغة التي يدَّعيها حتى القاديانية والرافضة ولن تُغني عنهم شيئاً لا في الدنيا ولا في الآخرة »[٢٥٧].

---

[٢٥٧] انظر: "المرجع السابق" (١١/ ٥٩٤-٥٩٥) .

المطلب الرابع

لا ينتسبون إلا للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح

من مميِّزات أهل السنة والجماعة أنهم لا ينتسبون إلى شخص إلا لرسول الله ﷺ وسنته، ولا إلى منهج إلا لمنهج السلف الصالح(٢٥٨) من الصحابة والتابعين والأئمة

---

(٢٥٨) والانتساب إلى السنة ومنهج السلف نسبة شرعية شريفة، لا يجوز أن يُنكر على صاحبها، إذا كان انتسابه صحيحا.

بل قد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في " الفتاوى "(٤/ ١٤٩) الاتفاق على صحة هذه النسبة، فقال:« لاعيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه ، **بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق**، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً » اهـ .

ولما كانت النسبة إلى السلف الصالح صحيحة شرعية: كثر ذكرها في كتب الرجال التراجم .

فهذ الإمام الذهبي قال في ترجمة الحافظ أحمد بن محمد المعروف بـ أبي طاهر السلفي: « السلفي بفتحتين وهو من كان على مذهب السلف » "سير أعلام النبلاء" (٢١/ ٦) .

وقال في ترجمة الفسوي: « وما علمت يعقوب الفسوي إلا سلفيا »" السير " (١٣/ ١٨٣) .

وقال في ترجمة محمد بن محمد البهراني : « وكان ديناً خيراً سلفياً » "معجم الشيوخ " (٢/ ٢٨٠) .

وقال في ترجمة: أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي: «لآ وكان على عقيدة السلف » " معجم الشيوخ " (١/ ٣٤) .

وقال في "السير"(١٦/ ٤٥٧):« وصح عن الدارقطني أنه قال: « ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام »، قلت لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً » .

وقال في ترجمة ابن الصلاح:« قلت وكان سلفياً حسن الاعتقاد كافّا عن تأويل المتكلمين » "تذكرة الحفاظ" (٤/ ١٤٣١).

وقال في ترجمة عثمان بن بن خرزاذ الطبري: « فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقيا ذكيا نحويا لغويا زكيا حييا سلفيا » "السير" (١٣/ ٣٨٠) .

وقال في ترجمة الزبيدي:« وكان حنفيا سلفيا » "السير" (٢٠/ ٣١٧) .

وقال في ترجمة ابن هبيرة:« وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفيا أثريا »" السير" (٢٠/ ٤٢٦) .

وقال في ترجمة ابن المجد:« وكان ثقة ثبتا ذكيا سلفيا تقيا » "السير " (٢٣/ ١١٨) .

وقال في ترجمة يحيى بن إسحاق: « وكان عارفاً بالمذاهب خيراً متواضعاً سلفياً حميد الأحكام ... ». "معجم الشيوخ" رقم (٩٥٧)، نقلا عن رسالة" تبصير الخلف " (ص٥-٦) .

.

المهديين، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين تجدهم منتسبين إما إلى أشخاص كالجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان، وإما إلى بدعهم كالخوارج نسبة إلى بدعة الخروج على الحكام، أو إلى غير ذلك .

وفي بيان ما تميَّز به أهل السنة في هذا الباب عن غيرهم من أهل الضلال، يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« **أهل السنة لا ينتسبون إلا للكتاب والسنة، لا يتنسبون إلى فلان وفلان**(٢٥٩)، ويحاولوا أن يرمونا بهذه الألقاب، وهابي، جامي، فلان...هذا كذب، نحن دعاة إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ .

ونسمي أنفسنا أهل الحديث، نسبة إلى أهل الحديث، ونسمي أنفسنا أهل السنة، ولا نقول، لا جامية، ولا بازية، ولا ألبانية، ولا ربيعية، ولا ولا ...، وهذه من الأ كاذيب .

والذي ينسب أهل السنة إلى فلان وفلان فقد ظلم وافترى، لأن..**أهل السنة لا ينتسبون إلا لكتاب الله، وسنة الرسول ﷺ** »(٢٦٠) .

---

(٢٥٩) ذكر ابن عبد البر كما في الانتقاء (ص ٣٥) أن رجلا جاء إلى الامام مالك فقال: يا أبا عبد الله، أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله عز وجل، قال مالك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، سل، قال: من أهل السنة؟، قال: « أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي » .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قد سئل مالك بن أنس عن السنة؟ قال:« هي مالا اسم له غير السنة وتلا: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ »" الاعتصام"(١/ ٥٨)، نقلا عن "عقيدة الإمام مالك" (ص ٣٠) .

(٢٦٠) انظر: "المرجع السابق " (١٥/ ١٨٦) .

وقال حفظه الله: « **قيل لهم: أهل السنة والجماعة وأهل الحديث؛ لانتسابهم لسُنَّتِه دون المقالات كلِّها – لا ينتسبون إلى الجهمية، والأشعرية، والصوفية، والكلام الفارغ، هؤلاء يتنسبون لأهل الحديث وإلى السنة..؛ لأنَّ الإنسان لا ينسب لشيء إلاَّ لاتِّصاله به، بخلاف غيرهم فإنَّهم تباينت نسبتهم**(٢٦١) »(٢٦٢) .

---

(٢٦١) بل صار من شعاراتهم: ترك انتحال اتباع السلف، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في " الفتاوى"(٤/ ١٥٥): « فَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ الْمَشْهُورِينَ مِنْ الطَّوَائِفِ – بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ – الْعَامَّةِ بِالْبِدْعَةِ **لَيْسُوا مُنْتَحِلِينَ لِلسَّلَفِ**، بَلْ أَشْهَرُ الطَّوَائِفِ بِالْبِدْعَةِ: الرَّافِضَةُ حَتَّى إنَّ الْعَامَّةَ لَا تَعْرِفُ مِنْ شَعَائِرِ الْبِدَعِ إلَّا الرَّفْضَ وَالسُّنِّيَّ فِي اصْطِلَاحِهِمْ: مَنْ لَا يَكُونُ رافضيا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَكْثَرُ مُخَالَفَةً لِلْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَلِمَعَانِي الْقُرْآنِ وَأَكْثَرُ قَدْحًا فِي سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَطَعْنًا فِي جُمْهُورِ الْأُمَّةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ فَلَمَّا كَانُوا أَبْعَدَ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّلَفِ كَانُوا أَشْهَرَ بِالْبِدْعَةِ،

فَعُلِمَ أَنَّ شِعَارَ أَهْلِ الْبِدَعِ: هُوَ تَرْكُ انْتِحَالِ اتِّبَاعِ السَّلَفِ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي رِسَالَةِ عبدوس بْنِ مَالِكٍ: « أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ .

وَأَمَّا مُتَكَلِّمَةُ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ مِنْ الْكُلَّابِيَة والكَرَّامِيَة وَالْأَشْعَرِيَّةِ مَعَ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وِ أَهْلِ الْحَدِيثِ: فَهَؤُلَاءِ فِي الْجُمْلَةِ لَا يَطْعَنُونَ فِي السَّلَفِ؛ بَلْ قَدْ يُوَافِقُونَهُمْ فِي أَكْثَرِ جُمَلِ مَقَالَاتِهِمْ لَكِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ بِالْحَدِيثِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَعْلَمَ كَانَ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ أَعْلَمَ وَلَهُ أَتْبَعَ، وَإِنَّمَا يُوجَدُ تَعْظِيمُ السَّلَفِ عِنْدَ كُلِّ طَائِفَةٍ بِقَدْرِ اسْتِنَانِهَا وَقِلَّةِ ابْتِدَاعِهَا، **أَمَّا أَنْ يَكُونَ انْتِحَالُ السَّلَفِ مِنْ شَعَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ: فَهَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا** » اهـ .

وقال العلامة الألباني رحمه الله :« كثير من الجماعات الإسلامية الأخرى التي تنتسب إلى أسماء إما أسماء لجماعة معينة من الخلف، أو أسماء إلى حزب معين من الخلف، أو إلى أشخاص معروفين أو نحو ذلك هؤلاء؛ كلهم يكادون يجمعون على إنكار استعمال كلمة السلف أو الانتساب إليهم، كأن يقال: نحن أتباع السلف: أو الفرد الواحد من يقول: أنا سلفي إنهم منكرون هذه النسبة، وفي اعتقادي أنهم لو تنبهوا لمعنى هذه النسبة لما استطاعوا أن يبادروا إلى إنكار هذه النسبة؛ لأن معناها الانتساب إلى السلف الصالح الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية في الحديث المتواتر الذي قال فيه رسول الله ﷺ: « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»، هؤلاء هم السلف، وعلى رأسهم محمد المصطفى ﷺ فمن من المسلمين يستطيع إذا ما تنبه لمعنى هذه الكلمة السلف أو السلفي المنسوب للسلف الصالح، من المسلمين بعد هذا يستطيع أن يتبرأ من أن يكون تابعاً للسلف؟! وبالتالي من أن يكون بشخصه سلفياً إنما يبادر إلى إنكار هذه النسبة أولئك الذين لا يعرفون قدر السلف وقيمة السلف » اهـ . "موسوعة العلامة الألباني في العقيدة"(١/ ٢٦٨) .

(٢٦٢) انظر: رسالة "الفرقة الناجية أصولها وعقائدها"(ص:٥٩-٦٠) .

المبحث الثاني

مباينة أهل البدع وهجرانهم والتحذير منهم وعدم مجالستهم

من أصول ومميِّزات أهل السنة والجماعة السلفيين مباينتهم لأهل البدع والأهواء، وهجرانهم والتحذير منهم وعدم مجالستهم، حتى يتوبوا إلى الله من بدعهم وضلالاتهم، تأديبًا لهم وزجرًا، و حماية للمسلمين من شبهاتهم وفتنهم .

وفي تقرير هذا الأصل السني العظيم يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وسدده:« السلف رضي الله عنهم كما يحكي عنهم البغوي والإمام الصابوني وأئمة الإسلام أجمعوا على بغض أهل البدع وهجرانهم ومقاطعتهم...**هجران أهل البدع أصل أصيل عند أهل السنة** ساروا عليه...» (٢٦٣) .

وسُئل الشيخ ربيع أعزَّه الله: ما قولكم فيمن يقول إن هجر المبتدع لا يجعل أصلاً؟

فأجاب:« والله الذي أعرفه أنه **من أصول أهل السنة، أنهم يُبغِضون ويَهجُرون، ادَّعى عليه كثير من أهل العلم الإجماع**(٢٦٤) » (٢٦٥) .

---

(٢٦٣) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١٤/ ٣٠٣-٣٠٥) .

(٢٦٤) ذكر الشيخ خالد الظفيري في كتابه " **إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء**"، عدداً من الأئمة ممن نقلوا الإجماع على بغض أهل البدع وهجرانهم وعدم مجالستهم، فليرجع إليه من شاء .

(٢٦٥) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٣٠٨) .

وقال الشيخ حفظه الله تعالى:« قال البغوي:« قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلا يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن: أن يهجره ويتبرأ منه ويتركه حيًّا وميِّتًا، فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ، إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق.

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة، دون ما كان في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا»(٢٦٦) .

وساق حديث كعب بن مالك في تخلف الثلاثة عن غزوة تبوك، وفيه قال: «ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة، فاجتنبنا الناس، وتغيَّرُوا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي بالتي أعرف(٢٦٧) »، وذكر هجران المسلمين لهم جميعا إلى أن اكتملت لهم خمسون ليلة.

قال البغوي(٢٦٨):« وفيه دليل على هجران أهل البدع، وكأن رسول الله ﷺ خاف على كعب وإخوانه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه، فأمر بهجرانهم، إلى أن أنزل الله توبتهم، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم، وقد مضت الصحابة والتابعون

---

(٢٦٦) " شرح السنة "(١/ ٢٢٧)، (ربيع).

(٢٦٧) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) .

(٢٦٨) " شرح السنة " (١/ ٢٢٧)، (ربيع) .

وأتباعهم وعلماء السنة على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»(٢٦٩) .

و نقل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله عن ابن مفلح في كتابه "الآداب الشرعية"(٢٧٠) قوله: « وذكر الشيخ موفق الدين رحمه الله في المنع من النظر في كتب المبتدعة، قال: **وكان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم** » .

وقال الشاطبي رحمه الله(٢٧١): "فإن فرقة النجاة – وهم أهل السنة – مأمورون بعداوة أهل البدع، والتشريد بهم، والتنكيل بمن انحاش إلى جهتهم، بالقتل فما دونه، **وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم**، وذلك مظنة إلقاء العداوة والبغضاء، لكن الدرك فيها على من تسبب في الخروج عن الجماعة بما أحدثه من اتباع غير سبيل المؤمنين، لا على التعادي مطلقا، كيف ونحن مأمورون بمعاداتهم وهم مأمورون بموالاتنا والرجوع إلى الجماعة ؟» (٢٧٢) .

---

(٢٦٩) انظر: " المرجع السابق"(٥/ ١٦٦-١٦٧) .

(٢٧٠) (١/ ٢٢٣) .

(٢٧١) " الاعتصام" (١/ ١٢٠)، (ربيع) .

(٢٧٢) انظر: " المرجع السابق"(٥/ ١٦٦-١٦٧) .

** فصل **

ومن هجر أهل البدع عند أهل السنة ترك النظر في كتبهم لما فيها من الشبهات، التي تتخطف القلوب لاسيما منها الضعيفة، وفي هذا يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله:« فعليكم بطلب العلم، والإخلاص فيه لله، واحترام علماء السنة والاستفادة من علومهم، ومجانبة كتب أهل البدع، ومنها الكتب الفكرية المشحونة بالبدع والضلالات، والأفكار المنحرفة .

وكثير من الناس يخدع الشباب ويقول:(**اقرأ، اقرأ وخذ الحق واترك الباطل**)، ويكون الشباب مساكين ما عندهم شيء، ما عندهم تمييز بين الحق والباطل، فيقع في الباطل ويظنه حقًّا، ويحارب الحق ويظنه باطلاً، وهذا حصل لكثير من الناس بهذه المصيدة .

فالسلف ما كانوا يقرءون لأهل البدع، وأُلِّفت كتب في التحذير من كتب أهل البدع، ومنها كتاب الموفق بن قدامة في تحريم النظر في كتب أهل البدع، وهناك تحذيرات من الإمام أحمد بن حنبل والذهبي وابن تيمية وابن القيم، كلهم حذَّروا من كتب أهل البدع تحذيرًا شديدًا، حذَّروا منها، وبعضهم يرى إحراقها، ومنهم ابن القيم، ومنهم أحمد بن حنبل أو إتلافها؛ لأنَّ فيها دماراً للأمة فيها إفساد .

فلما انتشرت كتب أهل البدع في أوساط المسلمين، تساهل كثير من المسلمين ووقعوا في حبائل أهل البدع، صار هذا معتزليًّا، وهذا جهميًّا، وهذا أشعريًّا، وهذا صوفيًّا، وهذا وهذا...وما بقي إلا قلة ممن يسلك مسلك السلف الصالح في هذا الخضم الهائل من أهل البدع والعياذ بالله، ما السبب؟ السبب هو مثل هذه النظرية:«**أقرأ وآخذ الحق وأترك الباطل**»، فيأتي فيأخذ الباطل ويرد الحق... وقد كان السلف أمثال ابن سيرين إمام من أئمة السنة، وأيوب السختياني يعرض عليهم من أهل البدع أن يقرءوا عليه آية من القرآن يقول:« **ولا نصف آية**» لماذا؟ يفهم أن هذا يريد أن يلبس عليه، ويتلوا الآية عليه ليستخرج منها شبهة، فيقول: « **لا أسمع**»، لماذا يفعل هذا؟ يقول:« **إن قلبي ليس بيدي، وأخاف على نفسي الفتنة** » .

إذا كان الأئمة يخافون على أنفسهم الفتنة أنت كيف تأمن؟ كيف تأمن؟... .

والكتاب مثل الجليس...فلا بد من ضرر يلحق من يقرأ في كتب أهل البدع ويجالسهم .

قال الشاعر:

وخير مكان في الدنى سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وأنا أقول: وقد يكون شر جليس في الزمان كتاب، قد يكون كنافخ الكير هذا الكتاب؛ بل أشدّ »(٢٧٣) .

وقال حفظه الله: « على كل حال، منهج السلف واضح، وننصح الشباب إن أرادوا العظة والعبرة ففي كتاب الله- والله- العظات، وفي سنة رسول الله ﷺ، العظات والعبر .

وقد سئل أبو زرعة عن كتب الحارث المحاسبي، وكان أعلم وأتقى وأزهد من هؤلاء الوعاظ، وكان أبعد عن البدع من هؤلاء، وجد في كلامه شيئًا من التصوف الذي لا تخلوا منه مواعظ هؤلاء الوعاظ، سألوا أبا زرعة الإمام العظيم الكبير إمام السنة عن كتب الحارث، فقال:« **دعوها فإنها كتب ضلالة وبدع**» قالوا: إن فيها عبرة، قال:« **من لم يعتبر بكتاب الله فليس له فيها عبرة** » .

فهذا منهج السلف يا إخوتاه، وقد حذروا من كتب أهل البدع(٢٧٤) والنظر فيها»(٢٧٥) .

---

(٢٧٣) انظر:" المرجع السابق"(١٥/ ١٦-١٧-١٨) .

(٢٧٤) وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع السلف على ترك النظر في كتب أهل البدع والقراءة فيها، كما أفاد ذلك الشيخ الظفيري في كتابه:"إجماع العلماء على هجر أهل الأهواء والبدع"، حيث عقد فصلا بعنوان:"منهج أهل السنة في معاملة كتب أهل البدع" وذكر فيه عددًا من الأئمة ممن نقل الإجماع على ذلك، فليرجع إليه من شاء .

(٢٧٥) انظر:" المرجع السابق"(١٥/ ١٦-١٧-١٨) .

** فصل **

وفيه بيان من العلامة ربيع المدخلي حفظه الله للعلَّة التي من أجلها أمر السلف وأوصوا ونصحوا بهجران أهل البدع وعدم مجالستهم: وهي خشية التأثر بهم، وانتقال العدوى منهم إلى من يجالسهم، فتكون النتيجة أنه يصير ضحية من ضحاياهم، فينحرف بانحرافهم، ويصير بعد ذلك خصماً لأهل السنة والعياذ بالله، فقال حفظه الله:« مواقف أهل السنة من أهل البدع واضحة كالشمس... وقد حذّر الرسول ﷺ من مجالسة أهل البدع، وأهل الشر عموماً، وحذَّر السلف من ذلك، والذين خالفوا هذه التحذيرات يبوئون بالانحراف، فالذي يرفض توجيهات الرسول الكريم عليه السلام في التحذير من مجالسة أهل الشر كما في الحديث:« مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً (٢٧٦) » .

فلماذا لا يأخذون بنصيحة الرسول عليه السلام ؟ فإن لم يُصَب من يخالطهم مائة في المائة، تسعين في المائة، لا يسلم من شرهم.. .

فالذي يخالطهم ويعاشرهم ويعطيهم ولاء فإنه يتأثر بأساليبهم، ويتأثر بأفكارهم، ويبتلى بالمداهنة والمجاملة إلى أن يموت قلبه .

---

(٢٧٦) أخرجه البخاري (٥٢١٤) ، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وفي الغالب ينحرف ويذهب معهم »[٢٧٧] .

** فصل **

وفيه أمثلة واقعية ضربها العلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى لمن حصل له تأثر بأهل البدع بسبب مجالسته لهم، والسعيد من اتعظ بغيره، فقال حفظه الله:« فنحن نحذر الشباب السلفي من مخالطة هؤلاء، والاستئناس بهم، والركون إليهم، فليعتبروا بمن سلف ممن كان يغتر بنفسه ويرى نفسه أنه سيهدي أهل الضلال، ويردهم عن زيغهم وضلالهم؛ وإذا به يترنَّح ويتخبَّط ثم يصرع في أحضان أهل البدع.

وقد مضت تجارب من فجر تاريخ الإسلام، فأُناس من أبناء الصحابة لما ركنوا إلى ابن سبأ؛ وقعوا في الضلال.

وأناس من أبناء الصحابة والتابعين لما ركنوا إلى المختار بن أبي عبيد؛ وقعوا في الضلال.

وأناس ركنوا إلى كثير من الدعاة السياسيين الضالين ومن رؤوس البدع؛ فوقعوا في حبائل أهل الضلال.

---

(٢٧٧) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٣٧٣-٣٧٥) .

وكثيرون وكثيرون جداً، ولكن نذكر منهم قصة عمران بن حطان، كان من أهل السنة وهوي امرأة من الخوارج، فأراد أن يتزوجها ويهديها إلى السنة، فتزوجها؛ فأوقعته في البدعة، قبَّحه الله، وكان يريد أن يهديها فضل بسببها، وكثير من المنتسبين إلى المنهج السلفي يقول: أنا أدخل مع أهل الأهواء لأهديهم فيقع في حبائلهم، عبد الرحمن بن ملجم، و عمران بن حطان، كلهم كان ينتمي إلى السنة ثم وقع في الضلال، وأدى بعبد الرحمن بن ملجم فجوره إلى أن قتل علياً، وأدى بعمران بن حطان فجوره إلى أن مدح هذا القاتل نسأل الله العافية قال :

يا ضـربة من تقي ما أراد بها ******* إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حيناً فأحسبه ******* أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم******* لم يخلطوا دينهم بغياً و عـدوانا[٢٧٨]

إلى آخر أبيات رديئة قالها في مدح هذا المجرم، بارك الله فيكم.

وحصل لعبد الرزاق من أئمة الحديث أن انخدع بعبادة وزهد جعفر بن سليمان الضُّبعي، وأنِسَ إليه؛ فوقع في حبائل التشيع.

وانخدع أبو ذر الهروي راوي الصحيح بروايات، وهو من أعلام الحديث، انخدع بكلمة قالها الدارقطني في مدح الباقلاني؛ فجَرَّته هذه الكلمة في مدح الباقلاني،

---

(٢٧٨) " سير أعلام النبلاء " (٤/ ٢١٥)، (ربيع) .

إلى أن وقع في حبائل الأشاعرة، وصار داعية من دعاة الأشعرية؛ وانتشر بسببه المذهب الأشعري في المغرب العربي.. .

والبيهقي انخدع ببعض أهل الضلال، كابن فورك وأمثاله، وكان من أعلام الحديث.. .

وكثير وكثير من الناس، وفي هذا العصر أمثلة كثيرة ممن عرفناهم كانوا على المنهج السلفي؛ ولما اختلطوا بأهل البدع ضلوا»(٢٧٩) .

** فصل **

بيَّن العلامة ربيع السنة المدخلي حفظه الله بأن إحسان الظن بأهل البدع والثقة بهم هو الذي يجرُّ إلى مجالستهم ولذا؛ فالواجب على أهل السنة إساءة الظن بهم، لما عندهم من التهم و الشبه والانحرافات والضلالات، والتلبيسات .

فقال حفظه الله:« من هنا يجب الحذر منهم غاية الحذر...وما هم فيه من الشبهات و التخبطات والانحرافات **وهم يريدون السوء لمن يثق فيهم، ولمن يجالسهم ويخالطهم**؛ ولهذا تراهم يسلكون شتى المسالك لصد أهل الحق، ولا سيما الشباب عن منهج الله الحق ...

(٢٧٩) انظر: "المرجع السابق"(٤/ ٣٤٠-٣٤٢) .

الرسول عليه السلام تلا هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[آل عمران:٧]: لما تلاها قال:« فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم »(٢٨٠) فهؤلاء أهل الأهواء وأهل الزيغ هم الذين يتتبعون المتشابهات، الرسول ﷺ يقصد أن أهل الزيغ الذين يتبعون المتشابه هم الذين يجب أن يحذرهم الناس...، وعلى هذه الشاكلة أهل البدع في كل زمان ومكان ...

فإحسان الظن بأهل الانحرافات، وأهل البدع والضلالات، مخالفٌ لمنهج الله تبارك وتعالى، فلا بد من الحذر منهم، ولهذا قال الرسول ﷺ« فإذا رأيتم من يتبع المتشابه فأولئك الذين لعن الله فاحذروهم » .

ما قال أحسنوا بهم الظن كما يقول الآن كثير من أهل الأهواء: أنتم تتكلمون عن النوايا، أنتم تتكلمون عن المقاصد، يا أخي إذا رأينا عندك شبه وضلالات أنت متهم، الله حذرنا منك، ورسول الله حذرنا منك، كيف لا نحذر منك، وكيف نحسن بك الظن وقد نبهنا الله تبارك وتعالى إلى سوء قصدك، وحذر رسول الله منك.. .

---

(٢٨٠) أخرجه البخاري، ومسلم، صحيح أبوداود(٣/ ٨٦٩)، (ربيع) .

فالذي يحترم المنهج السلفي ويحترم العقيدة السلفية ويحترم أهل هذا المنهج سابقهم ولاحقهم، كيف يحسن الظن ويركن إلى أهل الباطل »[٢٨١] .

وقال حفظه الله: « **فالحذر من أهل البدع، وبغضهم وهجرانهم ومقاطعتهم هو السبيل الصحيح لحماية الأصِحَّاء من أهل السنة من الوقوع في فتنتهم ،و التساهل معهم وحسن الظن بهم، والركون إليهم هو بداية في طريق الضلال** »[٢٨٢] .

** فصل **

وفيه تفصيل مهم لابد من ذكره فيما يتعلق بهجر المبتدعة، قرره الشيخ ربيع وفقه الله في أكثر من موضع من كتبه، وهو التفريق بين المبتدعة الدعاة إلى بدعهم فهؤلاء يهجرون ولا كرامة ويُحَذَّر منهم؛ بل ويعاقبون إن أمكن ذلك .

وبين عوام المبتدعة ومن تأثر بأهل البدع من الجهال: فهؤلاء لا نهجرهم لأنهم محل دعوتنا؛ بل ندعوهم إلى الله بالحكمة ونبيِّن لهم الحق، ولا يعني هذا أننا نجالسهم ونضاحكهم ونؤاكلهم، لا، لكننا نخالطهم لأجل دعوتهم وبيان الحق لهم، لعل الله تعالى أن يهديهم، هذا التفصيل بالنسبة للمبتدعة .

---

(٢٨١) انظر: "المرجع السابق"(٤/ ٣٣٥-٣٣٧) .

(٢٨٢) انظر: "المرجع السابق"(٤/ ٣٣٧) .

وهناك تفصيل آخر بالنسبة لأهل السنة، فليس كل واحد منهم يذهب ليخالط أهل البدع بحجة الدعوة؛ لكن من كان منهم متمكنًا في العلم، ومناظراً قوياً، بحيث أنه يؤثر فيهم ولا يؤثرون فيه، فيخالطهم لقصد دعوتهم، وإقامة الحجة عليهم، أما من كان ضعيفاً فهذا لا يخالط وقاية لنفسه من شبه القوم .

و إليك كلام العلامة ربيع المدخلي حفظه الله المتضمن لما سبق ذكره من التفصيل:

قال سدده الله:« أهل البدع ندعوهم إلى الله ونبيِّن لهم، ثم هم قسمان:

١- قسم دعاة إلى الشر: فهؤلاء لا يؤخذ منهم حديث، ولا يؤخذ منهم علم، ويجب التحذير منهم لوقاية الأمة من شرهم؛ فإنهم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها والعياذ بالله .

٢- وأما عوامهم: فهؤلاء لا يهجرون وإنما يدعون إلى الله-تبارك وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة؛ يعني: غير دعاة وعوام وفسادهم في أنفسهم، فهذا حاول هدايته إلى الله- تبارك وتعالى-؛ تدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا كان في الاختلاط به ما يضرك فابتعد عنه »(٢٨٣) .

وسئل حفظه الله« هل يجوز هجر من يسلم على أهل البدع من الإخوان المسلمين والحركيين والتكفيريين ، ويجالسهم مع إقراره بأنهم مبتدعة ويزهد الناس في علم الجرح والتعديل ؟

(٢٨٣) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٢٩٥-٢٩٦) .

فأجاب سدده الله:كيف يجالسهم ؟ بارك الله فيك ، هل السلفيون الآن يجالسون أهل البدع !؟ **الآن السلفيون قسمان** :

ـ سلفي قوي، يستطيع أن يبلغ دعوة الله في أهل البدع وفي الأحزاب ـ بارك الله فيك ـ بالحجة والبرهان، ويؤثر فيهم ولا يؤثرون فيه، فهذا واجبه أن يختلط بهؤلاء ويدعوهم، لا لأجل أكل، ولأجل شرب، ولا مداهنة، ولا شيء من أمور الدين، ولا إقرار على باطل، إنما يحصِّلهم في المساجد يدعوهم، يحصلهم في الأسواق يدعوهم، يركب معه في سيارة يدعوه، يركب معه في طائرة يدعوه، يركب في قطار يدعوه .

يدعو لأنه لابد من الاختلاط بهؤلاء ـ ما له فكة منهم ـ لأن أهل البدع والأهواء أغلبية ساحقة و السلفيُّون كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ـ بارك الله فيكم ـ فرغم أنفه يختلط بهؤلاء، لكن ما واجبه ؟

واجبه تبليغ دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فهذا: إذا جلس في بيته بحجة هجران أهل البدع! فهذا موَّت الدعوة!!

فمثلا: إنسان جاهل ضعيف الشخصية إذا سمع أدنى شبهة أخذته، فهذا ينبغي أن ينجو من أهل الشبه والبدع، ويبتعد عنهم، لا يجالسهم، لكن إذا امتحنك إنسان وسلم عليك، فقل: وعليك السلام؛ لكن؛ أن تجالسهم

وتُؤاكلهم، وتضاحكهم، وتجلس إليهم: فأنت في هذا مخطئ؛ لأن ما فعلته مخالف للمنهج السلفي، ومخالف للسنة.. .

السلفيون الذين قبلنا قد انتشروا كذلك بين أهل البدع، وأثَّرُوا فيهم، وأدخلوا الألوف في حظيرة المنهج السلفي .

فمن كان مناظرًا قويًّا، وقوي الشخصية، أو عالمًا أقام الحجة ودعا هؤلاء بالحكمة والموعظة الحسنة، وسترون آثار هذا .

والضعيف؛ لا والله لا يخالط، في الجملة؛ لكن إذا امتُحن بالسلام عليه فليسلِّم؛ ولا شيء عليه، وإلا فماذا يصنع ؟ لكن لا يخالط ولا يجالس »[٢٨٤] .

وسئل حفظه الله أيضا: ما نصيحة شيخنا لبعض الإخوة الذين لا يفرقون بين دعوة العامي الذي وقع في البدعة، وبين الداعية إلى البدعة وما هو منهج السلف في ذلك؟

فأجاب:« السلف فرقوا بين الدعاة وغيرهم، الدعاة عاملوهم بشدة، هجروهم وقاطعوهم ولم يأخذوا عنهم العلم، وإذا تمادى في دعوته إلى الباطل أغروا به ولاة الأمور فيقتلونه، إلى آخر ما عاملوا به أولئك الضلال .

وأما الساكت والعامي فهذا له معاملة أخرى.. .

---

(٢٨٤) انظر: "المرجع السابق"(١/ ٤٨٨-٤٩٠) .

نترفق بعوامهم، ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ونبين لهم.. .

فهذا الجاهل الذي ترى أنه على بدعة علِّمه، وبيِّن له خطأه، وبين له أن هذا العمل بدعة، بالحجة والبرهان، فلعل الله أن يهديه على يديك، ولا تسبق الأحكام البيان، قدم البيان ثم بعدها إذا عاند واستكبر وأبى عند ذلك عامله بما يستحق من أحكام وغيرها »(٢٨٥) .

**** تنبيه ****

هناك كلام لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله مضمونه أن الهجر ينظر فيه إلى المصالح والمفاسد، فإذا تحققت المصلحة في هجر أهل البدع هَجَرْناهم وإلا فلا(٢٨٦)، وقد ساء فهم كثير من الناس لكلام شيخ الإسلام هذا، فخالطوا المبتدعة بحجة أنه لا مصلحة ترجى من هجرهم، وأن هجرهم لا يزيد الطين

(٢٨٥) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ١٦٣) .

(٢٨٦) وهاك كلام شيخ الإسلام بنصه من "مجموع الفتاوى"(٢٨/ ٢٠٦)، قال رحمه الله:« وَهَذَا الْهَجْرُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْهَاجِرِينَ فِي قُوَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ زَجْرُ الْمَهْجُورِ وَتَأْدِيبُهُ وَرُجُوعُ الْعَامَّةِ عَنْ مِثْلِ حَالِهِ؛ فَإِنْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ رَاجِحَةً بِحَيْثُ يُفْضِي هَجْرُهُ إلَى ضَعْفِ الشَّرِّ وَخِفْيَتِهِ كَانَ مَشْرُوعًا، وَإِنْ كَانَ لَا الْمَهْجُورُ وَلَا غَيْرُهُ يَرْتَدِعُ بِذَلِكَ؛ بَلْ يُزِيدُ الشَّرَّ وَالْهَاجِرُ ضَعِيفٌ بِحَيْثُ يَكُونُ مَفْسَدَةُ ذَلِكَ رَاجِحَةً عَلَى مَصْلَحَتِهِ لَمْ يَشْرَعْ الْهَجْرُ؛ بَلْ يَكُونُ التَّأْلِيفُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِنْ الْهَجْرِ، وَالْهَجْرُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعُ مِنْ التَّأْلِيفِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَلَّفُ قَوْمًا وَيَهْجُرُ آخَرِينَ، كَمَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ لَمَّا كَانَ أُولَئِكَ كَانُوا سَادَةً مُطَاعِينَ فِي عَشَائِرِهِمْ فَكَانَتْ الْمَصْلَحَةُ الدِّينِيَّةُ فِي تَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ سِوَاهُمْ كَثِيرٌ فَكَانَ فِي هَجْرِهِمْ عِزُّ الدِّينِ وَتَطْهِيرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي الْعَدُوِّ الْقِتَالُ تَارَةً، وَالْمُهَادَنَةُ تَارَةً، وَأَخْذُ الْجِزْيَةِ تَارَةً، كُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْمَصَالِحِ ».

إلا بِلَّة، وأن المصلحة في مخالطتهم وتأليفهم، و... فما درى أهل السنة إلا وهم يقلِبون لهم ظهر المجن، ويدافعون عن المبتدعة، ويطعنون في أهل السنة، فراح المساكين يراعون مصلحة المبتدعة، فإذا بهم يضيعون مصلحتهم ويقعون في حبالهم .

وقد أشار العلامة ربيع المدخلي حفظه الله إلى سوء فهم بعضهم لكلام شيخ الإسلام هذا؛ بل استغلالهم لكلام شيخ الإسلام، في مخالطة المبتدعة وعدم هجرهم، فقال:« أنا أنبهكم كيف يستغل الناس كلام ابن تيمية هذا؛ هل ابن تيمية لما يذكر مراعاة المصالح والمفاسد، هل يهمل مصلحتك أنت المسكين الذي يمكن أن ترتمي في أحضان أهل البدع؟

كلا؛ هؤلاء يتعلقون بكلام ابن تيمية في مراعاة المصالح والمفاسد وينزلونه في غير منازله، ويهملون مصلحة الشباب الذين وقع كثير منهم في أحضان أهل البدع .

فيجب أن نراعي في المفاسد والمصالح أول شيء مصلحتك أنت أيها الشاب، هل من مصلحتك أن تخالط أهل البدع؟

نستخدم هنا قاعدة سد الذرائع، ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح؛ يعني لا مصلحة في الاختلاط بأهل البدع إلا أن تنصحهم وتبين لهم الحق .

أما أن تجالسهم وتضاحكهم وتتخذ منهم أخدانًا وأخلاء؛ بل يصل بك الأمر إلى موالاتهم ومعاداة أهل السنة، فهذا هو الضلال البعيد، يقع فيه كثير من الناس، يجره الشيطان بحبل المصلحة فيرتمي في النهاية في أحضان أهل البدع، ثم ينقلب خصمًا لدودًا على أهل السنة .

فأنا أقول تراعى المصالح والمفاسد أولا في مصلحت نفسك، أنت تعرف شخصك، تعرف مدى ثباتك على الحق واحترامك له، ثم ماذا تريد من مخالطتك لأهل البدع؟ هل تريد المصلحة أو تريد الاستفادة منهم؟

إن كنت تريد الاستفادة منهم فاتهم نفسك الضعيفة وأبعدها، وإن كنت ترى عندك القدرة والقوة على نصحهم والتأثير فيهم وردهم من الباطل إلى الحق؛ فاختلط بهم على هذا الأساس لنصحهم فقط، سرًّا وعلانية، لا للضحك ولا للأكل ولا للشرب ولا لشيء مما يسخطه الله -تبارك وتعالى- أو يؤدي بك إلى أن تقع في الضلال، أو تقع في البدع .

فهجران أهل البدع أصل أصيل عند أهل السنة ساروا عليه، وابن تيمية رأى مراعاة المصالح والمفاسد، لا على منهج من يريد أن يجرَّ شباب الأمة الذين ينفع الله بهم الإسلام، ويرفع بهم رايته، فيجرُّهم إلى أهل البدع، فاستخدم هذه القاعدة أسوأ استخدام واستغلها أسوأ استغلال .

فذهب كثير من الناس فوقعوا في أحضان أهل البدع وضحايا لأهل البدع باسم مراعاة المصلحة التي لا يحسنون مراعاتها، والتي يهمل فيها مصلحة هذا المسكين الذي يدفع إلى هوة الباطل والضلال، وقد وقع كثير بهذا السبب وبسبب القاعدة الثانية عندهم: **نقرأ كتب أهل البدع أو كتب المفكرين فما كان حسنًا أخذناه وما كان باطلًا تركناه!**» (٢٨٧) .

** فصل **

هاهنا مسألة مهمة لها علاقة بما سبق من مسائل هجر المبتدع وأحكام ذلك، نبَّه عليها العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله، وهي:مسألة الصلاة على المبتدع والترحم عليه إذا مات، حيث أفاد حفظه الله بأنه يجوز الترحم عليه ما دام أنه مسلم، وإن هجرناه وبدعناه وحذرنا منه .

فقال أعزه الله مجيبًا على سؤال هذا نصه: هل يجوز الترحم على أهل البدع؟

فأجاب: أما الترحم على أهل البدع؛ فإنه يجوز الترحم عليهم، وهذا شيء عليه السلف الصالح، ومنهم أحمد بن حنبل، ودل على ذلك نصوص من كتاب الله تبارك وتعالى ومن سنة رسول الله ﷺ »(٢٨٨) .

---

(٢٨٧) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٣٠٤-٣٠٥) .

(٢٨٨) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ١٥٩) .

وسئل حفظه الله: ما هو ضابط أهل السنة والجماعة في الصلاة على أهل البدع، وهل يجوز الترحم عليهم؟ فذكر تفصيلًا جيِّدًا مهمًّا، أوضح فيه مذهب السلف، في هذه المسألة المهمة .

فقال:« السلف إذا درست كتبهم تراهم في الأمور الظاهرة، إذا وقع الإنسان مثلًا في القول بخلق القرآن، أو عطل صفات الله، الأمور الظاهرة، إذا وقع فيها فإن السلف يبدعونه، ويشددون في ذلك إلى حد التكفير .

أما قضية الترحم؛ يرون الصلاة على أهل القبلة جميعًا، ما داموا من أهل القبلة، ويصلون إلى هذه القبلة، هذا كثير وموجود في كتب السلف، والصلاة **ترحم عليهم**، لكن إذا كان هناك إمام متَّبَع فله أن لا يصلي على هذا المبتدع حتى يعرف الناس حقارة البدعة، وأما سائر الناس فلهم أن يصلو على هذا المبتدع؛ بل يجب عليهم؛ لأنه من فروض الكفايات أن يصلوا على هذا المسلم ولو كان مبتدعًا، **ولهم أن يترحموا عليه**، وإذا كان هناك إنسان متبع ويريد أن يؤدبه فلا يترحم عليه، ولكن لا يُحَرِّم الترحم ولا يمنع منه »(٢٨٩) .

(٢٨٩) انظر: "المرجع السابق"(١٥/ ٣١٩) .

** فائدة **

أفاد الشيخ ربيع حفظه الله بأن الذين يخالفون السلف و يُحرِّمون الترحم على أهل البدع، ويمنعون منه مطلقًا، هم الحدادية الغلاة، وأن ذلك من علاماتهم ومميزاتهم التي تميزوا بها واشتهروا بها، فقال حفظه الله في مقال بعنوان: **"صفات الحدادية"** وذكر منها:

- تبديع من لا يبدع من وقع في بدعة وعداوته وحربه، ولا يكفي عندهم أن تقول: عند فلان أشعرية مثلاً أو أشعري، بل لابد أن تقول: مبتدع وإلا فالحرب والهجران والتبديع.

- تحريم الترحم على أهل البدع بإطلاق، لا فرق بين رافضي وقدري وجهمي وبين عالم وقع في بدعة .

- تبديع من يترحم على مثل أبي حنيفة والشوكاني وابن الجوزي وابن حجر والنووي...» (٢٩٠) .

** تنبيه **

ينبغي عند تقرير هذه المسألة الحذر من مداخل الحزبيين الذين قد يستغلونها لتلميع أهل البدع والثناء عليهم، كما فعل أبو الحسن المأربي فيما نقله عنه العلامة

(٢٩٠) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٤٧٠) .

ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال:« الحقيقة أن الإخوان المسلمين على يعني ما فيهم وما قدموه من أجل الدعوة إلى الله عز وجل، رحم الله أمواتنا وأمواتهم وأموات جميع المسلمين **وأسأل الله أن ينزلهم منازل الشهداء ويرفعهم عنده سبحانه وتعالى في منازل عالية..**» .

قال الشيخ ربيع أيَّده الله معلِّقًا على كلام أبي الحسن هذا:« الترحم على أهل البدع جائز عن أهل السنة وأنت تتكىء على هذا، لكن تطبيقك بهذه الحرارة والمبالغة ينبىء عن دوافع غير سلفية ، فأهل السنة الصادقون لا تجد عندهم هذه الروح ولا هذه المبالغات التي قد لا يقولونها في كبار أهل السنة »(٢٩١) .

(٢٩١) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٣٣٤-٣٣٥) .

المبحث الثالث

التحاكم إلى الكتاب والسنة ورد النزاع والخلافات إليها

وفي تقرير هذا الأصل السلفي، يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في سياق رده على أبي الحسن المأربي الحزبي:

« أبو الحسن يدعي أنه وأهل السنة(٢٩٢) من أصحاب الدليل ولا يقبلون إلا الدليل

ثم تراه في قضايا الخلاف **يخالف الأدلة والأصول الإسلامية** مثل قوله تعالى:﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩]، ومثل قوله تعالى:﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[الشورى: ١٠] »(٢٩٣) .

وقال حفظه الله:« أهل السنة يسيرون على منهج السلف في الاحتكام إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما، ووزن أقوال الرجال بالكتاب والسنة بفهم السلف»(٢٩٤) .

وقال حفظه الله: « الله يقول:﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[النساء: ٥٩]

---

(٢٩٢) ولا ندري من هم أهل السنة عنده ولعله يريد بهم أتباعه الذين وصفهم بأنهم يسيرون على أصول علمية وعندهم إدراك للمصالح والمفاسد والحال والمآل أي أن هؤلاء العوام المتعلقين بمنهجه الفاسد قد وصلوا إلى مراتب الأئمة الكبار الذين يدركون المصالح والمفاسد!(ربيع) .

(٢٩٣) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٧٩) .

(٢٩٤) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٥٥٣) .

، ويقول: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[الشورى: ١٠] ، ويقول رسول الله ﷺ: « **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين** » أي في مواطن الاختلاف .

فهذا هو المنهج الذي يجب أن يسلكه المسلم في قضايا الخلاف وقد بينا هذا فيما سلف .

فإن المرجع هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح »(٢٩٥) .

** فصل **

وفيه بيان من الشيخ حفظه الله بأن ما يحصل في الأمة من خلافات إنما هو بسبب عدم التحاكم إلى الله ورسوله، واتباع الأهواء، وأن الناس لو تحاكموا إلى الكتاب والسنة فيما اختلفوا فيه لانحلت خلافاتهم، ولزال ما بينهم من نزاع، **فقال**:

« فمشاكل المسلمين الآن التي تملأ الدنيا - والعياذ بالله – لو حكَّموا كتاب الله هذا لتلاشت هذه الخلافات كلها ، عقائدية وسياسية وغيرها ولكن مع الأسف ، كما قال الله في هذه الآية نفسها :﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾، البغي والحسد والكبر، هو الذي يمنع الناس من

(٢٩٥) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ١٨٠) .

الاحتكام إلى الله والرجوع إلى الحق في ضوء هذا الكتاب، وإلا فما معنى بقاء هذه الطوائف الروافض بفرقهم، والصوفية بفرقهم، والباطنية بفرقهم ..» (٢٩٦) .

وقال حفظه الله: « نحن الآن نرى الأمة تفرقت وتمزقت، وما السر في ذلك؟! إنه اتِّباع الأهواء والعياذ بالله، لو حكَّمنا الله ورسوله في قضايا الخلاف لا يمكن أن يستمر أبدًا، ولكن الاستمرار دليل على أن كثيراً من الناس يتبعون أهوائهم ويركبون رؤوسهم ولا يخضعون لتوجيهات الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩]، فلا بد من الاحتكام لله ورسوله، وبهذا تنحل الخلافات ويذهب هذا التفرق، وتتبدد هذه الأهواء فإذا لم نكن على هذا المستوى فما أمامنا إلا الضياع، وما أمامنا إلا الضلال والهلاك والبوار في الدنيا والآخرة »(٢٩٧) .

---

(٢٩٦) انظر: مقالا للشيخ بعنوان " التحذير من الشر " .

(٢٩٧) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١/ ٤٩٦) .

المبحث الرابع

الوسطية والاعتدال

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميَّزوا بها عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع، لزومهم سبيل التوسط والاعتدال في سائر شئونهم، سواء في عقائدهم، أو في مناهجهم، أو في عباداتهم، أو في معاملاتهم، أو في أخلاقهم، وفي شئونهم كلِّها، فلا إفراط عندهم ولا تفريط .

وفي بيان وتقرير هذا الأصل السلفي الأصيل، يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له:« المنهج السلفي من بين المناهج الموجودة هو المنهج الوسط المعتدل لمن فقهه حقَّ الفقه، لا للأدعياء، فمن فقه هذا المنهج من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن سيرته، ومن سيرة السلف الصالح: يعرف أن المنهج السلفي هو دين الله الحق القائم على الاعتدال، والقائم على الصراط المستقيم، والقائد إلى الحق في عقيدته ومنهجه وتربيته ودعوته، بينما تجد في المناهج الأخرى التَّأرجح بين الإفراط والتفريط .

المنهج السلفي وسط في الفرق كوسطية الإسلام بين الأديان والملل السابقة »(٢٩٨) .

---

(٢٩٨) انظر: "رسالة وسطية الإسلام "(ص ١٩-٢٠) .

وقال حفظه الله: « فأهل السنَّة وسط بين الفرق كلها كما أنَّ هذه الأمة وسط بين الأمم كلها، أهل السنة وسط بين الفرق التي انحرفت عن دين الله الحق وعن صراطه المستقيم ومنهاجه القويم .

فهم وسط في باب صفات الله بين الجهمية المعطلة وبين المشبهة الغالية.. .

الشاهد أنَّ أهل السنة وسط في كل أبواب الدين ومنها قضايا العقيدة : وقد ضربنا لكم مثلاً بالمشبهة والمعطلة.. .

أهل السنة توسطوا في مرتكبي الكبائر بين الخوارج والمرجئة:

سلكوا الطريق الوسط بين هؤلاء و هؤلاء، قالوا: إنَّ مرتكب الكبيرة غير المستحل لا يخرج من الإيمان فيقال له:« **فاسق** » مع ذلك يقال له: « **ناقص الإيمان**» بقدر ما يرتكب من المعاصي حتى لا يبقى له إلاَّ أدنى مثقال ذرَّة من إيمان ...

عند الخوارج والمرجئة و المعتزلة الإيمان لا يزيد ولا ينقص ! .

وأهل السنة يقولون:« الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والعصاة يستحقون الذَّم وهم مُعرَّضون للعقوبة الشديدة »، و الخوارج يُكَفِّرُونَهم. والمرجئة الغالية يقولون لا يضرُّ مع الإيمان ذنب ولا يُعرَّض العاصي لنصوص

الوعيد ولا للعقوبات ولا...وعندهم وعند سائر المرجئة أنَّ إيمانه لا ينقص أبدًا وإيمان أفجر الناس مثل إيمان جبريل و محمد ﷺ !! .

أولئك-الخوارج-تعلقوا بجانب من الإسلام نصوص الوعيد فأخرجوا العصاة من دائرة الإيمان وحكموا عليهم بالخلود في النار.

والمرجئة أبقوه في دائرة الإيمان الكامل لاتهزُّ إيمانهم كل المعاصي والجرائم...

فإيمانه كامل لا ينقص لماذا ؟ لأن الإيمان عندهم المعرفة أو التصديق والإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقص..

أما أهل السنة فحَكَّمُوا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ونظروا إلى مجموع الشريعة فأخذوا بنصوص الوعيد وأخذوا بنصوص الوعد »(٢٩٩) .

وقال حفظه الله: « فأهل السنة هم الوسط دائمًا بين فرق الأمة، أما هؤلاء فإما إلى الجفاء وإما إلى الغلو، وأهل السنة لا جفاء ولا غلو، ولا إفراط ولا تفريط»(٣٠٠) .

وقال الشيخ أعزَّه الله في سياق رده على المالكي الزائغ:« أيها الرجل: **إنَّ المنهج السلفي قائم على الكتاب والسنة والعدل والإنصاف والاعتدال والتوسط فيه في كلِّ أبواب الدين .**

والظلم والانحراف والضلال والجور في الأحكام إنما هو عند خصومهم.. .

---

(٢٩٩) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٩/ ٤٢٨-٤٣٣) .

(٣٠٠) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ١٨٨) .

ولو كان عندك أدنى حدٍّ من الاعتدال والصدق والإنصاف لما وجهت سهام حقدك لأهل الحقِّ والإنصاف والاعتدال أهل السنة والحديث السلفيين »(٣٠١) .

وقال سدده الله:« فإننا معشر السلفيين ندين الله بالتوسط والاعتدال في الأمور كلِّها: في العقائد والعبادات والأخلاق والمناهج وقد حاربنا الغلوّ ولا نزال نحاربه بكل أشكاله، في العقائد والعبادات والأشخاص، فمن الظلم أن نرمى به من أناس لا ناقة لهم ولا جمل في حربه .

ونحارب الجفاء والتمييع بكل أشكاله في العقائد والعبادات والأخلاق والأشخاص والجماعات، ولا نزال نحاربه، فمن الظلم والإفك أن نرمى به أيضًا.

نقوم بكل ذلك- أي التوسط والاعتدال ومحاربة ما يناقضه- انطلاقًا من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ ومن منهج السلف الصالح إلى ذلك ندعوا دائمًا، وعلى ذلك نربِّي .

ومن نسب إلينا غير هذا المنهج فقد كذب وافترى علينا إفكًا عظيمًا »(٣٠٢) .

---

(٣٠١) انظر: "المرجع السابق "(١٢/ ٣٨٠) .

(٣٠٢) انظر: "رسالة وسطية الإسلام "(ص:٣-٤) .

** فصل **

لقد ساء فهم بعض الناس للوسطية والاعتدال، فظنوها تعني التميُّع والمداهنة، والتَّنازل عن المبادئ السلفية، فراحوا يجاملون ويداهنون أهل البدع والأهواء، بحجة ترك التشدد ولزوم الوسطية والاعتدال .

بينما نجد البعض الآخر على النقيض من هؤلاء في سوء فهمهم للوسطية، حيث إنَّهم ظنوا أنَّ حث النبي ﷺ والسلف الصالح على التمسك بالكتاب والسنة ومباينة أهل البدع وهجرانهم والتحذير منهم ومن ضلالهم، يعني التشدُّد والجفاء والغلظة فسلكوا هذا السبيل فشوَّهوا به الدعوة السلفية.

وقد أبان سوء هذه المفاهيم وبطلانها العلامة المحدث ربيع المدخلي غفر الله له، **فقال**:« ولعلَّنا أدركنا نتائج ضيق العطن والشدة المهلكة وما شاكلها وأدركنا نتائج ما يُسمَّى بالتمييع والمداهنات ،فلا هذا ولا ذاك وإنَّما منهج وسط رَضِيَه الله لهذه الأمَّة ومدحها عليه .

قال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٤٣] .

وسط عدول، وفي نفس الوقت متوسطون ومعتدلون بين الإفراط والتفريط.. .

في هذا العصر أناس ينتهجون المنهج السلفي؛ فيذهبون يسلكون مسالك السياسيين في التهويل والتمييع والمداهنات ويسمون هذا حكمة .

أو شدة تهلك المنهج السلفي وتأخذ بخناقه وتشوهه وتنفِّر الناس منه، فلا هذا ولا ذاك؛ وإنَّما الاعتدال هو الذي يؤتي ويعطي الدعوة السلفية الصورة اللائقة بها من جمالها وحسنها ويسرها وبعدها عن المنفرات.. .

ويفهم بعض الناس من التيسير أنَّه المداهنة فيسلكون طرق المداهنة،(٣٠٣) ويفهم من الحكمة التي أمر الله بها يفهم منها أنَّها هي المداهنة، والطرق السياسية التي تقتل الإسلام فلا هذا ولا ذاك .

---

(٣٠٣) **المداهنة**: هي ترك ما يجب لله، من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغافل عن ذلك، لغرض دنيوي وهوى نفساني، لزعم هؤلاء أن المعيشة لا تحصل لهم إلا بذلك، فالمداهنة هي المعاشرة والاستئناس مع وجود المنكر والقدرة على الإنكار» " الدرر السنية "(١١/ ٨٥).

وهناك فرق لابد من ذكره بين المداهنة المحرمة، والمداراة المشروعة، فالمداراة: هي درء الشر المفسد بالقول اللين، وترك الغلظة أو الإعراض عنه إذا خيف أشد منه، أو مقدار ما يساويه » " الدرر السنية " (١١/ ٨٥) .

قال بعض العلماء: تجوز المداراة، فيما لا يؤدي إلى ضرر الغير، فأما إن كانت المدارة في أمور تخالف أصول الدين فهي مداهنة لا مداراة فلا يجوز مداراة الناس في مظالمهم من قتل نفس أو سرقة أموال، أو انتهاك أعراض، أو شهادة زور أو نحو ذلك من الأمور المحرمة.

قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول والعمل، وذلك من أقوى أسباب الألفة » " فتح الباري "(١٠/ ٥٢٨) .

أما المداهنة: فهي من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه.

ويفهم بعض الناس من حثِّ الرسول ﷺ والسلف الصالح على التمسك بالكتاب والسنة والتحذير من البدع وأهلها أنَّها الشدة والغلظة المطلقة والجفاء وسلوك كل طرق التنفير والتشويه للدعوة السلفية، وهذا أظنُّ أنَّه جرى منه شيء كثير في كلِّ بلاد الإسلام، وفي الجزائر نفسها .

وقد جربتم نتائج هاذين المنهجين :

« منهج التمييع والمداهنات والدفاع عن الباطل بطرق شيطانية» .

و «**منهج التشدُّد الذي أوَّل ما يفتك بالسَّلفية وأهلها** »... .

فلا هذا ولا ذاك : لا غلو ولا شدة ،ولا تميُّع ولا تفريط ولا مداهنات»(٣٠٤) .

لكن نقول: ما هو الميزان والمقياس الذي يعرف به التوسط والاعتدال من التشدُّد والتَّمييع؟، فإن الكل يدَّعي أنه صاحب الوسطية، وأنَّ فهمه لها هو الفهم الصحيح !.

وفي الجواب على هذا السؤال يقول العلامة ربيع المدخلي عفا الله عنه:« والميزان للتوسط أو الغلو والجفاء والتمييع: كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومنهج

أما المداراة فهي تعني: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، حتى لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه على الخير ومنع ما يحصل منه من شر» " فتح الباري" (١٠/ ٥٢٨، ٥٢٩)، نقلًا عن " الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية "(١/ ٢٢١-٢٢٢) .

(٣٠٤) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٤/ ١٣٨-١٣٩) .

السلف الصالح، لا أهل الأهواء، ولا مناهجهم الفاسدة المرتبطة بالمصالح الدنيوية »[٣٠٥] .

(٣٠٥) انظر: "رسالة وسطية الإسلام "(ص: ٤) .

المبحث الخامس

محبة السنة وأهلها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: محبة السنة وأهلها وحرصهم على اتباعها .

المطلب الثاني: بغض البدع وذمهم لها ولأهلها .

المطلب الثالث: احترام علماء السنة ومحبتهم وذكرهم بالجميل .

المطلب الأول

محبة السنة وأهلها

وفي بيان وتقرير هذه الميزة السلفية العظيمة يقول العلامة السلفي ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له، وذلك في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله:

«...ذكر المؤلف قبل هذا الفصل مزايا أهل السنة وأهل الحديث- رحمهم الله- .. **ومن أعظم علاماتهم: محبتهم لأهل السنة** »(٣٠٦) .

وقال حفظه الله:« فإن حب المؤمنين المخلصين الصادقين في إيمانهم من الأنبياء والصالحين، وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ، ثم بعدهم أئمة الهدى وأهل الحديث في كل زمان ومكان: أمر يحتمه الإسلام، ودان به أهل السنة والجماعة؛ كما أن ذكر محاسنهم والذب عنهم وعن منهجهم أمر يحتمه الإسلام »(٣٠٧) .

وقال حفظه الله معلِّقًا على كلامٍ للحدادي فوزي البحريني، وهو قوله:« وإحدى علامات أهل السنة: حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع، الذين يدعون إلى النار، ويدلّون أصحابهم على دار البوار، وقد زين

---

(٣٠٦) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(٢/ ٣١٠) .

(٣٠٧) انظر: "المرجع السابق" (١٠/ ٥٢٩) .

الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونوَّرها بحب علماء السنة، فضلاً منه جل جلاله ومنه » .

قال الشيخ ربيع: « هذه العلامات إنما تنطبق على أهل السنة حقًا، فهم يحبون أهل السنة وعلماءها وأنصارها من السابقين واللاحقين في كل بقاع الأرض مشارقها ومغاربها .

والحدادية أعداؤهم وأعداء علمائهم »(٣٠٨) .

وقال سدده الله في شرحه لعقيدة السلف للإمام الصابوني:« في الفصل السابق تكلم المصنف عن علامات أهل البدع؛ ومن علاماتهم بغضهم لأهل السنة، وفي هذا الفصل يتكلم عن علامات أهل السنة، ومنها: حبهم لأهل السنة: قال رحمه الله: « و إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة» فإذا رأيت الرجل يحب من ذكرهم...وأمثالهم من أئمة الإسلام؛ هذا-إن شاء الله- علامة على أنه من أهل السنة؛ إذ يجب حب هؤلاء وموالاتهم...فهم أئمتنا وأحباؤنا وقدوتنا وأسوتنا...

فمن يبغض الآن مثلًا ابن تيمية وابن عبد الوهاب- رحمهما الله- ما هو منهجه؟! الذي يبغض ابن باز والألباني وابن عثيمين وأمثال هؤلاء ما هو منهجه؟! لا شكَّ

(٣٠٨) انظر: "المرجع السابق" (٩/ ٥٧٢) .

من أهل البدع والضلال! تجد فرقًا متحزِّبة لا تحترم هؤلاء بل تبغضهم وتناقض منهجهم! نسأل الله العافية، هؤلاء مصيرهم مصير أهل البدع .

ونحن نتولَّى هؤلاء العلماء لأنَّهم حفظوا السنة وبلَّغوها، حفظوا العقيدة وبلَّغوها، جاهدو في سبيل ذلك وناضلوا رحمهم الله تعالى، فلهم منَّا الولاء والحب »(٣٠٩) .

** فصل **

لَمَّا كان حب السنة وأهلها علامة لصاحبها على أنه من أهل السنة، كان نقيض ذلك، أي: بغض السنة وأهلها علامة لصاحبها على أنه من أهل البدع والأهواء،

ومن قواعد السلف التي يميِّزون بها بين أهل السنة والمبتدعة، قولهم: « **من علامات أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر**» وسطَّروا ذلك وزبروه في كتب العقائد، كما تراه في "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" للإمام الصابوني، حيث جعل معادات أهل السنة والوقيعة فيهم من أظهر آيات وعلامات المبتدعة، فقال:

«وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، **و أظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم...**» .

يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله معلِّقًا على كلام الصابوني رحمه الله:

---

(٣٠٩) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٣٤٤-٣٤٩) .

ذكر المؤلف قبل هذا الفصل مزايا أهل السنة وأهل الحديث- رحمهم الله-... .

ومن أعظم علاماتهم: محبتهم لأهل السنة، وذكر لهم بعض العلامات الأخرى .

وهنا يتحدث عن علامات أهل البدع.. .

قال:« وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدَّة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ » .

هذه أبرز وأظهر علامات أهل البدع، لا تجد رافضيًّا ولا صوفيًّا ولا سياسيًّا حزبيًّا، ولا من يدور في فلك هؤلاء من الكذابين الزاعمين أنهم سلفيُّون؛ لا تجده إلَّا يبغض أهل الحديث، ولا يطيق سماع ذكرهم، ولا سيَّما من يتصدَّى لبدعهم وضلالاتهم وبدع شيوخهم؛ فإنَّهم يحاربونه أشدَّ الحرب وبشتَّى الوسائل؛ قد يفوقون اليهود في الكذب والإشاعات الكاذبة الباطلة!!

فإذا رأيت إنسانًا يطعن في أهل السنة؛ فهذا دليل على أنه مبتدع، وقد يكون زنديقًا؛ إذا رأيت إنسانًا يطعن في أهل السنة وفي أهل الحديث؛ **فما يطعن فيهم إلا وهو مخالفٌ لهم محتقرٌ لما عندهم**، لا شك في ذلك .

وإلَّا فما الذي يدفعه إلى الطعن في أهل السنة وأهلها؟! ما يدفعه إلا أنه ضال وينطوي على زيغ وخبث وشر! فهذا من علاماتهم؛ هذا من علامات أهل الشر، وعلامات أهل البدع، ولو قال: إنِّي من أهل السنة فلا تصدقه؛ لأنه كذاب!

وكثير من هؤلاء المزيفين الكذابين؛ يقول لك: أنا سلفي وهو كذَّاب، ما قال هذا إلا مكيدة؛ مثل المنافق يقول: أنا مؤمن، أنا مسلم؛ يقول: أنا مسلم! المنافق لا يقول: أنا كافر، وأنا منافق وأنا أكره الإسلام؛ بل يقول: أنا مسلم ويصلي ويتصدق ويفعل وكذا، وهو يحارب الإسلام ويبغض أهله .

فكثير من الناس- الآن- من يقول: أنا سلفي، ولا تراه إلا يبغض أهل الحديث ويطعن فيهم!!

أهل الحديث موجودون- والحمد لله-؛ موجودون في مكة، موجودون في المدينة، موجودون في اليمن، في الهند، في باكستان، في كل مكان، وهو لا صلة له بأهل الحديث إلا الحرب! يوالي أهل البدع ظاهرًا وباطنًا ويدافع عنهم، ويستميت في الدفاع عنهم، فهؤلاء لا شك أنهم مبتدعة ولو سموا أنفسهم ما سموا، ووصفوا أنفسهم ما وصفوا؛ فهذه من العلامات التي تبين حالهم »(٣١٠) .

**** تنبيه ****

اعلم أن القاعدة السلفية التي مفادها أن « **من علامات أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر**» ليست خاصة بمن يطعن في أئمة السنة المتقدمين فحسب، بل هي شاملة كذلك لمن يطعن في المعاصرين منهم، فلا فرق .

---

(٣١٠) انظر: "المرجع السابق" (٢/ ٣١٠-٣١٢) .

وقد نبَّه على ذلك العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال:« **وما المانع من اتهام من يطعن في أعلام السنة في هذا العصر كما كان سلفنا يتهمون من يطعن في حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، والأوزاعي وأمثالهم، ما المانع والعلة واحدة.**

فإذا كان الأولون يتهمون لأنهم يطعنون في هؤلاء الأعلام من أجل أنّهم متمسكون بالسنة؛ فما المانع من إلحاق ورثتهم بهم، بل هؤلاء الخلوف أحق بالاتهام؛ لأنهم سلكوا كل الطرق الشيطانية واستخدموا كل ما يستطيعونه من وسائل النشر والإذاعة والإشاعة في تشويه أهل السنة وأعلامهم »(٣١١) .

(٣١١) انظر: "المرجع السابق" (١٣/ ٢٦٩) .

المطلب الثاني

بغضهم للبدع وذمهم لها ولأهلها

وفي بيان هذا الأصل السنِّي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني:« يحكي المصنف الاتفاق على إذلال أهل البدع؛ **هذا من جملة عدد من الأئمة يحكون الإجماع على بغض أهل البدع وقهرهم وإذلالهم، منهم هذا المصنف، ومنهم البغوي وغيرهما حكوا هذا الإجماع...**

السلف والأئمة ...عندهم ولاء لله وحب لله وبغض فيه؛ يبغضون أهل البدع ويقهرونهم، وينابذونهم ويحذِّرون من شرِّهم »(٣١٢) .

قال حفظه الله: « أما نحن فوالله نبغض أهل البدع، **ولقد حكى البغوي: إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على بغض أهل البدع وإهانتهم**، فنحن والله نتقرب إلى الله ببغض أهل البدع »(٣١٣).

---

(٣١٢) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٣٥٠-٣٥١) .

(٣١٣) انظر: "المرجع السابق "(١١/ ٢٢٦).

المطلب الثالث

احترام علماء السنة ومحبتهم وذكرهم بالجميل

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« **وأهل السنة ، وأهل " سحاب " هم الذين يتولون علماء السنة انطلاقًا من منهج السلف، ومنهج الكتاب والسنة ، ويجلون علماء السنة ويحترمونهم، وينشرون كتبهم ومقالاتهم وأشرطتهم ، ويذبون عن عقيدتهم ومنهجهم..** .

وأما شبكة " الأثري " الحدادية ؛ فهي المعادية لعلماء السنة ، والمحرشة بينهم، والساعية في تفريقهم وتمزيقهم وتشتيت شملهم.. .

وعندما يقول هؤلاء العلماء الحق الذي يخالف منهج هؤلاء الحدادية يسقطون أقوالهم، ولا يقيمون لها وزنًا، كما هي حالهم مع أقوال الإمام أحمد وإخوانه خاصة في قضية: « الإيمان والإرجاء » ، **فهم لا يسيرون على طريقتهم فيهما، ولا يسيرون على طريقتهم في احترام أهل السنة، واحترام منهجهم ، والذب عنه وعنهم** »(٣١٤) .

وقال حفظه الله: « الفرق الهائل بين أهل السنة وبين الحدادية في الأخلاق والتراحم والعدل والإنصاف **واحترام أهل السنة** »(٣١٥) .

---

(٣١٤) انظر: " المرجع السابق " (٩/ ٥٧٦) .

(٣١٥) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٦٤٤) .

وقال حفظه الله:« عُرِفَ الحداديون بالكذب، وعرفوا منذ ظهروا بالخصومة ضد أهل السنة و مسايرتهم لأهل الأهواء، وعرفوا أن أهدافهم إسقاط علماء السنة المعاصرين وتبديعهم، لأنهم يترحمون على أمثال ابن حجر والنووي والشوكاني وابن الجوزي، ويبدعون من يترحم عليهم ويحاربونهم ويعادونهم، وعرفوا بطعنهم في العلماء المعاصرين، وامتد طعنهم إلى ابن تيمية وابن القيم وابن أبي العز شارح الطحاوية، **فكم الفروق بينهم وبين سلفيين يحترمون العلماء السلفيين المعاصرين ويسيرون على نهج السلف** »(٣١٦) .

وقال حفظه الله: أهل « السنة لا ينتسبون إلا لكتاب الله، وسنة الرسول ﷺ **ويحترمون العلماء** »(٣١٧) .

وقال حفظه الله: « من أصول أهل السنة احترام العلماء » (٣١٨) .

وقال الشيخ حفظه الله:« إن موقفي من العلماء الأولين والآخرين **هو موقف أهل السنة من إجلالهم واحترامهم والذب عنهم** »(٣١٩).

---

(٣١٦) انظر: "المرجع السابق " (١٣/ ٥٨) .

(٣١٧) انظر: "المرجع السابق " (١٥/ ١٨٦) .

(٣١٨) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٣٠١) .

(٣١٩) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ٢٦٣) .

والعجيب أن هذه الميزة السلفية عند أهل السنة في احترامهم لعلمائهم وإجلالهم، وتوقيرهم، هي مما يغيظ الحزبيين، والمخالفين للسنة، كما بيَّن ذلك العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال: « **يغيظ هؤلاء الحزبيين أن يروا أهل السنة يحترمون ويوقرون علماءهم وأهل السنة فيهم**، فيرون أو يوهمون رعاعهم أنه تمجيد وتعظيم من جنس تعظيم وتمجيد غلاة الصوفية وغلاة الحزبية لشيوخهم فيصدقونهم ويسيرون وراءهم كالأنعام لا يفرقون بين حق وباطل؛ بل يرون باطلهم حقاً.. »(٣٢٠) .

** فصل **

ومن احترام أهل السنة لعلمائهم: اعتزازهم بهم، ومناصرتهم، ومؤازرتهم لهم .

والذَّبّ عنهم والدفاع عن أعراضهم، ودحض الافتراءات والتُّهم الموجهة إليهم، ونشر كتبهم وأشرطتهم، وتوجيه الناس إلى الاستفادة منها .

وفي ذلك يقول العلامة ربيع السنة المدخلي حفظه الله: «لألباني يُحسد، ولكن يحسده أهل الشر من أهل البدع والمتعصبين للمذهبية العمياء .

---

(٣٢٠) انظر: " المرجع السابق " (١٠/ ٣٧٣) .

وأما أهل السنة فهم يعتزون به ، ومنهم ربيع، ويتمنون الألوف من أمثاله في الدنيا، فلا يحسدونه ولا يحسدون ابن باز ولا يحسدون أحداً من أعلام السنة، **إنما يعتزون بـهم ويؤازرونهم ويناصرونهم ويشجعونهم على حمل لواء السنة** »(٣٢١) .

وقال حفظه الله ونصره:« السلفيون والحمد لله لا يرون أن الدين يهتز لتخطئة أحد ولكنهم يرفضون إلصاق التهم الفاجرة سواء ضد الصحابة أو ضد علماء الإسلام كائنين من كانوا بل يحاربون الظلم ولو كان لكافر.

ومن هنا يدافعون عن أئمة الإسلام ومنهم ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب »(٣٢٢) .

وقال حفظه الله:« أهل المنهج السلفي في أي مكان، فإنهم هم الذين يذبُّون عن أعراض العلماء وهم الذين يدرسون عليهم، ويشدون إليهم الرحال ليستفيدوا من علمهم لا رياءَ ولا تصيداً للأغرار لجرهم إلى الحزبيات، وهم والحمد لله الذين ينشرون كتبهم وأشرطتهم ويدعون الناس إلى احترامها ونهل العلم الصحيح والعقائد الصحيحة منها في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ويبذلون أموالهم لنشرها »(٣٢٣) .

---

(٣٢١) انظر: "المرجع السابق " (١١/ ٢٠٣) .

(٣٢٢) انظر: "المرجع السابق " (٨/ ٦٥١) .

(٣٢٣) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ٣٤١-٣٤٢) .

المبحث السادس

سد ذرائع الفتن ودرء المفاسد وتقديمها على جلب المصالح

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سد ذرائع الفتن ودرء المفاسد .

المطلب الثاني: مراعاة الألفاظ الشرعية والبعد عن الألفاظ المجملة والمشتبهة .

المطلب الأول

سد ذرائع الفتن ودرء المفاسد

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين سد الذرائع المؤدية إلى الفتن والشر والفساد، ودرء المفاسد ما أمكنهم ذلك، وتقديم دفع المفاسد على جلب المصالح؛ لا سيما إذا كانت المفاسد أعظم وأكبر من المصالح .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له:

« **من أصول أهل السنة: وجوب سد الذرائع، ووجوب درء المفاسد، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح** »(٣٢٤) .

وقال حفظه الله في سياق ردِّه على الحدادية في مسألة جنس العمل التي أحدثوها وشغَّبوا بها على أهل السنة«...ولأن الذين أثاروه للفتن أول مرَّة لم يحدِّدوا معنًا معيَّنًا من أجل كل هذا، ولما أثاره من التفريق والفتن؛ حذَّرت من استخدام « جنس العمل» ولا أزال أحذِّر منه، وإن كنت أرى أن تارك كل العمل كافر زنديق، **وموقفي هذا يتمشَّى مع منهج القرآن العظيم والسنة الحكيمة، ومع منهج السلف الصالح في سدِّ الذَّرائع ودرء المفاسد** »(٣٢٥) .

---

(٣٢٤) انظر: " المرجع السابق " (٩/ ٣٥٧) .

(٣٢٥) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٣٨٢) .

وقال سدده الله:« وإنما حذرت من لفظ: « جنس العمل »؛ لأنه سلاح خبيث من أسلحة التكفيريين؛ ليدعِّموا به منهجهم التكفيري، وحذَّرت منه لما ينطوي عليه من الفتن، **فأنا سلكت فيه مسلك السلف في سد الذرائع وإغلاق أبواب الفتن**.. .

ومن حججي مواقف من رسول الله وأصاحبه في سد أبواب الفتن واجتناب الألفاظ أو الكلام الذي يؤدي إلى إثارة الفتن والشبهات ... .

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وسد الذرائع المفضية إلى الأضرار والمفاسد من الأصول العظيمة التي لا يقوم الإسلام وحياة المسلمين إلا عليها .

خذ مثلاً قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الأنعام:١٠٨] .

فإن سبَّ أوثان المشركين حقٌّ وقُربةٌ إلى الله وإهانة للأنداد؛ لكن لما كان يُؤدِّي إلى مفسدة كبرى هي سب الله؛ وجب تركه، فليس هذا العمل من باب الفروع وإنما هو من باب الأصول والعقائد .

وصلاة الصحابة وراء عثمان رضي الله عنه وهو يتم في صلاة كان يقصرها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ليس من التنازل عن سنة أو عمل فرعي وإنما هو من باب درء

المفاسد الكبرى، فلو تركوا الصلاة خلف إمام المسلمين لأدى ذلك إلى الخلاف والتنازع وافتراق الأمة وسفك الدماء »(٣٢٦) .

وقال الشيخ حفظه الله:« وسد ذرائع الفتن وأسبابها من أهم الأصول التي وردت فيها نصوص كثيرة أوصلها ابن القيم في "إعلام الموقعين" إلى تسعة وتسعين نصًا، وألَّف شيخ الإسلام في ذلك كتابًا »(٣٢٧) .

(٣٢٦) انظر: "المرجع السابق" (٤/ ٨٤-٨٦) .

(٣٢٧) انظر: رسالة الشيخ التي بعنوان "بيان ما في نصيحة إبراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال" (ص٣٢) .

المطلب الثاني

مراعاة الألفاظ الشرعية والبعد عن الألفاظ المجملة والمشتبهة .

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين أنهم يراعون الألفاظ الشرعية والمعاني الصحيحة، ويجتنبون الألفاظ المجملة والمشتبهة، سدًّا لذرائع الفتن والخلافات .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« **من منهج السلف: الابتعاد عن استعمال الألفاظ المجملة والمتشابهة، والابتعاد عن الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة، ولما تحدثه من الفتن بين المسلمين**؛ بل بدَّع السلف من يسلك هذا المسلك»(٣٢٨) .

وقال حفظه الله وغفر له:« قال شيخ الإسلام رحمه الله(٣٢٩):« فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل، ويرُاعون أيضاً الألفاظ الشرعية، فيعبِّرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردُّوا عليه.

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقًّا وباطلًا نسبوه إلى البدعة أيضا، وقالوا: إنما قابل بدعة ببدعة وردَّ باطلا بباطل» .

---

(٣٢٨) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١٤/ ٤٢٨) .

(٣٢٩) في "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ٢٥٤) .

أقول(الشيخ ربيع): في هذا النص بيان أمور عظيمة ومهمة يسلكها السلف الصالح للحفاظ على دينهم الحق وحمايته من غوائل البدع والأخطاء منها:

١ – شدة حذرهم من البدع ومراعاتهم للألفاظ والمعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل؛ فلا يعبرون – قدر الإمكان – إلا بالألفاظ الشرعية، ولا يطلقونها إلا على المعاني الشرعية الصحيحة الثابتة بالشرع المحمدي »(٣٣٠).

وقال حفظه الله وسدده:« **وقد حذر السلف من استعمال الألفاظ المتشابهة ، والتزموا الألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة ، وبدَّعوا من يستخدم الألفاظ المتشابهة في المعاني الشرعية** »(٣٣١) .

وقال حفظه الله: « ينبغي لعلماء المنهج السلفي وطلاب العلم **أن يسلكوا جادة أهل السنة في كل شأن، وفي تسمية الفرق بأسمائهم المشهورة، وأن يجتنبوا الألفاظ الغريبة والمتشابهة** التي تثير الخلافات والقيل والقال، والتي لا تؤدي إلا إلى ما يضر الدعوة السلفية والشماتة بأهلها **وقد نهى السلف عن هذا** »(٣٣٢) .

---

(٣٣٠) انظر: "المرجع السابق "(٤/ ٣٥٠-٣٥١) .

(٣٣١) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٥٥٤) .

(٣٣٢) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٣٤١) .

** فصل **

ومن الألفاظ المجملة والمشتبهة التي أحدثها أهل البدع والتحزب في الآونة الأخيرة لا سيما منهم الحدادية، وأثاروا بها الفتن والمشاكل على أهل السنة خاصة، وعلى المسلمين عامة: ما يسمى «بجنس العمل» الذي أدخلوه في تعريف الإيمان؛ بل جعلوه ركنًا في تعريف الإيمان!

كما حصل من الحدادي فالح الحربي وشرذمته، وقد تصدى لبيان ضلالهم في هذا الباب وغيره، حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي أكرمه الله وغفر له .

فقال حفظه الله:« أنا عرَّفت الإيمان بما عرَّفه به السلف، وبيَّنت مذهب المرجئة الذين لا يدخلون العمل في الإيمان، ولم أجد من ذكر لفظ جنس العمل في تعريف الإيمان.. .

لكن لا أزال أنصح الشباب عن الخوض فيه لأنه لفظ مجمل يحتمل معاني متعددة ولفظ لم يرد في الكتاب والسنة.. .

وأنت تتعلق بلفظ "جنس" وهو لا ذكر له في القرآن ولا في السنة، ولا أدخله السلف في تعريف الإيمان، ولم يذكر في أقوال القرون المفضلة حسب علمي، ولا يبعد أن يكون مما أدخله الفلاسفة على الإسلام .

وإذا رجعت إلى كتب اللغة تجد اضطراباً في تفسيره .

ويقال إن أول من أدخله على اللغة الأصمعي »(٣٣٣) .

وللشيخ ربيع المدخلي أعزَّه الله مقالًا نفيسًا، بعنوان: **"منهج السلف وقواعدهم تقتضي منع إطلاق جنس العمل وما شابهه من الألفاظ المجملة" فليراجعه من شاء .**

(٣٣٣) انظر: "المرجع السابق "(٩/ ٣٦٠-إلى-٣٦٥) .

المبحث السابع

اتفاقهم في أصول دينهم وعدم اختلافهم في ذلك

من مميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التي تميَّزوا بها عن أهل الأهواء والبدع: اتفاقهم في أصول دينهم ومنهجهم، وعدم اختلافهم في ذلك، خلافًا لأهل الأهواء والبدع، الذين ما قامت مناهجهم إلا على الاختلافات والمخالفات والتناقضات، حتى أدى بهم الأمر إلى تبديع بعضهم البعض؛ بل إلى تكفير بعضهم بعضًا، فلا تجدهم إلا مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، ولذلك سُمُّوا: أهل البدعة والفرقة .

بخلاف أهل السنة، فإنك لا تجدهم إلا مجتمعين على الحق من غير اختلاف فيه؛ فلذلك سُمُّوا أهل السنة والجماعة .

وفي تقرير وبيان هذه الميزة السنية السلفية يقول العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« ثبت أهل الحديث والسنة على كتاب ربهم وسنة نبيهم يستمدون منهما العقائد والأحكام على طريقة الرسول ﷺ والسلف الكرام، وحطَّموا أسلحة أهل الباطل أيَّما تحطيم بمعاول السنة والقرآن الكريم...

وأهل السنة -الحمد لله- في هذا الباب من عصور على ائتلاف ووفاق وبعد عن الخلافات والشقاق »(٣٣٤) .

وقال أعزَّه الله وغفر له:« قال ابن القيم رحمه الله ناقلاً كلام السمعاني رحمه الله :

« فزعم كل فريق منهم (أي المبتدعة) أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام، وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله؛ غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب النبي ﷺ وأخذه الصحابة عن رسول الله ﷺ ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث .

ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولها إلى آخرها قديمها وحديثها، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، في باب الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها، قلوبهم في ذلك على قلب واحد، ونقلهم لا ترى فيه اختلافاً ولا تفرقاً في شيء ما

---

(٣٣٤) انظر: " المرجع السابق "(١٣/ ١٧٢) .

وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم؛ وجدته كأنه جاء عن قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث: أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدع أخذوا الدين من عقولهم فأورثوا التفرق والاختلاف؛ فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلَّما تختلف، وإن اختلفت في لفظة أو كلمة؛ فذلك الاختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما المعقولات والخواطر والآراء فقلّما تتفق »(٣٣٥) .

وقال حفظه الله:« ما فيه خلاف بين الصحابة، فأهل الأهواء الذين يُرَوِّجون الخلافات في الأصول والعقائد، يقولون: والصحابة اختلفوا في العقائد، هذا كذب ما اختلفوا »(٣٣٦) .

---

(٣٣٥) انظر: " المرجع السابق " (٤/ ٣٨٥-٣٨٧) .

(٣٣٦) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٣٩٠) .

وسئل حفظه الله: من المعلوم أن الخلاف في الفروع سائغ بشروطه، فما هي الضوابط التي يكون فيها الخلاف في بعض مسائل العقيدة سائغًا؟

فأجاب:« لا أرى هناك مسوغًا للخلاف في العقيدة، وما يتعلقون به مما ينسبونه إلى الصحابة أنهم مختلفون في العقيدة، فهم لم يختلفوا في شيء »(٣٣٧) .

**** تنبيه ****

نبَّه العلامة ربيع المدخلي عفا الله عنه أن ما حصل من الاختلافات من بعض أهل السنة، في بعض المسائل العقدية الفرعية، أنها اختلافات بسيطة لا تضر ولا تؤثر على المنهج، فقد سئل أعزَّه الله: هل يقال: إن أهل السنة والجماعة لم يختلفوا في أصول العقيدة أبدًا؟

فأجاب:« نقول الصحابة ما اختلفوا، أما أهل السنة والجماعة فمن أفاضلهم من وقع في بعض الاختلافات البسيطة التي لا تؤثر في المنهج مثل: الإسلام والإيمان شيء واحد أو هما شيئان متغايران، وكلٌّ له مستنده.. .

فالاختلافات بين أهل السنة من هذا النحو، وهي لا تضر إن شاء الله »(٣٣٨) .

---

(٣٣٧) انظر: "المرجع السابق" (١٥/ ٨٥) .

(٣٣٨) انظر: "المرجع السابق "(١٥/ ٨٥-٨٦) .

المبحث الثامن

الالتزام الكامل بالإسلام

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين التزامهم الكامل بالإسلام، بخلاف أهل البدع والأهواء الذين يتحزَّبون على جانب من الدين على حساب الجوانب الأخرى، ويأخذون ما لهم، ويدعون ما عليهم .

وفي بيان وتقرير هذا الأصل السلفي، يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه في سياق ردِّه على الحزبي سلمان العودة:

«**المسألة الرابعة: رمي أهل الحديث بالتحزُّب على جزء من الدين .**

تصور الشيخ سلمان أن أهل الحديث من المتحزبين على جزء من الدين والناسين لأجزاء أخرى منه، وأنَّ هذا من ميراث الأمم الهالكة.. .

فهل هم مُتحزِّبون على جزء من الدين كما يصورهم سلمان؟!

فأين جهادهم في ميدان الدعوة إلى التوحيد بأنواعه ومحاربتهم للشرك؟!

أين جهادهم ضد البدع، والخرافات الصوفية، والرافضية، وكلاهما جهاد الأنبياء وورثتهم؟! بينما غيرهم يتهرب من هذا الجهاد الذي هو أشد وأشق أنواع الجهاد .

وأين جهاد تلاميذ ابن تيمية وابن عبدالوهاب في الجزيرة حتى أقاموا دولة الإسلام والتوحيد على قواعد الإسلام الحق، فأعادوا للإسلام جِدَّته وطراوته؟!

وأين مدارس التوحيد والسنة في الجزيرة والهند وباكستان وأفغانستان وغيرها من البلدان؟! والفِرَقُ والأحزاب ترميهم على ذلك عن قوس واحدة .

وهل السلفيون في الشام ومصر والسودان واليمن وغيرها لا يشتغلون إلا ببيان صحيح الأحاديث وسقيمها وتحذير الناس من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة؟!

أليس السلفيون في كل مكان يدينــون بالإســلام الشامل عقيدة وشريعة ومنهاجاً ودعوة، ويدعون الناس إلى العودة إلى الإسلام كله من ألفه إلى يائه، ويتحملون من الأذى والشدائد ما لا يعلمه إلا الله في سبيل ذلك؟!

حاشاهم أن يكونوا كما يرميهم خصومهم متحزبين على جزء من الدين مع نسيان الأجزاء الأخرى، وهم أعلم الناس أن هذا من ميراث الأمم الهالكة.. .

فهل تجد في الدنيا مثل الشيخ ابن باز والعثيمين والشيخ عبدالعزيز السلمان والفوزان وحمود التويجري والغديان وعبدالرزاق عفيفي وآل الشيخ ... وكثير وكثير من علماء هذا البلد وطلاب العلم منهم؟!

هل تجد مثلهم في الأخلاق والعقيدة والبذل في سبيل الله؟!

لتَأْتِنا الطوائف والأحزاب بأمثالهم .

ولتأتنا بأمثال الشيخ الألباني وتلاميذه علماً بالسنة وجهاداً في سبيل التوحيد ومحاربة الشرك والبدع، وأمثال علماء الهند؛ كالشيخ عبيدالله المباركفوري وإخوانه في الهند وباكستان ديناً وخلقاً وعقيدةً وعلماً وصدعاً بالحق وصبراً على الأذى في سبيل الله .

وهات مثل الشيخ عبدالباري وإخوانه في بنجلاديش ! هات مثلهم في الدين وعلو الأخلاق !

فكيف تَرمي أهل هذا المنهج بالتحزُّبِ على جزءٍ من الدين والجفاء والغفلة عن واقع الأمة وما يدبر لهم وفيهم الشيخ العلامة المجاهد اليقظ والمتابع لأحوال المسلمين في أقطار الدنيا كلها حتى ليعتقد فيه أنه لو كانت في المريخ حركة إسلامية لكان وراءها، ألا وهو الشيخ ابن باز؟!

وهل نسيت يا سلمان الدورات التي تقيمها الدعوة السلفية في أقطار الأرض لتعليم المدرسين في المدارس الإسلامية؟!

وهل تنسى المِنَحَ التي تقدمها المدارس السلفية لأبناء المسلمين في العالم كله، ولا سيما الجامعة الإسلامية، التي خُصِّصَ فيها ثمانون بالمئة من مِنَحِ الطلاب لأبناء العالم الإسلامي؟!

وهل نسيت مراكز الدعوة التي تنشر منها المئات في شتى بقاع العالم؟!

وهل نسيت الدعم السلفي للجهاد الأفغاني وفي كل مكان؟!

هذه كلها جهود سلفية وليست تبليغية ولا إخوانية؛ فكيف ترمي السلفيين بالغفلة عن واقع الأمة؟!

إن للسلفيين العمل الهادئ الصامت، ولغيرهم الضحيح والهدير الإعلامي الذي يستفيدون منه للتشبع بجهود غيرهم »(٣٣٩) .

وقال حفظه الله: « وأهلُ الحديث من بَيَّنَا لكم، سُمُّوا أهلَ الحديث وإن كان كثيرٌ من الفِرَق يشاركونهم في دراسة الحديث وحفظه لكنَّهم هم يمتازون بأنهم **يتمسكون بالحديث في أبواب الإسلام كلِّها في العقائد، والعبادات، والسِّياسات** وغيرها »(٣٤٠) .

وقال حفظه الله:« **لا يسع مسلماً لا فرداً من أفراد المسلمين ولا طائفة من طوائف المسلمين ولا مجتمعاً من المجتمعات الإسلامية ولا حاكماً ولا محكوماً الخروج عن شيء من أصول الإسلام أو فروعه؛ بل يجب على الجميع الإيمان والالتزام الكامل بكل ما جاء به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وتقديمه على كل قول وهدي.**

---

(٣٣٩) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٥٩١-٥٩٤) .

(٣٤٠) انظر: رسالة الشيخ "الفرقة الناجية أصولها وعقائدها"(ص:١٢) .

والاحتكام إلى ما جاء به الرسول في كل شأن وتجريد الطاعة والمتابعة لرسول الله ﷺ في صغير أمور الدين وكبيرها »(٣٤١) .

** فصل **

أهل البدع والأهواء لا يسيرون على طريقة أهل السنة في الالتزام الكامل بالإسلام من جميع جوانبه؛ بل يأخذون بعضًا منه ويتناسون أو يتغافلون عن البعض الآخر؛ فلا يأخذون إلا بما يرونه موافقًا لأهوائهم ويتركون ماعدا ذلك.

وهكذا تجد أهل السنة والجماعة ملتزمون بحاكمية الله تعالى في جميع أبواب الدين أصولًا وفروعًا، بخلاف أهل التحزب والبدع الذين هم من أشدِّ الناس مناداة بالحاكمية في الظاهر لكنهم لا يلتزمون هذه الحاكمية في كثير من جوانب الدين؛ بل في كثير من أصول الدين وعقائده .

وفي بيان ذلك يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له:« ومما يؤخذ على هذا الاتجاه عموماً أنَّهم قد وضعوا قاعدة وهي: أنَّ الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، وهي قاعدة عظيمة(٣٤٢) لو طبقت على منهج السلف الصالح بدون غلو.

---

(٣٤١) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(١/ ٢٠٤) .

(٣٤٢) لكن مع الأسف قد غلَّبوا عليها قاعدة أخرى وهي: « نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه »، وهي عبارة واسعة وسعت كل الخلافات في الأصول والفروع من كل الفرق المنتسبة إلى الإسلام بل امتدت على أيدي بعضهم إلى الدعوة إلى وحدة الأديان وعقد مؤتمرات لذلك »، (ربيع).

لكنك ترى القوم يخالفونها مخالفة شديدة مع الأسف وذلك أنَّ تعلقهم الشديد بإقامة الدولة الإسلامية (ويسمون ذلك: بالدعوة إلى الحاكميَّة) قد شغلهم عن الاهتمام بأصل الإسلام الذي هو التوحيد بأنواعه، ولم يدركوا إلى الآن بسبب ذلك الانشغال أنَّ موجبات الاهتمام بالدعوة إلى التوحيد قائمة على أشدها كما هي في عهود النبوات كلها بمن فيهم محمدﷺ أو أشدّ.. .

إنَّ الدعوة إلى الحاكميَّة وتطبيقها أمر مهم ويهم كلّ مسلم يفهم الإسلام -إذا روعيت شروطها- وكل ما جاء به الرسولﷺ مهم وعظيم.

لكنّنا نتساءل: هل الدعوة إلى الحاكميَّة تستلزم الإهمال أو التقصير في أصل أصول الإسلام؟

الجواب: لا.

إن حاكميَّة الله يجب أن تبدأ من أعظم شيء في الإسلام ألا وهو الاعتقاد في الله وفي أسماء جلاله وصفات كماله كما تعرَّف الله إلينا بها في كتابه العظيم وكما علَّمنا نبينا الكريمﷺ لتمتلئ قلوبنا بها نوراً وإيماناً ويقيناً وإعظاماً وإجلالاً.

أيجوز في حاكميَّة الله ودينه أن تعطل أسماء جلاله وصفات كماله وهي أسمى وأجل وأعظم ما ضمّه كتاب الله وسنَّة نبيه؟!!

لماذا لا نطلب من علماء المسلمين بإلحاح أن يحكِّموا كتاب الله وسنَّة نبيِّه في هذا الأمر الخطير؟!!

أيجوز في حاكميَّة الله وشرعه ونظامه أن يخالف كثير وكثير من المسلمين منهج الأنبياء في توحيد العبادة وإخلاصها لله ويتخذوا مع الله أنداداً يدعونهم ويستغيثون بهم ويهتفون بهم في الشدائد ويُمعِنُون في ذلك حتى يشركونهم في الربوبيَّة فيعتقدون فيهم أنَّهم يعلمون الغيب ويتصرّفون في الكون؟!!

أليس هذا عدواناً على أعظم حقوق الله؟!!

أليس هذا هو أظلم الظلم؟!!

فأين الدعوة إلى الحاكميَّة إذن وأين هي العدالة؟!!

أيجوز في حكم الله وشرعه أن نغُضَّ الطَّرف عن الصوفيَّة وهي تعبث بعقائد المسلمين وعقولهم فتفسدها وتدمِّرها بعقيدة الحلول ووحدة الوجود ووحدة الأديان... وبغير ذلك من ضلالات التصوُّف؟!!

أيجوز في حاكميَّة الله ودينه أن تُشَاد الألوف من القبور في معظم بلدان الإسلام ليُطاف بها ويعتكف حولها وتشدُّ إليها الرحال ويُنذَر لها بالكثير الكثير من الأموال، وتقام لها الاحتفالات ويفعل المسلمون حولها وبها ما يندى له جبين

الإسلام، وما يضحك من المسلمين والإسلام أعداءه من الوثنيين واليهود والنصارى والشيوعيين؟!!

أيجوز في حاكميَّة الله أن تموت السنن وتقوم على أنقاضها البدع والخرافات والأساطير؟!!

فلماذا لا نُفهم المسلمين أنَّ الأعمال الجاهليَّة تضاد حاكميَّة الله؟.

ولماذا لا ندعوا أهلها إلى التحاكم إلى الله والخضوع في كل هذه المجالات لحاكميَّة الله؟ »(٣٤٣) .

وقال حفظه الله: « الحاكمية عند السياسيين تعني جانبًا معينًا من الإسلام، وهو ما يتوصلون به إلى الكراسي وسدة الحكم .

أما الحاكمية التي دل عليها القرآن فهي في كل صغيرة وكبيرة، في العقيدة وفي المنهج وفي العبادة وفي كل شيء ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ .

فأول ما يدخل في هذه الحاكمية عبادة الله التي ينفر منها هؤلاء السياسيون و يحاربون من يدعو إليها﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في كل شيء﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، يعني: أمر وحكم ألا تعبدوا إلا إيَّاه .

---

(٣٤٣) انظر: "المرجع السابق "(١/ ٣٥٦-٣٥٨) .

فالحاكمية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعند السلف تشمل الكليات والجزئيات كلها، والأصول والفروع ليست بالجانب السياسي فقط، أما هم فيحصرونها في الجانب السياسي ويجعلونها قسمًا رابعًا(أي: من أقسام التوحيد) وهذه حِيَلٌ من حِيَلِ السياسيين يُقنِعون الشباب بأن هذا قسم رابع ثم هذا القسم الذي اخترعوه يطغى على الجميع ويُنسِي الأصول الأخرى .

وهذا أنا بيَّنتُه- ولله الحمد- في كتابي "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله"، حينما تصدَّيتُ للرَّدّ على دعاة الحاكمية، هم لا يُطَبِّقون الحاكمية لا في العقائد ولا في عبادات ولا في شيء، ويقولون للناس الحاكمية وهي قسم رابع، وإذا وصلوا يظهر كذبهم »(٣٤٤) .

(٣٤٤) انظر " اللباب من مجموع نصائح الشيخ ربيع للشباب " (ص:٢٠٨-٢٠٩) .

المبحث التاسع

سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب النبي ﷺ، ومحبتهم والترضي عنهم وذكرهم بالجميل

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: مكانة الصحابة ومنزلتهم في الإسلام .

المطلب الثاني: وجوب محبة الصحابة والترضي عنهم وذكرهم بالجميل .

المطلب الثالث: الإيمان بعدالة جميع الصحابة .

المطلب الرابع: الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة .

المطلب الخامس: تبديع من انتقص الصحابة أوذمهم أوطعن فيهم أو في واحد منهم .

المطلب السادس: تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين والترضي عنهن والذَّبّ عن أعراضهن .

المطلب السابع: محبة آل بيت النبي ﷺ وتوليهم وحفظ وصية النبي ﷺ فيهم .

المطلب الأول

مكانة الصحابة ومنزلتهم في الإسلام

قال العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له:

« إن لأصحاب رسول الله ﷺ لمنزلة رفيعة عند الله وعند رسوله والمؤمنين، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، وأخبر عن رضاه عنهم ورضاهم عنه؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣] .

قال الخطيب البغدادي: «وهذا اللفظ وإن كان عامـًا فالمراد به الخاص، وقيل: هو وارد في الصحابة دون غيرهم » .

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة:١٠-١٢] .

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] .

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٨-٩] .

والآيات في بيان فضلهم ومنزلتهم كثيرة .

وأثنى عليهم رسولُ الله ﷺ، وبيَّن فضلهم في أحاديث كثيرة:

فمن ذلك: قوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »(٣٤٥).

(٣٤٥) أخرجه البخاري : (٦٢/ فضائل الصحابة ، ٣٦٥٠) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، ومسلم: (٤٤/ فضائل الصحابة، حديث : ٤٥٣٣) من حديث ابن مسعود، ومن حديث عمران وأبي هريرة رضي الله عنهم .(ربيع) .

وقال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذهبـًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه »(٣٤٦).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « **لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة ـ يعني : مع النبي ﷺ – خيرٌ من عبادة أحدِكم عمرَه** »(٣٤٧).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « **إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خيرَ قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه؛ فما رآه المسلمون حسنـًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيّئـًا فهو عند الله سيِّء** »(٣٤٨).

وقال الإمام الطحاوي: «**ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم .**

---

(٣٤٦) أخرجه البخاري (٦٢/ فضائل الصحابة ، ح : ٣٦٧٣) ، ومسلم ـ واللفظُ له ـ (فضائل الصحابة ، ح : ٢٥٤٠) . (ربيع) .

(٣٤٧) " شرح الطحاوية " (ص: ٥٣٢)، قال الألباني : «صحيح» .(ربيع) .

(٣٤٨) " شرح الطحاوية " (ص : ٥٣٢)، قال الألباني: « حسن موقوفـًا ؛ أخرجه الطيالسي، وأحمد، وغيرهما بسند حسن؛ وصحّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي » .(ربيع) .

ولا نذكرهم إلاَّ بخير؛ وحبُّهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »(٣٤٩).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله بعد أن استشهد بآيات كريمة وأحاديث شريفة على مكانتهم وفضلهم :

« والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلُّها مطابقة لما ورد في نصِّ القرآن؛ وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم؛ فلا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطِّلِع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلْق له؛ فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلاَّ قصد المعصية؛ فيحكم بسقوط العدالة، وقد برَّأهم الله من ذلك، ورفعَ أقدارَهم عندَه .

على أنه لو لم يَرِد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوَّة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتم، وأنَّهم أفضل من جميع المعدلين المزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين .

هذا مذهب كافَّة العلماء ، ومَن يُعتدُّ بقوله من الفقهاء »(٣٥٠).

---

(٣٤٩) " شرح الطحاوية " (ص: ٥٢٨) .

(٣٥٠) " الكفاية " (ص: ٩٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(٣٥١): « ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠] .

وطاعة رسول الله ﷺ في قوله: « لا تسبُّوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبـًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه »(٣٥٢) .

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ... ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبُّونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقولٍ أو عمل.. .

ومَن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينـًا أنهم خيرُ الخلْق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكونُ مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله »(٣٥٣) .

---

(٣٥١) " الواسطية " (ص: ١٤٢ ـ ١٥١) .(ربيع) .

(٣٥٢) سبق تخريجه قريبًا .

(٣٥٣) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٦/ ٢٢٧-٢٣٠) .

وقال حفظه الله:« إن لأصحاب محمد ﷺ منزلةً عظيمة ومكانة رفيعة قرَّرها الله تبارك وتعالى في كتبه التي أنزلها الله لهداية البشر، وعلى ألسنة رسله الذين كُلِّفوا بتبليغ تلك الرسالات المتضمنة لهذه الهداية .

قال الله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح: ٢٩] .

وقال في حقهم: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد : ١٠] .

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة: ١٤٣] .

وقال تعالى: :﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[التوبة: ١٠٠] . . .

ولقد وعِيَ أسلافنا الصالحون هذه الحقائق الكبيرة، وهذه المنزلة العظيمة لهؤلاء الأخيار؛ سادة هذه الأمة وقادتها وأئمتها في العلم، والجهاد، والعبادة، والأخلاق، والصدق في كل شأنٍ، في الأخبار وتبليغ هذا الدين، والعمل به، والدعوة إليه، والجهاد في نشره وإعلائه على الأديان كلها .

وعى أسلافُنا الصالحون هذه الحقائق والمنازل الرفيعة لهؤلاء الأمجاد الأكرمين، واستقرَّ هذا الوعي في قلوبهم؛ فدانوا به، وربَّوْا الأمةَ عليه، وألَّفوا في فضائل هؤلاء الصحب الكرام المؤلفات.

وتلقَّى ذلك عنهم الأجيالُ جيلاً بعد جيل، لا يخالفهم في هذا المنهج إلاَّ من خذله الله، فلم يرفع رأسـًا بما قرَّره القرآن والكتب قبله، ولا بما قرَّره الرسول ﷺ ثم خيار أمته .

ولإيماننا بهذه المنزلة الرفيعة لهؤلاء السادة الأخيار سادة الأمة رأينا أن حتمـًا علينا أن نشيد بفضلهم وبمكانتهم، وأن نذُبَّ عن حياضهم، ونحمي أعراضهم، وأن نفديهم بمهجنا وأعراضنا وأموالنا رخيصة لا نخشى في الله لومة لائم »(٣٥٤) .

---

(٣٥٤) انظر: "المرجع السابق "(٧/ ٤٤٣-٤٤٤) .

وقال حفظه الله: « ينبغي أن نعرف منزلتهم ونعرف لهم قدرهم، وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وما عرفت البشرية بعد الأنبياء مثلهم في كل تاريخها، ما عرفت مثلهم إيمانًا ويقينًا وإخلاصًا وجهادًا وبذلًا وتضحيةً، ففتح الله بهم القلوب، وفتح بهم الشعوب، واستنارت الأمة بما بلغوه عن الرسول ﷺ، وبجهادهم في نصرة هذا الدين، فيستحقون منا كل إجلال وكل احترام، والله من أجلهم نوالي ومن أجلهم نعادي .

ومن هنا من تقدير أهل السنة لهم قالوا: من انتقص صحابيًا واحدًا فهو زنديق، انتقاصًا فقط كيف بالسب والطعن والتكفير؟ ومن انتقص صحابيًا فهو رافضي خبيث .

هذا يا إخواننا حق، وحماية أعراض أصحاب رسول الله ﷺ، كيف وقد رضي الله عنهم، كيف وقد وعدهم بالجنة، كيف وقد زكاهم وأنزلهم هذه المنزلة العظيمة، وعرفها الصحابة بعضهم لبعض، وعرفها التابعون، وعرفها علماء الأمة السابقون، عرفوا هذه المنزلة ويبقى الغثاء والجهلة والضلال والزنادقة يعادون هؤلاء »(٣٥٥) .

(٣٥٥) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٣١٣-٣١٤) .

المطلب الثاني

وجوب محبة الصحابة والترضي عنهم وذكرهم بالجميل

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم والترضي عنهم وذكرهم بالجميل والثناء الحسن .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي العظيم يقول العلامة المجاهد ناصر السنة وقامع البدعة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« ولإيماننا بهذه المنزلة الرفيعة لهؤلاء السادة الأخيار سادة الأمة رأينا أن حتمـًا علينا أن نشيد بفضلهم وبمكانتهم، وأن نذُبَّ عن حياضهم، ونحمي أعراضهم، وأن نفديهم بمهجنا، وأعراضنا وأموالنا رخيصة لا نخشى في الله لومة لائم، **ونرى أنَّ حبهم وولاءهم أصلٌ عظيم من أصول دين الله** »(٣٥٦) .

وقال حفظه الله وأعلى ذكره:« من أصول العقيدة احترام الصحابة وحبهم والدفاع عنهم »(٣٥٧) .

وقال حفظه الله ناقلًا عن الإمام الطحاوي قوله:« **ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرِّطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحدٍ منهم، ونبغض من**

---

(٣٥٦) انظر: "المرجع السابق "(٧/ ٤٤٤) .

(٣٥٧) انظر: "المرجع السابق "(١٤/ ٣٨٠-٣٨١) .

يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلاَّ بخير؛ وحبُّهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان »(٣٥٨) .

وقال حفظه الله:« علامة النفاق بغض الأنصار، وعلامة الإيمان حب الأنصار، فكيف بالمهاجرين، والمهاجرون لا شك أفضل من الأنصار، فحبهم إيمان من باب أولى، وبغضهم نفاق من باب أولى »(٣٥٩) .

(٣٥٨) انظر: "المرجع السابق "(٦/ ٢٢٧-٢٢٨) .

(٣٥٩) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٤١٤) .

المطلب الثالث

الإيمان بعدالة جميع الصحابة

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين اعتقاد عدالة ونزاهة جميع الصحابة بدون استثناء؛ لما ورد في حقهم من المدح و الثناء العظيم في الكتاب والسنة، فلا يحتاجون بعد هذا إلى تعديل أحد من الناس .

وفي تقرير هذا الأصل العظيم يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه: « إن لأصحاب رسول الله ﷺ لمنزلة رفيعة عند الله وعند رسوله والمؤمنين، وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه، وأخبر عن رضاه عنهم ورضاهم عنه... .

والآيات في بيان فضلهم ومنزلتهم كثيرة.. .

وأثنى عليهم رسولُ الله ﷺ، وبيَّن فضلهم في أحاديث كثيرة.. .

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله بعد أن استشهد بآيات كريمة وأحاديث شريفة على مكانتهم وفضلهم :

« والأخبار في هذا المعنى تتسع، وكلُّها مطابقة لما ورد في نصِّ القرآن؛ **وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم؛ فلا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطِّلِع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلْق له؛ فهم على هذه**

الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلاَّ قصد المعصية؛ فيحكم بسقوط العدالة، وقد برَّأهم الله من ذلك، ورفعَ أقدارَهم عندَه .

على أنه لو لم يَرِد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوَّة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتم، **وأنَّهم أفضل من جميع المعدلين المزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين .**

هذا مذهب كافَّة العلماء ، ومَن يُعتدُّ بقوله من الفقهاء »[٣٦٠] .

وقال حفظه الله في مقال له بعنوان: **"الذب عن الصحابي الجليل أبي بكرة وعن مروياته وعن أئمة الإسلام والسنة الذين قبلوا هذه المرويات"** (ردٌّ على محمد سليمان الأشقر):

« قال الخطيب البغدادي رحمه الله[٣٦١]: **باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة وأنه لا يحتاج إلى سؤال عنهم وإنما يجب فيمن دونهم** ثم قال: «كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب

---

(٣٦٠) انظر: "المرجع السابق " (٦/ ٢٢٧-٢٢٩) .

(٣٦١) في " الكفاية "(ص٩٣-٩٧) . (ربيع) .

النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن... »، ثم ساق آيات وأحاديث في بيان فضلهم ومنزلتهم رضي الله عنهم .

قال الشيخ ربيع معلقًا على كلام الخطيب:« وعلى هذا المنهج كل علماء الإسلام والسنة إلى يومنا هذا، أي: على الإيمان بعدالة الصحابة جميعاً (٣٦٢) **وقبول رواياتهم حتى المجهولين منهم** ولم يستثنوا أبا بكرة ولا غيره في الفضائل ولا في قبول مروياتهم بل أجمع المسلمون على قبول رواية أبي بكرة كما أجمعوا على قبول روايات غيره » (٣٦٣) .

---

(٣٦٢) وقد نقل إجماع أهل السنة على عدالة جميع الصحابة جمع من الأئمة منهم:الإمام ابن عبد البر رحمه الله، حيث قال كما في "الإستيعاب"(١/ ١٩):« وبعد فإن العلم محيط بأن السنن أحكام جارية على المرء في دينه في خاصة نفسه وفي أهله وماله، ومعلوم أن من حكم بقوله، وقضى بشهادته، فلا بد من معرفة اسمه ونسبه وعدالته والمعرفة بحاله، **ونحن وإن كان الصحابة رضى الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول** » .

وقال ابن الصلاح رحمه الله في "المقدمة"(ص١٤٦-١٤٧):« ثُمَّ إِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمِعَةٌ عَلَى تَعْدِيلِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ لَابَسَ الْفِتَنَ مِنْهُمْ فَكَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُعْتَدُّ بِهِمْ فِي الْإِجْمَاعِ، إِحْسَانًا لِلظَّنِّ بِهِمْ، وَنَظَرًا إِلَى مَا تَمَهَّدَ لَهُمْ مِنَ الْمَآثِرِ، وَكَأَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَتَاحَ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ نَقَلَةَ الشَّرِيعَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ » .

وقال النووي رحمه الله في "شرح مسلم"(١٥/ ١٤٩) بعد أن ذكر أن ماوقع بين الصحابة من القتال كان عن اجتهاد، وأن الجميع في ذلك معذورون، قال :« ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين » .

وقال:« الصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يتعد به » "التقريب مع التدريب"(٢/ ٢١٤) .

وقال ابن حجر رحمه الله في "الإصابة"(١/ ١٧):« وقد اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة» .

(٣٦٣) انظر: "المرجع السابق"(١٢/ ٤٩٥) .

المطلب الرابع

الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة، والنهي الشديد عن الخوض في ذلك، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيدَ فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون .

وفي تقرير وبيان هذا الأصل السلفي يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه:« **وجدت الأخطاء في مجتمع الصحابة، وقد اتفق أهل السنة وأئمتها على الإمساك عما يقع منها من زلات**»(٣٦٤) .

وقال حفظه الله:« من يجب تكريمهم:

أولاً: الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين... .

ثانيا: الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.. .

ولقد عرف منزلتهم أهل السنة والجماعة، فحافظوا عليها أيَّما حفاظ، **ونهوا عن الخوض فيما شجر بين علي ومعاوية ومن معهما من بقية الصحابة، وأثبتوا لهم أجر**

---

(٣٦٤) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٥٤١) .

المجتهدين، وحكموا على من يتكلم فيهم أو في أحد منهم بالزيغ والضلال والزندقة(٣٦٥) »(٣٦٦) .

---

(٣٦٥) قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في "الواسطية" أن من أصول أهل السنة أنهم:« يُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ، وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ ـ إنْ صَدَرَ ـ، حَتَّى إنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ، ثُمَّ إنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَن نظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ » الواسطية بشرح الهراس(ص٢٣٩) .

وقال رحمه الله في "منهاج السنة" (٣/ ١١٤):« وَلِهَذَا كَانَ مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَتْ فَضَائِلُهُمْ، وَوَجَبَتْ مُوَالَاتُهُمْ وَمَحَبَّتُهُمْ، وَمَا وَقَعَ مِنْهُ مَا يَكُونُ لَهُمْ فِيهِ عُذْرٌ يَخْفَى عَلَى الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُ مَا تَابَ صَاحِبُهُ مِنْهُ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ مَغْفُورًا، فَالْخَوْضُ فِيمَا شَجَرَ يُوقِعُ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بُغْضًا وَذَمًّا، وَيَكُونُ هُوَ فِي ذَلِكَ مُخْطِئًا، بَلْ عَاصِيًا، فَيَضُرُّ نَفْسَهُ وَمَنْ خَاضَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، كَمَا جَرَى لِأَكْثَرِ مَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَا يُحِبُّهُ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ: إمَّا مِنْ ذَمِّ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ، وَإِمَّا مِنْ مَدْحِ أُمُورٍ لَا تَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ .

وَلِهَذَا كَانَ الْإِمْسَاكُ طَرِيقَةَ أَفَاضِلِ السَّلَفِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَؤُلَاءِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كَانَ مُعَاوِيَةُ فَاسِقًا دُونَ عَلِيٍّ، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ كَانَ كَافِرًا، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الرَّافِضَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كِلَاهُمَا كَافِرٌ: عَلِيٌّ وَمُعَاوِيَةُ، كَمَا يَقُولُهُ الْخَوَارِجُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: فَسَقَ أَحَدُهُمَا لَا بِعَيْنِهِ، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْحَقِّ وَعَلِيٌّ كَانَ ظَالِمًا، كَمَا تَقُولُهُ الْمَرْوَانِيَّةُ، وَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَتَيْنِ مُسْلِمُونَ، وَأَنَّ تَرْكَ الْقِتَالِ كَانَ خَيْرًا مِنْ وُجُودِهِ ».

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح"(١/ ٦٣):« قَالَ صَاحِبُ الْمُفْهِمِ: وَأَمَّا الْحُرُوبُ الْوَاقِعَةُ بَينهم فَإِن وَقع من بَعضهم بغض فَذَاك من غير هَذِه الْجِهَة بل لِلْأَمْرِ الطارئ الَّذِي اقْتَضَى الْمُخَالَفَةَ وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْكُمْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالنِّفَاقِ وَإِنَّمَا كَانَ حَالُهُمْ فِي ذَاكَ حَالَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْأَحْكَامِ لِلْمُصِيبِ أَجْرَانِ وللمخطئ أجر وَاحِد وَالله أعلم » .

(٣٦٦) انظر: "المرجع السابق"(٥/ ١٧٣) .

وقال أعزَّه الله ونصره:« **مذهب أهل السنة والجماعة أنه ما حصل من خلاف بين الصحابة فهم مجتهدون**، وكثيرمما نسب إليهم كذب، كثير مما نسب إليهم حُرِّف وغُيِّر وبُدِّل وزيد فيه ونقص كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وما ثبت عنهم من الأخطاء فهو كقطرة في بحر »(٣٦٧) .

وقال حفظه الله:« من أصول أهل السنة؛ أنه لا يجوز انتقاص أحد من أصحاب محمد ولا ذكر مساوئهم أو حدث منهم، لو حدث حدثٌ منهم »(٣٦٨) .

وقال سدَّده الله وغفر الله له:« ما الذي يدخلك في الكلام في الصحابة والبحث عن أخطائهم وعما شجر بينهم، ما الداعي لهذا البحث؟!

فلا يبحث في هذه الأشياء إلا أهل الفتن من الخوارج والروافض، **أما أهل السنة فيرون السكوت عما جرى بين الصحابة؛ لأنهم كلهم مجتهدون**، والذي يحملنا على أن نعتقد فيهم هذه العقيدة تزكية الله لهم وتزكية رسول الله ﷺ لهم...إلى أن قال:« لهذا نحن لا ندخل فيما جرى بينهم في الجمل وصفِّين؛ هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة »(٣٦٩) .

---

(٣٦٧) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٤٣٦) .

(٣٦٨) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٤٣٥) .

(٣٦٩) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٢٥٠-٢٥١-٢٥٢) .

المطلب الخامس

تبديع من انتقص الصحابة أوذمهم أوطعن فيهم أو في واحد منهم

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين أنه لا يجوز انتقاص أحد من الصحابة أو الطعن فيه أو ذكر مساوئه، فمن فعل ذلك فهو عندهم مبتدع ضال(٣٧٠) .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله وغفر له:« **من تقدير أهل السنة لهم قالوا: من انتقص صحابيًا واحدًا فهو زنديق، انتقاصًا فقط، كيف بالسب والطعن والتكفير؟ ومن انتقص صحابيًا فهو رافضي خبيث**، هذا يا إخواننا حق »(٣٧١) .

---

(٣٧٠) قال الإمام الطحاوي رحمه الله في "عقيدته":« وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وطغيان » .

وقال الإمام ابن معين رحمه الله كما في "تاريخه برواية الدوري" (ص٦٦):« تليد كذاب كان يشتم عثمان وكل من يشتم عثمان أو طلحة أو أحدًا من أصحاب النبي ﷺ دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وقال الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله كما في "الكفاية" (ص٩٧):« «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ » .

وقال الإمام أحمد رحمه الله كما في "أصول السنة":« وَمن انْتقصَ أحدا من أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَو بغضه بِحَدَث مِنْهُ أَو ذكر مساويه كَانَ مبتدعا حَتَّى يترحم عَلَيْهِم جَمِيعًا وَيكون قلبه لَهُم سليما » .

(٣٧١) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٤١٣-٤١٤) .

وقال حفظه الله في التعليق على قول الإمام أحمد:« **ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه بحدث كان منه، أو ذكر مساوئه، كان مبتدعًا، حتى يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم سليمًا** ».

قال:« **فهذا من أصول أهل السنة** »(٣٧٢) .

وقال حفظه الله:« ونرى أنَّ حُبَّهم وولاءهم أصلٌ عظيم من أصول دين الله، وأنَّ بغضهم والطعن في دينهم وعدالتهم كفر **كما قرَّر ذلك علماء الإسلام**؛ لأن الطعنَ في دينهم وعدالتهم طعنٌ فيمن بلَّغنا ديننا قرآنـًا وسنة »(٣٧٣) .

وقال سدَّده الله وغفر له ردًّا على أحد المجاهيل المدافعين عن سيد قطب: « هلَّا استحضرتم قول أهل السنة بالإجماع: أن من انتقص أصحاب محمد أو أحدًا منهم فهو رافضيٌّ خبيث؟

وهلا استحضرتم قول إمام أهل السنة أحمد بن حنبل:« من انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاتهموه على الإسلام »(٣٧٤) .

---

(٣٧٢) انظر: "المرجع السابق " (٧/ ٤٤٤) .

(٣٧٣) انظر: "المرجع السابق " (٧/ ٣٦٨) .

(٣٧٤) انظر: "المرجع السابق"(٢/ ٤٣٥) .

المطلب السادس

تعظيم قدر أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين والترضي عنهن والذَّبِّ عن أعراضهن

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين تولِّي أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، وتعظيم قدرهنَّ، والذَّب عن أعراضهنَّ، واعتقاد أنهن أزواجه في الآخرة، والبراءة ممن يطعن في أعراضهنَّ، أو عرض واحدة منهنَّ .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني:« والترضي والترحم على أزواج الرسول ﷺ والذَّب عنهن وعن أعراضهن، واعتقاد أنهن زوجات رسول الله وفي الجنة إن شاء الله- رضوان الله عليهنَّ-، واعتقاد أنهن أمهات المؤمنين رضوان الله عليهنَّ بشهادة الله لهنَّ بقوله:﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾[الأحزاب: ٦]، وحرم الله على المسلمين أن ينكحوا أزواج النبي ﷺ من بعده فقال:﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٣]؛ لأنهن أمهات المؤمنين، فيحرم أن يتزوج بإحداهن بعد رسول الله ﷺ؛ فهنَّ أمهات المؤمنين وأفضل من الأمهات، لكن في الحرمة لا في المحرمية؛ يعني: نساء رسول الله ﷺ

يحتجبن عن المؤمنين من غير محارمهن؛ لأنه مع أنهنَّ أمهات المؤمنين كنَّ يحتجبن عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم »(٣٧٥) .

و نقل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع السلف على تكفير من قذف أمهات المؤمنين بالفاحشة لا سيما عائشة رضي الله عنها ، التي برَّأها الله من ذلك من فوق سبع سماوات، فقال:« لقد تكلم شيخ الإسلام في حكم من يشتم الرسول الكريم ﷺ وأطال النفس في ذلك، ثم عقد فصلاً في حكم من سب الأنبياء، وبيَّن فيه أن من سبَّ أيَّ نبيٍّ من أنبياء الله فحكمه مثل حكم من يسب نبينا محمداً ﷺ من الكفر ووجوب القتل .

ثم عقد فصلاً خاصاً في حكم من سب أزواج النبي ﷺ، فبدأ بالحديث عن عائشة رضي الله عنها ونقل عن القاضي أبي يعلى أن من قذف عائشة رضي الله عنها بما برَّأها الله منه كفر بلا خلاف .

قال شيخ الإسلام وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم... .

ثم قال شيخ الإسلام في هذا الفصل: وأما من سب غير عائشة من أزواج النبي ﷺ ففيه قولان :

---

(٣٧٥) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٥٤) .

أحدهما : أنه كساب غيرهن من الصحابة، كما سيأتي .

والثاني: **وهو الأصح** أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذلك لأنَّ هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهنَّ بعده »(٣٧٦) .

(٣٧٦) انظر: "المرجع السابق " (١٣/ ٥٢٩-٥٣٠) .

المطلب السابع

محبة آل بيت النبي ﷺ وتوليهم وحفظ وصية النبي ﷺ فيهم

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين محبة آل بيت(٣٧٧) رسول الله ﷺ وتولِّيهم من غير غلوٍّ فيهم كما حصل من الشيعة والروافض، ومن غير جفاء كما حصل من النواصب الذين ناصبوا لهم العداء .

وفي تقرير هذا الأصل يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله وغفر له:« نحترم آل بيت النبي ﷺ؛ رسول الله ﷺ قام يومًا خطيبًا بماء يدعى خمًّا

---

(٣٧٧) اختلف أهل العلم في المراد بأهل البيت: القولُ الصحيحُ أنهم: مَن تَحرُم عليهم الصَّدقةُ، وهم أزواجُه وذريَّتُه، وكلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ من نَسْل عبد المطلب، وهم بنُو هاشِم بن عبد مَناف .

قال ابن حزم في " جمهرة أنساب العرب "(ص:١٤): « وُلِد لهاشم بن عبد مناف: شيبةُ، وهو عبد المطلب، وفيه العمود والشَّرف، ولَم يبْقَ لهاشم عَقِبٌ إلاَّ مِن عبد المطلب فقط »...

ويدلُّ لدخول بني أعمامه في أهل بيته ما أخرجه مسلم في صحيحه (١٠٧٢) عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أنَّه ذهب هو والفضل بن عباس إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه أن يُولِّيهما على الصَّدقةِ ليُصيبَا مِن المال ما يتزوَّجان به، فقال لهما ﷺ: « إنَّ الصَّدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنَّما هي أوساخُ الناس »، ثمَّ أمر بتزويجهما وإصداقهما من الخمس.

وقد ألْحَق بعضُ أهل العلم منهم الشافعي وأحمد بني المطلب بن عبد مَناف ببَني هاشم في تحريم الصَّدقة عليهم؛ لمشاركتِهم إيَّاهم في إعطائهم من خمس الخُمس؛ وذلك للحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (٣١٤٠) عن جُبير بن مُطعم، الذي فيه أنَّ إعطاءَ النَّبيِّ ﷺ لبَني هاشم وبني المطلب دون إخوانِهم من بني عبد شمس ونوفل؛ لكون بني هاشم وبَني المطلب شيئاً واحداً.

فأمَّا دخول أزواجه رضي الله عنهنَّ في آلِه ﷺ، فيدلُّ لذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فإنَّ هذه الآيةَ تدلُّ على دخولِهنَّ حتماً؛ لأنَّ سياقَ الآيات قبلها وبعدها خطابٌ لهنَّ»

انظر: " فضلُ أهل البيت وعلوُّ مكانتِهم عند أهل السُّنَّة والجماعة "للعلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر .

بين مكة والمدينة؛ فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال:« أما بعد ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب، وإنِّي تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه لهدى والنور، فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به »، فحث عليه ورغب فيه ثم قال:« وأهل بيتى أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي »(٣٧٨) .

فأوصى ﷺ بهم، لكن لا يؤخذ من هذا أن الخلافة لهم أبدًا، ولو كانت الخلافة لهم لأوصاهم بالناس، لكنه ﷺ أوصى الأمة بهم، فعلينا أن نحترم ونعرف قدرهم وفضلهم لقرابتهم لرسول الله ﷺ، ونقدم الواحد منهم على الواحد من غيرهم إذا كانا متساويين؛ إذا كان يستوي رجلان في العلم والفضل: واحد من أهل البيت والآخر من غير أهل البيت؛ نقدم هذا الذي من أهل بيت النبي ﷺ، فنكرمه ونجله أكثر من غيره .

فالتقي والصالح والملتزم من أهل البيت لو ساواه إنسان من غيرهم في الفضل والعلم نقدمه ونرجحه عليه؛ لقرابته من رسول الله ﷺ، ولأن الرسول ﷺ أوصى به، أما الفاسق فهذا له شأن آخر .

---

(٣٧٨) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

وكان أبو بكر وعمر يقدمان أهل بيت النبي ﷺ على أسرهم؛ بل كان عمر يقدم مولى رسول الله أسامة على ابنه عبد الله بن عمر وهما سواء في السن، يقدمه في العطاء ويفضله، وهو مولى وليس من أسرته، ويقدم أهل بيته على أسرته .

وأبو بكر رضي الله عنه كذلك؛ كان يقول: « **والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي** »(٣٧٩) .

لكن الروافض لا يعترفون بهذه المعاملة النبيلة من الصحابة الكرام لأهل بيت النبي ﷺ، ولا سِيَّما معاملة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم لأهل بيت النبي ﷺ ! وما كان بينهم إلَّا التوادّ والتراحم والتعاطف والتزاوج والتصاهر إلى آخره »(٣٨٠) .

---

(٣٧٩) أخرجه البخاري[برقم(٤٢٤٠، ٤٢٤١)، كتاب المغازي]، ومسلم[برقم(١٧٥٩)، كتاب الجهاد والسير] عن عائشة رضي الله عنها .(ربيع) .

(٣٨٠) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٥٤-٢٥٥) .

المبحث العاشر

السمع والطاعة لولاة الأمر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله ونصيحتهم والدعاء لهم، والصبر على أذاهم .

المطلب الثاني: الجهاد مع ولاة الأمر أبرارًا كانوا أم فجَّارًا وصلاة الجمعة والجماعة خلفهم .

المطلب الثالث: تحريم الخروج على ولاة أمر المسلمين وعزلهم بمجرد الجور والمعاصي .

المطلب الأول

السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية ونصيحتهم والدعاء لهم .

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية الله، والصبر على ما قد يحصل منهم من ظلم وجور واستئثار، مع الدعاء لهم بالصلاح والمعافاة، والتعاون معهم على البر والتقوى(٣٨١) .

---

(٣٨١) قال الشيخ عبد السلام بن برجس رحمه الله في كتابه "معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة"(ص:٤٢-٤٣):

الفصل الرابع: في وجوب السمع والطاعة في غير معصية .

السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين – في غير معصية – مجمع على وجوبه عند أهل السنة والجماعة وهو أصل من أصولهم التي باينوا بها أهل البدع والأهواء .

وقلَّ أن ترى مؤلفاً في عقائد أهل السنة إلا وهو ينص على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وإن جاروا وظلموا، وإن فسقوا وفجروا.

وقد نقل الإجماع على ذلك حرب الكرماني صاحب الإمام أحمد حيث قال في « العقيدة »التي نقلها عن جميع السلف: « والانقياد لمن ولاه الله – عز وجل – أمركم، لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه، حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجا، ولا تخرج على السلطان ،وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك، فهو مبتدع مخالف للجماعة » (نقلها ابن القيم في "حادي الأرواح" (ص: ٣٩٩ – ٤٠٦)، وينظر (ص:٩١) .

يقول الحسن البصري رحمه الله: « هؤلاء – يعني الملوك –وإن رقصت بهم المهاليج، ووطئ الناس أعقابهم، فإن ذل المعصية في قلوبهم، إلا أن الحق ألزمنا طاعتهم، ومنعنا من الخروج عليهم، وأمرنا أن نستدفع بالتوبة والدعاء مضرتهم، فمن أراد به خيراً لزم ذلك، وعمل به ،ولم يخالفه » (كتاب " آداب الحسن البصري" لابن الجوزي : (ص: ١٢١).

وقد بين العلامة صدر الدين السلمي في رسالته : « طاعة السلطان »(ص ٤٥) الحكمة من تأكيد الشارع على وجوب السمع والطاعة للأئمة في غير معصية وتحذيره الشديد من مخالفة أمرهم كذلك فقال رحمه الله: « وقد روينا في الأحاديث الصحاح التي بلغت حد التواتر – أو كادت أن تبلغه – : أمر النبيً بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته ومحبته والدعاء له: ما لو ذكرناه لطال الكلام، لكن اعلم – أرشدك الله وإياي إلى الاتباع، وجنبنا الزيغ والابتداع – : أن من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفة المحررة : أن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية، وأن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الرحمن، وأن طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمر المسلمين.

وفي تقرير هذا الأصل السلفي العظيم يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله وغفر له:« انظر إلى الإمام أحمد وانظر إلى البخاري، **وانظر إلى أئمة الإسلام جميعًا يجعلون هذا أصلًا من أصول الإسلام: طاعة ولاة المسلمين أصل من أصول الإسلام، وسواء كان برًّا أو فاجرًا** »(٣٨٢) .

وقال حفظه الله ونصره في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] .

وأن عصيان السلطان يهدم أركان الملة، أن أرفع منازل السعادة طاعة السلطان، وأن طاعة السلطان عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة، وأن طاعة السلطان عصمة لمن لجأ إليها وحرز لمن دخل فيها، وبطاعة السلاطين تقام الحدود وتؤدى الفرائض وتحقن الدماء وتأمن السبل، وما أحسن ما قالت العلماء : أن طاعة السلطان هدي لمن استضاء بنورها، وموئل لمن حافظ عليها.

وأن الخارج من طاعة السلطان منقطع العصمة من الذمة وأن طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم، وجنته الواقية، وأن الخروج منها خروج من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ومن أسرَّ غش السلطان ذلَّ وزلّ ، ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في أرفع محل.

وقد روينا في الأحاديث الصحاح أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته و محبته والدعاء له ما لو ذكرناه لكان بما حله الناظر وسأمه الخاطر، كما تقدم فاقتصرنا على ما أوردناه واكتفينا بما بيناه » ا هـ.

وكل ما ذكره رحمه الله حق ما دام السلطان لم يأمر بمعصية الله تعالى، فإن أمر بمعصية الله تعالى فقد حرمت طاعته في المعصية وفي ذلك مصالح الدين والدنيا ؛ لأن ذلك تقديم لطاعة الملك الديان وعصيان لأولياء الشيطان ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ .

والإجماع الذي انعقد عند أهل السنة والجماعة على وجوب السمع والطاعة لهم مبني على النصوص الشرعية الواضحة التي تواترت بذلك » .

(٣٨٢) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٤١٥) .

« من معاني الآية ومقاصدها العظيمة طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة ولاة الأمور من حكام الأمة وعلمائها الراسخين؛ فإن حصل نزاع بين المسلمين في أي شيء من العقائد والأصول والفروع فيجب عليهم لحل هذا النزاع الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله .

ثم إنَّ طاعة ولاة الأمور أمر عظيم في الإسلام، تجتمع به كلمة المسلمين، وتقوى شوكتهم، وتعلوا كلمتهم، ويرهبهم الأعداء، ويسود بذلك الأمن والأمان على دين المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ لذا جاءت هذه الآية حاضَّة على هذه الطاعة، وجاءت أحاديث كثيرة بهذا الصدد تأمر بطاعة ولاة الأمور في طاعة الله وأن كانة أمراء جور، لكن لا طاعة لهم في معصية الله .

وولاة الأمور هم من ترضاهم الأمة وتبايعهم على السمع والطاعة على مقتضى الكتاب والسنة، وإن قامت لهم شوكة و دولة عن طريق التغلب وجبت طاعته، والالتفاف حوله؛ لما في ذلك من المصالح العظيمة ودرء المفاسد الخطيرة »(٣٨٣) .

وقال سدَّده الله في سياق ردِّه على الحزبي عبد الرحمن عبد الخالق الذي يكيل التهم الباطلة للسلفيين في وقت يدافع عن سيد قطب وعمن هدم أحد أصول الإسلام والسنة ألا وهو السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين:« يا ويل(أي: عند القطبيين والتكفيريين) من يذكر في حديثه الآيات والأحاديث الآمرة بطاعة ولاة الأمر... .

(٣٨٣) انظر: "المرجع السابق " (١٢/ ١٤١- ١٤٢) .

وكم يكنون من العداء والبغض والحقد لمن لا يسير في ركابهم؛ بل يسير في طريق الإسلام الحق يدعو إليه ويدافع عنه ؟!.. .

لو كنت من أهل العدل والإنصاف يا عبدالرحمن لما نزلت كلام ابن تيمية إلا على هؤلاء الذين **هدموا أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة فلا ترى كتاباً من كتب العقيدة إلا ويورد هذه الميزة العظيمة لأهل السنة والجماعة تميزهم عن فرق الضلال** الداعين إلى الفتن، والذين يردون نصوص الكتاب والسنة الحكيمة الصادرة من رب العالمين ورسوله الأمين التي تسد أبواب الفتن، وتحقن دماء المسلمين، وتحمي أموالهم وأعراضهم »(٣٨٤) .

وقال حفظه الله وغفر له:« **الصبر على ولاة الأمر وإن جاروا هو أمر الرسول ﷺ، وهو منهج أئمة السنة بعده:**

الرسول ﷺ أخبرنا بهذه الأشياء كلِّها، الرسول الرحيم المجاهد الذي لا يطيق الباطل أبدًا ينظر إلى ما يصلح المسلمين، وإلى ما يفسدهم، ويرجح بين المصالح والمفاسد، فظلم الحكام وانحرافهم مفسدة كبيرة لكن الرسول أمر بالصبر عليهم مهما بلغ فسادهم إلى أن يخرجوا من دائرة الإسلام خروجًا واضحًا لا غبار عليه ولا ضباب .

---

(٣٨٤) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ١٥٢) .

الرسول غيور على الدين؛ بل هو أكثر الناس غيرة بعد الله على محارمه، ومع ذلك يأمر بالصبر – عليه الصلاة والسلام – **وأهل السنة والجماعة من عهد الصحابة إلى يومنا هذا موقفهم لا يختلف ولا يخرج عن توجيهات الرسول الكريم- عليه الصلاة والسلام- الذي أخبر بانحراف الحكام وأمر بالصبر عليهم .**

فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ » قالوا يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عند ذلك؟

قَالَ:« لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة »(٣٨٥)

الصحابة رضي الله عنهم رأوا انحراف الحجاج، عبد الله بن عمر وجابر وأبو سعيد وأنس بن مالك وأمثالهم، ورأوا انحراف يزيد، فما كانوا يزيدون على أن يأمروا بالصبر»(٣٨٦) .

---

(٣٨٥) أخرجه مسلم رقم (١٨٥٥) .

(٣٨٦) انظر: "الملخص الجميل في بيان منهج الشيخ ربيع في الدعوة والجرح والتعديل " (٢/ ١٨-١٩) .

** فصل **

وفيه ذِكْرُ الشيخ حفظه الله لكثيرٍ من الأدلة الشرعية التي قام عليها أصل أهل السنة في السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله، والصبر على ما قد يحصل منهم من ظلم وأثرة، وبيَّن ما في مراعاتها من المصالح العظيمة التي تعود على المسلمين في دينهم ودنياهم، **فقال**:« ومن الأدلة قول الرسول الكريم والناصح الأمين:« إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها » قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال:« تُؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم » (٣٨٧).

فهذا رسول الله ﷺ قد أطلعه الله على ما سيكون في هذه الأمة من جور الأمراء، واستئثارهم بالأموال والمناصب، وغيرها، ولما أخبر أصحابه بهذا الواقع الذي سيكون لا محالة، سأله أصحابه الكرام: كيف تأمر من أدرك منَّا ذلك؟

فأجابهم ﷺ بما يجنبهم الخوض في الفتن وسفك الدماء، فقال: « تُؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم » .

ولم يقل ﷺ: ثوروا عليهم وتظاهروا، وطالبوا بحقوقكم، وامنعوهم حقهم كما منعوكم حقوقهم...، وقال ﷺ للأنصار الكرام:« إنكم ستلقون بعدي أثرة

---

(٣٨٧) أخرجه البخاري حديث (٣٦٠٣)، ومسلم حديث (١٨٤٣)، (ربيع) .

فاصبروا حتى تلقوني على الحوض »(٣٨٨)، فلم يأمر الأنصار الذين قامت على كواهلهم وكواهل المهاجرين نصرة الرسول والإسلام، ودولة الإسلام العظمى التي لا نظير لها، لم يأمرهم إلا بالصبر في هذه الدنيا حتى يلقوه ﷺ على الحوض .

إن حق الأنصار على المسلمين والحكام لعظيم وعظيم، ومع ذلك يأمرهم رسول الله ﷺ بالصبر عند وجود الأثرة لا بمناهضة الحكام الذين لا دور لهم في إقامة دولة الإسلام ونصرة رسول ﷺ في حال الشدَّة والقلة في العدد والعُدة والمال .

وهذا أصل ربَّى عليه رسول الله ﷺ أمته، ودان به أئمة الإسلام وقرَّروه، ورفضه الخوارج الذين نكبوا الإسلام والمسلمين بفتنهم وسفكوا دماءهم » (٣٨٩) .

وقال حفظه الله: « ثم الرسول ﷺ في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ينظر في المصالح والمفاسد.. .

فأمرنا بطاعة الولاة فقال ﷺ:« من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ومن عصى أميرى فقد عصاني »(٣٩٠) .

وبيَّن أنَّ هناك حكامًا سينحرفون عن كتاب الله وعن سنة رسوله ﷺ ونعرف منهم وننكر وأنهم يهدون بغير هديه ويستنون بغير سنته فكيف نتعامل معهم؟

---

(٣٨٨) أخرجه البخاري حديث (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥)، (ربيع) .

(٣٨٩) انظر "مقالًا للشيخ في حكم المظاهرات" في موقعه، وانظر "الملخص الجميل"(١/ ١٨٤) ..

(٣٩٠) أخرجه البخاري [برقم(٧١٣٧)، كتاب الأحكام] ومسلم [برقم (١٨٣٥)، كتاب الإمارة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .(ربيع) .

الخوارج والمعتزلة جعلوا من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأدخلوا في ضمنه الخروج على الحكام.. .والرسول ﷺ راعى المصالح والمفاسد...

وأمر أمته بقتال أهل البدع وقتلهم أيضًا كما قال في الخوارج:« أينما وجدتموهم فاقتلوهم »(٣٩١) « هم شر الخلق والخليقة »(٣٩٢) .

وفي المقابل أمرهم بالصبر على الحكام؛ لأن في قتل الخوارج إزاحة لهذا الوباء عن صفوف الأمة؛ لأن الخوارج يكفرون المسلمين، ويستبيحون دماءهم ويسلُّون السيوف عليهم، ويمسكون سيوفهم عن عُبَّاد الأوثان ويسلِّطونها على عباد الله المؤمنين!

فالحاكم ما دام في دائرة الإسلام تجب طاعته في طاعة الله، ولا طاعة له في معصية الله، **ترى أهل الحديث هذا منهجهم**.. .

إذا استأثر الحاكم بالمال والمناصب فهل نثور عليه بالسلاح؟

الجواب: **نصبر لإبقاء الهيبة للمؤمنين وتبقى شوكتهم قوية وسيفهم مسلولًا على الأعداء وليس على أنفسهم؛ لأننا إذا ثرنا عليه جاءت مفاسد لا أول لها ولا آخر، وتفرقت كلمت المسلمين وسلط الله عليهم الأعداء...إلى آخره، يعني: بالصبر عليهم تتحقق مصالح عظيمة وتدرأ مفاسد كبيرة وخطيرة لا نهاية لها .**

---

(٣٩١) أخرجه البخاري (٣٦١١) ، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه .

(٣٩٢) أخرجه مسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وجاء عن غيره .

فالشارع الحكيم أمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ووضع لنا لذلك ضوابط .

منها: أنه بيَّن لنا كيفية مواجهة المنكرات التي تحصل من الحكام؛ بألا نطيعهم في معصية الله، وأمرنا إذا أردنا أن ننصحه؛ أن ننصحه في السرّ فيما بيننا وبينه بالحكمة والموعظة الحسنة، إن سمع وتقبَّل فذاك؛ وإن لم يتقبل؛ فالمنكر الذي ارتكبه يرتكبه على نفسه، ونكون قد أدينا واجبنا والحمد لله .

أما الخروج وسلّ السيف عليه فلا، ما دام في دائرة الإسلام، قال ﷺ: « خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ » قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: « لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(٣٩٣)، « وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان »(٣٩٤)، فلا يسمح لك أن تخرج على هذا الحاكم الجائر إلا إذا رأيت الكفر البواح؛ كأن يبيح الخمر أو يبيح الخنزير أو يبيح الربا علانية، فهذا كفر بواح بارك الله فيكم .

هذا إذا كان للمسلمين قدرة على تَنحِيته؛ فليقوموا بذلك، وأما إذا عجزوا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .

---

(٣٩٣) سبق تخريجه.

(٣٩٤) أخرجه البخاري[برقم (٧٠٥٦، ٧٠٥٥)، كتاب الفتن]، ومسلم[برقم(١٧٠٩)كتاب الإمارة] من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .(ربيع) .

أما ما دام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصلي ويصوم ويجاهد؛ ما دام يصلي فقط نطيعهم « ما أقاموا فيكم الصلاة » .

فهذا هو المنهج الصحيح الذي سار عليه أهل الحديث انطلاقًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ في كل شئونهم الدينية والدنيوية والاجتماعية والسياسية؛ كلها تنطلق من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ... .

الشاهد: أن أهل الحديث المخلصين الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وعقائدهم ومناهجهم ملتزمون بكتاب الله ومن ذلك التعامل مع الحكام...إلى أن قال:« ندعو لهم(أي: لولاة الأمر) بالصلاح والإصلاح؛ وكان الأئمة ومنهم الإمام أحمد يقول: لو أن لي دعوة مستجابة لدعوت بها للحاكم؛ لأن في صلاحه صلاحًا للأمة، فإذا أصلحه الله أصلح به الأمة .

فندعو لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية؛ ندعو لهم بهذه الأشياء كلها »(٣٩٥) .

** فصل **

ومن التطبيقات العملية من قبل أئمة أهل السنة لهذا الأصل السلفي العظيم، الذي هو الصبر على جور الأئمة وعدم إثارة الفتن حقنًا لدماء المسلمين، ما ذكره

---

(٣٩٥) انظر " مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (٢/ ٢٤٠-إلى- ٢٤٨) .

العلامة ربيع المدخلي حفظه الله عن الإمام أحمد رحمه الله زمن المحنة، حيث قال:« جاء في "ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل" (ص٧٠-٧١) لحنبل بن إسحاق قوله:« فلما أظهر الواثق هذه المقالة وضرب عليها وحبس، جاء نفر إلى أبي عبد الله، من فقهاء أهل بغداد، فيهم بكر بن عبد الله، وإبراهيم بن علي المطبخي، وفضل بن عاصم، وغيرهم، فأتوا أبا عبد الله، وسألوا أن يدخلوا عليه، فاستأذنت لهم، فأذن لهم، فدخلوا عليه، فقالوا له: يا أبا عبد الله، إن الأمر قد فشا وتفاقم، وهذا الرجل يفعل ويفعل، وقد أظهر ما أظهر، ونحن نخافه على أكثر من هذا، وذكروا له أن ابن أبي دؤاد مضى على أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في الكُتَّاب مع القرآن، القرآن كذا وكذا .

فقال لهم أبو عبد الله: وماذا تريدون؟ قالوا: أتيناك نشاورك فيما نريد، قال: فما تريدون؟

قالو: لا نرضى بإمرته ولا بسلطانه، فناظرهم أبو عبد الله ساعة، حتى قال لهم: وأنا حاضرهم: أرأيتم إن لم يبق لكم هذا الأمر، أليس قد صرتم من ذلك إلى المكروه، عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ولا دماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تعجلوا، واصبروا حتى يستريح برٌّ، ويستراح من فاجر، ودار بينهم في ذلك كلام كثير لم أحفظه، واحتج عليهم أبو عبد الله بهذا .

فقال له بعضهم: إنا نخاف على أولادنا، إذا ظهر هذا، لم يعرفوا غيره ويمحى الإسلام ويدرس .

فقال أبو عبد الله: كلا، إن الله عز وجل ناصر دينه، وإن هذا الأمر له ربٌّ ينصره، وإن الإسلام عزيز منيع .

فخرجوا من عند أبي عبد الله، ولم يجبهم إلى شيء مما عزموا عليه أكثر من النهي عن ذلك، والاحتجاج عليهم بالسمع والطاعة، حتى يفرِّج الله عن الأمة، فلم يقبلوا منه » .

وقال أبو بكر الخلال في "السنة" (١/ ١٣٢):« وَأَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ، «**يَأْمُرُ بِكَفِّ الدِّمَاءِ، وَيُنْكِرُ الْخُرُوجَ إِنْكَارًا شَدِيدًا** » .

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: ثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، وَإِبْرَاهِيمَ: «أَنَّهُمَا كَرِهَا الدَّمَ؛ يَعْنِي فِي الْفِتْنَةِ» .

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَنَّ أَبَا الْحَارِثِ حَدَّثَهُمْ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ فِي أَمْرٍ كَانَ حَدَثَ بِبَغْدَادَ، وَهَمَّ قَوْمٌ بِالْخُرُوجِ، فَقُلْتُ: « يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، مَا تَقُولُ فِي الْخُرُوجِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ يَقُولُ: « سُبْحَانَ اللهِ، الدِّمَاءَ، الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا آمُرُ بِهِ، الصَّبْرُ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ

الْفِتْنَةِ يُسْفَكُ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَيُنْتَهَكُ فِيهَا الْمَحَارِمُ، أَمَا عَلِمْتَ مَا كَانَ النَّاسُ فِيهِ، يَعْنِي أَيَّامَ الْفِتْنَةِ؟ .

قُلْتُ: وَالنَّاسُ الْيَوْمَ، أَلَيْسَ هُمْ فِي فِتْنَةٍ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ كَانَ، فَإِنَّمَا هِيَ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ عَمَّتِ الْفِتْنَةُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، الصَّبْرَ عَلَى هَذَا، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ خَيْرٌ لَكَ، وَرَأَيْتُهُ يُنْكِرُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ، وَقَالَ: الدِّمَاءَ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا آمُرُ بِهِ » .

قال الشيخ ربيع معلِّقًا بعد نقله لما سبق:« فموقف الإمام أحمد هذا مستمد من منهاج النبوة في حماية الأمة من الفتن التي تؤدي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال وإهدارها، وقطع السبل، إلى شرور أخرى... .

وهذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يحدثنا عن تلك الفتنة وصبر أهل السنة عليها .

قال رحمه الله[٣٩٦] :« وَأَحْمَد إنَّمَا اُشْتُهِرَ أَنَّهُ إمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالصَّابِرُ عَلَى الْمِحْنَةِ؛ لَمَّا ظَهَرَتْ مِحَنُ « الْجَهْمِيَّة » الَّذِينَ يَنْفُونَ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى، وَيَقُولُونَ: إنَّ اللهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ هُوَ كَلَامَ اللهِ؛ بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَإِنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَعْرُجْ إلَى اللهِ وَأَضَلُّوا بَعْضَ وُلَاةِ الْأَمْرِ؛ فَامْتَحَنُوا النَّاسَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ أَجَابَهُمْ رَغْبَةً، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ أَجَابَهُمْ رَهْبَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَفَى فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ. وَصَارَ مَنْ لَمْ يُجِبْهُمْ قَطَعُوا رِزْقَهُ

---

(٣٩٦) في "مجموع الفتاوى" (٦/ ٢١٤-٢١٥) .

وَعَزَلُوهُ عَنْ وِلَايَتِهِ وَإِنْ كَانَ أَسِيرًا لَمْ يَفُكُّوهُ وَلَمْ يَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ؛ وَرُبَّمَا قَتَلُوهُ أَوْ حَبَسُوهُ.

و« وَالْمِحْنَةُ » مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ كَانَتْ فِي إمَارَةِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَاثِقِ؛ ثُمَّ رَفَعَهَا الْمُتَوَكِّلُ؛ فَثَبَّتَ اللهُ الْإِمَامَ أَحْمَد فَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى تَعْطِيلِ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى وَنَاظَرَهُمْ فِي الْعِلْمِ فَقَطَعَهُمْ وَعَذَّبُوهُ فَصَبَرَ عَلَى عَذَابِهِمْ، فَجَعَلَهُ اللهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

فَمَنْ أُعْطِيَ الصَّبْرَ وَالْيَقِينَ: جَعَلَهُ اللهُ إمَامًا فِي الدِّينِ » .

أقول(الشيخ ربيع):« معلوم أن السلف، ومنهم الإمام أحمد كانوا يكفرون بتعطيل صفات الله وبالقول بخلق القرآن، وبإنكار رؤية الله في الآخرة، ولم يكتف الجهمية بهذه الفتنة، بل أضافوا إليها تكفير من يخالفهم، و امتحانهم بما ذكره شيخ الإسلام، ومع كل هذا فلم يقوموا بمظاهرات ولا خروج، وإنما قاموا بالصبر المشروع دفعًا لمفسدة كبرى عن المسلمين تهدر فيها أرواحهم وأموالهم إلى غير ذلك من المفاسد »(٣٩٧) .

(٣٩٧) انظر: "مقالا في حكم المظاهرات" في موقع الشيخ، وانظر "الملخص الجميل"(١/ ١٩٨-٢٠٢) .

المطلب الثاني

الجهاد مع ولاة الأمر أبرارًا كانوا أم فجَّارًا وصلاة الجمعة والجماعة خلفهم .

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين المتفرعة عن الأصل السابق الذي هو السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية الله، صلاة الجمعة والجماعة خلفهم سواء كانوا أبرارًا أم فجَّارًا والجهاد معهم وتحت رايتهم(٣٩٨) .

وفي تقرير هذه الميزة السلفية والأصل السني يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وجعل الجنة مثواه في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، عند قول الصابوني:« ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة » .

قال الشيخ حفظه الله معلِّقًا:« وهذا بخلاف الروافض؛ إذ إنهم لا يرون الجمعة والعيدين مع الحكام، فالروافض ينتظرون المهدي الإمام المعصوم! في الجمعة

---

(٣٩٨) وقد قرر هذا الأصل غير واحد من علماء السنة ممن كتبوا في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد قال في " العقيدة الواسطية "بعد أن ذكر جملة من أصول أهل السنة:« ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة» .

وقال قوام السنة الأصبهاني في كتابه " الحجة في بيان المحجة "(٢/ ٥٧٢):« ومن السنة السمع والطاعة لولاة الأمر أبراراً كانوا أو فجاراً ، والصلاة خلفهم في الجمعات والأعياد والجهاد معهم والدعاء لهم بالصلاح » .

والجماعة، وإذا صلو معنا فهم كذابون وإنما ذلك من باب التقية، ولو أنشئوا المساجد فهم كذابون؛ لأن في دينهم لا جمعة ولا جماعة حتى يأتي الإمام!

والصحابة كانوا يصلون خلف أهل البدع، يصلون وراء الحجاج ويصلون وراء الخوارج لأن الرسول عليه السلام أمرهم بالجماعة(٣٩٩)، ولما حاصروا عثمان وتغلبوا في المدينة وراح إمام الثوار قبَّحه الله يصلي بالناس قالوا لعثمان:« إنك إمام عامة ونزل بك ما ترى ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج فقال:« **الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم** »(٤٠٠)؛ يعني: صلوا معهم لأن هذا إحسان، فإن أساءوا فلا تسئ معهم، هذا الخليفة الراشد ظلموه وافتروا وكذبوا عليه وحاصروه ومنعوه من الماء ويقولون له: أنت إمام جماعة وهؤلاء الذين يصلون بنا أهل فتنة فقال لهم: صلوا مع الجماعة فإن أحسنوا فأحسنوا .

---

(٣٩٩) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"(٢٣/ ٣٤٣):« فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ مَنْعُ الْمُظْهِرِ لِلْبِدْعَةِ وَالْفُجُورِ إلَّا بِضَرَرِ زَائِدٍ عَلَى ضَرَرِ إمَامَتِهِ لَمْ يَجُزْ ذَلِكَ بَلْ يُصَلِّي خَلْفَهُ مَا لَا يُمْكِنُهُ فِعْلُهَا إلَّا خَلْفَهُ كَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ وَالْجَمَاعَةِ. إذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إمَامٌ غَيْرُهُ وَهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْحَجَّاجِ وَالْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ الثَّقَفِيِّ وَغَيْرِهِمَا الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَإِنَّ تَفْوِيتَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ أَعْظَمُ فَسَادًا مِنْ الِاقْتِدَاءِ فِيهِمَا بِإِمَامِ فَاجِرٍ لَا سِيَّمَا إذَا كَانَ التَّخَلُّفُ عَنْهُمَا لَا يَدْفَعُ فُجُورَهُ فَيَبْقَى تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِدُونِ دَفْعِ تِلْكَ الْمَفْسَدَةِ. وَلِهَذَا كَانَ التَّارِكُونَ لِلْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ خَلْفَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ مُطْلَقًا مَعْدُودِينَ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ » .

وقال رحمه الله :وَأَمَّا " الصَّلَاةُ خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ " فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا نِزَاعٌ وَتَفْصِيلٌ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ إمَامًا غَيْرَهُ كَالْجُمُعَةِ الَّتِي لَا تُقَامُ إلَّا بِمَكَانٍ وَاحِدٍ وَكَالْعِيدَيْنِ وَكَصَلَوَاتِ الْحَجِّ خَلْفَ إمَامِ الْمَوْسِمِ فَهَذِهِ تُفْعَلُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَإِنَّمَا تَدَعُ مِثْلَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ خَلْفَ الْأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبِدَعِ كَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ »"مجموع الفتاوى"(٢٣/ ٣٥٥) .

(٤٠٠) أخرجه البخاري [برقم(٦٩٥)، كتاب الأذان] .(ربيع) .

انظروا الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في أحلك الظروف وأشدها لا تغلب عليه عاطفة ولا هوى؛ يحكِّم شرع الله « إن أحسن الناس فأحسنوا» . .

فأهل السنة أخذوا بهذا المنهج؛ يصلون وراء ولاة الأمور ولو كانوا جورة؛ يصلون وراءهم الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات كصلاة الكسوف والاستسقاء، أيَّ صلاة يصلونها يصلِّي معهم؛ أيَّ صلاة تشرع فيها الجماعة، لا نقول هذا الإمام مبتدع، أو هذا الإمام فاجر أو فاسق بل نصلِّي معه الجماعة. .

ولو تركنا جهاد الكفار معهم وقلنا: والله هذا الإمام فاجر كيف نقاتل معه؟! وجاء العدو وهجم على بلادنا لا نقاتله ولا ندافع عليه؛ لأن الحاكم فاجر؛ لضاعت بلاد المسلمين وتغلب الكفار وأنشئت الكنائس والبِيَع وأبيحت المحرمات...إلى آخره .

فوجود الحاكم ولو كان فاسقًا: فيه احترام للإسلام، وتكون شعائر الإسلام قائمة، ويحصل به خير كثير ولو كان فاجرًا في نفسه ولو انتشر شيء من فجوره، لكن إذا قارنت بين احتلال الكفار لبلاد المسلمين وبين حكم هذا الفاسق وما يوجد في حكمه من الفساد لوجدت المسافة كبيرة وعظيمة جدًّا .

إذن هم(يعني: أهل السنة) يراعون المصالح والمفاسد في التزامهم بالجهاد مع الحاكم الفاجر، ولو أخذنا برأي الخوارج والروافض:« **لا نقاتل مع حاكمنا لأنه**

فاجر» وجاءتنا بريطانيا أو أي دولة يهودية أو نصرانية؛ احتلوا بلادنا ولا نجاهد معهم، ما هي النتيجة؟ نسأل الله العافية »(٤٠١) .

وقال حفظه الله في شرح " أصول السنة للإمام أحمد ":« مادام الجهاد ماضيًا إلى يوم القيامة فيجب أن نجاهد تحت راية الإمام البرّ أو الفاجر، وفَعَلَ هذا السلف كابن المبارك والأوزاعي وأحمد بن حنبل كان يخرج وغيره يخرجون إلى الثغور يجاهدون تحت لواء الدولة العباسية... .

« **وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاَّه جائزة** » يعني صلاة الجمعة خلف الإمام وخلف من ولَّاه من الأمراء والقضاة وأئمة المساجد، يقول(أي: أحمد):« **جائزة باقية تامة ركعتين** » يعني هذه الجمعة « **ومن أعادهما فهو مبتدع** » بعض الناس يعيد صلاة الجمعة؛ يعني لعذر- في نظره- يعني إما لأنه ما بلغ العدد الأربعين وإما لأن الإمام يرى صلاته ليست صحيحة، وهذا شر من ذاك، هذا مبتدع، حتى لو كان الإمام في الجمعة مبتدعًا صلِّ ولا تُعِد ولو كان جائرًا صلِّ معه ولا تُعِد فإن أعدت صلاة الجمعة فأنت مبتدع »(٤٠٢) .

---

(٤٠١) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ " (٢/ ٢٤٥- ٢٤٨) .

(٤٠٢) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٤٢٢-٤٢٤) .

المطلب الثالث

تحريم الخروج على ولاة أمر المسلمين وعزلهم بمجرد الفسق والمعاصي .

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين المتفرِّعة عن الأصل السابق الذي هو السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، تحريم الخروج عليهم وعزلهم بمجرد ما يحصل منهم من ظلم وجور وفسق(٤٠٣).

---

(٤٠٣) وقد نقل غير واحد إجماع أهل السنة والجماعة على تحريم الخروج على الحكام الظلمة، والأئمة الفسقة، للأحاديث الناهية عن الخروج الآمرة بالصبر على جور الأئمة، ولما يترتب على ذلك من الفتن، والشرور، وصار هذا الأصل من أهم الأصول التي تميَّز بها أهل السنة عن أهل البدع والأهواء .

وممّن نقل إجماع أهل السنة على تحريم الخروج على الأئمة و عزلهم بمجرد ما يحصل منهم من جور وظلم: الإمام النووي رحمه الله، حيث قال: « وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث على ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنّه: « لا ينعزل السلطان بالفسق » "شرح مسلم" (١٢-٢٢٩) .

وقال ابن بطال: « ... وفي الحديث حجة على ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلِّب والجهاد معه، وأنَّ طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدِّماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره ممّا يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلاّ إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ... » "فتح الباري "(١٣/ ٩) .

وقال أبو عثمان الصابوني في كتابه "عقيدة السلف وأصحاب الحديث "(ص١٠٦): «ويرى أصحاب الحديث: الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم برًّا كان أو فاجرًا، ويرون الدعاء لهم بالتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف » .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : « وأهل العلم ... متفقون على طاعة من تغلَّب عليهم في المعروف، يرون نفوذ أحكامه وصحَّة إمامته، لا يختلف في ذلك اثنان، ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة، وإن كان الأئمة فسقة، ما لم يروا كفرًا بواحًا، ونصوصهم في ذلك موجودة من الأئمة الأربعة وغيرهم، وأمثالهم ونظرائهم » م"مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" (٣/ ١٦٨) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأمّا أهل العلم والدِّين والعقل فلا يُرخِّصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشِّهم، والخروج عليهم، بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدّين قديما وحديثا، ومن سيرة غيرهم » "مجموع الفتاوى" (٣٥/ ١٢) .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي العظيم يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له:« **المنهج عند أهل السنة والجماعة**: أن الإمام لا يُعزَل بالمعصية وبالمخالفة، قال رسول الله ﷺ:«من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه، فإنه ليس أحدٌ من الناس خرج من السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات مِيتَةً جاهلية »(٤٠٤) .

وقال:« على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ وكرِه إلا أن يُؤمَر بمعصية؛ فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »(٤٠٥) .

ولما سأل رجل رسول الله ﷺ : يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجَذَبَه الأشعث بن قيس، وقال:«اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حمِّلتم »(٤٠٦) .

انظر قال: يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، الرسول يسكت يرى أن هذا السؤال سيكون مثار فتنة ومثار بلايا، فسكت وسكت عنه وأخيرًا قال له:« اسمعوا

---

(٤٠٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن حديث(٧٠٥٣)، ومسلم في الإمارة حديث(١٨٤٩) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .(ربيع) .

(٤٠٥) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام حديث(٧١٤٤)، ومسلم في الإمارة حديث(١٨٣٩) كلاهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .(ربيع) .

(٤٠٦) أخرجه مسلم في الإمارة حديث(١٨٤٦)، والترمذي في الفتن حديث(٢١٩٩) كلاهما من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه .(ربيع) .

وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حمِّلتم »، وفي رواية:« أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم »(٤٠٧) .

فأهل السنة والجماعة ساروا على هذا المنهج، والأحاديث كثيرة في هذا، ومنها حديث عبادة بن الصامت: قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا و عُسرِنا ويُسرِنا وأثرةٍ علينا و ألا ننازع الأمر أهله، قال:« إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان »(٤٠٨).

.. **والحاصل أن مذهب أهل السنة**: أن الفاسق الفاجر من الحكام لا يُعزَل بفسقه وفجوره، وإنما يجوز لنا عزله إذا استطعنا إنما يكون بالكفر البواح أو بترك الصلاة لأن ترك الصلاة كفر، ويكون مع هذا القدرة وعدم المفسدة الأكبر »(٤٠٩) .

وقال حفظه الله وسدَّده:« الخروج عليه(أي: ولي الأمر) مخالف للنصوص الثابتة عن النبي ﷺ، **ومخالف لأصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة**، حتى لو كان كافرًا لا تخرج عليه إلا إذا كان هناك قدرة، وهناك مصلحة راجحة، وليس هناك مفسدة راجحة، حينئذٍ إذا أمكن التخلص منه فذاك، وإلا فالأصل الصبر .

---

(٤٠٧) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء حديث(٣٤٥٥)، ومسلم في الإمارة حديث(١٨٤٢) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .(ربيع) .

(٤٠٨) أخرجه البخاري في الفتن حديث(٧٠٥٦،٧٠٥٥)، ومسلم في الإمارة حديث(١٧٠٩) كلاهما من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .(ربيع) .

(٤٠٩) انظر: "المرجع السابق " (١٥/ ٣٩١-٣٩٣) .

أما وهو مسلم فمادام في دائرة الإسلام ومادام يصلي، فلا يجوز الخروج عليه حتى يروا الكفر البواح، فيخرج بالشروط التي ذُكِرت »(٤١٠) .

** فصل **

اعلم بأن تحريم أهل السنة والجماعة الخروج على ولاة الأمر وتحذيرهم من ذلك إنما هو امتثالاً منهم لأوامر رسول الله ﷺ فقد حذَّر من ذلك في أحاديث كثيرة، سبق ذكر بعضها .

وإعمالًا منهم كذلك لقواعد الشريعة وكلياتها التي توجب النظر في المصالح والمفاسد المترتبة على مثل هذه الأفعال قبل الإقدام عليها .

ومعلوم بالأدلة الشرعية والوقائع التاريخية ما يترتب على الخروج على ولاة الأمر من المفاسد العظيمة التي هي أضعاف أضعاف ما يحصل منهم من جور وظلم، والتي تربوا بكثير وكثير على المصالح التي تحصل من جرَّاء الخروج عليهم إن حصلت(٤١١)، ولذلك فقد اشترط أهل السنة والجماعة شروطًا لابدَّ من توفرها للخروج على الحاكم إذا اقتضى الأمر ذلك .

---

(٤١٠) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٤٢٥) .

(٤١١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « و قلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله من الشَّر أعظم مما تولَّد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، و كابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق، و كابن المهلب

وفي بيان بعضها يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثواه: « الخروج على الأئمة فيه مفاسد عظيمة جدًّا، ولهذا رسول الله ﷺ أطلعه الله على ما سيحدث للأمة من انحراف في الحكام وفي غيرهم، تحدث عن الفرق أنها ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .

تحدث عن الحكام أطلعه الله ﷻ ، هذا من معجزاته .

الذي خرج على ابنه بخرسان، و كأبي مسلم صاحب الدعوة الذي خرج عليهم بخرسان أيضا و كالذين خرجوا على المنصور بالمدينة و البصرة و أمثال هؤلاء.

و غاية هؤلاء إما أن يُغلبوا و إما أن يَغلبوا، ثم يزول ملكهم، فلا يكون لهم العاقبة، فإن عبد الله بن علي و أبا مسلم هما اللذان قتلا خلقا كثيرا، و كلاهما قتله أبو جعفر المنصور، و أما أهل الحرّة و ابن الأشعث و ابن المهلب، و غيرهم فهُزموا و هُزم أصحابهم، فلا أقاموا دينا و لا أبقوا دنيا، و إن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين و من أهل الجنة، فليسوا أفضل من علي و عائشة و طلحة و الزبير و غيره، و مع هذا لم يحمدوا على ما فعلوا من القتال و هم أعظم قدرا عند الله و أحسن نية من غيرهم» "منهاج السنة "(٤/ ٥٢٧-٥٢٨) .

وقال رحمه الله: " و لهذا لما أراد الحسين رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لما كاتبوه كُتبًا كثيرة، أشار عليه أفاضل الناس أهل العلم و الدين، كابن عمر ، و ابن عباس، و أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن لا يخرج و غلب على ظنهم أنه يُقتل، حتى إن بعضهم قال: « استودعك الله من قتيل...»، فتبيَّن أن الأمر على ما قاله أولئك، و لم يكن في الخروج لا مصلحة دين، و لا مصلحة دنيا، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله ﷺ حتى قتلوه مظلومًا شهيدًا، و كان في خروجه و قتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإن ما قصده من تحصيل الخير و دفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه و قتله و نقص الخير بذلك، و صار ذلك سببًا لشر عظيم، و كان قتل الحسين مما أوجب الفتن، كما كان قتل عثمان مما أوجب الفتن، و هذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة، و ترك قتالهم، و الخروج عليهم، هو أصلح الأمور للعباد، في المعاش و المعاد، و أن من خالف ذلك متعمدا أو مخطئا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ، و لهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله:« **إن ابني هذا سيِّد و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، و لم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ، و لا بخروج على الأئمة، و نزع يدا من طاعة،و لا مفارقة للجماعة » منهاج السنة (٤/ ٥٣٠-٥٣١) .

أطلعه الله على ما سيكون في هذه الأمة من بدع وسياسات منحرفة وما شاكل ذلك، ولكن رسول الله ﷺ يراعي المصلحة الكبرى، ويدفع الفتنة الكبرى عن المسلمين وعن دمائهم وعن أعراضهم وعن أموالهم .

الله أمر بتغيير المنكر ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

ومع ذلك فالحاكم له شأن آخر؛ لأن تغيير منكره يترتب عليه مفسدة أكبر وأكبر وأكبر من المفسدة التي هو واقع فيها، والتي تريد أن تستريح منها أو أن تزيلها، تقع في مفسدة أكبر وأكبر من الفوضى وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وسلب الأموال وما شاكل ذلك .

أمر بالصبر ﷺ قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه :« أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا و عُسرِنا ويُسرِنا وأثرةٍ علينا وألا ننازع الأمر أهله، قال:« إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان »(٤١٢) ، الكفر البواح لا يحتمل التأويل، ولا يقبل تأويلًا، واضح كالشمس، فحينئذٍ للمسلمين أن يخرجوا على هذا الحاكم

(٤١٢) سبق تخريجه .

الذي وقع في الكفر الواضح، بشرط أن لا يكون في خروجهم مفسدة أكبر من بقاء هذا الحاكم الكافر .

لأنه قد يخرج بعض الناس والضعفاء فيفتك بهم فيضيع الدِّين والدُّنيا فتكون مفسدة أكبر، فلا نخرج إلا إذا اطمأننَّا إذا كان كافرًا اطمأننَّا على أن المصلحة في الخروج، وأننا سنسقطه بسهولة دون سفك دماء ودون انتهاك أعراض ودون مفاسد.،» (٤١٣) .

وقال حفظه الله:« « تأمل هذه الأقوال السديدة لشيخ الإسلام ابن تيمية القائمة على النصوص النبوية، وعلى مراعاة المصالح والمفاسد، وعلى معرفة تأريخ الثورات ونتائجها المدمرة، والعاقل من يعتبر .

فعلى من ينشد الحق أن يستفيد من المنهج الإسلامي في مواجهة الفتن، وأن يحذِّر المسلمين من مخالفة هذا المنهج، وأن يحذِّرهم أن يجرهم الشيطان إلى الفتن وسفك الدماء... .

قال ابن القيم رحمه الله (٤١٤):« إنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ إيجَابَ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ لِيَحْصُلَ بِإِنْكَارِهِ مِنْ الْمَعْرُوفِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا كَانَ إنْكَارُ الْمُنْكَرِ يَسْتَلْزِمُ مَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ وَأَبْغَضُ إلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّهُ لَا يَسُوغُ إنْكَارُهُ، وَإِنْ كَانَ اللهُ يُبْغِضُهُ وَيَمْقُتُ

(٤١٣) انظر: كتاب الشيخ "قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرَّازِيين " (ص:١٤٧-١٥٠) ..

(٤١٤) في "إعلام الموقعين"(٣/ ١٥) .

أَهْلَهُ، وَهَذَا كَالْإِنْكَارِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُ أَسَاسُ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، وَقَدْ اسْتَأْذَنَ الصَّحَابَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي قِتَالِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، وَقَالُوا: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ فَقَالَ:« لَا، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ »، وَقَالَ: « مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ مَا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِ »(٤١٥) .

وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا جَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ فِي الْفِتَنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَذَا الْأَصْلِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى مُنْكَرٍ؛ فَطَلَبَ إِزَالَتَهُ فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرَى بِمَكَّةَ أَكْبَرَ الْمُنْكَرَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهَا، بَلْ لَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ وَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ عَزَمَ عَلَى تَغْيِيرِ الْبَيْتِ وَرَدِّهِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ – مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ – خَشْيَةُ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ عَدَمِ احْتِمَالِ قُرَيْشٍ لِذَلِكَ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَكَوْنِهِمْ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِهَذَا لَمْ يَأْذَنْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْيَدِ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ وُقُوعِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ كَمَا وُجِدَ سَوَاءٌ » .

أقول(الشيخ ربيع):« كلام الإمام ابن القيم مستمد من منهاج النبوة القائم على الحكمة والنظر في العواقب والنتائج التي تترتب على التصرفات الهوجاء، والعواطف العمياء، التي لا تنضبط يالتوجيهات النبوية الحكيمة، التي لا يراعى

(٤١٥) سبق تخريجه .

فيها مصالح الأمة في دينها ودنياها، وما يدرأ عنها المفاسد الكبيرة، والفتن العظيمة في دينها ودنياها »(٤١٦) .

** فصل **

إن من أعجب العجاب رميُ أهل البدع والتَّحزُّب أهلَ السنةِ والجماعة واتهامهم بأنهم عملاء للحكام بسبب التزامهم بما أمر الله به ورسوله من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية، وتحريم الخروج عليهم لما يفضي إليه من المفاسد التي لا أول لها ولا آخر، فالتزام هذا المنهج الشرعي عند أهل البدع والتحزب عمالة وجاسوسية!! .

وقد بيَّن العلامة ربيع المدخلي زيف هذه الدعوى وبطلانها، وأنها لا تصدر إلا ممن تلوَّث بأفكار الخوارج والمعتزلة الضُلال فقال:« أهل الحديث المخلصين الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وعقائدهم ومناهجهم ملتزمون بكتاب الله ومن ذلك التعامل مع الحكام .

إذا تعاملنا مع الحكام انطلاقًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ قالوا: عملاء، جواسيس!! هم خوارج!

(٤١٦) انظر: "مقالا للشيخ في حكم المظاهرات" في موقعه، وانظر "الملخص الجميل"(١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

الآن أصبحوا جسورًا مدُّوا الجسور مع الحكام ويمدحونهم بالكذب ويغرُّونهم بالكذب، لا يمدحونهم بالصِّدق، ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر! بل إذا رأوا الحاكم فيه خطأ توسعوا في هذا الباب ويجرونه إلى البلايا والمشاكل والعياذ بالله .

أما نحن فلا نزال عملاء!(يعني: عندهم) حتى لو ما سلكنا هذه المسالك فنعوذ بالله من هذا البلاء، وهي طريقة الخوارج والمعتزلة والروافض!! »(٤١٧) .

وقال أعزَّه الله ونصره:« هذا هو المنهج الصحيح، حتى لو ظهر الكفر البواح وفي خروجك ضرر بالمسلمين لا تخرج، إذا كانت المفسدة أكبر من المصلحة، ولو كان كافرًا كفرًا بواحًا، مادام الخروج يضر بالمسلمين ويؤدي إلى سفك دمائهم وانتهاك أعراضهم فلا تتسبب في هذه المفاسد .

فأهل السنة والجماعة ملتزمون بهذا المنهج، لا من منطلق عمالة وجاسوسية وكلام فارغ كما يصفهم أعداء السنة وأعداء هذا المنهج »(٤١٨) .

---

(٤١٧) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (٢/ ٢٤٤-٢٤٥) .

(٤١٨) انظر: "الملخص الجميل في بيان منهج الشيخ ربيع في الدعوة والجرح والتعديل " (٢/ ٢٠) .

المبحث الحادي عشر

الإيمان قول وعمل واعتقاد

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان عند أهل السنة قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص .

المطلب الثاني: الاستثناء في الإيمان .

المطلب الثالث: عدم تكفير المسلم بالمعصية التي دون الشرك ما لم يستحل .

المطلب الرابع: إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين .

المطلب الخامس: لا يشهدون لمعين بجنة ولا نار إلا من شهد له الشرع بذلك.

المطلب الأول

الإيمان عند أهل السنة قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

وفي تقرير هذا الأصل العظيم يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:

« **قال السلف**: الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي...» وقال:

« بل حكى الشافعي **إجماع الصحابة ومن بعدهم على القول بأن الإيمان قول وعمل**، ويزيد وينقص...» و قال:« مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان أنه قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، **وهذا أمر مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة** »(٤١٩) .

وقال حفظه الله في سياق بيانه لضلالات سيد قطب:« **الأصل السني هو أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية** »(٤٢٠) .

** فصل **

ذكر العلامة ربيع المدخلي حفظه الله جملة من الأدلة الشرعية التي قام عليها هذا الأصل السلفي العظيم، فقال:« الله سمى الصلاة إيمانًا:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾[البقرة:١٤٣] ، يعني: صلاتكم، وأطلق على الأعمال أنها من الإيمان، قال

---

(٤١٩) انظر: رسالة الشيخ " أصول فالح الحربي الخطيرة ومآلاتها (الأصل الأول) " .

(٤٢٠) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ" (٧/ ٣٨٨) .

الله- تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[الأنفال:٢-٤].

هذه الآية عظيمة جدًّا والقرآن كله عظيم ففيها: بيان أن أعمال القلوب من الإيمان لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾، وبيان أن الإيمان يزيد؛ لقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾، وبيان أن الأعمال من الإيمان لقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، فعدّ الأعمال من الإيمان؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح عدَّها من الإيمان، وبيَّن أن الإيمان يزيد؛ يقرأ القرآن فيزيد؛ يذكر الله فيزيد، يصلي فيزيد، كل عمل صالح يعمله يزيد في إيمانه، والمعاصي تنقصه... .

والأدلة على الزيادة ما ذكرناه لكم، ومنها آيات كثيرة، ومنها قول الله-تبارك وتعالى-:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:٤]، و«السكينة» هي الطمأنينة فيزدادوا بذلك إيمانًا؛ هذا من الأدلة على أن الإيمان يزيد .

ومنها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣] .

هذا الإرهاب وهذا التخويف ما زادهم إلا ثباتًا وإيمانًا؛ فالآية هذه من الأدلة الواضحة على أن الإيمان يزيد .

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[المدثر:٣١]، هذه الآية أيضًا من الأدلة على أن الإيمان يزيد ويزيد ويزيد حتى يصير كالجبال، والأدلة كثيرة على زيادة الإيمان .

ومن الأدلة على نقصانه أحاديث الشفاعة؛ فأحاديث الشفاعة فيها أن الإيمان ينقص، منهم من يكون عنده مقدار دينار، ومنهم من لا يبقى عنده إلا مقدار نصف دينار، ومنهم من لا يبقى عنده إلا مثقال ذرَّة...إلخ، فالإيمان ينقص بسبب المعاصي والذنوب، منهم من لا يبقى معه إلا أدنى أدنى مثقال ذرَّة من إيمان .

فالقرآن دلَّ على الزيادة، والسنة دلت على النقصان، بل من القرآن ما يدل على النقصان، وهو قول الله-تبارك وتعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ [فاطر:٣٢]، هذا ناقص الإيمان، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾، فقسم الله-تبارك وتعالى- في هذه الآية المؤمنين الذين أورثهم الله هذا الكتاب إلى ظالم لنفسه-وهم العصاة- لأنَّ إيمانهم ناقص، ومنهم مقتصد متوسط يؤدي الواجبات ويجتنب المحرمات، ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين يقومون بالواجبات ويجتنبون المحرمات ويجتنبون المكروهات ويتقربون إلى الله بالمستحبات...إلى أن قال:« الغفلة تنقص من الإيمان لا شك ويدل عليه حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -»(٤٢١) .

(٤٢١) أخرجه مسلم [برقم (٢٧٥٠)، كتاب التوبة]، (ربيع) .

فهذا حنظلة اتهم نفسه بالنفاق فيقول: نافق حنظلة..وعافسنا الأزواج والضيعات ونسينا كثيرًا!

فرق بين الحالين؛ الحال التي يذكر الله عز وجل فيها وكأنما يشاهد الجنة والنار، وكأنما يشاهد الملائكة وهم لله في السموات سُجَّدًا، وكانما ينظر في الجنة وما فيها من حور وقصور وإلى آخره، والنار وما فيها من سلاسل وأغلال وإلى آخره، يزداد إيمانه، والحال التي يغفل فيها ويضيع وينقص »(٤٢٢) .

** فصل **

لقد خالف أهلَ السنةِ في هذا الأصل العظيم فرقُ الضلال كالخوارج والمرجئة، وقد بيَّن العلامة ربيع المدخلي حفظه الله انحرافهم عن الحق في هذا الباب، كما بيَّن وفقه الله ما يلزم من أقوالهم من اللوازم الباطلة التي تدل على فساد أقوالهم وبطلانها، فقال حفظه الله بعد أن ذكر قول أهل السنة في الإيمان:« هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها الفرق الإسلامية؛ فالمرجئة طوائف؛ منهم الغلاة ومنهم مرجئة الفقهاء .

(٤٢٢) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ١٧٠-١٧٣) .

فالغلاة منهم يقولون: الإيمان هو المعرفة وهم الجهمية! وهذا ضلال، ولازم قولهم أن فرعون مؤمن وإبليس مؤمن لماذا؟ لأنهم كلهم يعرفون الله، إبليس يعرف الله-تبارك وتعالى- وأنه خلق هذا الكون وخلق الجنة والناروبؤمن بالقدر...

وإلى آخره، قال الله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[الحجر:٣٩]، يقسم فيقول:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢] .

يعرف الأسماء والصفات، فهو يعرف الله عز وجل، والتصديق موجود عنده، والمعرفة موجودة عنده ومع ذلك هو أكفر الكافرين، فالذي يقول: الإيمان هو المعرفة فهو ضالٌّ مُضِل، بل عقيدته كفرية وكفَّرهم السلف .

ومرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان هو التصديق؛ تصديق بالقلب وقول باللسان، والعمل ليس من الإيمان! الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل هذه ليست من الإيمان، وهذا مصادم لنصوص الكتاب والسنة!.. .

ومن الفرق الضالة الكرامية الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان! هؤلاء من فرق المرجئة؛ الإيمان عندهم هو النطق باللسان، وعندهم المنافق مؤمن لماذا؟ لأنه قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله! والله يقول في هؤلاء:﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ

﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١]، وهم يقولون: الإيمان هو النطق باللسان فقط! لا أعمال القلوب، ولا أعمال الجوارح، ولا الاعتقاد، ولا شيء؛ فقط النطق باللسان وهذا ضلال!!» (٤٢٣) .

وقال حفظه الله:« **عند الخوارج والمرجئة و المعتزلة الإيمان لا يزيد ولا ينقص!** .

وأهل السنة يقولون: الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، والعصاة يستحقون الذَّم وهم معرضون للعقوبة الشديدة » .

و الخوارج يُكَفِّرُونَهم، والمرجئة الغالية يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب ولا يُعرَّض العاصي لنصوص الوعيد ولا للعقوبات ولا... .

وعندهم وعند سائر المرجئة أنَّ إيمانه لا ينقص أبدًا وإيمان أفجر الناس مثل إيمان جبريل و محمدﷺ!! .

فأهل السنة متوسطون بين الغلاة من الخوارج و المعتزلة الذين يخرجون المؤمن من الإيمان بالكلية، و يقول الخوارج: هو كافر و حكمه في الآخرة الخلود في النار، والمعتزلة يخرجونه من دائرة الإيمان، ويقولون: إنَّه يبقى في منزلة بين المنزلتين، فلا يقال: مسلم ولا كافر، ويحكم عليه بالخلود في النار، ولا تقبل فيه شفاعة الشافعين .. .

---

(٤٢٣) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ١٦٩-١٧١) .

أهل السنة توسطوا فقالوا: الذنوب تضر وتهلك أصحابها والعياذ بالله، وتعرضهم لغضب الله ولعقوبته، وإيمانهم ينقص جدًّا بقدر ما يرتكبون من الذنوب، ومع ذلك لا يكفرونهم ويقولون إنَّهم:« فُسَّاق » و« عصاة ناقصو الإيمان » وحكمهم في الآخرة أنَّهم تحت المشيئة .

فلا يجارون الخوارج والمعتزلة في إخراجه من دائرة الإيمان، ولا يجارون المرجئة في أنَّه مؤمن كامل الإيمان، ولا ينقص إيمانه، وإيمانه كإيمان جبريل لا يجارون هؤلاء ولا هؤلاء »(٤٢٤) .

** فصل **

ومنشأ ضلال الفرق في باب الإيمان هو اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، فعند المرجئة إذا ثبت بعضه ثبت كله، وعند الخوارج والمعتزلة إذا ذهب بعضه ذهب كله، أما أهل السنة فالإيمان عندهم يتجزأ فيذهب بعضه ويبقى بعضه .

وفي بيان ذلك يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« عند المرجئة: الإيمان لا يتجزأ؛ لأنه إذا نقص عندهم؛ حل محله الكفر والشك، فلهذا ما ينقص!! لا، نحن عندنا الإيمان يتجزأ ويتجزأ، كالجبل (وبعدين) ينقص وينقص حتى يصير كالذرة.

(٤٢٤) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٤٣٠-٤٣٢) .

الخوارج يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، إذا ارتكب الكبيرة خرج من الإيمان! والمرجئة يقولون: الإيمان لا ينقص؛ فإنه لا ينقص إلا بالكفر والشك، فإذا دخله الشك و الريب، أو الكفر انتهى؛ فلهذا يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأننا إذا قلنا بنقصانه معناه أنه خرج من الإيمان، بالنقصان أنت تخرج من الإيمان!»(٤٢٥).

وقال سدَّده الله:« وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في "مجموع الفتاوى"(٤٢٦): « وأما قول القائل: إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان؛ فإنهم ظنوا أنه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء، ثم قالت «الخوارج والمعتزلة »: هو مجموع ما أمر الله به ورسوله، وهو الإيمان المطلق، كما قاله أهل الحديث؛ قالوا: فإذا ذهب شيء منه لم يبق مع صاحبه من الإيمان شيء فيخلد في النار وقالت « المرجئة » على اختلاف فرقهم: لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان؛ إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء، فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر، ونصوص الرسول وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه »(٤٢٧) .

---

(٤٢٥) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٦٠٨) .

(٤٢٦) (٧/ ٢٢٣-٢٢٤) .

(٤٢٧) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٦١٤-٦١٥) .

** فصل **

لقد طلع علينا الحدادية في الآونة الأخيرة ببدعة لم يسبقهم إليها أحد من أهل السنة وليس لهم فيها سلف من الأئمة، وهي إضافتهم لركنين زيادة على ما ذكره السلف في تعريف الإيمان، وهما: لفظ جنس العمل، ووجوب القول: بأن الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء، فمن لم يذكرهما في تعريف الإيمان فهو مرجئ عندهم .

وقد بيَّن العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله بدعية إضافة هذين الركنين في تعريف الإيمان، وأن ذلك مما لا يعرفه السلف، **فقال حفظه الله** فيما يتعلق بجنس العمل في سياق رده على الحدادي فالح الحربي:« وقولك في جنس العمل: إنه أحد أركان تعريف الإيمان، فأقول لك: إن السلف لما عرَّفوا الإيمان قالوا في تعريفه: الإيمان قول وعمل، وبعضهم يقول: قول وعمل واعتقاد...الخ، وأنا عرَّفت الإيمان بما عرَّفه به السلف، وبيَّنت مذهب المرجئة الذين لا يدخلون العمل في الإيمان، ولم أجد من ذكر لفظ جنس العمل في تعريف الإيمان، فأسألك هل السلف الذين لم يدخلوا لفظ «جنس» في تعريف الإيمان يكونون مرجئة عندك ؟....

بيِّن لي هنا كيف خالفت الإمام أحمد، والإمام البخاري، وشيوخه الأئمة حتى صرت من غلاة المرجئة ؟!!

ألا ترى أن رميك لي بالإرجاء يعتبر رميًا للإمامين وأهل السنة جميعا بالإرجاء ؟

فإن قلت: أنت نهيت عن الخوض في جنس العمل .

قلت لك: لو كان واجبًا ذكره والخوض فيه وهو ركن في تعريف الإيمان فلماذا أغفل أئمة السنة لفظة "جنس"، وحيث أغفلوها ولم يأمروا بالخوض فيها، فهل ترى أنهم من غلاة المرجئة؟!»(٤٢٨) .

وقال حفظه الله في سياق رده على افتراءات الحدادي فوزي البحريني:« وأما قوله: « وهذا الأمر (يعني: جنس العمل) تلفظ به بعض علماء أهل السنة والجماعة: كشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الفوزان، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ الغديان، والشيخ فالح الحربي وغيرهم ».

أقول: فهذا من التلبيس، **فمن ذكرهم من العلماء لم يدخلوه في قضايا الإيمان، ولم يجعلوه ركناً في تعريف الإيمان؛ كما فعل فالح الجاهل** الذي يعده هذا الأفاك من العلماء.

---

(٤٢٨) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٣٦٠-٣٦٢) .

إن هؤلاء العلماء قد يقولون: جنس كذا، وجنس كذا، وجنس العمل، ولكن على غير منهجكم، وعلى غير ما تريدون، ولا يحاربون من أجله، وإذا عرَّفوا الإيمان قالوا: الإيمان قول وعمل، **ولا يدخلون لفظ جنس في تعريف الإيمان، ولا جعلوه ركناً في تعريف الإيمان كما افترى عليهم فالح**، وكما تُوهم أنت أن العلماء مع الحدادية »(٤٢٩) .

وأما بالنسبة لاشتراط الحدادية القول: بأن الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء في تعريف الإيمان، فقد بيَّن العلامة ربيع المدخلي كذلك بطلانه وعدم اشتراط السلف لذلك في تعريف الإيمان، **فقال حفظه الله**:« أهل السنة يحاربون الإرجاء بأصنافه ، ويقولون ويعتقدون قبل أن تولدوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو الاعتقاد الذي أجمع عليه الصحابة، والتابعون، وأهل السنة على مدار القرون الإسلامية إلى يومنا هذا .

وأنتم معشر الحدادية الجاهلين الظالمين لم تقتنعوا بهذا التعريف المجمع عليه احتقارًا وازدراءً وتجهيلاً للسلف، ولو كان لهم ولأقوالهم عندكم قيمة ووزن لما تجاوزتموها .

فزدتم شرطًا في تعريف الإيمان، وهو:« أنه ينقص وينقص حتى لا يبقى منه شيء»، وضللتم ورميتم بالإرجاء من لا يقول ويشترط ما اشترطتموه، فكان

---

(٤٢٩) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٦٦٠-٦٦١) .

شرطكم هذا متضمنًا التبديع للسلف، ومتضمنًا لمخالفة إجماعهم، وهذه هي البدعة العظيمة والفتنة الكبيرة، ومن جهلكم وخبث طواياكم لا تدركون هذه البدعة ولا ما تنطوي عليه .

ستقولون: إن سفيان ابن عيينة قال: « إن الإيمان ينقص حتى لا يبقى منه شيء » .

فنقول: إن سفيان مع أهل السنة والجماعة يقول طوال عمره بما يقولون، وفي مجلس واحد من مجالسه قرر عقيدة السلف، من أن الإيمان يزيد وينقص، فاستنكر أخوه ذكر النقصان من الإيمان، فرد عليه في حالة الغضب، وقال: « إنه ينقص حتى لا يبقى منه شيء »، ولم يجعل ذلك شرطًا، ولا ألزم به أحدًا .

فجئتم أنتم متقدمين بين يدي الله ورسوله، وبين يدي إجماع الصحابة، ومن بعدهم؛ فاشترطتم أنه لا بد أن يقول القائل: « الإيمان يزيد وينقص حتى لا يبقى منه شيء » .

ونقول لكم يا أيها الجهال الفتانون: ما قاله رسول الله ﷺ: « كل شرط ليس في كتاب الله؛ فهو باطل، وإن كان مائة شرط »(٤٣٠) .

ستقولون: قال به غير سفيان من علماء السلف .

---

(٤٣٠) أخرجه البخاري (٥ / ١٦٧)، ومسلم (١٥٠٤)، عن عائشة رضي الله عنها .

أقول: لم يثبت ذلك عنهم، وإن ثبت ذلك عنهم؛ فلم يلتزموه، ولا جعلوه جزءًا من تعريف الإيمان ولا شرطًا .

وقد أقوله أنا أحيانًا، ولا أجعله جزءًا من تعريف الإيمان ولا شرطًا، وكنت أقوله قبل فتنة الحدادية »(٤٣١) .

وقال حفظه الله ورعاه في خلاصة كشفه لأباطيل فوزي البحريني: « أولاً- يظهر من كتابات فوزي البحريني ومن مناقشاتي له كثرة كذبه وافتراءاته على ربيع وإخوانه.. .

ثالثاً- كثرة تأصيلاته الباطلة وتأصيلات فئته الباغية على أهل السنة.

ومن هذه التأصيلات:

١- **إيجابهم زيادة "ينقص الإيمان حتى لا يبقى منه شيء" على تعريف أهل السنة الذي أجمعوا عليه**، ودل عليه الكتاب والسنة، وهو " أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص"»(٤٣٢) .

(٤٣١) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٥٨٠-٥٨١) .

(٤٣٢) انظر: "المرجع السابق " (٩/ ٧٧٨) .

المطلب الثاني

الاستثناء في الإيمان

الإيمان عند أهل السنة كما سبق قول وعمل واعتقاد، وهو مشتمل على أوامر ونواهي، قد يعجز المؤمن عن أدائها كما أمره الله؛ إذ التقصير والقصور ملازم لبني آدم؛ وبناء على ذلك أي: على أن الإنسان ما وفَّى الإسلام حقه، ولا عبدَ الله حق عبادته، ولا فعل ما أُمر به على الوجه المطلوب، أجاز أهل السنة الاستثناء في الإيمان، وهو قول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله؛ بل قد يوجبون ذلك فيما إذا خاف المؤمن تزكية نفسه بالإيمان الكامل والشهادة لها بذلك إذا لم يستثن .

وفي بيان هذه المسألة المهمة وتوضيحها وبيان منشأ ومأخذ قول أهل السنة فيها يقول العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« هذه المسألة نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ؛ ما هو منشأ قول أهل السنة :«أنا مؤمن إنشاء الله » ؟ هل هو بالنظر إلى العاقبة والمآل، يعني: على ماذا يموت الإنسان وعلى ماذا يوافي الإنسان ربه؟ أو في الحاضر؛ بمعنى ما وفيت الإيمان حقه؟

فيقول شيخ الإسلام(٤٣٣):هذا من هذا المنطلق يعني: إنه ما وفَّى الإسلام حقه وما قام به على الوجه المطلوب، فإذا قال: أنا مؤمن جزمًا يكون قد زكى نفسه، وقال:

---

(٤٣٣) وهاك نص كلام شيخ الإسلام رحمه الله من "مجموع الفتاوى"(٧/ ٤٣٩)، قال:« وَأَمَّا مَذْهَبُ سَلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ كَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابِهِ وَالثَّوْرِيِّ وَابْنِ عُيَيْنَة وَأَكْثَرِ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْقَطَّانِ فِيمَا يَرْوِيه عَنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

أنا متق وأنا بارّ وأنا كذا! وهذا أمر غلط؛ لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ وهناك

وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ فَكَانُوا يَسْتَثْنُونَ فِي الْإِيمَانِ. وَهَذَا مُتَوَاتِرٌ عَنْهُمْ لَكِنْ لَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ مَنْ قَالَ: أَنَا أَسْتَثْنِي لِأَجْلِ الْمُوَافَاةِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ إنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِمَا يُوَافِي بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ؛ بَلْ صَرَّحَ أَئِمَّةُ هَؤُلَاءِ بِأَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ إنَّمَا هُوَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَتَضَمَّنُ فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ فَلَا يَشْهَدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ كَمَا لَا يَشْهَدُونَ لَهَا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَهُ وَهُوَ تَزْكِيَةٌ لِأَنْفُسِهِمْ بِلَا عِلْمٍ؛ كَمَا سَنَذْكُرُ أَقْوَالَهُمْ إنْ شَاءَ اللهُ فِي ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُوَافَاةُ؛ فَمَا عَلِمْت أَحَدًا مِنْ السَّلَفِ عَلَّلَ بِهَا الِاسْتِثْنَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرٌ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ يُعَلِّلُ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِمْ؛ كَمَا يُعَلِّلُ بِهَا نُظَّارُهُمْ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأَكْثَرِ أَصْحَابِهِ لَكِنْ لَيْسَ هَذَا قَوْلَ سَلَفِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ » .

وقال رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى"(٧/ ٥٠٩) مبينًا أقوال الناس ومآخذهم في الاستثناء:« وَصَارَ النَّاسُ فِي الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: قَوْلٌ أَنَّهُ يَجِبُ الِاسْتِثْنَاءُ وَمَنْ لَمْ يَسْتَثْنِ كَانَ مُبْتَدِعًا، وَقَوْلٌ أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مَحْظُورٌ فَإِنَّهُ يَقْتَضِي الشَّكَّ فِي الْإِيمَانِ، وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَوْسَطُهَا وَأَعْدَلُهَا: أَنَّهُ يَجُوزُ الِاسْتِثْنَاءُ بِاعْتِبَارِ وَتَرْكُهُ بِاعْتِبَارٍ؛ فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُهُ أَنِّي لَا أَعْلَمُ أَنِّي قَائِمٌ بِكُلِّ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيَّ وَأَنَّهُ يَقْبَلُ أَعْمَالِي، لَيْسَ مَقْصُودُهُ الشَّكَّ فِيمَا فِي قَلْبِهِ فَهَذَا اسْتِثْنَاؤُهُ حَسَنٌ وَقَصْدُهُ أَنْ لَا يُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَأَنْ لَا يَقْطَعَ بِأَنَّهُ عَمِلَ عَمَلًا كَمَا أُمِرَ فَقُبِلَ مِنْهُ، وَالذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ وَالنِّفَاقُ مَخُوفٌ عَلَى عَامَّةِ النَّاسِ، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ:« أَدْرَكْت ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، لَا يَقُولُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إنَّ إيمَانَهُ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وميكائيل» وَالْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ بَوَّبَ أَبْوَابًا فِي " الْإِيمَانِ وَالرَّدِّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ " وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ قَالَ: وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ كَرِهُوا أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: إيمَانِي كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وميكائيل - قَالَ مُحَمَّدٌ: لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ يَقِينًا - أَوْ إيمَانِي كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ أَوْ إيمَانِي كَإِيمَانِ أَبِي بَكْرٍ أَوْ كَإِيمَانِ هَذَا وَلَكِنْ يَقُولُ آمَنْت بِمَا آمَنَ بِهِ جِبْرِيلُ وَأَبُو بَكْرٍ. وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ لَا يُجَوِّزُونَ الِاسْتِثْنَاءَ فِي الْإِيمَانِ بِكَوْنِ الْأَعْمَالِ مِنْهُ وَيَذُمُّونَ الْمُرْجِئَةَ وَالْمُرْجِئَةُ عِنْدَهُمْ الَّذِينَ لَا يُوجِبُونَ الْفَرَائِضَ وَلَا اجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ؛ بَلْ يَكْتَفُونَ بِالْإِيمَانِ وَقَدْ عُلِّلَ تَحْرِيمُ الِاسْتِثْنَاءِ فِيهِ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَعْلِيقُهُ عَلَى الشَّرْطِ؛ لِأَنَّ الْمُعَلَّقَ عَلَى الشَّرْطِ لَا يُوجَدُ إلَّا عِنْدَ وُجُودِهِ كَمَا قَالُوا فِي قَوْلِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ إنْ شَاءَ اللهُ. فَإِذَا عُلِّقَ الْإِيمَانُ بِالشَّرْطِ كَسَائِرِ الْمُعَلَّقَاتِ بِالشَّرْطِ لَا يَحْصُلُ إلَّا عِنْدَ حُصُولِ الشَّرْطِ، قَالُوا: وَشَرْطُ الْمَشِيئَةِ الَّذِي يَتَرَجَّاهُ الْقَائِلُ لَا يَتَحَقَّقُ حُصُولُهُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا عَلَّقَ الْعَزْمَ بِالْفِعْلِ عَلَى التَّصْدِيقِ وَالْإِقْرَارِ فَقَدْ ظَهَرَتْ الْمَشِيئَةُ وَصَحَّ الْعَقْدُ فَلَا مَعْنَى لِلِاسْتِثْنَاءِ؛ وَلِأَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ عَقِيبَ الْكَلَامِ يَرْفَعُ الْكَلَامَ فَلَا يُبْقِي الْإِقْرَارُ بِالْإِيمَانِ وَالْعَقْدِ مُؤْمِنًا وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ هَذَا الْقَائِلُ الْقَارِنُ بِالِاسْتِثْنَاءِ عَلَى الْإِيمَانِ بَقَاءَ التَّصْدِيقِ وَذَلِكَ يُزِيلُهُ.

" قُلْت ": فَتَعْلِيلُهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ إنَّمَا يَتَوَجَّهُ فِيمَنْ يُعَلِّقُ إنْشَاءَ الْإِيمَانِ عَلَى الْمَشِيئَةِ كَالَّذِي يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ فَيُقَالُ لَهُ: آمِنْ. فَيَقُولُ: أَنَا أُومِنُ إنْ شَاءَ اللهُ أَوْ آمَنْت إنْ شَاءَ أَوْ أَسْلَمْت إنْ شَاءَ اللهُ أَوْ أَشْهَدُ إنْ شَاءَ اللهُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ إنْ شَاءَ اللهُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ اسْتَثْنَوْا مِنْ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ لَمْ يَقْصِدُوا فِي الْإِنْشَاءِ وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ فِي إخْبَارِهِ عَمَّا قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ الْإِيمَانِ فَاسْتَثْنَوْا إمَّا أَنَّ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ يَقْتَضِي دُخُولَ الْجَنَّةِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْخَاتِمَةَ كَأَنَّهُ إذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ: أَنْتَ مُؤْمِنٌ. قِيلَ لَهُ: أَنْتَ عِنْدَ اللهِ مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَا كَذَلِكَ إنْ شَاءَ اللهُ، أَوْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ أَتَوْا بِكَمَالِ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ. وَلِهَذَا كَانَ مِنْ جَوَابِ بَعْضِهِمْ إذَا قِيلَ لَهُ أَنْتَ مُؤْمِنٌ: آمَنْت بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ فَيَجْزِمُ بِهَذَا وَلَا يُعَلِّقُهُ » .

أوامر وهناك نواه؛ فيقول: «أنا مؤمن إن شاء الله»احترازًا من أن يحكم لنفسه بأنه وفَّى الإسلام حقه، بمعنى أنه ما وفّى الإيمان حقه وما قام بأوامر الله واجتنب نواهيه، وما قام بالأعمال الصالحة المطلوبة منه على الوجه المطلوب.

وتعرفون أن المرجئة والجهمية عندهم مبنى آخر وهو أن الإيمان هو التصديق فقط! فأنا لا أشك في إيماني؛ كما أني لا أشك إذا قرأت الفاتحة ولا أقول: قرأت الفاتحة إن شاء الله، وأكلت إن شاء الله، شربت إن شاء الله! لأن هذا شيء محقق عندهم، فالإيمان عندهم هو التصديق فقط! وأنا أعرف من نفسي أني مصدق!

لكن أهل السنة عندهم: الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويستثنون؛ لأنهم يعتقدون- وعقيدتهم حق- أن الإنسان إذا قال هذا وهو ما وفّى الإيمان حقه؛ يكون مخطئًا، وقد يكون آثمًا مزكيًا لنفسه-والعياذ بالله- .

فنقول: « أنا مؤمن إن شاء الله » بناء على هذا الاعتقاد؛ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وفيه أوامر ونواه أنت ما قمت بها على الوجه المطلوب؛ فالعمل يحتاج إلى مطابقة لما شرعه الله عز وجل، فهل طابق عملك ما شرعه الله مائة بالمائة، أو شابه خلل أو أخللت بشروط؟؟ ويحتاج إلى إخلاص، فهل أخلصت لله في عملك كله أو شابه رياء؟؟ فمن هذا الباب هم يستثنون؛ يعني: لأنه لم يوفِّ الإيمان حقه، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، هذا منزع أهل السنة ومنطلق قولهم .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا القول؛ وهو «أن الاستثناء باعتبار المآل، وباعتبار ما يوافي به العبد ربه »: ليس هو قول أهل السنة، وإنما هو قول ابن كلاّب وتابعه عليه الأشعري، ثم تتابع عليه جماعات من أهل المذاهب: المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم ممن أخذ بالمذهب الأشعري الكلَّابي! ويقول: لا أعرف أحدًا من السلف يقول هذا:« إن هذا الاستثناء لملاحظة المآل! » وإنما بناء على أن الإسلام إيمان وشرائع، وأقوال وأعمال، لا يجوز للإنسان أن يقطع أنه وفاها حقها. . .

أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وفيه أوامر ونواه، فإذا سأله إنسان: أنت مؤمن؟ يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، بناء على اعتقاد أنه ما وفّى الإسلام حقه، ولا قام بالأعمال المطلوبة على وجهها »(٤٣٤) .

(٤٣٤) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٢١-٢٢٣) .

المطلب الثالث

عدم تكفير المسلم بالمعصية التي دون الشرك ما لم يستحل

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق الذنوب والكبائر التي دون الشرك مالم يستحلها فاعلها، فلا يسلبون الفاسق من أهل القبلة الإيمان بالكلية خلافًا للخوارج والمعتزلة، ولا يجعلونه مؤمنًا كامل الإيمان كما قالت المرجئة، بل يقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يخرجونه من الإسلام في الدنيا، وأما في الآخرة فأمره عندهم إلى الله إن شاء عذَّبه بقدر ذنوبه ومعاصيه وإن شاء عفا عنه، ويكون مصيره عندهم في كلتا الحالتين إلى الجنة، خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين حكموا بخلوده في النار(٤٣٥) .

---

(٤٣٥) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مقررًا لهذا الأصل كما في رسالته الواسطية:« وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠] .

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، وَقَوْلُهُ ﷺ:« لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ

مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ »، وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمَ الْمُطْلَقَ وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ » .

وقال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية"(ص:٤٧٥-٤٧٦):« **أَهْلَ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ كُلُّهُمْ** عَلَى أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يَكْفُرُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَتِ الْخَوَارِجُ، إِذْ لَوْ كَفَرَ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ لَكَانَ مُرْتَدًّا يُقْتَلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا يُقْبَلُ عَفْوُ وَلِيِّ الْقِصَاصِ، وَلَا تَجْرِي الْحُدُودُ فِي الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ! وَهَذَا الْقَوْلُ مَعْلُومٌ بُطْلَانُهُ وَفَسَادُهُ بِالضَّرُورَةِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ، وَلَا يَسْتَحِقُّ الْخُلُودَ مَعَ الْكَافِرِينَ، كَمَا قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ. فَإِنَّ قَوْلَهُمْ بَاطِلٌ أَيْضًا، إِذْ قَدْ جَعَلَ اللهُ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾[الْبَقَرَةِ: ١٧٨]، فَلَمْ يُخْرِجِ الْقَاتِلَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَجَعَلَهُ أَخًا لِوَلِيِّ الْقِصَاصِ، وَالْمُرَادُ أُخُوَّةُ الدِّينِ بِلَا رَيْبٍ. وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾[الحجرات: ٩-١٠] .

وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الزَّانِيَ وَالسَّارِقَ وَالْقَاذِفَ لَا يُقْتَلُ، بَلْ يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُرْتَدٍّ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ الْيَوْمَ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**» . أَخْرَجَاهُ فِي"الصَّحِيحَيْنِ" .

فَثَبَتَ أَنَّ الظَّالِمَ يَكُونُ لَهُ حَسَنَاتٌ يَسْتَوْفِي الْمَظْلُومُ مِنْهَا حَقَّهُ، وَكَذَلِكَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا تَعُدُّونَ الْمُفْلِسَ فِيكُمْ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَسَنَاتٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤]، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ فِي حَالِ إِسَاءَتِهِ يَعْمَلُ حَسَنَاتٍ تَمْحُو سَيِّئَاتِهِ. وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

وَالْمُعْتَزِلَةُ مُوَافِقُونَ لِلْخَوَارِجِ هُنَا فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُمْ وَافَقُوهُمْ عَلَى أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، لَكِنْ قَالَتِ الْخَوَارِجُ: نُسَمِّيهِ كَافِرًا، وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: نُسَمِّيهِ فَاسِقًا، فَالْخِلَافُ بَيْنَهُمْ لَفْظِيٌّ فَقَطْ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَيْضًا مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْوَعِيدَ الْمُرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الذَّنْبِ، كَمَا وَرَدَتْ بِهِ النُّصُوصُ، لَا كَمَا يَقُولُهُ الْمُرْجِئَةُ مِنْ أَنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ! وَإِذَا اجْتَمَعَتْ نُصُوصُ الْوَعْدِ الَّتِي اسْتَدَلَّتْ بِهَا الْمُرْجِئَةُ، وَنُصُوصُ الْوَعِيدِ الَّتِي اسْتَدَلَّتْ بِهَا الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ -: تَبَيَّنَ لَكَ فَسَادُ الْقَوْلَيْنِ! وَلَا فَائِدَةَ فِي كَلَامِ هَؤُلَاءِ سِوَى أَنَّكَ تَسْتَفِيدُ مِنْ كَلَامِ كُلِّ طَائِفَةٍ فَسَادَ مَذْهَبِ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى » .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي العظيم يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله في شرحه" لعقيدة السلف وأصحاب الحديث " للإمام الصابوني:« المؤلف يحكي مذهب أهل السنة في مرتكب الكبائر إذا مات مصرًّا عليها فما مصيره؟

عند الخوارج والمعتزلة مصيره إلى النار خالدًا فيها مخلَّدًا أبدًا؛ لأنه عند الخوارج كافر في الدنيا يباح دمه وماله؛ فإذا سرق أو زنى أو قتل أو شرب الخمر وما شاكل ذلك، فهو عندهم كافر في الدنيا يباح دمه وماله، وفي الآخرة يخلد في النار مع الكافرين، ولا تنفعه شفاعة الشافعين!... .ويقابلهم المرجئة؛ الغلاة منهم يقولون: من قال لا إله إلا الله لا تمسه النار، ولا يدخل النار، ومن عرف الله كذلك! وهذا ضلال مبين، يصادم هذا المذهب وذاك ما ورد من النصوص في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ .

منها: أن مرتكب الكبيرة يقام عليه الحدّ؛ إن زنى وكان محصنًا يرجم حدًّا ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين، وإذا كان غير محصن فإنه يجلد مائة جلدة، قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [النور:٢]، ولو كان مرتكب الكبيرة مرتدًّا؛ لما كان حدُّه إلا القتل؛ لقوله ﷺ:« من بدَّل دينه فاقتلوه »(٤٣٦)؛ ومن حيث إنه بقي في دائرة الإيمان فإنه يعاقب في الدنيا عقوبات الحدود، فمن شرب الخمر يُجلد، فقد

(٤٣٦) أخرجه أحمد(١/ ٢١٧) والبخاري [برقم (٣٠١٧)، كتاب الجهاد والسير] من حديث ابن عباس رضي الله عنه ،(ربيع) .

كان في عهد رسول الله ﷺ يُجلد ويُحدّ أربعين جلدة، ثم لما أسرف بعض الناس فيه أوصلها عمر رضي الله عنه إلى الثمانين، والسارق تقطع يده حدًّا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾[المائدة: ٣٨]، ولو كان مرتدًّا لقتل .

الشاهد: أن مرتكب الكبيرة مادام يؤمن بالله، وبكتاب الله، وبسنة الرسول-عليه الصلاة والسلام- ويصلي ويقيم شعائر الإسلام؛ فهو مؤمن ناقص الإيمان، أو نقول: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، بخلاف الخوارج فإنهم يخرجونه من الإيمان ويطلقون عليه الكفر! والمعتزلة يجعلونه في منزلة بين المنزلتين! ثم يلتقون في حكم الآخرة: أنه خالد مخلّدٌ في النار؛ يجب على الله أن يعاقبه وأن يخلده في النار، ولا يقبل فيه شفاعة الشافعين عندهم!.... .

فأهل السنة هم الوسط دائمًا بين فرق الأمة... .

لا يضربون النصوص بعضها ببعض كما يفعل هؤلاء وهؤلاء؛ المرجئة يتعلقون بنصوص الوعد ويتغافلون عن نصوص الوعيد التي جاءت في حق أهل الكبائر؛ فالله عز وجل توعَّد آكل مال اليتيم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[النساء: ١٠].

وورد الوعيد لآكل الربا وللزاني وللسارق ولشارب الخمر، والعقوبات في الدنيا على هذه المعاصي، ومع ذلك عند هؤلاء المرجئة لا ينقص إيمانه، وعند غلاتهم يدخل الجنة ولا يدخل النار ولا تمسه!

والخوارج والمعتزلة على النقيض من ذلك؛ فلو ارتكب كبيرة واحدة ولم يتب منها فإنه إلى النار خالدًا مخلَّدًا فيها، نسأل الله العافية!

وأهل السنة بخلاف هؤلاء وأولئك، عندهم العاصي تحت مشيئة الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، ماعدا ذلك، يعني: ما عدا الشرك يغفره الله-تبارك وتعالى-، هذا وعد من الله-تبارك وتعالى-؛ فمرتكب الكبيرة له عند الله وعد أن يغفر له ذنبه قبل العذاب أو بعده، وذلك راجع إلى مشيئة الله؛ إن شاء عذَّبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار، وإن شاء عفا عنه رأسًا بفضله ورحمته وكرمه سبحانه وتعالى .

وكثير وكثير من أهل الكبائر يدخلون النار؛ يدخل النار أقوام ثم يشفع فيهم الشفعاء فيخرجون فوجًا فوجًا، يخرجون أفواجًا حتى تنفذ الشفاعات كلها، فيقول الله عز وجل:« شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا

أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط »(٤٣٧)

كما ورد في الأحاديث الصحيحة ... .

ليس معنى هذا التقرير أننا نُجرِّئ الناس على معاصي الله عز وجل، إنما نردُّ على الخوارج، وفي نفس الوقت نرد على المرجئة ونبيِّن حكم الله في هذه القضايا، لكن يبقى عامل الخوف من الله والحياء منه قائم في نفس المؤمن »(٤٣٨) .

(٤٣٧) أخرجه مسلم رقم (١٨٣) .

(٤٣٨) انظر: "المرجع السابق" (٢/ ١٨٦-١٩٠) .

المطلب الرابع

إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين المتفرِّع عن أصلهم في صاحب الكبيرة، إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين أهل الكبائر الذين اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يعذبهم في النار بقدر ذنوبهم ومعاصيهم قبل أن يصيِّرهم إلى الجنة، فإن أهل الكبائر عند أهل السنة كما سبق، إن ماتوا مصرين عليها غير مستحلِّين لها فهم تحت مشيئة الله ورحمته إن شاء عفا عنهم وأدخلهم الجنة ابتداءًا، وإن شاء أدخلهم النار فعذَّبهم فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجهم منها بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين، وهذا خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين أنكروا هذا النوع من الشفاعة بناء على مذهبهم في صاحب الكبيرة أنه كافر فلا تنفعه شفاعة الشافعين، بل هو عندهم في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبد الآبدين .

وفي تقرير مذهب وعقيدة أهل السنة في هذه المسألة وبيان أصلهم الذي تميَّزوا به عن أهل البدع يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني:« ومن العقائد التي يجب الإيمان بها – أيضًا –: الإيمان بالشفاعة، وقد ورد في القرآن والسنة الحديث عن الشفاعة: الشفاعة المنفية التي لا يمكن أن تكون أو تقبل وهي الشفاعة في الكفار،

والشفاعة المثبتة للمؤمنين، كل ذلك جاء به القرآن وتحدثت عنه سنة رسول الله ﷺ بالأحاديث الصحيحة المتواترة.

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بشفاعة رسول الله ﷺ بل بشفاعة الأنبياء جميعًا وشفاعة المؤمنين وشفاعة العلماء وشفاعة الشهداء..الخ .

وهناك من الفرق الضالة من ينكر الشفاعة في الموحدين ويتعلق بنفي الله -تبارك وتعالى- الشفاعة التي تخص الكفار! كما في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وقوله:﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]، ويقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

هذه الشفاعة في الكفار لا تحصل أبدًا، ثم قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالشفاعة الأولى منفية تمامًا، والشفاعة الثانية تحصل بإذن الله وبأمره للمؤمنين الموحدين، ولا يستطيع أحد أن يقدم بين يديه ليشفع عنده من تلقاء نفسه؛ بل لا بدَّ فيها من الإذن؛ لا بد فيها من إذن للشافع والرضا عنه، ولا بد فيها من الرضا عن المشفوع فيه، ولا يرضى الله إلا عن الموحدين؛ فيقبل فيهم شفاعة الشافعين بعد الاستئذان.

ففي هذا السياق: ذكر الشفاعة المنفية عن الكافرين، وذكر الشفاعة الثابتة للمؤمنين،

ومع هذا يتعامى المعتزلة والخوارج ومن سار على نهجهم عن هذا البيان الواضح؛ في سياق واحد في سورة البقرة؛ آية الكرسي وما قبلها: ذكر شفاعتين؛ شفاعةً منفية إطلاقًا، وشفاعةً تحصل بعد إذن الله -تبارك وتعالى-، فيكابرون كما هو شأن أهل الباطل والعياذ بالله!

وتحدَّث الله عن الشفاعة في آيات أخرى أيضًا، منها قول الله -تبارك وتعالى- في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال في سورة النجم: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]، فهذه شفاعة مثبتة للمؤمنين لكنها مشروطة بالإذن؛ فالملائكة مع كثرتهم لا يشفعون إلا بعد إذن الله ﴿ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ ، وكذلك الأنبياء والصالحون من الصحابة وغيرهم؛ كلهم يشفعون بعد إذن الله -تبارك وتعالى-. . .

وردت آيات تنفي الشفاعة وهي في الكافرين، وآيات أخرى تثبت الشفاعة وهي في المؤمنين - كما ذكرنا لكم -، فيأتي المعتزلة والخوارج فيتعلقون بالآيات التي تقصد الكفار الذين لا تغفر ذنوبهم بحال من الأحوال، والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فهذه الآية نستفيد منها: أنّ الله يغفر لعباده المؤمنين أو عباده عمومًا ما عدا الشرك، فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا، مُوَحِّدًا لله -تبارك وتعالى-؛ فإنه لا بد أن يخرج من النار بإيمانه؛ إما برحمة أرحم الراحمين وإما بشفاعة الشافعين، لابد من هذا.

ووردت أحاديث في الشفاعة: مثل حديث أبي سعيد[٤٣٩]، وحديث أنس[٤٤٠]، وحديث أبي هريرة[٤٤١]، وفي هذه الأحاديث:« أن الله يخرج من النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ممن قال لا إله إلا الله[٤٤٢]»، ونستفيد منها: أنَّ من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا، يخرجه الله من النار ولو كان عنده أدنى مثقال ذرة من إيمان؛ ذلك أنَّ الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي فينقص وينقص إلى أن لا يبقى منه إلا مثقال ذرة فيخرج الله به أقوامًا من النار.

لكن لا ينبغي للمسلم أن يعتمد على الشفاعة ويتجرأ على المعاصي؛ فإن في ذلك خطرًا عظيمًا..

والرسولﷺ له شفاعات؛ لهﷺ الحظّ العظيم من هذه الشفاعات؛ شفاعات لا يشاركه فيها أحد، وهي:

١- الشفاعة العظمى..

٢- الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة..

٣- وشفاعة خاصة في عمِّه أبي طالب..

ثم بعد ذلك يشفع الرسولﷺ وغيره شفاعات أخرى، ومن هذه الشفاعات:

---

(٤٣٩) أخرجه أحمد (٣/ ٩٤) والبخاري [رقم (٧٤٣٩)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (١٨٣)، كتاب الإيمان].(ربيع).

(٤٤٠) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٤) والبخاري [رقم (٧٥١٠)، كتاب التوحيد] ومسلم [رقم (١٩٣)، كتاب الإيمان].(ربيع).

(٤٤١) سبق تخريجه.

(٤٤٢) كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه المشار إليه.(ربيع).

٤- الشفاعة في خروج عصاة الموحِّدين من النار؛ فيشفع رسول الله ويسجد تحت العرش فيؤذن له في أقوام يحدّهم الله له فيخرجهم من النار، ومنهم من عنده مثقال دينار من إيمان، ومنهم من عنده نصف مثقال دينار، ومنهم من عنده مثقال حبة شعير من إيمان، ومنهم من عنده مثقال ذرة إلى أدنى مثقال ذرة من إيمان، وكذلك حدد الله للمؤمنين الشافعين في أقوام منهم من يكون عنده مثقال دينار، مثقال ذرة، مثقال... الخ، يشفع فيهم الأنبياء ويشفع المؤمنون ويشفع الملائكة ثم يقول الله -تبارك وتعالى-: « شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ولم يَبْقَ إلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ »[٤٤٣].

هذه رحمة أرحم الراحمين؛ كل هذه الشفاعات ترجع إلى رحمته ﷻ « **الرحمن الرحيم** »[٤٤٤].

وقال حفظه الله:« ومن آيات القرآن التي تدل على الشفاعة للمؤمنين: فمنها: قوله تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فهناك إذن؛ يأذن لمن يشفع، فالشفاعة لا تقع إلا بإذنه، يشفع في من؟ يأذن لمن؟ وفيمن يشفع هذا المأذون له؟ يشفع في العاصي، هؤلاء العصاة .

---

(٤٤٣) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الشفاعة، سبق تخريجه. (ربيع) .

(٤٤٤) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٢/ ١٤٢- ١٥٢) .

ومنها: أحاديث الشفاعة، وهي متواترة ..أحاديث كثيرة جاءت بعقوبة هؤلاء العصاة وإدخالهم في النار وبالشفاعة فيهم حتى يخرجوا منها »[٤٤٥] .

وقال حفظه الله:« فهذه الشفاعة المأذون فيها في المؤمنين ثابتة بالكتاب وثابتة بالسنة المتواترة، فيشفع الرسول وغيره في رفع درجات المؤمنين وفي عدم إدخالهم النار وفي إخراجهم منها كما ذكرنا سلفًا وكما ورد في الأحاديث .

فهذه يؤمن بها أهل السنة، **وهي أصل من أصولهم، يخالفون في ذلك أهل الأهواء من الخوارج، والروافض، وأهل الباطل**، ويجب على المؤمن بذلك أن يؤمن ويصدق »[٤٤٦] .

---

(٤٤٥) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ١٨٧) .

(٤٤٦) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٤٠٢) .

المطلب الخامس

لا يشهدون لمعين بجنة ولا نار إلا من شهد له الشرع بذلك

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين أنهم لا يشهدون لأحد من أهل القبلة بجنة ولانار إلا من شهد له الشرع بذلك، لكنهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء .

وفي تقرير وبيان هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« **من عقائد أهل السنة**؛ أنهم لا يقطعون لأحد لا بجنة ولا بنار إلا من ورد فيهم النص، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: « لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ »(٤٤٧).

فأنت لا تدخل الجنة بعملك، وإنما أنت تتسبب بعد توفيق الله لك، والجنة إنما هي فضل منه على عباده ﷻ... .

فأهل السنة لا ينزلون أحدًا جنة ولا نارًا؛ لا نقول في الشخص المعيّن: والله فلان في النار أو فلان في الجنة إلا بنص من الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن هناك أقوالًا في هذه المسألة:

---

(٤٤٧) أخرجه البخاري [برقم (٥٦٧٣)، كتاب المرضى]، ومسلم [برقم (٢٨١٦)، كتاب صفة القيامة] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .(ربيع) .

فمنهم من يقول: لا نشهد إلا للأنبياء.

ومنهم من يقول: نشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة المبشرين بالجنة وكثابت بن قيس والجارية وعبد الله بن سلام وأهل الحديبية على العموم؛ أهل الحديبية شهد لهم رسول الله بالجنة وأنهم لا يدخلون النار، وأهل بدر إن شاء الله كذلك، بل الصحابة إن شاء الله يغلب على ظننا أنهم إلى الجنة رأسًا، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وغير الصحابة لا نشهد لأحد لا بجنة ولا بنار.

وهناك من يقول: نشهد لمن شهد له رسول الله -عليه الصلاة والسلام- ولمن شهد له المؤمنون؛ إذا أثنوا عليه خيرًا نشهد له بالجنة بدليل ما رواه أنس رضي الله عنه قال: « مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « وَجَبَتْ »، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: « وَجَبَتْ »، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه : مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: « هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ؛ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ »(٤٤٨)...

فيذهب بعض العلماء إلى تخصيص هذا بالرسول؛ لأن الله أطلعه على أن هذا في الجنة وهذا في النار.

---

(٤٤٨) أخرجه البخاري [برقم (١٣٦٧)، كتاب الجنائز] واللفظ له، ومسلم [برقم(٩٤٩)، كتاب الجنائز] من حديث أنس رضي الله عنه بن مالك .(ربيع) .

وبعضهم يخص الشهادة ويقصرها على الصحابة؛ لأنهم أتقى لله وأورع وأفقه وأعلم، ومنهم من يقول: لا؛ بل هي تتناول كل مؤمن تقي ثقة؛ يعني بعض الناس قد يشهدون بالزور، فإذا كان إنسان تقيًّا ثقة عدلًا، لا يزكي إلا من يستحق التزكية والثناء بالخير، وشهد أربعة أو ثلاثة أو اثنان - ممن حالهم كهذا - لإنسان بالخير؛ فإنه يُرجى له الجنة، وإذا شهدوا على إنسان بالفسق والفجور يُخاف عليه من النار. . .

فهذه الأشياء من طاعة وبر وإحسان وعبادة وإلى آخره وإن بذلها؛ لا نقطع له بجنة، كما إذا رأينا إنسانًا انهمك بالفسق والفجور فلا نشهد له بالنار؛ لأن هذه أمور مغيَّبة لا يعلمها إلا الله، والأعمال بالخواتيم وقد سبق لنا في هذا أحاديث:

منها قوله ﷺ: « فَوَ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا »(٤٤٩) .

ومنها قوله ﷺ: « مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٤٥٠).

---

(٤٤٩) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤٥٠) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) وأبو داود برقم (٣١١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٤٧٩).(ربيع) .

فالأعمال بالخواتيم؛ لذلك أنت لا تشهد لإنسان صالح بأنه من أهل الجنة مهما بلغ من الصلاح والبذل والجهاد وغيره؛ لا تشهد له بالجنة وإنما ترجو له، وإذا رأيت إنسانًا منهمكًا في الفسق فلا تشهد عليه بالنار أيضًا؛ لأن الله عز وجل قد يرحمه ويوفقه ويسدده فيموت على أفضل الأعمال فيدخل الجنة؛ لأن هذا أمر غيبي فلا تحكم على أحد بجنة ولا نار »(٤٥١) .

وقال حفظه الله في شرحه لعقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني:

« هؤلاء المنصوص على أعيانهم فنقطع لهم بالجنة، وباقي أصحاب النبيّ ﷺ قد وعدهم الله على وجه العموم بالجنة والرضوان عنهم؛ السابقون منهم ومن بعدهم ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠] .

وأما غير الصحابة؛ إن كانوا صالحين نرجو لهم الجنة، وإذا كانوا طالحين نخاف عليهم من النار...

وَقَدْ بَشَّرَ ﷺ عَشَرَةً مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدٌ وَسَعِيدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ » هؤلاء العشرة شهد لهم رسول الله ﷺ في سياق واحد أنهم من أهل الجنة(٤٥٢)، فنحن نؤمن

---

(٤٥١) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٥٦-٢٥٩) .

(٤٥٢) روى ذلك الإمام أحمد في المسند (١/ ١٩٣) والترمذي (٣٧٤٧) وابن حبان في صحيحه (٧٠٠٢) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «أبو بَكْرٍ في الْجَنَّةِ وَعُمَرُ في الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ في الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ في الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ في الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ في الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بن أبي وَقَّاصٍ في الْجَنَّةِ وَسَعِيدُ بن زَيْدِ بن عَمْرِو ابن نُفَيْلٍ في الْجَنَّةِ وأبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ في الْجَنَّةِ».

نؤمن أن هؤلاء العشرة من أهل الجنة، وكذلك شهد لثابت بن قيس بن شماس بالجنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ:« يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ أَشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »[٤٥٣]؛ لأنه ما يقصد الإساءة لرسول الله ﷺ، ثم هذا الأمر جاء منه قبل النهي، فغفر الله له، وأخبر الله رسوله أن هذا من أهل الجنة.

كذلك: « المرأة السوداء -التي كانت تقم المسجد وكانت تصرع- أتت النبي ﷺ قالت: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: « إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ؟» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، ثُمَّ قَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا »[٤٥٤]، فهذه أيضًا من المشهود لهم بالجنة.

وروى ذلك الإمام أحمد أيضًا في مسنده (١/ ١٨٧) وأبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨) وابن ماجه (١٣٣) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا أصح من الأول، ونقل عن البخاري أنه- أي حديث سعيد بن زيد- أصح من الحديث الأول، وصحح العلامة الألباني الحديثين معًا. انظر «صحيح الجامع» رقم (٥٠).(ربيع) .

(٤٥٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٤٥ و٢٨٧) ومسلم [برقم (١١٩)، كتاب الإيمان] من حديث أنس رضي الله عنه . (ربيع) .

(٤٥٤) أخرجه البخاري [برقم (٥٦٥٢)، كتاب المرضى] ومسلم [برقم (٢٥٧٦)، كتاب البر والصلة والآداب] من حديث ابن عباس رضي الله عنه . (ربيع) .

فهؤلاء نشهد لهم ونقطع لهم بأنهم من أهل الجنة، ومن عداهم نرجو للصالحين ونخاف على الطالحين، والوعد العام لأصحاب رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بالجنة: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] يعني: من آمن من قبل الفتح وقاتل ومن آمن بعدهم وقاتل؛ الكل موعودون من الله بالحسنى وهي الجنة، فنحن نؤمن إن شاء الله بأن لهم الجنة؛ على العموم، ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فنشهد لهم ولمن يتبعهم بإحسان على العموم وليس على التعيين »(٤٥٥) .

** فصل **

وبناء على هذا الأصل نهى السلف كذلك عن إطلاق القول: بأن فلانا شهيد، فلا يشهدون لمعين بأنه شهيد؛ إلا لمن شهد له الشرع بذلك؛ لأن الشهادة لمعين بأنه شهيد معناها الشهادة له بالجنة .

سئل العلامة المجاهد ربيع المدخلي سدده الله:« هل يجوز إطلاق على فلان شهيد؟

فأجاب:« بالجزم لا يجوز؛ لأن هذا كما قرأنا لا يقطع لأحد بجنة ولا نار، لأننا إذا قلنا شهيد قطعنا له بالجنة، فنحن لا نشهد لأحد بالجنة إلا لمن شهد له الله ورسوله، كالعشرة المبشرين بالجنة وكأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان...ومن

(٤٥٥) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٢٢٥-٢٢٧) .

عداهم نرجو لهم الجنة إن كانوا من الصالحين، ونخاف عليهم في نفس الوقت، ولا نقطع لهم بجنة ولانار، وإنما نرجو لهم .

لكن الغلاة يقولون: فلان شهيد، لمن؟ واحد رافضي مبتدع ضال يقولون: شهيد، وعلماء السنة عملاء جواسيس، والذي يموت منهم ما يقولون: شهيد »(٤٥٦) .

وقال حفظه الله:« الذي استقر عليه اعتقاد أهل السلف الصالح في هذه القضية أننا لا نقطع لأحد بجنة ولا نار، ولكن نرجو للمؤمن الجنة، والفاسق نخاف عليه من النار، ولا نجزم لذاك بالجنة ولا لهذا بالنار .

وأما القول: فلان شهيد فقرروا فيه أننا ما نقول: فلان شهيد؛ لأنه إذا كان الصحابة قالوا: فلان شهيد، قال في بعضهم:« كلَّا والله إن النار لتلتهمه لشملة غلَّها(٤٥٧) » .

وفي أحد شهدوا لرجل بأنه شهيد وأنكر عليهم رسول الله- عليه الصلاة والسلام- وقال:« إنه في النار (٤٥٨) » .

فهذا يدفعنا إلى ان نحتاط فنقول: نرجو له الشهادة، إذا كان قتل في سبيل الله، ونعرف أنه صادق في دينه نقول: نرجو له الشهادة، ولا نقول: فلان شهيد »٣٦٣.

---

(٤٥٦) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٤٥٠) .

(٤٥٧) أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .(ربيع) .

(٤٥٨) انظر صحيح البخاري (٢٨٩٨)، وصحيح مسلم(١١٢) . (ربيع) .

المبحث الثاني عشر

تحقيق الولاء والبراء

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين الحب في الله والبغض في الله، وهو ما يسمى بالولاء والبراء، أي: الولاء للمؤمنين كل بحسب إيمانه، و بغض الكافرين و البراءة منهم ومن عقائدهم الفاسدة .

وقبل نقل كلام العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله في تقرير هذا الأصل لا بأس أن ننقل كلامه في بيان معنى الولاء والبراء، وكيف للمؤمن أن يحققه، قال حفظه الله:« **نبذة عن الولاء والبراء في الإسلام:**

قال الله تعالى:﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ٢٨] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٤٥٩):

« نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعدهم على ذلك، فقال: ﴿ وَمَن

(٤٥٩) في تفسير هذه الآية(١/ ٣٧٥-ط. الحلبي) .

يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله في هذا؛ فقد برئ من الله .

كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤]

وقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١] .

وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الانفال: ٧٣] .

وقال أبو عبد الله القرطبي(٤٦٠):

(٤٦٠) في تفسير هذه الآية(٤/ ٥٧- ط. الحلبي) .

« قال ابن عباس: نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار فيتخذوهم أولياء، ومثله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، ومعنى: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: فليس من حزب الله، ولا من أوليائه في شيء ».

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله(٤٦١):

«ينهى الله تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة، كما نهى عنها في أولها، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ﴾ ؛ يعني: اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والإبعاد، فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة؛ أي: من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل ».

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي(٤٦٢):

« أي: يا أيها المؤمنون، إن كنتم مؤمنين بربكم ومتبعين لرضاه ومجانبين لسخطه؛ ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ﴾، وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع

---

(٤٦١) في تفسير هذه الآية(٤/ ٣٥٦).

(٤٦٢) في تفسير هذه الآية (١/ ٢٣٨-٢٣٩).

أصناف الكفار، ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾؛ أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تتولوهم فتوافقوهم على شرهم وشركهم، فتحرموا خير الآخرة كما حرموا».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله(٤٦٣): « هذا نهي من الله، وتحذير للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والله وليهم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ التولي ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: فهو برئ من الله، والله بريء منه؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾؛ أي: إلا أن تخافوا على أنفسكم في إبداء العداوة للكافرين؛ فلكم في هذا الحال الرخصة في المسالمة والمهادنة، لا في التولي الذي هو محبة القلب الذي تتبعه النصرة».

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(٤٦٣) في هذه الآية أيضاً(١/ ٢٣٨-٢٣٩).

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢] .

قال العلامة السعدي رحمه الله(٤٦٤):

« أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة؛ إلا كان عاملاً على مقتضى إيمانه ولوازمه من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه، وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان؛ أي: رسمه وثبته وغرسه غرساً لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه ولا الشكوك...»(٤٦٥) .

**** تنبيه ****

وننبه إلى أنه قد وقع من بعضهم خلط في مسألة الولاء للكافرين حيث إنهم جعلوا بعض الأشياء من موالاة الكافرين والأمر ليس كذلك، وفي بيان بعض ذلك يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله مجيبًا على سؤال هذا نصه:يرجى من الشيخ أن يبين لنا الفرق بين الموالاة المحرمة للكفار ومعاملتهم؟

---

(٤٦٤) في هذه الآية أيضاً(١/ ٢٣٨-٢٣٩) .

(٤٦٥) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٦/ ١٨٢-إلى-١٨٤) .

فأجاب:« الإسلام يجيز المعاملة مع الكفار مع بغضك لهم، الموالاة: حبهم .

الموالاة هي: المودة والمحبة والتناصر معهم، على الباطل تنصرهم، لكن إذا كان هذا الكافر تحت ذمتنا ويعتدي عليه المسلم يجب أن تنصره، ولو كان كافرًا، وهذا لا يعتبر من الموالاة، هذا من العدل الذي شرعه الله-تبارك وتعالى- ومن الوفاء بالذمم والعهود التي يتحتم على المسلمين إذا أبرموها مع الكفار أن يوفوا بها .

فالتجارة؛ الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي، وكانت المعاملات بين نصارى الشام والمجوس وبين المسلمين، يأتون إلى المدينة في عهد الرسول ﷺ، ولعلكم تقرءون آخر سورة الجمعة، وأن قافلة أقبلت من الشام بتجارة فانفض المسلمون ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة:١١] .

هذا سببه أن قافلة قدمت بتجارة من الشام فسمع الناس بقدوم هذه القافلة وهو في أول الإسلام فخرجوا، وبقي مع الرسول ﷺ عدد قليل، فكان هذا درسًا عظيمًا للصحابة والأمة بعدهم، واستمر هذا التعامل التجاري إلى أن مات الرسول ﷺ .

وفي أيام عمر تأتي التجارة من الكفار، ولما فتحوا الدنيا استمر هذا التعامل مع الكفار، فالتعامل مع الكفار بالبيع والشراء لا شيء فيه .

الحب والنصرة على الباطل هذه هي الممنوعة، هذه من الموالاة التي يحرمها الله(٤٦٦).

وفي تقرير أصل الولاء والبراء وبيان تمسك أهل السنة به وتحقيقهم له وأنه من أصولهم، يقول العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« وأحثُّ السلفيين على الحفاظ على هذا الأصل الذي إن ثبت حُمي الإسلام وإن انهار وسقط تضرّر الإسلام والمسلمون: « **مبدأ الولاء والبراء** » الذي نادى أهل الباطل بإسقاطه، واخترعوا لإسقاطه منهج الموازنات فأول سدٍّ ينهار هو سدّ الولاء والبراء الذي أرى فيه حماية لدين الله الحقّ لعقائده ومناهجه.

هذا أمر مهمّ يجب أن يهتمَّ به السلفيون، لأنَّ هذا السدّ لَمَّا انهار جاءت الدعوة لوحدة الأديان، لأنَّه انهار سدّ الولاء والبراء، وجاءت دعوة التقريب إلى الروافض. .

كلُّ هذا نتيجة لهدم أصل الولاء والبراء »(٤٦٧) .

وقال حفظه الله :« أهل الحديث الطائفة المنصورة؛ يدعون إلى الله وإلى كتابه وإلى سنة نبيه ﷺ وإلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان،

(٤٦٦) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٣٢١-٣٢٢) .

(٤٦٧) انظر: "المرجع السابق "(١٥/ ٢٦-٢٧) ..

ويوالون على ذلك ويعادون عليه، وهذا مبثوث في كتب تاريخهم وفي كتب العقائد يتداولونه جيلًا عن جيل؛ **هذا شيء مسلم له به ومفروغ منه** »[٤٦٨] .

وقال حفظه الله:« الشيخ ربيع **والسلفيون في السابق والحاضر لم ينصبوا شخصاً يدعون إلى طريقته بل هم متمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبمنهج السلف الصالح القائم عليهما على ذلك يوالون ويعادون وإليه يدعون** »[٤٦٩] .

** فصل **

فأهل السنة يوالون ويعادون في الله ومن أجل الله ودينه، بخلاف أهل البدع والأهواء فإنهم يوالون ويعادون من أجل زعمائهم، ومن أجل جماعاتهم، ومن أجل أفكارهم المنحرفة، لا من أجل الله ودينه، وهذا هو عين التحزب الذي نهى الله عنه .

قال العلامة ربيع المدخلي حفظه الله:« ما المانع من اتهام من يطعن في أعلام السنة في هذا العصر كما كان سلفنا يتهمون من يطعن في حماد بن سلمة وحماد بن زيد والأوزاعي وأمثالهم، ما المانع والعلة واحدة.

---

(٤٦٨) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٣١٤-٣١٥) .

(٤٦٩) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ٤٣٠-٤٣١) .

فإذا كان الأولون يتهمون لأنهم يطعنون في هؤلاء الأعلام من أجل أنَّهم متمسكون بالسنة.

فما المانع من إلحاق ورثتهم بهم، بل هؤلاء الخلوف أحق بالاتهام؛ لأنهم سلكوا كل الطرق الشيطانية واستخدموا كل ما يستطيعونه من وسائل النشر والإذاعة والإشاعة في تشويه أهل السنة وأعلامهم، **ثم إن هؤلاء الخلوف هم الذين جعلوا مقالاتهم الفاسدة وشيوخهم المنحرفين مواضع امتحان واختبار لأهل السنة، وعلى مقالاتهم الفاسدة وشيوخهم المنحرفين يوالون ويعادون** »[٤٧٠] .

** فصل **

وعقد الولاء والبراء على شخص معيَّن أو على فكرة معيَّنة يعتبر من التحزُّب المذموم، فقد سئل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله: ما معنى الحزبية؟ وما معنى أن فلانًا عنده حزبية؟ ومن هم الحزبيون؟ وما هي دعوتهم؟ وما هو منهجهم؟

فأجاب:« **التعصب لفكر معين يخالف كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ والموالاة والمعاداة عليه هذا تحزب، هذا التحزب ولو لم ينظم**، تبنى فكرًا منحرفًا وجمع عليه أناسًا هذا حزب، سواء نظمه أو لم ينظمه، **ما داموا يجتمعون لواحد يخالف الكتاب والسنة فهذا تحزب** .

---

(٤٧٠) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ٢٦٩) .

الكفار الذين كانوا يحاربون الرسول ﷺ ما كان عندهم التنظيم الموجود الآن، ومع ذلك أطلق الله عليهم أحزابًا، كيف؟

لأنهم تحزَّبوا للباطل، وحاربوا الحق: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥] .

سماهم أحزابًا، عملوا أحزابًا، جمعت قريش غطفان وقريضة وأصنافًا من القبائل، ماهم منظمين هذا التنظيم، تجمعوا فسماهم الله أحزابًا، وسميت السورة «سورة الأحزاب » هل الأحزاب منظمون؟ فليس من شرط الحزب أن يكون منظمًا، **إذا آمن بفكرة باطلة وخاصم من أجلها وجادل من أجلها ووالى وعادى من أجلها، هذا حزب**(٤٧١) .

---

(٤٧١) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢/ ٤٦٦): « وأما " رأس الحزب " فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، **وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله**؛ فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ،ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان » .

وقال رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ١٦٤):« وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي عليها ويعادي غير النبي ﷺ وما اجتمعت عليه الأمة، **بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة، يوالون علي ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون** ».

فإذا زاد ذلك تنظيمًا وجند الأموال وإلى آخره،-طبعًا- أمعن في الحزبية وصار من أحزاب الضلال، والعياذ بالله »(٤٧٢) .

وقال سدَّده الله:« شاع التفرق والتحزب في هذا العصر المليء بالفتن والمكتظ بالكوارث وهو أمر خطير على الأمة في دينها ودنياها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس، ويفعلوا مايلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾[المائدة: ٢].

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته على كل ما يريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه، بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا ولياً ومن خالفهم عدواً بغيضاً، بل عليهم وعلى

وقال رحمه الله في "منهاج السنة" (٥/ ٢٥٥):« وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم وإن كان جاهلا سيىء القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغة المغل هذا بال هذا باغي لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس..» .

(٤٧٢) انظر: "المرجع السابق "(١٤/ ٤٦١-٤٦٢) .

أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله، ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، ويرعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله، فإن كان أستاذ أحد مظلوماً نصره وإن كان ظالما لم يعاونه على الظلم بل يمنعه منه، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: « انصر أخاك ظالما أو مظلوما »(٤٧٣).

وهذا يكاد ينعدم الآن في الجماعات الإسلامية ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً على المنهج والطريق الجاهلي مع الأسف الشديد!» (٤٧٤) .

** فصل **

فمما سبق يتضح لنا أن من خالف أهل السنة في أصل الولاء والبراء، فإنه يعد حزبيًا مبتدعًا خارجًا عن السنة، وذلك كمن آمن بفكرة باطلة وخاصم من أجلها وجادل من أجلها ووالى وعادى من أجلها، أو نصب إنسانا يوالي ويعادي فيه ولو كان مبطلا منحرفًا، فإنه بهذا الصنيع يعتبر مفارقًا لجماعة أهل السنة، كما بين ذلك العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، حيث قال في سياق بيانه لضلالات الإخوان المسلمين: « فما في الأصول العشرين من الضلال المتعمد يخرجهم عن أهل السنة بمقتضى منهج أهل السنة وأصولهم .

---

(٤٧٣) البخاري (٢٤٤٤) .(ربيع) .

(٤٧٤) انظر: "المرجع السابق "(١/ ٤٣١-٤٣٢) .

وهم قد اتخذوها منهجاً وأفضلهم قد شرحها، والزنداني يتولاها ويشيد بها **ومخالفتهم في أصل الولاء والبراء يخرجهم عن أهل السنة** »(٤٧٥) .

وقال حفظه الله مبيِّنًا نظرة الإخوان المسلمين إلى العقيدة، ومنزلتها عندهم:« هذه العقائد ..تكون عنده مجرد نظرية ومجرد معرفة ولكنها أفكار لا قيمة لها عنده فلا **يحب أهلها ولا يواليهم بل يخاصمهم ويعاديهم ويتولى من انتظم في سلك الإخوان مهما فسدت عقيدته ومهما حارب أهل السنة وعقيدتهم، فمثل هذا لا يكون إلا مبتدعاً في ميزان أهل السنة،** بل من شر أهل البدع وأشدهم غدراً وخيانة للمنهج السلفي وأهله »(٤٧٦) .

(٤٧٥) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ٣٣٠) .

(٤٧٦) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ٣٣٣) .

الفصل الرابع

أصول ومميزات أهل السنة والجماعة في دعوتهم

وفيه تمهيد و أربعة مباحث:

المبحث الأول: التزام منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله .

المبحث الثاني: الدعوة إلى الكتاب والسنة وجمع الناس عليهما .

المبحث الثالث: اتباع السنة والجماعة والتحذير من الشذوذ والخلاف والفرقة

المبحث الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الخامس: الرد على المخالف .

تمهيد

«لا شك أن الدعوة إلى الله القائمة على البصيرة والعلم والمنطلِقة من الإخلاص لله رب العالمين والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، هي من أفضل ما وَرِثَهُ الدعاة إلى الله بحق عن أنبياء الله ورسله الكرام، الهداة الناصحين وقدوة الدعاة إلى الله الصادقين الذين لا غرض لهم من وراء دعوتهم إلا مرضاة ربهم وهداية عباده وإرشادهم إلى تحقيق الغاية الكبرى التي خلقهم الله تعالى من أجلها وسخر لهم ما في السموات والأرض عوناً لهم على القيام بهذه المهمة العظمى وحقوقها ومستلزماتها .

ولعل من متطلبات البحث التعريج إلى تعريف الدعوة إلى الله وأفضل تعريف لها في نظري ما قاله شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله وإن كان على غير طريقة المنطقيين ومن قلدهم .

الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت .

والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يَعبُد العبد ربه كأنه يراه فإن هذه الدرجات

الثلاث التي هي (الإسلام) و(الإيمان) و(الإحسان) داخلة في الدين، كما قال في الحديث الصحيح: « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم »(٤٧٧) بعد أن أجابه عن هذه الثلاث، فبين أنها كلها دين .

فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه، وأصل ذلك عبادته وحده لا شريك له، كما بعث الله بذلك رسله وأنزل به كتبه، قال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾[الشورى : ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾[الزخرف : ٤٥] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]،﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء : ٢٥] »(٤٧٨) .

ولعل من أحسن ما قيل في مكانة الدعاة إلى الله ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله(٤٧٩):

---

(٤٧٧) أخرجه مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه .

(٤٧٨) " مجموع الفتاوى " (١٥ / ١٦٠) .

(٤٧٩) في " بدائع التفسير" (٤/ ١٠٣) .

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت : ٣٣] .

فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أمتهم، والناس تبع لهم، والله سبحانه وتعالى قد أمر رسوله أن يُبلِّغ ما أنزل إليه وضمن له حفظه وعصمته من الناس .

وهكذا المبلِّغون عنه من أمته لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم له وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ ولو آية ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثاً . وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء و خلفاؤهم في أممهم جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه »(٤٨٠) .

(٤٨٠) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ حفظه الله" (١/ ٣٧٥-٣٧٦) .

المبحث الأول

التزام منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله

من أصول ومميِّزات أهل السنة والجماعة السلفيين في دعوتهم التزامهم بمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، ومن ذلك العناية بالتوحيد والعقيدة الصحيحة تَعلُّمًا وتَعلِيمًا ودعوة، والبدء بذلك في الدعوة تأسِّيًا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد كتب العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله ونصره كتابًا عظيمًا سمَّاه "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل" قرر فيه هذا الأصل السلفي، وأوضح فيه جزاه الله خيرًا منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وأن الأنبياء لم يختلفوا فيه بل اتفقوا عليه من أولهم إلى آخرهم، ومن ذلك افتتاح دعواتهم بالتوحيد، وتربية الأمم عليه، وبيَّن فيه أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واجهوا أنواعًا كثيرة من الفساد في ميادين شتَّى، في العقيدة، والسياسة، والحكم، والأخلاق، والمعاملة...و و... .

وكل هذه الميادين تحتاج إلى إصلاح، إلا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بدءوا بإصلاح الجانب العقائدي وتربية أممهم على التوحيد والعقائد الصحيحة، وتحذيرهم من الشرك ووسائله ومظاهره؛ لأن الشرائع لا تقوم إلا على العقائد

الصحيحة؛ فلو خلت تلك الشرائع من العقائد الصحيحة فسدت؛ لأنها أصلُها الذي تُبنى عليه، كما أن الشجرة إذا استُؤصِل ساقها هلكت وماتت .

فالعقائد الصحيحة بمنزلة الأساس للبناء، ولا قيام للبناء بدون أساس، كما أنه لا قيام للشجرة بدون ساق ولاحياة للجسد بدون روح .

كما بيَّن حفظه الله بأنه لا يجوز لأحد من الدعاة العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لأمور عدَّدها سيأتي ذكرها؛ منها أن ذلك يُعدُّ خرقًا لإجماعهم، ومناقضة لاتفاقهم وكفى بذلك بدعة وضلالة .

ثم بيَّن حفظه الله وغفر له: بأن كثيرًا من الدعوات الموجودة في ساحة الدعوة اليوم قد جهلوا أو تجاهلوا هذا المنهج الذي شرعه الله لأنبيائه من أولهم إلى آخرهم، وحادوا عنه وسلكوا غير سبيل الأنبياء واهتدوا بغير هديهم، فلا تجد فيهم من هو رافع رأسه بهذا المنهج الربَّاني إلا أهل السنة والجماعة وُرَّاث الأنبياء على الحقيقة الذين جعلوا منهج الأنبياء في الدعوة نصب أعينهم والتزموه؛ حتى صار ذلك من ميزاتهم التي تميَّزوا بها عن أهل الضلال، بل جعلوا ذلك من أصولهم التي لا يخالفهم فيها إلا أهل التَّحزُّب والبدع .

وإليك كلام العلامة ربيع المدخلي حفظه الله الذي قرَّر فيه ماسبق، من كتابه "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله" .

قال حفظه الله ونصره:« والآن نتساءل إذا كانت دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحمل في طيَّاتها كل خير، وتُحذِّر من كل شرّ، فما بالنا نرى فيما قص الله علينا في كتابه وفي دراستنا لسنَّة وسيرة نبينا محمد ﷺ أن دعواتهم إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه ووسائله قد أخذت مساحة كبيرة جداً من دعواتهم واستغرقت زمناً طويلاً من حياتهم حتى لكأنما كان هذا الجانب هو شغلهم الشاغل.

فأين مواقفهم من الحكام الطغاة المستبدين؟

والجواب: أن ما أنتجه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هو عين الحكمة والصواب، ومقتضى العقل السليم.

فليس في مشاكل البشر سياسيها واقتصاديها واجتماعيها من الخطر ما يساوي مشكلة الشرك ومضاره ولا يقاربها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء:٤٨] .

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة: ٧٢] .

﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾[الحج: ٣١] .

فالعقل والحكمة والفطرة تقتضي إذاً أن يبدأ بمحاربة خطر الشرك، وأن تستمر دعوات الأنبياء وأتباعهم على محاربته ما بقيت له بقية أو بقي له شكل أو مظهر.

فإذا أحاطت بأمة مشاكل عقائدية: شرك يُدمِّر عقيدتها، ومشاكل اقتصادية ومشاكل سياسية، فبأيِّها تبدأ المعالجة الحكيمة؟

أما الأنبياء فلم يبدءوا إلا بمعالجة مشكلة العقيدة بكل قوة، والبدء بمعالجة الأمر الأخطر أمر يتفق عليه كل عقلاء البشر، فمثلاً لو رأى عاقل ثعباناً ونملة يدُبَّان على إنسان، لأملى عليه عقله أن يبادر إلى دفع الثعبان أو قتله لشدة خطره على هذا الإنسان، ولا يمكن أن يلقي بالاً للنملة ولا لألف نملة.

ولو رأى عقلاء أسداً هصوراً وجماعة من الفئران تهجم عليهم لحملوا حملة واحدة لصد هجوم الأسد وتناسوا الفئران ولو كان معها جماعة أخرى من الضفادع.

ولو أن مسافرين انتهى بهم السير إلى طريقين لا خيار لهم من سلوك أحدهما:

الأول: فيه براكين تقذف بلهبها ونيرانها تلتهم أشجارها وأحجارها.

والثاني: فيه الأشواك والرمضاء وأشعة الشمس اللاهبة لما اختار عقلاؤهم إلا سلوك الطريق الثاني .

لنأخذ الآن أشد المفاسد – أعني المفاسد السياسية والاجتماعية والاقتصادية – وأشدها فساد الحكم لنوازنها بفساد العقيدة، فهل هما في ميزان الله وميزان الأنبياء سواء، أو أن أحدهما أشد خطراً وأدهى وأمرّ عاقبة؟!!

ففي ميزان الله وميزان أنبيائه أن أشدَّها خطراً وأجدر بالتركيز عليه على مرِّ الدُّهور والعصور وفي كل الرسالات إنما هو الشرك ومظاهره الذي لا يضاهيه فساد مهما عظم شأن هذا الفساد.

وبناء على هذا نعود فنقول: إنَّ بدءَ جميع الأنبياء بإصلاح الجانب العقدي ومحاربة الشرك ومظاهره هو مقتضى الحكمة والعقل وذلك للأمور الآتية:

أولاً: أن المفاسد المتعلقة بعقائد الناس من الشرك والخرافات وأنواع الضلال أخطر آلاف المرات من المفاسد المترتبة على فساد الحكم وغيره، فإن لم نقل هذا ونعتقده سفَّهنا من حيث لا نشعر جميع الأنبياء، ونعوذ بالله من الضلال.

إن هذه المفاسد تشمل الحاكم والمحكوم، فالحكام أنفسهم في كل زمان ومكان ـ إلا المؤمنين منهم ـ يخضعون للأصنام والأوثان والقبور ويقومون بتشييدها وحمايتها وعبادتها وتقديم القرابين لها، ويعتقدون أن لها سلطة غيبية قاهرة فوق سلطانهم المادي، فهي تضرهم وتنفعهم بذلك السلطان الغيبـي في زعمهم وبتلك القوة القاهرة الخفية أو على الأقل تشفع لهم عند الله في تحقيق مآربهم.

وأوضح مثال لخضوع الحكام للأوثان ذلك الطاغية المتأله فرعون ـ الذي قال متبجحاً: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، فقد حكى الله مقالة قومه له وهم يستثيرون فيه الحميَّة والغيرة لآلهته ومعبوداته فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] .

ألا ترى أكبر طاغية عرفته الأرض مع دعواه الربوبيَّة يخضع للأوثان ويتخذها آلهه.

وهذا النمرود: مَلِك الكلدانيين الذي ادَّعى الربوبيَّة يأمر بإحراق إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام أخذاً بثأر هذه الأصنام؛ لأنها آلهته، وهؤلاء ملوك الهند والفرس يعبدون الأوثان والنيران، وملوك الرومان في الماضي، وحكام أوربا وأمريكا في الحاضر يعبدون الصور والصلبان، وكم من حكام المسلمين في الماضي والحاضر مَن فتن بالأموات وشاد عليهم القبور وتعلق بها قلبه حباً ورجاءً وخوفاً وارتكبوا ما خشيه رسول الله على هذه الأمة وحذَّر منه.

ومن هنا يتضح لك جِدِّيَّة منهج الأنبياء وأحقِّيته، ويتضح لك أهمية مواقف الرسول الحاسمة من الأوثان والقبور كما يتضح لك حكمة إبراهيم وعمق فكره وبعد نظره حينما أطلقها صيحة مدوية تجلجل في الآفاق والأجيال:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٥ـ٣٦] .

فترى إبراهيم ـ وهو على غاية من الحق والصواب ـ يجأر إلى الله من مخاطر الأصنام ولا يجأر إليه من مخاطر الحكام على جسامة فسادهم وخطرهم.

وبعد هذا العرض الواضح لدعوات الأنبياء خصوصاً من نُصَّ عليهم في هذا العرض وبالأخصّ إبراهيم ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-.

فلنا أن نتساءل لماذا نرى دعوات الأنبياء تركِّز على الأصنام وما جرى مجراها، فيما نرى الدعوات الآن تركِّز على الحكام وتتلهَّى بقضايا الحكم الفرعيَّة عن قضايا العقيدة الجذريَّة الأساسيَّة.

فأيُّ الفريقين أقوم منهجاً وأهدى سبيلاً ؟

والجواب: إنَّ هذا سؤال صعب جداً نستغفر الله منه ألجأنا إليه هؤلاء الدعاة الذين نشأوا في هذه العصور المظلمة التي اشتدت فيها غربة الإسلام وتجارت فيها الأهواء بأصحابها كما يتجارى الكَلَب بصاحبه كما قال رسول الله ﷺ .

وإلاّ ففي الحقيقة لا تجوز المقارنة بين الفريقين ولا بين المنهجين.

ألم تر أنَّ السيف ينقص قدره إذا قيل إنَّ السيف أمضى من العصا

بل الأمر فوق ذلك بمراحل.

ثانياً: إن الله ما أرسل الرسل إلا ليعلِّموا الناس الخير وينذروهم بطش الله والشرّ.

قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأنعام:٤٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [الكهف: ٥٦] .

وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال رسول الله ﷺ: « ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين »(٤٨١).

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النحل: ٣٥] .

---

(٤٨١) أخرجه البخاري (٩٧) كتاب التوحيد، (٢٠)- باب قول النبي ﷺ: « لا شخص أغير من الله »، حديث (٧٤١٦)، ومسلم (٢/ ١١٣٦)، (١٩) - كتاب اللعان، حديث (١٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٤٨)، والدارمي (٢/ ٧٣)، (ربيع).

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[النور: ٥٤] .

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[العنكبوت: ١٨] .

وهذه مهمة الإنذار والتبشير والإبلاغ مهمة جليلة عظيمة نبيلة، يكفيها عظمة ونبلاً أنَّها مهمة الأنبياء وتتناسب مع مكانتهم الرفيعة فإنها أشق وأعظم ما يتحمَّله البشر وورثتهم من الدعاة الصادقين المخلصين السائرين في مناهجهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: « أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل »(٤٨٢) .

وقد ذكرنا سلفاً مدى ما يواجه الداعية إلى التوحيد من المشقة، وكيف لا يستطيع غيرهم أن يجول في هذا الميدان.

ثالثاً: أن الله سبحانه وتعالى، لم يكلفهم – ابتداء – كما في سيرهم وقصصهم بإقامة دول وإسقاط أخرى وذلك في غاية الحكمة، لأن الدعوة إلى إقامة دولة تلوح فيها المطامع لطلاب الدنيا وطلاب الجاه والمناصب وأصحاب الأغراض والأحقاد وأصحاب التطلعات والطموحات(٤٨٣) فما أسرع ما تستجيب هذه الأصناف للدعوة إلى قيام دولة يرون فيها تحقيق مآربهم وشهواتهم ومطامعهم.

---

(٤٨٢)– أخرجه الترمذي(٢/ ٦٤)، وابن ماجة(٢/ ١٣٣٤) حديث(٤٠٢٣)، (ربيع) .

(٤٨٣) كما حصل لكثير من الدعوات السياسية ومن آخرها دعوة الأخوان المسلمين حيث دخل فيها ما يسمى بالضباط الأحرار، وكثير من النفعيين، (ربيع) .

لمثل هذه الاعتبارات – والله أعلم – وغيرها مما يعلمه الله الخلاَّق العليم الحكيم ابتعدت دعوات الأنبياء ومناهجهم عن استخدام هذا الشعار البرَّاق الملوح أو المصرح بالأطماع والشهوات العاجلة وسلكت منهجاً حكيماً نزيهاً شريفاً ينطوي على الابتلاء والاختبار فيتبعهم ويؤمن بهم كل صادق مخلص متجرد من كل المطامع والأغراض الشخصية، لا يريد بإيمانه وتوحيده وطاعة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إلا الجنة ومرضاة ربه، ولا يخاف إلا من غضبه وأليم عقابه، ولهذا لا يتبعهم في الغالب إلا الفقراء والمساكين والضعفاء.

قال تعالى حكاية عن قوم نوح: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وقال عن قوم صالح: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

وجاء في أسئلة هرقل لأبي سفيان: « فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ ».

قال أبو سفيان: فقلت: بل ضعفاؤهم، ثم قال هرقل: « وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل » .

فالدعوة إلى إقامة دولة أسهل بكثير وكثير، والاستجابة لها أسرع؛ لأن أكثر الناس طلاب دنيا وأصحاب شهوات.

ولما ذكرنا من الأسباب والعقبات والصعاب في طريق دعوات الرسل نجد أنه لا يتبعهم إلا القليل، فنوح لبث ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعو إلى الله ومع ذلك ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « عُرضت عليَّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب »(٤٨٤)...» إلى أن قال:

«...عرفنا فيما مضى من منهج الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه، وأنَّه منهج قائم على العقل والحكمة والفطرة، وعرفنا أدلَّة ذلك جملة وتفصيلاً من نصوص الكتاب والسنَّة ومن الناحية العقليَّة.

(٤٨٤) أخرجه البخاري (٦٧) كتاب الطب، (٧١) باب من اكتوى أو كوى غيره، حديث (٥٧٠٥)، ومسلم (١) كتاب الإيمان، (٩٤) باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٣٧٤)، وأحمد في المسند (١/ ٢٧١)، (ربيع).

والآن نسأل: هل يجوز للدعاة إلى الله في أيِّ عصرٍ من العصور العدول عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله؟

الجواب: في ضوء ما سبق وما سيأتي، لا يجوز شرعاً ولا عقلاً العدول عن هذا المنهج واختيار سواه.

أولاً: أنَّ هذا هو الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أوَّلهم إلى آخرهم.

والله واضع هذا المنهج هو خالق الإنسان، والعالم بطبائع البشر وما يصلح أرواحهم وقلوبهم، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، وهو الحكيم العليم في خلقه وشرعه وقد شرع لأفضل خلقه هذا المنهج.

ثانياً: أنَّ الأنبياء قد التزموه وطبَّقوه، مما يدل دلالة واضحة أنَّه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم نجد:

١- نبيًّا افتتح دعوته بالتصوُّف.

٢- وآخر بالفلسفة والكلام .

٣- وآخرين بالسياسة.

بل وجدناهم يسلكون منهجاً واحداً واهتمامهم واحد بتوحيد الله أولاً في الدرجة الأولى.

ثالثًا: أنَّ الله قد أوجب على رسولنا الكريم الذي فرض الله علينا اتباعه أن يقتدي بهم، ويسلك منهجهم، فقال – بعد أن ذكر ثمانية عشر منهم–: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقد اقتدى بهداهم في البدء بالتوحيد، والاهتمام الشديد به .

رابعًا: ولما كانت دعوتهم في أكمل صورها تتمثل في دعوة إبراهيم –عليه الصلاة والسلام –، زاد الله الأمر تأكيداً، فأمر نبيَّنا محمداً ﷺ باتباع منهجه، فقال: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]، **والأمر باتباعه يشمل الأخذ بملَّته التي هي التوحيد ومحاربة الشرك ويشمل سلوك منهجه في البدء بالدعوة إلى التوحيد، وزاد الله تعالى الأمر تأكيداً – أيضاً– فأمر أمَّة محمد ﷺ باتباع ملة هذا النبي الحنيف، فقال تعالى:** ﴿ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

إذن: فالأمّة الإسلاميَّة مأمورة باتباع ملَّته، فكما لا يجوز مخالفة ملَّته، لا يجوز العدول عن منهجه في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره ووسائله.

خامساً: قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩].

فإذا رجعنا إلى القرآن أخبرنا أنَّ كل الرسل كانت عقيدتهم عقيدة التوحيد وأنَّ دعوتهم كانت تبدأ بالتوحيد، وأنَّ التوحيد أهم وأعظم ما جاءوا به.

ووجدنا أنَّ الله قد أمر نبينا باتباعهم وسلوك منهاجهم، وإذا رجعنا إلى الرسول نجد أنَّ دعوته من بدايتها إلى نهايتها كانت اهتماماً بالتوحيد ومحاربة للشرك ومظاهره وأسبابه وقد مرَّ بنا عرض شيء من هذا.

سادسًا: أنَّ الله قد خلق الكون ونظَّمه تنظيماً كونياً وشرعياً، فجعل للكون سنناً يسير في نطاقها لو اختلت هذه السنن الكونيَّة لفسد هذا الكون، فوضع للسموات والأرض والأفلاك والكواكب والشمس والقمر سنناً لو اختلت هذه السنن لانتهى وجود هذا الكون.

ومن سنن الله الكونيَّة أنَّ الحيوان من إنسان وغيره لا يعيش إلاَّ بروح وجسد، فلو فارقت الروح الجسد مات الجسد وفسد وأنتن ووجب أن يُوارى هذا الجسد حتى لا يؤذي الحيوانات بريحه ونتنه.

ومن سنن الله في عالم النبات أنَّ الشجرة لا تقوم وتحيا إلاَّ على ساق فإذا استُؤصِل ساقها ماتت الفروع.

وفي عالم الشرائع لا تقوم الشريعة إلا على عقيدة، فلو خلت تلك الشريعة من العقيدة، فسدت وما بقيت شريعة صحيحة.

فمثلاً شريعة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بقيت في الأمَّة العربيَّة دهوراً فلما أدخل عمرو بن لحي الخزاعي فيها الشرك أصبحت شريعة وثنيَّة، فسدت وتغيرت حقيقتها؛ لأنَّها فقدت عقيدة التوحيد التي قامت عليها والتي كانت أصلها الأصيل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجرّ قُصبهُ[٤٨٥] في النار، كان أوّل من سيَّب السوائب »[٤٨٦].

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون الخزاعي:

« رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجرُّ قُصبه في النَّار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا بك منه ».

فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟

---

(٤٨٥) قُصبه: أمعاءه، (ربيع).

(٤٨٦) أخرجه البخاري (٦٥) كتاب التفسير، باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، حديث (٤٦٢٣)، ومسلم، (١٠) كتاب الكسوف، حديث (٩)، و(٥١) كتاب الجنة، باب (١٣) حديث (٥١،٥٠)، وأحمد (٢/ ٢٥٧)، (ربيع).

قال: « لا؛ إنَّك مؤمن وهو كافر، إنَّه أوَّل من غيَّر دين إسماعيل؛ فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي »(٤٨٧).

فبعد إفساد عمرو بن لحي لعقيدة الشريعة التي جاء بها إبراهيم وتبعه إسماعيل صارت ديانة وثنيَّة، والعرب عُبَّاد أوثان، ولو بقوا مصرِّين على الانتماء إلى إبراهيم ودينه وشريعته، ولو بقوا يتمسكون ببقايا مما جاء به، كتعظيم البيت، والطواف به، والقيام بالحج والعمرة، والوقوف بعرفة والمزدلفة وهدي البدن، وغيرها من أنواع التقرب إلى الله تعالى.

وكذلك كانت رسالة موسى وعيسى رسالة توحيد وشريعة سماويَّة، فلما فقدتا عقيدة التوحيد بقول اليهود: « عزير ابن الله » وبقول النصارى:« المسيح ابن الله» صارتا ديانتين كافرتين، لا يجوز نسبتهما إلى الله ولا إلى هذين النبيين الكريمين.

قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ

(٤٨٧) " السيرة " لابن هشام (١/ ٧٦) قال: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم التيمي أنَّ أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ وذكر الحديث وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وبقية الإسناد ثقات فهو إسناد حسن على أقل تقدير،(ربيع) .

ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾[التوبة:٢٩-٣٠].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ:

« إذا كان يوم القيامة، أذَّن مؤذن: تتبع كلّ أمَّة ما كانت تعبد(٤٨٨)، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النَّار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغبرات(٤٨٩)أهل الكتاب فيدعى اليهود، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنَّا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربَّنا فاسقنا، فيشار: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النَّار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون.

---

(٤٨٨) هذا هو الشرك الذي قال الله فيه:﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ ،وهذا مصير أهله يوم القيامة من الوثنيين وأهل الكتاب « تتبع كل أمة ما كانت تعبد ...إلخ »، وفيه ردٌّ على المهوِّنين من هذا الشرك العظيم مع جهلهم بالتوحيد، حيث يقولون فيه: الشرك البدائي والشرك الساذج تهويناً لشأنه ولشأن دعوة الأنبياء ووراثهم، ويصفون صراعهم السياسي مع الحكام وما يتبعه من عادات وتقاليد بأنه الشرك الحضاري تضخيماً له ولدعوتهم، يوهمون النَّاس أنهم يواجهون مشكلات أكبر من المشكلات التي واجهها الأنبياء ووراثهم من المصلحين الذين ساروا على نهجهم في محاربة الشرك الأكبر وما يتبعه من الضلال، فلماذا لم يذكر رسول الله ﷺ مصير أهل الشرك الحضاري وأوثانهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾، فهل الشرك الحضاري يحتاج إلى نبوة جديدة تنبِّؤنا عن مصير أهله وأوثانهم من الموضات والتقاليد والعادات وأمثال ذلك، إننا لا نستهين بهذه الذنوب ولكنا نحارب الغلو الطاغي الذي فاق بكثير غلو الخوارج في السابق في نظرتهم إلى المعاصي (ربيع).

(٤٨٩) الغبرات: جمع غُبَّر النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٣٨)، وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٤٤٩): غُبَّر أهل الكتاب، بضم الغين المعجمة وتشديد الموحدة.

وفي رواية مسلم : وغَبَّر أهل الكتاب. كلاهما جمع غابر والغبرات: جمعه غبَّر وغبَّر جمع غابر ويجمع أيضاً على أغبار، وغبر الشيء بقيته. (ربيع) .

ثمَّ يدعى النصارى، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟، قالوا: كنَّا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ وفاجرٍ أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون؟

تتبع كل أمَّة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا النَّاس في الدنيا على أفقر ما كنَّا إليهم ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي نعبد، فيقول: أنا ربكم فيقولون: لا نشرك بربنا شيئاً مرتين »(٤٩٠).

والشاهد من الآيتين والحديث: أنَّ اليهود والنصارى أفسدوا رسالتي موسى وعيسى رسالتي التوحيد والإيمان، بعبادتهم لعُزيْر وعيسى وقولهم فيهما ما قالوا، فصاروا بذلك مشركين كافرين وتحولت تانكم الرسالتان بتصرفهم الخبيث وتحريفهم الدنيء إلى ديانتين وثنيتين كافرتين، لا يجوز نسبتهما إلى الله ولا إلى ذينك الرسولين الكريمين ولو بقي ما بقي من شرائع موسى وعيسى من دون تحريف.

ولقد اتضح للقارئ أنَّ عقيدة التوحيد بالنسبة لجميع شرائع الأنبياء بما فيهم خاتم الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- كالأساس للبناء؛ فلا قيام للبناء إلاَّ بالأساس، وكالأصل للشجرة فلا قيام ولا حياة للشجرة إلاَّ بأصلها، وكالروح للجسد، فلا

---

(٤٩٠) أخرجه البخاري، (٦٥) كتاب التفسير، سورة النساء(٨) باب: إن الله لا يظلم مثقال ذرة، حديث (٤٥٨١)، ومسلم، (١) كتاب الإيمان، (٨١) باب معرفة الرؤية، حديث (٣٠٢)، (ربيع).

قيام ولا حياة للجسد إلاَّ بالروح وبهذه المقاييس العقليَّة والشرعيَّة يجب أن يقيس العاقل الدعوات ليعرف منها ما هو على جادة الأنبياء وما هو بعيد عنها.

وأحب أن أزيد ثلاثة أمثلة نزداد بها فهمًا لسنن الله التشريعيَّة، وأن التنظيم والترتيب فيها أمر مقصود ويجب اتباعه ولا يجوز العدول عنه.

الأوَّل: الصلاة:

علَّمنا رسول الله ﷺ الصلاة تعليماً عمليّاً، وقال: « صلوا كما رأيتموني أصلي »(٤٩١).

فبدأ ﷺ بالقيام، ثمَّ بالتكبير، ثمَّ بالقراءة، ثمَّ الركوع، ثمَّ السجود، هذا نفعله في ركعة، ثم الثانية كذلك، ثم التشهد الأوّل، ثم التشهد الأخير، ثم السلام.

فلو قالت جماعة: الآن الأفضل في هذا العصر أو الواجب أن نبدأ بالسلام ونختم بالتكبير، أو نقدِّم السجود على الركوع أو نجعل التشهد بدل الفاتحة، والفاتحة مكان التشهد، فلو تمَّ لها هذا أو شيء منه فهل تكون هذه صلاة صحيحة وهل تكون إسلاميَّة؟!!

---

(٤٩١) أخرجه البخاري، (١٠)- كتاب الأذان، (١٨) باب أذان المسافر، حديث (٦٣١)، و(٧٨) كتاب الطب، (٢٧) باب :رحمة الناس والبهائم، حديث (٦٠٠٨)، و (٩٥) كتاب أخبار الآحاد، (١) باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، حديث (٧٢٤٦)، ومسلم، (٥) كتاب المساجد، (٥٣) باب من أحق بالإمامة، حديث (٢٩٢)، والنسائي (٢/ ٨)، والدارمي (١/ ٣٢٩)، حديث (١٢٥٦)، وأحمد (٣/ ٤٣٦)، كلهم من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه (ربيع).

الثاني: الحج: حج رسول الله ﷺ وعلَّم النَّاس مناسك الحج وقال: « خذوا عنِّي مناسككم »(٤٩٢) .

وجعل الوقوف بعرفة في مكان وزمن معيَّن هو اليوم التاسع، وجعل المبيت في مزدلفة في ليلة معيَّنة، وجعل يوم النحر وأيام التشريق ولياليه في مكان وزمن معيَّن، وجعل طواف الإفاضة في زمن معيَّن، وجعل للسعي مكاناً معيَّناً بين الصفا والمروة حدَّد بدايته ونهايته.

فلو أنَّ جماعة أرادوا أن يغيِّروا شيئاً من هذه المناسك عن زمانه أو مكانه، مثلاً قالوا: نريد أن يكون طواف الإفاضة في اليوم السابع وأن يكون بين الصفا والمروة، ونريد أن ننقل الوقوف بعرفة إلى اليوم الثامن أو العاشر إلى مزدلفة أو منى ونريد النحر بعرفات، أو نريد أن نقدِّم أو نؤخِّر في هذه المناسك حسب المصلحة وحسب ظروف الحجَّاج؛ أيكون هذا حجًّا إسلامياً أو يكون مسخاً وتشويهاً لهذا النسك؟!!

الثالث: وهو بيت القصيد: بدأ رسول الله ﷺ دعوته بالتوحيد وكذلك جميع الرسل وكان يوصي أمراءه ودعاته بالبدء بدعوة التوحيد، فمن ذلكم – من أمثلة كثيرة– قوله لمعاذ لما بعثه إلى اليمن:« إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك

(٤٩٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم »(٤٩٣).

ألا تراها دعوة منظمة وتشريعاً منظماً.

يبدأ بأصل الأصول ثمَّ يتدرج من الأهم إلى المهم فلماذا لا نفهم هذا التنظيم الدقيق؟ ولماذا لا نلتزمه؟ ولماذا نفهم أنَّه يجب علينا أن نلتزم سنَّة الله التشريعيّة وتنظيمه الدقيق في العبادات وجزئياتها، ولا نفهم سنَّة الله وتنظيمه وترتيبه الدقيق في ميدان الدعوة الذي تتابع فيه الأنبياء جميعاً على وتيرة واحدة.

ونستجيز مخالفة هذا المنهج العظيم الأصيل والعدول عنه؟!!

إنَّ هذا لأمر خطير، يجب أن يراجع فيه الدعاة عقولهم ويُغيِّروا مواقفهم.

هل استفادة الأمَّة الإسلاميَّة -وخصوصاً دعاتها- من هذا المنهج العظيم: منهج الأنبياء في الاهتمام بالتوحيد وجعله منطلقاً لدعواتهم؟!!

والجواب: أنَّ واقع الأمَّة الإسلاميَّة مؤلم ومرير، وإنَّ امرءاً لو مات كمداً أو أمَّة من هذا الواقع المؤلم المظلم لحق له ولها ذلك، كيف ذلك؟!!

---

(٤٩٣) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

إنَّ كثيراً من الأمَّة الإسلاميَّة - بما فيها دعاتها ومفكروها- قد جهلوا هذا المنهج وبعضهم يتجاهله، وحالت الشياطين بينهم وبينه واجتالتهم عنه، واتخذوا من المناهج المخالفة لمنهج الأنبياء ما أرداهم ودهاهم في دينهم ودنياهم »(٤٩٤) .

(٤٩٤) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(١/ ٣٠٦- إلى- ٣٢٧) .

المبحث الثاني

الدعوة إلى الكتاب والسنة وجمع الناس عليهما

من مميِّزات دعوة أهل السنة والجماعة السلفيين عن سائر الدعوات البدعية والحزبية أنَّها مبنية وقائمة على الكتاب والسنة، وهي كذلك دعوة إلى الكتاب والسنة، ولهذا كان من أعظم مقاصدها وأهدافها، الرجوع بالأمة إلى دين الله الحق المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السلف الصالح .

وفي تقرير هذه الميزة السلفية يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله:

« **أصل دعوة الأنبياء والمصلحين وأئمة السنة والجماعة: إنما هو الدعوة إلى الكتاب والسنة** »(٤٩٥) .

وقال عفا الله عنه في معرض ردِّه على المدعو: عبد الحفيظ ملك عبد الحق المكي الصوفي:« على أيِّ أساس تدعو إلى وحدة الصف؟

أعلى أساس التمسك بالكتاب بالسنة: عقيدة وعبادة وسياسة وأخلاقًا والدعوة إلى ذلك ووضع المناهج في المدارس والجامعات والتدريس في المساجد والكتابة في الصحف والمجلات وتسخير كل الوسائل الشرعية الممكنة لتحقيق هذه الغاية (وحدة الصف)؟!

---

(٤٩٥) انظر: " المرجع السابق "(٤/ ٧٦) .

إذا كان على هذا الأساس فهذا أمرٌ يدعو إليه السلفيون ويتعطَّشون لتحقيقه وهو أمر واجب لا عذر للمسلمين في التقصير فيه، والتباطؤ والتقاعس عنه، ونصوص القرآن والسنة الداعية إليه والحاثة بشدَّة عليه كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٥٣]، ففي هذين النصين أمرٌ للأمة جميعها أن تعتصم بحبل الله وهو الكتاب والسنة »(٤٩٦) .

وقال حفظه الله:« علماء المنهج السلفي.. من أشد الناس دعوة إلى التمسك بأدلة الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح »(٤٩٧) .

وقال حفظه الله:« يريدون أن يجمعوا الأُمَّة على الباطل، ويرون أنَّ هذا التجمع يكفي الأُمَّة، ويضمن لها عِزَّتَها وسعادتَها ونجاتَها في الدُّنيا والآخرة! **وليس والله هذا هو طريق الإصلاح، طريق الإصلاح الذي دعا إليه كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وسَلَفُنَا الصَّالح: هو أن نُثَبِّتَ النَّاس على كتاب ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ، ونُمَسِّكَهم بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله ﷺ**، ونبذل كلَّ ما نستطيع من جهد في

(٤٩٦) انظر: "المرجع السابق "(١١/ ٥٨١) .

(٤٩٧) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ٧٠) .

إنقاذ هذه الفِرَق الهالكة من ضلالها، ونحاول أن نعيدها إلى المنهج الحق وإلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم »(٤٩٨) .

** فصل **

وفيه بيان من العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بأن رجوع الناس وعودتهم إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وإلى ما كان عليه السلف الصالح واجتماعهم على ذلك الذي هو من أعظم مقاصد وأهداف الدعوة السلفية، هو السبيل الوحيد لعز المسلمين وقوتهم، وهو العلاج الصحيح لما حصل للأمة الإسلامية من الذُّلِّ والهوان الذي صيَّرها غثاء كغثاء السيل، ولهذا فقد فشلت كل العلاجات التي وُصفت للأمة من قبل الجماعات الحزبية لأنها لم تهتد إلى الدواء الناجع؛ بل مازادت الطين إلا بلَّة ومازادت الأمة إلا وهنًا إلى وهنها وما كان علاجهم إلا من باب: وداوني بالتي هي الداء، مع أن علاج هذه الأمة من جميع أسقامها قد وصفه لها طبيبها ونبيُّها ﷺ في غير ما حديث، ولم يلتفت إلى هذا العلاج النبوي من الجماعات إلا من كانت دعوتهم قائمة على كتاب الله وعلى سنة رسوله ﷺ و على ماكان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم وهم أهل السنة والجماعة .

وإليك كلام العلامة ربيع المدخلي حفظه الله الذي يعتبر من أحذق الأطباء في هذا الباب ومن أخبر العلماء بحال الأمة وواقعها وسُبل نجاتها مما هي فيه، حيث

---

(٤٩٨) انظر: "المرجع السابق "(١/ ١٥١) .

قال:« أحوال المسلمين تقلق النفس وتقطع النفوس حسرات؛ ذلك أن الأمراض قد فتكت بهم: العقدية، والمنهجية، والسياسية، وقل ماشئت من الأمراض، والعلاج بين أيديهم، لكنهم لا يريدون هذا العلاج إلا من شاء الله، ويذهبون يبحثون عن العلاجات من هنا وهناك .

والعلاج الصحيح الذي قدمه لهم رب العالمين قلَّ من يلتفت إليه مع الأسف الشديد، فالله وصف هذا القرآن بأنه شفاء:﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]،﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، هو شفاء لهذه الأمراض؛ إي والله .

والله لا علاج لهم ولا مخرج لهم مما هم فيه من ذلٍّ وهوان وغثائية إلا أن يرجعوا إلى هذا الكتاب؛ فيحكِّموه في عقائدهم، وفي عباداتهم، وفي مناهجهم، وفي سياساتهم، وفي كل شأن من شئونهم .

لا علاج لهم إلا هذا، ومع الأسف الأطباء الذين يقدمون العلاج مساكين يحيدون عن هذا العلاج ويذهبون إلى العلاجات المسمومة الفتَّاكة التي لا تزيدهم إلا بلاءً وذلًّا وهوانًا .

الرسول ﷺ تحدث عن هذه الأوضاع المتردية المنحطة التي ستنزل بالأمة، وفي نفس الوقت قدم لهم العلاج - عليه الصلاة والسلام -، وقعوا في الأمراض والأدواء والغثائية وقل من يريد العلاج .

وإذا صاح بهم من يريد لهم الخروج مما هم فيه من ذلٍّ وهوان وأمراض لا يسمعون له ولا يلتفتون إليه، بل يحاربونه مع الأسف الشديد... .

المسلمون جميعًا يجب أن يكونوا على عقيدة واحدة وعلى منهج واحد، ولا يتوفر ذلك إلا في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ و فيما كان عليه سلفنا الصالح الذين آمنوا بالله عز وجل وبكتابه ورسله وبكل قضايا الإيمان والإسلام وطبقوها في حياتهم، عقائد وعبادات وأعمال وسلوك وجهاد وإلى آخر شئون الحياة؛ « **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها** »(٤٩٩) .

وقال حفظه الله: « الصحيح ليس هو هذا العلاج السياسي الإخواني الذي طُرح منذ سبعين عامًا ليجمع الروافض والصوفية والنصارى وعلى مر الأيام لا تزيد مشاكل المسلمين إلا حدَّة وشدَّة ولا يزال الإخوان المسلمون يبتعدون عن الكتاب والسنة ومنهج السلف، ولاتزال دائرة منهجهم تتسع حتى أصبحوا دعاة إلى وحدة الأديان وعقدوا لها مؤتمرات في دولتهم، وبابهم مفتوح للتعاون مع

(٤٩٩) انظر: "المرجع السابق "(٤/ ٩٧-٩٨) .

الشيوعيين والعلمانيين والناصريين وغيرهم، وأمرهم معلوم للعقلاء البصراء، فهل أنت راض عن هذا المنهج وثماره وما أدى إليه؟

إنَّ الحلَّ الصحيح الذي يؤهل الأمة لرضا الله ودخول جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ويؤهلها للنصر على هذه القوى التي تستهدف الإسلام الذي جاء به محمدﷺ أن تعود الأمة إلى كتاب ربها وسنة نبيِّها وإلى ما كان عليه رسول اللهﷺ .

ولنضع نصب أعيننا نصوص الكتاب والسنة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو كتابه وسنة نبيِّهﷺ .

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]... .

ومن النصوص النبوية قولهﷺ: « إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر وتركتم الجهاد في سبيل الله سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم »(٠٠٠) أي الدين الذي رضيه الله الذي جاء به محمدﷺ .

لقد بيَّن رسول اللهﷺ الداء وأسبابه وقدم لنا العلاج، فإن كان هناك دعاة مخلصون فهذا هو العلاج الصحيح والطريق الوحيد لإزالة الذل ورفعه ودفعه .

---

(٠٠٠) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨، ٤٢، ٨٤)، و أبو داود: (٣٤٦٢)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (١/ ١٥) .

العلاج يا أخي هو الرجوع الصحيح الذي أراده الله وأراده الرسول في هذا التوجيه العظيم المنطلق من الوحي﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ .

لا علاج الإخوان المسلمين الذي تبيَّن ضلاله وخطؤه وفشله وسوء منقلبه .

انتبه أيها المسلم للحيل السياسية التي لا تزيد الأمة إلا خذلانًا وذلة تحت أقدام أعدائها، وكل هذا من ثمار البدع، وإذن فيجب أن يسبق الرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما والتجمع عليهما بصدق وإخلاص لا التجمع السياسي المغَفَّل والمستغفل الذي ظهرت ثماره الوخيمة »(٥٠١) .

** فصل **

ومن أسباب فشل الحلول والعلاجات السياسية لأمراض الامة الإسلامية، هو أن أصحابها لا يهتمون إلا بمجرد تجميع الناس ولو مع اختلاف عقائدهم ومناهجهم، وتنافر قلوبهم من غير تصفية ليتوصلوا بهم إلى الحكم، وبذلك صارت تجمعاتهم التي أقاموها على هذا الخليط من المناهج والعقائد صُورِية جوفاء لا معنى لها ولا قيمة، فلا هي نفعت الأمة ولا هي نكأت العدو ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧] .

---

(٥٠١) انظر: "المرجع السابق "(١١/ ٤٩٧-٤٩٨) .

وفي بيان ذلك يقول العلامة المحدث ربيع بن هادي المدخلي سدَّده الله:« لهذا يجب على كل من أدرك قيمة رسالة محمدﷺ التي جمعت القلوب والنفوس على الحق الخالص ورسخت فيها معاني الخير، ووفرت أسباب الودّ والإخاء في الله ولله وقضت على أسباب الفرقة والاختلاف وجعلت من أفراد الأمة لَبِنَات صالحة ثم قلعة حصينة يشدُّ بعضها بعضاً.

أما الدعوات إلى مجرد التجميع واللملمة على الدخل والدخن، والجمع بين المتناقضات من العقائد والمناهج، والمتنافرات من القلوب والمشاعر؛ فإن ذلك لا يحقق شيئاً يرضي الله ويرفع سخطه عمن خالفوا ما رضيه وشرعه من الدين، عقائد وأحكام ولن يتحقق للدعوات السياسية المستعجلة ما تخيله من قيام دولة قوية تواجه الأعداء من اليهود والنصارى والغزاة والمستعمرين وتقف في وجه الهزات والأعاصير، ثم في الوقت نفسه تكون هذه الجهود والمحاولات بعيدة كل البعد عن القيام بواجب النصيحة للأمة في دينها وعقائدها وعباداتها التي بلغت مبلغاً خطيراً من الفساد والحيدة عن صراط الله الحق .

فكيف يرضى ربنا عن تجمعات صورية جوفاء، على البدع والضلالات والخرافات وكيف يرضى عن دولة تقوم على المتنافر من العقائد والمسالك والمناهج وعلى الغرائب والعجائب من المتناقضات.

إن العقل والفطرة ليرفضان ذلك أشد الرفض فضلاً عن الشرع الذي لا يرضى ولا يقبل من أعمال العباد إلا ما كان خالصاً لله وإلا ما كان ملتزماً لما جاء به وحيه وأرسل به رسله وأنزل به كتبه﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف:١١٠]، فالخالص ما كان لله وأريد به وجهه والتجمعات السياسية على البدع والباطل في الغالب ما تقوم إلا على الأهواء والطموحات الشخصية إلى الكراسي والمناصب »(٥٠٢) .

(٥٠٢) انظر: "المرجع السابق "(١/ ٣٨٧-٣٨٨) .

المبحث الثالث

اتباع السنة والجماعة والتحذير من الشذوذ والخلاف والفرقة

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين الاجتماع في الدين وعدم التفرق فيه، وذلك باتباع السنة والجماعة، واجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة والتحذير من أسباب ذلك(٥٠٣) .

---

(٥٠٣) قال العلامة صالح آل الشيخ في شرح " العقيدة الطحاوية " (ص٤٨٦):« قال الطحاوي رحمه الله هنا:« وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ » .

هذه الجملة ذَكَرَهَا بعد الكلام على الخروج على الولاة أو قتل أحد من أمة محمد ﷺ لظهور معنى الجماعة في ذلك.

وكلُّ ما ذَكَرَه من أول العقيدة إلى آخرها -يعني فيما أجمع عليه أهل السنة والجماعة- داخِلٌ في هذه الجملة.

فكُلُّ مسائل العقائد التي قَرَّرَهَا أئمة الإسلام فإنها اتِّبَاعٌ للسنة وللجماعة، وكُلُّ مُخَالَفَةٌ لهذه العقائد التي دلَّ عليها الكتاب والسنة وقرَّرَهَا الأئمة فهي شذوذ وخِلافٌ وفُرْقَةٌ.

ولهذا هذه الجملة قاعدة عظيمة من قواعد العقائد بجميع تفاصيلها، كما سيأتي في بيان السنة والجماعة وبيان ما يُضاد ذلك إن شاء الله تعالى.

وهذا الاتِّبَاعْ الذي ذَكَرَهُ -اتِّبَاعْ السنة والجماعة واجتناب الشذوذ والخلاف والفرقة- هو منشأ السَّيْرْ على ما كانت عليه الجماعة الأولى؛ لأنَّ النبي ﷺ أوْرَثَ الجماعة الأولى -وهي جماعة الصحابة رِضوان الله عليهم- أورَثَهُمْ العلم النافع والعمل والهدى في أمور الدين كلِّه، في الأمور العلمية والأمور العملية.

فَأَجْمَعُوا على مسائل العلم والعقيدة والتوحيد، وعلى كثيرٍ من مسائل العمل، واختلفوا في بعض مسائل العمليات والفروع.

ثُمَّ صار سبيل المؤمنين الذي هو سبيل الجماعة الأولى، صار عَلَماً على اتِّبَاعِ النبي ﷺ وترك الأهواء، ثُمَّ تَبِعَهُمْ التابعون، ثم هكذا إلى زماننا؛ بل إلى أن يموت آخر المؤمنين.

وهذا الأصل من أهم الأصول التي يُقَرِّرُهَا أئمة الإسلام؛ لأنه أصل وما بعده فرع.

فالخلاف في توحيد العبادة، أو في طريقة إثبات الربوبية، أو في الأسماء والصفات، أو في الإيمان، أو في القَدَرْ، أو في الصحابة، أو في التعامل مع ولاة الأمور، أو في أي مسألة من المسائل التي تُذْكر، الخلاف في ذلك خِلافٌ للجماعة الأولى.

ولهذا قال من قال من أئمة الصحابة:« إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ».

(إذا فسدت الجماعة) يعني إذا صارت الجماعة في اختلاف، فإنَّ المصيب منهم من وافق الجماعة التي كانت مجتمعة، غير مختلفة.

يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله مقرِّرًا لهذا الأصل السلفي في سياق رده على الحزبي عبد الرحمن عبد الخالق:« **إن ابن تيمية وأئمة السلف جميعاً يدعون الأمة كلها إلى أن تكون جماعة واحدة ، لأن دينهم يدعوا إلى ذلك ويحرم التفرق والتحزب .**

ولهذا صار هذا الأصل عَلَمًا على أهل السنة والجماعة أتباع الصحابة والسلف الصالح، فَسُمُّوا أهل السنة والجماعة لهذا الأصل لأنهم يتَّبِعُونَ السنة والجماعة، ويأتي تفسير السنة وتفسير الجماعة.

وهذا الذي ذكروه هنا أخذوه من النصوص التي لا تُحْصَى في الكتاب والسنة في الأمر بالاجتماع نصاً أو معنى، وفي النهي عن الفرقة نصاً أو معنى.

فمن ذلك قول الله – عز وجل:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ومنه قوله – جل جلاله: ﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]، ومنه أيضاً قول الله – عز وجل – :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]...

ونحو ذلك من الآيات الصريحة في اتباع الجماعة والنهي عن الافتراق.

والسنة فيها من ذلك شيءٌ كثير:

كقوله ﷺ: « **وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة** » قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي الجماعة**»، وفي رواية قال: « **هي ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » .

ومنه أيضاً الأحاديث التي في خروج الخوارج وخلاف الخوارج للصحابة، وأمر النبي ﷺبقتلهم، فقال في وصفهم: «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم** » وذلك لمخالفتهم للسنة والجماعة.

كذلك قوله ﷺ في أهل الأهواء: « **يتجارى بهم الهوى كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يبقى منه مفصل أو عِرْقٌ إلا دخله**».

ومنه أيضا ما صحّ عنه ﷺ بقوله : « **الجماعة رحمة والفرقة عذاب** » .

ومنه أيضا قوله: « **من أتاكم وأمْرُكُمْ جميع يريد أن يشق عصاكم فاقتلوه كائناً من كان** » .

ومنه أيضا دعاء النبي ﷺ ألا يَجْعَلَ بأس هذه الأمة بعضها ببعض قال « **فمنعنيها** » . ونحو ذلك من الأدلة التي تدل على هذا الأصل العظيم.

فإذاً هذا الأصل الأدلة عليه في منزلة التواتر لكثرة ما دلَّ عليه؛ بل هو أظهر أصول الشريعة، فإنَّ الخلاف والفُرْقَةْ عمَّا كان عليه النبي ﷺ والجماعة الأولى هو حقيقَةً خلافٌ لرب العالمين واتّباع غير السبيل الذي يرضى عنه – جل جلاله –.

فإذاً هذا الأصل –كما ذكرنا في أول الكلام– ذَكَرَهُ الطحاوي؛ لأنَّ كل مسائل العقيدة يتفرع عنه » اهـ .

وهذا هو الذي وجده عبدالرحمن عبدالخالق في كتب ابن تيمية وابن عبدالوهاب ولن يجد غيره ولو أفنى حياته في البحث.

لم يستطع عبدالرحمن أن يجد في كتب ابن تيمية إلا أنه يدعو إلى جماعة واحدة هي جماعة الحق والائتلاف عليه والالتفاف حول الكتاب والسنة(٥٠٤) **، وهذا هو عين ما يدعوا إليه السلفيون اليوم وقبل اليوم** »(٥٠٥) .

وقال حفظه الله: « **والأمر الثاني** : فإنه كما تبين لي وكما سيظهر للقارىء ، فإنه(عبد الرحمن عبد الخالق) وإن سمى من يدافع عنهم جماعات فإن مقصوده بذلك الدفاع عن **فرق مزقتها الأهواء الحزبية السياسية والعقائد والمناهج البدعية .**

وهذا هو الذي يرى السلفيون أنه تفرق محرم، حرمه اللَّـه ورسوله ﷺ، وأطبق على تحريمه وذمه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الهدى إلى يومنا هذا »(٥٠٦) .

---

(٥٠٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية عن أهل السنة:« وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين.. ».
وقال أيضاً: « والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال : أهل السنة والجماعة، كما يقال : أهل البدعة والفرقة ....»" الاستقامة" (١/ ٤٢) .

(٥٠٥) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٧٢-٧٣) .

(٥٠٦) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٥٣) .

وقال حفظه الله: « كان الأولى بعبدالرحمن أن يدعو المسلمين إلى ما دعاهم إليه رب العالمين في كتابه ورسوله الأمين في سنته، **وعلماء الإسلام المخلصون في كل زمان ومكان في دعوتهم المسلمين أن يعتصموا بحبل اللَّـه جميعاً ولا يتفرقوا وأن لا يتنازعوا** فيصيبهم الفشل كما حصل كثيراً ويحصل ما داموا متفرقين شيعاً لا تجمعهم عقيدة صحيحة ولا منهج إسلامي صحيح .

وأن يدعوهم كما يدعو السلفيون الأمة إلى منهج واحد وعقيدة واحدة »(٥٠٧) .

و قال حفظه الله: « الإسلام بكتابه وسنته لا يجيز التفرق والتشتت والتنابز والتناحر والتهالك على المصالح والاستئثار بها، والتحزب لأجلها، **وعلماء الإسلام كانوا ولا يزالون يحرمون هذا اللون من التفرق والتحزب مهما لبس من أشكال وألوان**، ومهما ادعى من الانجازات؛ لأن ذلك على خلاف ما شرعه الله وأمر به من الاجتماع على الكتاب والسنة والاعتصام بهما عقيدةً وشريعةً ومنهجاً ومصادم لما نهى عنه اللَّـه ورسوله من الاختلاف وتفرق الأمة شيعاً وأحزاباً ، وتفريق الدين وتمزيقه إلى ملل ونحل »(٥٠٨) .

وقال حفظه الله:« نرى أنه لا يجوز هذا التفرق الذي حصل في الأمة إلى اثنتين وسبعين فرقة، وأنه حرام مصادم لنصوص كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ. . .

---

(٥٠٧) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٩٠) .

(٥٠٨) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ٩٤-٩٥) .

فنتبع السنة والجماعة ونكون مع جماعة المسلمين ولا نخرج على جماعة الإسلام، ولا نفارقهم بقول، ولا بعقيدة، ولا بعمل، لا نتعاطى الأسباب التي تؤدي إلى الفرقة، لكن مع الأسف كثير من الناس يقعون في الفرقة، ويسعون في تشتيت الأمة وفي تمزيقها مع الأسف الشديد، **لكن منهج أهل السنة والجماعة ضد هذه الأساليب كلها** »(٥٠٩) .

(٥٠٩) انظر: " قرة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرازيين " (ص١٥٧) .

المبحث الرابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قيام أهل السنة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المطلب الثاني: قيامهم بواجب النصح للمسلمين .

المطلب الأول

قيام أهل السنة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يعدُّ من ميزات هذه الأمة التي امتازت بها عن سائر الأمم، والتي فضَّلها الله بها على العالمين، وجعلها خير أمة أخرجت للناس .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله :« أرأيت لو أن المسلمين عملوا بهذا الحديث: « من رأى منكم منكرًا فليغيِّره..» (٥١٠) هل توجد هذه القبور المعبودة من دون الله، وهل ينعق بعض الناس بالزندقة والعلمانية علانية؟

ذلك راجع إلى ضعف المسلمين وإلى ترك هذا الأصل، رد البدع والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر واجب، ولما سكت الناس فسد كثير من الناس، وغزا الإلحاد والزندقة والعلمنة والقومية، كل ذلك من آثار السكوت، وعدم مقاومة الباطل و البدع، وإلا لو أن علماء المسلمين في العالم واجهوا هذه التيارات من بداية أمرها لما كان حال المسلمين هذه الحال الدنيئة تحت وطأة الذل في كل مكان... .

---

(٥١٠) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والأمر بالمعروف أمر عظيم ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ماحازوا هذه المرتبة إلا بهذه الميزة العظيمة .

ومن صفات المؤمنين: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:٧١]، هذه صفات المؤمنين »(٥١١) .

وقال حفظه الله وأعلى ذكره: في تقريظه (للمنظومات الحِسان) للشيخ زيد بن هادي المدخلي:« أُعجبتُ بما نَظَمَ فيها من دُررٍ، و أودعها من غُررٍ، و ما ضمَّنها من علمٍ و حكمٍ.. .

فذكر من مِيزات أولياء الله الصَّادقين: التَّمسُّك بالكتاب و السّنة و الأخلاق العالية، و العقائد الصَّحيحة و الدَّعوة إلى الله بإخلاصٍ، و الأمر بالمعروف و النَّهي عن المُنكر و الحبِّ في الله و البُغض فيه، إلى آخر صفاتهم الكريمة التي أوصلها إلى ستٍّ و ثلاثين صفة تُميِّزهم عن أعداء الله ».

وقال حفظه الله في سياق رده على الحزبي عبد الرحمن عبد الخالق:« يقول السلفيون: مرحباً بمنهج أهل السنة والجماعة الحقيقيين فإنهم لا يرضون به بديلا.

---

(٥١١) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١٤/ ٢٦٥-٢٦٦) .

فمن أصول هذا المنهج قوله ﷺ: « ما من نبي بعثه اللَّـه في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لايؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن »(٥١٢) .

وقول اللَّـه تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] . . .

والبدع ولا سيما الشركية والكفرية من هذا المنكر وإن كان السلفيون لا يكفرون إلا بعد قيام الحجة ، والمعروف يأتي على رأس قائمته التوحيد.

وتذكَّر ضرب عمر لصبيغ ونفيه له .

وبراءة ابن عمر من القدرية .

وقتل علي ومن معه من الصحابة للخوارج بأمر النبي ﷺ، وفي ذلك أحاديث كثيرة رواها الأئمة منهم البخاري ومسلم.

وتذكَّر موقف ابن مسعود وأبي موسى من أهل حلق الذكر والتسبيح بالحصى .

واقرأ كتاب « خلق أفعال العباد »للبخاري .

---

(٥١٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث(٨٠) (١/ ٦٩-٧٠)، (ربيع) .

وكتاب « السنة »لعبداللَّـه بن أحمد .

و« السنة »للخلال التي دون فيها أقوال أحمد وأقوال السلف .

واقرأ « الشريعة »للآجري و« شرح أصول السنة »للآلكائي و« الإبانتين »لابن بطة.

و«أصول الاعتقاد »لأبي حاتم وأبي زرعة و« التوحيد »لابن خزيمة و« مقدمة شرح السنة » للبغوي وغير ذلك كثير، واقرأ كتب ابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب من منطلق سلفي لا من منطلق سياسي ولا منطلق عاطفي، وستدرك أن السلفيين قد أخذوا بهذا المنهج السلفي السني الحقيقي، وأنهم على طريقة ابن تيمية وعلى طريقة أهل السنة الحقيقين »(٥١٣) .

** فصل **

وكمثال واقعي على قيام أهل السنة السلفيين بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثَّل العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب السلفية، وبيَّن بأنها قائمة على هذا الأصل العظيم .

فقال:« كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل اللَّـه لإعلاء كلمة اللَّـه في الأرض، وقد كان

(٥١٣) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ٧٥-٧٦) .

تلاميذه وأتباعه منذ وقته وإلى يومنا هذا وهم بحمد اللَّـه رؤوس الطائفة الظاهرة المنصورة، وهم القائمون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى توحيد اللَّـه وعبادته »(٥١٤) .

**** تنبيه ****

اشترط أهل السنة شروطًا في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستقيم هذا الباب إلا بها، كما أفاد ذلك العلامة ربيع المدخلي حفظه الله، من ذلك: أن لا يؤدي إنكار المنكر إلى ما هو أنكر منه، بل قد يجب التنازل عنه مراعاة للمصالح والمفاسد كما دلت على ذلك الأدلة الشرعية، فقال حفظه الله في سياق رده على الحزبي فالح الحربي:« إنَّ إنكار المنكر من أعظم الواجبات ومن أصول الدِّين، لكنَّه قد يجب التنازل عنه مراعاة للمصالح والمفاسد وهذا ما يراه علماء الإسلام ودلَّت عليه الشريعة وهذا ما يقرِّره شيخ الإسلام .

قال رحمه الله: « فينبغي للعالم أن يتدبر أنواع هذه المسائل وقد يكون الواجب في بعضها - كما بينته فيما تقدم -: العفو عند الأمر والنهي في بعض الأشياء، لا التحليل والإسقاط، مثل أن يكون في أمره بطاعة فعلا لمعصية أكبر منها فيترك الأمر بها دفعًا لوقوع تلك المعصية مثل أن ترفع مُذنبا إلى ذي سلطان ظالم فيعتدي عليه في العقوبة ما يكون أعظم ضررا من ذنبه، ومثل أن يكون في نهيه عن بعض المنكرات

(٥١٤) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ١٠٥) .

تركًا لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرات فيسكت عن النهي خوفًا أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر.

فالعالم تارة يأمر وتارة ينهى، وتارة يبيح وتارة يسكت عن الأمر، أو النهي، أو الإباحة، كالأمر بالصلاح الخالص أو الراجح، أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح -كما تقدم- بحسب الإمكان فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن: إما لجهله وإما لظلمه ولا يمكن إزالة جهله وظلمه فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه كما قيل: إن من المسائل مسائل جوابها السكوت كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر.

فالعالم في البيان والبلاغ كذلك، قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ تسليما إلى بيانها »[٥١٥] .

قلت(الشيخ ربيع): وهذا هو الفقه لدين الله فالعالم بدين الله تبارك وتعالى تارة يأمر بالمعروف إذا كانت مصلحة الكلام والأمر راجحة، وتارة يسكت ويتنازل عن واجب الأمر بالمعروف إذا كان الكلام يُؤدي إلى مفسدة راجحة، وهذه

---

[٥١٥] "المجموع" (٢٠/٥٨-٥٩) . (ربيع) .

الأمور لا يُدركها فالح ولا يعمل بها ويُنبَّه إلى متابعة العلماء في هذا الفقه فيرفض ويستهين بالعلماء ويتَّهمهم بالجهل والكتمان .

وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله : « فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها؛ فكل مسألة(٥١٦) خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل ».

ثم قال :« المثال الأول: أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره(٥١٧) وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله .

وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون

---

(٥١٦) أي: كمسائل فالح،(ربيع) .

(٥١٧) أي أنَّه يحرم إنكار المنكر إذا كان يُؤدي إلى مفسدة أعظم من المصلحة التي يُحققها وهذا أشدُّ من قولي :(يجوز التنازل عن الواجبات أحياناً) وهل فالح وحزبه يرون الآن أنَّه لا يجوز التنازل عن الخروج على الحكَّام لأنَّ الأمر بالمعروف من الواجبات التي لا يجوز التنازل عنها ؟!! (ربيع) .

الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم ؟ فقال:« لا ما أقاموا الصلاة » وقال:

« من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينـزعن يداً من طاعته »(٥١٨) .

ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولَّد ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه ذلك – مع قدرته عليه – خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في إنكار على الأمراء باليد ،لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه »(٥١٩) .

قلت(الشيخ ربيع): فهل كلامي الذي أقام عليه فالح الدنيا ولم يُقعدها يختلف في شيء عن كلام الإمام ابن القيِّم هذا ؟!

ثم قال ابن القيِّم رحمه الله:« فإنكار المنكر أربع درجات:

– الأولى: أن يزول، ويخلفه ضده .

– الثانية: أن يقل، وإن لم يزل بجملته .

---

(٥١٨) سبق تخريج الحديثين .

(٥١٩) "إعلام الموقعين " (٣/ ١٤-١٦) . (ربيع) .

- الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله .

- الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه .

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفُسَّاق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تُفرِّغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها وخِفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول:« مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم » (٥٢٠).

(٥٢٠) "إعلام الموقعين" (٣/ ١٦) . (ربيع) .

أقول : وَا أسفا أن يتصدَّر فالح ورويبضاته(٥٢١) للجرح والتعديل والتقعيد والتأصيل والتبديع والتضليل وللأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وهم من أبعد النَّاس عن العلم والبصيرة، ومن أجهل النَّاس بدرجات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فلا يُفرِّقون بين المشروع منها والمحرَّم(٥٢٢) فيتكلَّم أحدهم باسم الإسلام بغير علمٍ ولا بصيرةٍ فيكون ضرره عظيماً وشرُّه خطيراً .

وإنَّني لآمل في الدعاة إلى المنهج السَّلفي بعلم وبصيرة وحكمة أن يهتمُّوا بهذه الأصول التي قرَّرها الإسلام وقرَّرها علماء الإسلام ومنهم شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيِّم سكوتاً حينما يلزم السكوت، وكلاماً حينما يلزم الكلام مراعاةً منهم للمصالح والمفاسد على منهج العلماء الراسخين والأئمة المهديين .

وفَّق الله المسلمين وخاصَّةً السلفيين للنهوض بهذه الأصول العظيمة »(٥٢٣) .

---

(٥٢١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إنها ستأتي على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة** »، قيل: وما الرويبضة ؟قال :«**السفيه يتكلم في أمر العامة** » أخرجه أحمد (٢/ ٢٩١) ، (٢/ ٣٣٨) وابن ماجة من حديث أبي هريرة أيضاً في الفتن حديث(٤٠٣٦)، وفيه: « وما الرويبضة؟ قال: « **الرجل التافه في أمر العامة** ». وأخرجه أحمد (٣/ ٢٢٠) من حديث أنس، والحديث حسن عن أبي هريرة ويزداد قوة بحديث أنس راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم (١٨٨٧)، فهذه الصفات في هذا الحديث تصدق على الفئة الحدادية فهم يصدقون الكاذبين ويكذبون الصادقين ويأتمنون الخائنين ويخونون المؤتمنين وهم رويبضات فعلاً ، فيهم السفه ... الخ .(ربيع) .

(٥٢٢) انظر درجات الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في كلام ابن القيِّم رحمه الله الذي سبق .(ربيع) .

(٥٢٣) انظر: "المرجع السابق "(٤/ ٩٠-٩٤) .

وقال حفظه الله نقلا عن شيخ الإسلام(٥٢٤) أنه قال:

«.. والمقام الثاني: أن يفرق بين ما يفعل الإنسان، ويأمر به ويبيحه، وبين ما يسكت عن نهي غيره عنه وتحريمه عليه، فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريماً منه لم ينه عنه، ولم يبحه أيضاً .

ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه، ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف، لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات، وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب، وإذا كان قوم على بدعة أو فجور، ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه، ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه»(٥٢٥) .

---

(٥٢٤) من "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٤٧٠-٤٧٢) .(ربيع) .

(٥٢٥) انظر: "المرجع السابق"(٤/ ٩٠) .

المطلب الثاني

قيامهم بواجب النصح للمسلمين

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة السلفيين المتفرِّعة عن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قيامهم بواجب النصح للمسلمين أفرادًا وجماعات .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله ونصر به دينه:« والذي مهَّد للإلحاد هو البدع وسكوت الناس عنها إما مداهنة وإما خوفًا وجبنًا وإما وإما...إلى آخر ذلك، **هذا أصل عظيم يجب أن ينهض به المسلمون لأنه يدخل في النصيحة** « **الدين النصيحة** » هذا من أساليب القصر لبيان عظمة الدين، لعظمة النصيحة .

« الحج عرفة »(٥٢٦) أي: معظم الحج، النصيحة الدين، **الدين النصيحة؛ لأنها معظم الدين ولا يقوم الدين إلا بها**... ما يقوله أهل الأهواء عن أهل السنة أن شغلتهم الردود غير صحيح، بل هم مشتغلون بالعلم النافع، ثم يردون على أهل الأهواء والبدع عند الحاجة إلى ذلك، وهذا شرف لهم؛ **لأن هذا من باب النصيحة لله**

---

(٥٢٦) أخرجه أحمد(٤/ ٣٠٩)، وأبو داود في المناسك حديث (١٩٤٩)، والنسائي في المناسك حديث (٣٠٤٤)، والترمذي في الحج حديث (٨٨٩) كلهم من حديث عبد الرحمن بن يعمر، (ربيع) .

ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وسيرٌ منهم على طريقة السلف في حماية الدين»(٥٢٧) .

وقال حفظه الله وغفر له في رسالته التي بعث بها إلى أهل اليمن بخصوص فتنة أبي الحسن المأربي:«..أقول: وفقكم الله وجزاكم الله خيراً، **فسيروا على درب الحق والنصح، وهذا من ميزات أهل المنهج السلفي** »(٥٢٨) .

وقال حفظه الله:« كتب السلف مبثوثة منتشرة بين الناس، كأصول السنة للإمام أحمد ولابن أبي حاتم والسنة للخلال والشريعة للآجري والإبانة لابن بطة وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي والحجة للأصفهاني وكتب مقالات الفرق ومنها مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري والفصل في الملل والنحل لابن حزم وغير ما ذكرنا كثير، **وكلها تنطلق من النصح للأمة ولحمايتهم من غوائل أهل البدع** »(٥٢٩) .

وقال حفظه الله في سياق إزهاقه لأباطيل الحدادي عبد اللطيف باشميل:

« والـحـق : أنّ عبد اللّطيف هو الذي يفرح بأخطاء الألباني، ويشيعها بين النّاس، ويربطها بأهل المدينة ظلمـًا بقصد الإيقاع بهم.. .

---

(٥٢٧) انظر: "المرجع السابق"(١٤/ ٢٦٥-٢٦٦) .

(٥٢٨) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٥٣) .

(٥٢٩) انظر: "المرجع السابق"(١١/ ٤٨٩) .

ثانيـًا: نعم، ردَّ عليه(أي: على الشيخ الألباني) هؤلاء السَّلفيُّون الأفاضل الغيورون على الحقِّ، ولكن من أيِّ منطلق ؟:

هل هو من منطلق الحقد والعداوة والبغضاء، كما هو منهج الحدَّاد وعبد اللطيف، ومنهج البوطي، والسقَّاف، وأبي غُدَّة، والغُماري، وسعيد القنوبي الخارجي، وأحمد الخليلي ـ كذلك ـ، والحبشي؛ الذين يحاربون الألباني كما يحـــاربـون أئمّة السلف قبله: ابن تيميَّة، وابن عبد الوهَّاب؛ لتمسُّكهم بمنهج السَّلف، ودعوتهم إليه ؟ .

أو من منطلق النصيحة على أساس المنهج السلفي، الذي لا ينافي الأخوَّة والمحبَّة، كما هو واقع هؤلاء السلفيِّين الأفاضل »(٥٣٠) .

وقد كتب العلامة ربيع المدخلي حفظه الله رسالة قيمة بعنوان: **"النصيحة هي المسئولية المشتركة في العمل الدعوي"** .

ومما جاء فيها قوله:« للنصيحة مكانة عظيمة في الإسلام، النصيحة للمسلمين في عقيدتهم وعبادتهم في الدرجة الأولى، وفي دنياهم ومصالحهم وأمور معاشهم وفي كل شأن من شؤونهم، ذلك هو منهج الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قال رسول الله ﷺ: « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها

(٥٣٠) انظر: "المرجع السابق"(٩/ ٤٨٥) .

وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر »(٥٣١) .

هذه هي دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نهاية النصح والأمانة: الدلالة الكاملة على كل خير وفي مقدمته التوحيد والتحذير من كل شر وفي مقدمة ذلك الشرك .

لقد أخبر الله جل وعلا عن المسؤولية المشتركة في عملهم الدعوي أنها الدعوة إلى التوحيد وضد الشرك فقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]؛ فلما كذَّبهم من كذَّبهم وضلَّلهم وسفَّههم من أممهم قال أولهم نوح- عليه الصلاة والسلام-:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢] .

---

(٥٣١) أخرجه مسلم في الإمارة حديث (١٨٤٤)، (ربيع) .

وقال هود: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨] .

وقال صالح بعد أن أهلك الله قومه المكذِّبين: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وأخبر الله عن عدد من رسله في سورة الشعراء أن كل واحدٍ منهم قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٨، ١٦٢، ١٤٣، ١٢٥، ١٠٧] .

فتبليغ رسالة محمد ﷺ على وجهها بدءاً بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك يجب أن يكون سمة بارزة ودعامة مكينة وقاعدة صلبة للدعاة إلى الله، **وذلك هو مقتضى النصيحة والأمانة وبرهان الوراثة الصحيحة وصحة المنهج الذي يسيرون عليه.**

ولقد ركز رسول الله ﷺ على قضية النصيحة وذلك من البراهين على أهميتها في الدعوة إلى الله تعالى .

فعن تميم ابن أوس الداري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « الدين النصيحة –ثلاثاً– » قلنا لمن؟ قال: « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٥٣٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله

(٥٣٢) أخرجه مسلم حديث (٥٥) .

جميعا، ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاث: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال »(٥٣٣) .

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »(٥٣٤)، وعن زياد بن علاقة قال:« سمعت جرير بن عبد الله يقول يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فحمد الله و أثنى عليه، و قال: عليكم باتقاء الله و حده لا شريك له و الوقار و السكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن ثم قال: استعفوا لأميركم، فإنه كان يحب العفو ثم قال أما بعد: فإني أتيت النبي ﷺ قلت: أبايعك على الإسلام، فشرط عليَّ: « و النصح لكل مسلم » فبايعته على هذا ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ثم استغفر ونزل »(٥٣٥).

أورد البخاري هذين الحديثين في كتاب الإيمان باب: قول النبي ﷺ:« الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ».

و أورد مسلم أولهما في كتاب الإيمان –أيضاً– باب: بيان أن الدين النصيحة.

وهذا يدل على مكانة النصيحة عند الله وعند رسوله وأئمة الإسلام رحمهم الله تعالى...».

---

(٥٣٣) أخرجه مسلم حديث (١٧١٥) .

(٥٣٤) أخرجه البخاري في الإيمان حديث (٥٧)ومسلم في الإيمان حديث (٥٦)، (ربيع) .

(٥٣٥) أخرجه البخاري في الإيمان حديث (٥٧)ومسلم في الإيمان حديث (٥٦)، (ربيع) .

ثم بيَّن حفظه الله بعض مجالات النصيحة فقال:« أبرز مجالات النصيحة والأمانة أمران هما:

١- الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله كافة .

٢-الدعوة إلى اجتماع الأمة على أساس عقيدة التوحيد، وعلى أساس الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من هذه الأمة، والنهي عن الفرقة والتفرق، والتكاتف بين الدعاة للقضاء على أسبابه »(٥٣٦) .

** فصل **

للعلامة ربيع المدخلي حفظه الله تعالى جهودًا عظيمة في نُصح المسلمين أفرادًا وجماعات، حكامًا ومحكومين، سواء في دروسه ومحاضراته، أو في كتاباته، قيامًا منه بهذا الأصل السلفي والواجب العظيم، من ذلك:

- نصيحته بل نصائحه لأهل الجزائر حكامًا ومحكومين لا سيما زمن الفتنة .
- نصائحه لأهل اليمن .
- نصيحته لأهل الكويت .
- نصيحة لشباب الإمارات .
- نصيحة لشباب المغرب .

---

(٥٣٦) انظر: "المرجع السابق"(١/ ٣٧٧-٣٧٩) .

- نصيحة لمسلمي بريطانيا .
- نصيحة لمسلمي ألمانيا، وهكذا إيرلاندا وأندونيسيا وإيطاليا وأمريكا وقطر.
- ونصائح كثيرة للسلفيين في كل أنحاء العالم، ونصائح للمخالفين، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .
- وقد طبعت كثير من هذه النصائح في كتاب بعنوان: "اللباب من مجموع نصائح وتوجيهات الشيخ ربيع للشباب ".

و لا بأس بالمناسبة أن نُذَكِّر أنفسنا وإخواننا في هذا المقام بإحدى نصائح الشيخ المؤثرة والتي يتجلى فيها حب الخير وإرادته للمنصوح له، والتي بعنوان:

نصيحة وديّة من الشيخ ربيع بن هادي المدخلي إلى أبناء الأمة الإسلامية وحملة الدعوة السلفية:

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فإنا معشر أمة الإسلام قد ميَّزنا الله على سائر الأمم بأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، قال الله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

وقال رسول الله ﷺ: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »(٥٣٧).

وكلَّفنا ربنا أن نكون قوَّامين بالقسط، قال الله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

وأمرنا بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى ونهانا عن التَّعاون على الإثم والعدوان، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[المائدة: ٢] .

وأمر بالجهاد نشرًا للدين وذبًّا عنه؛ الجهاد بالسيف والسِّنان، وأمرنا بالجهاد بالبيان والحجة والبرهان وهو جهاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأمر بالصدق وتحرِّيه، ونهانا عن الكذب وتحريه قال النبي ﷺ: « عليكم بالصدق فإن الصِّدق يهدي إلى البرَّ وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصِّدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً .

وإيَّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يُكتب عند الله كذَّاباً »(٥٣٨) .

---

(٥٣٧) سبق تخريجه .

(٥٣٨) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وحذَّرنا من الظن الكاذب فقال ﷺ: « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » (٥٣٩)...

وقال رسول الله ﷺ: « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله: التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(٥٤٠) .

وأمرنا بالنصيحة قال رسول الله ﷺ: « الدين النصيحة فقلنا لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٥٤١).

وأمرنا بنصر المظلوم والظالم، فقال رسول الله ﷺ: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال تحجزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره »(٥٤٢) .

وأخبرنا أن الظلم ظلمات يوم القيامة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٤٠] .

---

(٥٣٩) أخرجه البخاري (٦٠٦٦) ومسلم (١٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥٤٠) أخرجه البخاري (٦٦٤) ومسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥٤١) سبق تخريجه .

(٥٤٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا »(٥٤٣) .

وحرَّم الغلوّ في الدِّين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ [النساء: ١٧١]، وقال النبي ﷺ:« إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم غلوهم في دينهم »(٥٤٤)، وقال الرسول ﷺ: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم .. »(٥٤٥) الحديث.

وحرَّم التعصب فقال رسول الله ﷺ: «.. ومن قُتل تحت راية عمية يدعو لعصبية أو ينصر عصبية، فقتلته جاهلية »(٥٤٦)..

هذه الأمور والمزايا العظيمة والمبادئ القويمة يجب أن تقوم بها هذه الأمة وأن ترعاها حق رعايتها أفراداً ومجتمعات وشعوباً وحكاماً، وخاصة العلماء وطلاب العلم، وبالأخص المنتسبون إلى السنة والجماعة.

وإن في تجاوزها أو تجاوز شيء منها فساد عظيم في الدنيا والدين يؤدي إلى طمس هذه المعالم العظيمة وفي ذلك شر خطير وفساد عظيم.

---

(٥٤٣) أخرجه ومسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه .

(٥٤٤) أخرجه النسائي (٥/ ٢٦٨) وابن ماجه (٣٠٢٩) وأحمد (١/ ٢١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في " صحيح ابن ماجة " .

(٥٤٥) رواه البخاري (٣٢٦١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥٤٦) أخرجه مسلم(١٤٧٨)) من حديث جندب رضي الله عنه .

ومما لا يشك فيه عاقل أنه قد حصلت تجاوزات عظيمة وظلم وخيم شديد لمن يقول كلمة الحق، فيرد ما معه من الحق مع تحقيره وإهانته، وهذا شيء بغيض منكر لو صدر من كافر فكيف من مسلم.

فعلى الأمة وخاصة شبابها الذين هم عمادها أن يحترموا الحق ويعظموه، وأن يحتقروا الباطل ويقمعوا أهله كائنين من كانوا، وبذلك يعزهم الله ويكرمهم ويعلي شأنهم ، وفي العكس بلاء وضلال وفتن وسخط من الله وعقوبات في الدنيا والآخرة، ومن هذه العقوبات تسليط الأعداء عليهم حتى يرجعوا إلى دينهم الحق، ويلتزموا به حق الالتزام وفق الله الجميع لما يرضيه.

كتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته

ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ١٦ صفر ١٤٢٢هـ .

المبحث الخامس

الرد على المخالف

وفيه تمهيد و خمسة مطالب:

المطلب الأول: الرد على أهل البدع ونقد الأخطاء .

المطلب الثاني: التحذير من أهل البدع ونقد أباطيلهم من غير موازنة بين حسناتهم وسيئاتهم، ومن غير حمل المجمل من كلامهم على المفصل والمبين .

المطلب الثالث: منهج النقد عند أهل السنة قائم على العدل والإنصاف .

المطلب الرابع: أخذ الناس بظواهر أقوالهم وأعمالهم .

المطلب الخامس: قبول خبر الثقة وبناء الأحكام عليه .

تمهيد

إنَّ الصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال قديم وموغل في القدم ومستمر لا ينقطع إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة، ولقد اشتدَّ الصراع بين أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام وبين قومه الكافرين على امتداد ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم عليه الصلاة والسلام ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً دون كلل ولا ملل ويقيم عليهم الحجج والبراهين الدامغة التي تبين الحق وتدحض الباطل والضلال حتى قال الكافرون بعد أن بلغوا نهاية الاستكبار والعناد والإصرار على الكفر والشرك: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود: ٣٢].

وهكذا يستمر هذا الصراع بين أهل الحق والباطل وأهل الإيمان والكفر.

فهذا إبراهيم يجادل قومه ويقيم عليهم الحجج الدامغة والبراهين القاطعة، يحاج أباه ويحاج قومه ويحاج رأس الكفر والباطل ملك الكفر المتألِّه.

وهكذا موسى مع فرعون وقومه، يدعو فرعون وقومه إلى الحق ويقيم عليهم الحجج والبراهين العقلية والشرعية ويدعمها بالآيات الكونية .

ويأتي خاتم الرسل محمد ﷺ يدعو قومه العرب إلى الحق ويقيم عليهم الحجج الناصعة، والبراهين القاطعة، ويدمغ أباطيلهم ويرد شبههم، وهكذا واجه أهل

الكتاب من يهود ونصارى مدعماً حججه وبراهينه العقلية والشرعية بالآيات الكونية الكبيرة الكثيرة.

والقرآن والسنة مليئان بهذه الحجج، فمن تلك الحجج التي تبين الحق وتدحض الباطل:

١- قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٢-٣٣] .

أ- قال الحافظ ابن كثير:« يقول تعالى مخبراً عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم حيث قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه: ﴿ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ كما نزلت الكتب قبله كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية، فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل مُنَجَّمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كما قال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء:١٠٦]، ولهذا قال: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان:٣٢-٣٣] .

قال قتادة:« وبيَّنَّاه تبييناً، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وفسرناه تفسيراً ».

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بحجة وشبهة ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ أي: بما يتلمسون به عيب القرآن والرسول: ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ إلا نزل جبريل من الله بجوابهم(٥٤٧)، ثم في هذا اعتناء كبير لشرف الرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحاً ومساء ليلا ونهاراً سفراً وحضرًا »(٥٤٨).

ب - وقال الإمام السعدي: « ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعاً للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاضه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظاً وأحسن تفسيراً مبين للمعاني بياناً تاماً »(٥٤٩).

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:٥٥].

---

(٥٤٧) أي أنه لا يترك لهم شبهة إلا دمغها بالحق حتى يكون المؤمنون على بصيرة من أمرهم ودينهم.(ربيع).

(٥٤٨) " تفسير ابن كثير " (٦/ ١١٧-١١٨)، (ربيع).

(٥٤٩) " تفسير السعدي " (ص:٥٧٢)، (ربيع).

ا- قال الإمام ابن جرير:«﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾، يعني تعالى ذكره بقوله:﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾، وكما فصلنا لك في هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها، يا محمد إلى هذا الموضع، حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا وميَّزناها لك وبيَّنَّاها كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل(٥٥٠) من سائر أهل الملل غيرهم فنبينها لك حتى يبين حقه من باطله وصحيحه من سقيمه »(٥٥١).

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ وكأن معنى الكلام عندهم وكذلك نفصل الآيات ولتتضح لك وللمؤمنين طريقُ المجرمين »

وقال أيضاً:« لأن الله -تعالى ذكره- فصل آياته في كتابه وتنزيله ليتبين الحقَّ بها من الباطل جميعُ مَن خوطب بها لا بعضٌ دون بعض » .

ب- وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية:« يقول تعالى وكما بينا ما تقدم بيانه من الحجج والدلائل على طريق الهداية والرشاد وذم المجادلة والعناد﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ أي: التي يحتاج المخاطبون إلى بيانها ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ

(٥٥٠) انظر إلى قوله:« كل حق ينكره أهل الباطل» يعني أن القرآن يدحضه بحججه وبراهينه وهذا ما يفهمه علماء الاسلام ويسيرون عليه في مواجهة الضلالات والانحرافات فلا يدعون باطلا ولا خطأ ينسب للإسلام إلا تصدوا له وفندوه بالحجج والبراهين حتى يبقى الإسلام خالصاً نقياً من كل شائبة، (ربيع).

(٥٥١) " تفسير ابن جرير " (١١/ ٣٩٤-٣٩٥) . (ربيع).

ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾أي: ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل وقرئ:﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: ولتستبين يا محمد أو يا مخاطب سبيل المجرمين »(٥٥٢) .

وفي الآية أن تبين سبيل المجرمين غاية كبيرة من غايات القرآن لأن في خفائها ضرراً على الناس في دينهم وعقولهم.

والله سبحانه أثنى على هذه الأمة وميَّزها على سائر الأمم لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

وذم الذين كفروا من بني إسرائيل ولعنهم لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه قال الله تعالى:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[المائدة:٧٨-٧٩] .

فهذه شذرات من نصوص القرآن ومن كلام أئمة التفسير

أما السنة فقد كان رسول الله ﷺ يرد الأخطاء خطأ خطأ، والشبهات شبهة شبهة ويقيم الحدود، ومن تكرر منه ما يوجب إقامة الحد فقد كرَّر عليه الحد جلداً أو

(٥٥٢) " تفسير ابن كثير " (٣/ ٢٥٨)، (ربيع) .

قطعاً، وكان لا يقرُّ على باطل أبداً ﷺ وهذا كله إلى جانب بيان القرآن للحق بالتفصيل ودحضه للشبه والباطل بالتفصيل.

وكان مع هذا يجند الشعراء لنصرة الحق والذَّود عن حياضه ودحض الباطل، بل والطعن القاتل للأعداء.

فعن الزهري قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول:« يا حسان أجب عن رسول ﷺ »قال أبو هريرة:« نعم »(٥٥٣) .

وعن عدي بن ثابت قال سمعت البراء بن عازب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت:« أهجهم أو هاجهم وجبريل معك »(٥٥٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:« اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل »، في حديث طويل عنها فيه أنه دعا عبد الله بن رواحة ثم كعب بن مالك ثم حسَّانًا رضي الله عنهم، فقال من الشعر ما أرضى رسول الله ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول:« هجاهم حسان فشفى واشتفى »(٥٥٥).

---

(٥٥٣) صحيح مسلم (٢٤٥٨)، (ربيع) .

(٥٥٤) صحيح مسلم (٢٤٨٦)، (ربيع) .

(٥٥٥) صحيح مسلم (٢٩٤٠)، (ربيع) .

وروى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من طريق شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت قيس بن أبي حازم يحدث عن أبي بكر الصديق أنه خطب فقال:« يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعُمَّهم الله بعقاب »(٥٥٦) .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو

(٥٥٦) المسند (١/ ٢٢١) حديث (٥٣) وأخرجه المروزي في مسند الصديق (٨٦-٨٩)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ١١٨-١٢٠)، حديث (١٢٨-١٣٢)، كلاهما من طرق إلى إسماعيل بن أبي خالد به، وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الصحيحين.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه ((١/ ٥٣٩-٥٤٠)، حديث (٣٠٤-٣٠٥) تحت عنوان :" ذكر بيان بأن المنكر والظلم إذا ظهر كان على من يعلم تغييرهما حذر عموم العقوبة"، وتحت عنوان آخر هو :" ذكر بيان بأن المتأول للآي قد يخطئ في تأويله وإن كان من أهل الفضل والعلم"، وأخرجه ابن ماجة في الفتن حديث (٤٠٠٥) تحت عنوان:" باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "، بلفظ أحمد ومن ذكر معه.

وأخرجه أبو داود في الملاحم حديث(٣٤٤٨) والترمذي في الفتن حديث (٢٢٥٧) تحت عنوان:" باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر"، وقال الترمذي عقب رواية هذا الحديث:"وفي الباب عن عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمر وحديفة"، وفي لفظ أبي داود والترمذي :" إذا رأو الظالم " ولا تعارض بين اللفظين»، (ربيع) .

أنا خرقنا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »(٥٥٧) .

أخرجه البخاري في الشهادات بهذا اللفظ، وساقه في الشركات بلفظ:« مثل المداهن في حدود الله والواقع فيها ..» الحديث.

وساقه الترمذي بلفظ:« مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها..»، وقال حديث حسن صحيح »(٥٥٨) .

(٥٥٧) أخرجه البخاري في الشركة، حديث (٢٤٩٣) وفي الشهادات، حديث (٢٦٨٦)، وأخرجه الترميذي في كتاب الفتن حديث(٢١٧٣).(ربيع) .

(٥٥٨) انظر: "المرجع السابق "(٤/ ١٦٢-إلى-١٧٠) .

المطلب الأول

الرد على أهل البدع ونقد الأخطاء

من أصول ومميزات أهل السنة والجماعة الرد على المخالفين ونقد أخطائهم، سواء كانوا من الكفار والزنادقة والملحدين، أو من المبتدعة والحزبيين، واعتبارهم ذلك من الجهاد في سبيل الله قيامًا منهم بأمر الله، ودفاعًا عن دينه وذبًّا عن شريعته، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ويردون كيد الكائدين، لا يثنيهم عن ذلك شيء، ولا تأخذهم في الله لومة لائم .

وفي تقرير هذه الأصل السلفي والميزة السنية يقول العلامة المجاهد حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله ورعاه في نقده لرسالة إبراهيم الرحيلي التي سماها "النصيحة":« قولكم عن الرد على المخالف إنه من الأصول المقررة عند أهل السنة وهو من أعظم الجهاد حق .

أقول: وكثير من المنتسبين إلى السنة **لا يعترفون بهذا الأصل**، ولا يرونه من الجهاد..» (٥٥٩) .

وقال حفظه الله:« يجب على الأمة أن تضرب بيد من حديد على أهل البدع، وأهل الفجور، الذين تُؤدِّي ضلالاتهم وفجورهم إلى إهلاك الأمة في دينها ودنياها.

---

(٥٥٩) انظر: رسالة الشيخ "بيان ما في نصيحة إبراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال" (ص٤٤) .

ولقد اعتبر الرسول ﷺ الأمر بالمعروف جهاداً، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(٥٦٠) ، ومن هنا قال الإمام يحيى بن يحيى:« **الذبُّ عن السنة أفضل من الضرب بالسيوف** »، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:« **الراد على أهل البدع مجاهد** ».

ولما وقع الضلال كما أخبر النبي ﷺ بمثل قوله:« افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة »، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال:«الجماعة »، وفي رواية من روايات هذا الحديث:« من كان على ما أنا عليه وأصحابي »(٥٦١).

(٥٦٠) صحيح مسلم(ص:٨٠)، (ربيع) .

(٥٦١) سبق تخريجه .

ومثل قوله:« لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه »، قيل: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال:« نعم »(٥٦٢).

تصدى لهذه الطوائف أفراداً وجماعات أئمة الهدى وأعلام الدجى من صفوة هذه الأمة، فردُّوا أباطيلهم وضلالاتهم فما جاؤا بضلالة ولا شبهة إلا دحضوها وبيَّنوا زيفها وبيَّنوا الحق بياناً واضحاً تأسياً بالقرآن والسنة في تزييف الباطل وإزهاقه وإظهار الحق.

وقد دُوِّنت أعمالهم وجهادهم في إنكار المخالفات، وبيان حال أهلها وبيان بُعْدِ هذه المخالفات عن هدي الكتاب والسنة، وبيان أحكام هذه المخالفات، وأحكام أهلها من تبديع واستنكار.

لقد نهضوا بهذا البيان القائم على النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وحماية لدينهم في عدد من الكتب سواء كانت في مجال العقيدة كما في كتب العقائد، أو الأحكام كما في كتب الفقه وشروح الحديث، وفي باب الرواية ونقل السنة عن رسول الله ﷺ كما في كتب الرجال والعلل والكتب في ذلك لا تحصى.

وقد يتكلم على الخطأ الواحد عشرات من الأئمة، وعلى العقيدة الفاسدة كذلك، وفي الراوي عشرات الأئمة، وقد يكون للرجل عشرات البدع فيتصدى له أحد

(٥٦٢) أخرجه البخاري: (٣٤٥٦)، ومسلم: (٢٦٦٩).

العلماء فيفنِّدها واحدة واحدة بالأدلة والبراهين، كما رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ابن مطهر الحلي في كتابه « المنهاج » في تسع مجلدات، وكما رد على الرازي في « نقض التأسيس »، الذي يبلغ أربع مجلدات ولاحق الرازي في عدد من المؤلفات، وكما رد على البكري في كتاب « الاستغاثة الكبرى »، وكما رد على الأخنائي في كتابه « الرد على الأخنائي »، وكما رد ابن عبد الهادي على السبكي في كتابه « الصارم المنكي »، وقبلهم رد الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على بشر في كتابه « الرد على بشر المريسي ».

وقد يكون للطائفة عشرات البدع فيتصدى لها أحد العلماء فلا يترك لها شاذَّة ولا فاذَّة، وقد يتصدى لها عدد من العلماء كل يطيل النفس في مناقشة ضلالاتها، والأمثلة على ذلك كثيرة، كما رد الإمام أحمد والإمام الدارمي على الجهمية، وكما رد الإمام الشافعي على المعتزلة والروافض الطاعنين في السنة عموما وعلى الطاعنين في أخبار الآحاد خصوصاً في كتابيه « الرسالة » و« جماع العلم »وكما رد البخاري على الجهمية وغيرهم في « خلق أفعال العباد » وكما رد الخلال والآجري وابن بطة واللالكائي وغيرهم من أئمة الإسلام على طوائف أهل البدع.

فكم من إمام تناول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء والجاحظ والنظام وأمثالهم، وكم من إمام تناول كتبهم وفند ما فيها من الضلالات.

ولم يقف أئمة السنة عند نقد واستنكار ضلالات أهل الضلال بل تجاوزوا ذلك إلى نقد العلماء وعلى رأسهم كبار علماء السنة والحديث في أخطائهم.

فقد انتقد الإمام الليث بن سعد الإمام مالكاً في مسائل مشهورة، بل انتقد الإمام الشافعي شيخه الإمام مالكاً في مسائل كثيرة، وانتقد أحمد إسحاق والشافعي وغيرهما، بل انتقد أبو حاتم وأبو زرعة الإمام البخاري في كتابه « التاريخ » في عشرات الأسماء.

وانتقد الدارقطني الإمامين البخاري ومسلماً في حوالي مأتي حديث، وانتقد البيهقي الطحاوي في كثير من المسائل.

وكما انتقد أبو الحسين بن القطان الفاسي في كتابه « بيان الوهم والإيهام » الذي يبلغ خمس مجلدات، الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه « الأحكام ».

كما انتقد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدمشقي في كتابه «عجالة الإملاء المتيسرة » في خمس مجلدات، انتقد فيها الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب »، وهذه أمور لا تحصى .

وهذا المنهج هو الذي عليه أئمة الدين سلفاً وخلفاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذاكراً من يجوز ذمه من الأنواع، وليس ذلك من الغيبة، كالكافر، والفاجر، والفاسق، والظالم، والغوي، والضال، والحاسد ...

إلى أن قال:« وأما الشخص فيُذكر ما فيه من الشر في مواضع.. »

ثم ثنَّى بالكلام على أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة؛ فقال: « فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال:« إذا صام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين » .

فتبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم، من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله، ودينه، ومنهاجه، وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك؛ واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ».

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً .

وأعداء الدين نوعان: الكفار والمنافقون .

وقد أمر الله بجهاد الطائفتين في قوله:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، في آيتين من القرآن .

فإذا كان أقوام منافقون، يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس، ولم تُـبَـيّـن للناس؛ فسد أمر الكتاب، وبُدِّل الدين، كما فسد دين أهل الكتاب قَبْلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله »(٥٦٣)..

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله:

« اعلم أن ذكر الإنسان بما يكره محرم؛ إذا كان المقصود منه مجرد الذم، والعيب، والنقص.

فأما إذا كان فيه مصلحة لعامة المسلمين، أو خاصة لبعضهم، وكان المقصود به تحصيل تلك المصلحة؛ فليس بمحرم، بل مندوب إليه.

وقد قَرَّرَ علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة، وردُّوا على من سوَّى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه .

ولا فرق بين الطعن في رواة ألفاظ الحديث، ولا التمييز بين ما تُقبل روايته منهم ومن لا تُقبل، وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة، وتأوَّل شيئاً منها على غير تأويله، وتمسك بما لا يتمسك به؛ ليحذر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه.

---

(٥٦٣) أخرجه أحمد (٩١) ، والترمذي (٢١٦٨) ، وأبو داود (٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٩٧٠).

وقد أجمع العلماء على جواز ذلك ـ أيضاً ـ.

ولهذا تجد في كتبهم المصنَّفة في أنواع العلوم الشرعية من: التفسير، وشروح الحديث، والفقه، واختلاف العلماء، وغير ذلك؛ ممتلئة من المناظرات، وردُّوا أقوال من تضعف أقواله من أئمة السلف والخلف، من الصحـابة والتابعين، ومن بعدهم، ولم يترك ذلك أحد من أهل العلم، ولا ادَّعى فيه طعناً على من رد عليه قوله، ولا ذماً، ولا نقصاً ... اللهم إلا أن يكون المصنِّف ممن يفحش في الكلام، ويسيء الأدب في العبارة؛ فـيُنكَر عليه فحاشته وإساءته، دون أصل رده ومخالفته؛ إقامة بالحجج الشرعية، والأدلة المعتبرة .

وسبب ذلك: أن علماء الدين كلهم مجمعون على قصد إظهار الحق، الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمته هي العليا.

وكلهم معترفون بأن الإحاطة بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة أحدٍ منهم، ولا ادَّعاه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين.

فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم، يقبلون الحق ممن أورده عليهم وإن كان صغيراً، ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم... .

فحينئذٍ فَـرَدُّ المقالات الضعيفة، وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية، ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء، بل مما يحبونه ويمدحون فاعله، ويثنون عليه؛ فلا يكون داخلاً في باب الغيبة بالكلية(٥٦٤).

فلو فُـرِضَ أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق؛ فلا عبرة بكراهته لذلك، فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة.

بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين له، سواء كان في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة لله، ولكتابه، ورسوله، ودينه، وأئمة المسلمين، وعامتهم، وذلك هو الدين، كما أخبر به النبي ﷺ.

وأما بيان خطأ من أخطأ من العلماء قبله، إذا تأدب في الخطاب، وأحسن الرد والجواب؛ فلا حرج عليه، ولا لوم يتوجه إليه، وإن صدر منه من الاغترار بمقالته فلا حرج عليه .

وقد كان بعض السلف إذا بلغه قول ينكره على قائله يقول: « كَـذَبَ فلان » .

ومن هذا قول النبي ﷺ :« كذب أبو السنابل »(٥٦٥) .

---

(٥٦٤) وإلحاق جرح أهل البدع ونقدهم بالغيبة المحرمة هو من شبهات أهل الأهواء التي يوردونها على منهج الجرح والتعديل والرد على المخالف، وقد فصلت القول في هذه المسألة وبينت عوار هذه الشبهة من كلام العلامة ربيع المدخلي في كتابي " جهود العلامة ربيع المدخلي في نقض شبهات الحزبيين عن منهج النقد عند أهل السنة السلفيين " يسر الله طبعه .

(٥٦٥) في" السلسلة الصحيحة " برقم (٣٢٧٤)، وأصله في الصحيحين بدون هذه اللفظة. (ربيع) .

لَـمَّا بلغه أنه أفتى:« أن المتوفَّى عنها زوجها إذا كانت حاملاً لا تحل بوضع الحمل، حتى تأتي عليها أربعة أشهر وعشراً » .

وقد بالغ الأئمة الورعون في إنكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء، وردها أبلغ الرد، كما كان الإمام أحمد ينكر على أبي ثور وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها، ويبالغ في ردها عليهم؛ هذا كله حكم الظاهر .

أما في باطن الأمر؛ فإن كان مقصوده في ذلك مجرد تبيين الحق، ولئلا يغتر الناس بمقالات من أخطأ في مقالاته؛ فلا ريب أنه مثاب على قصده، ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح لله، ورسوله، وأئمة المسلمين، وعامتهم .

وسواء كان الذي بين الخطأ صغيراً أم كبيراً، فله أسوة بمن رد من العلماء مقالات « ابن عباس » التي يشذ بها(٥٦٦)وأنكرت عليه من العلماء، مثل : المتعة، والصرف، والعمرتين، وغير ذلك .

ثم ذَكَرَ:

أن العلماء ردوا مقالات لمثل: « سعيد بن المسيب »، و« الحسن »، و« عطاء »، و « طاووس » وعلى غيرهم، ممن أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم، ومحبتهم، والثناء عليهم .

---

(٥٦٦) كذا، (ربيع) .

ولم يعد أحد منهم مخالفوه(٥٦٧) في هذه المسائل طعناً في هؤلاء الأئمة، ولا عيباً لهم.

وقد امتلأت كتب أئمة المسلمين من السلف والخلف بتبيين هذه المقالات وما أشبهها، مثل: « كتب الشافعي»، و« إسحاق »، و« أبي عبيد »، و«أبي ثور»، ومن بعدهم من أئمة الفقه والحديث.

وإما مراد(٥٦٨) الراد بذلك: إظهار العيب على من رَدَّ عليه وتنقّصه، وتبيين جهله، وقصوره في العلم، سواء كان رده لذلك في وجه من رَدَّ عليه أو في غيبته، وسواء كان في حياته أو بعد موته، وهذا داخل فيما ذمه الله في كتابه، وتوعد عليه، في الهمز واللَّمز، ودخل ـ أيضاً ـ في قول النبي ﷺ: « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، لا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته »(٥٦٩).

وهذا كله في حق العلماء المقتدى بهم في الدين.

فأما أهل البدع والضلالة، ومن تَشَبَّه بالعلماء وليس منهم(٥٧٠) ، فيجوز بيان جهلهم، وإظهار عيوبهم، تحذيراً من الاقتداء بهم.

---

(٥٦٧) كذا، (ربيع) .

(٥٦٨) كذا، (ربيع) .

(٥٦٩) أخرجه أحمد : (٤ / ٤٢٠) ، وأبو داود في الأدب رقم : (٤٨٨٠) ، والترمذي، وأبو يعلى في مسنده بإسناد حسن.

انظر التعليق عليه ص : (٣٣) من "الفرق بين النصيحة والتعيير" . لابن رجب الحنبلي، (ربيع) .

(٥٧٠) ونحن ولله الحمد لا ننتقد في كتاباتنا كلها إلا هذه الأنواع. (ربيع) .

وليس كلامنا الآن في هذا القبيل، والله أعلم.

ومن عُرف منه أنه أراد برده على العلماء النصيحة لله ورسوله؛ فإنه يجب أن يعامل بالإكرام، والاحترام، والتعظيم، كسائر علماء المسلمين الذين سبق ذكرهم، وأمثالهم، ومن تبعهم بإحسان.

ومن عُرف أنه أراد برده عليهم التنقيص، والذم، وإظهار العيب(٥٧١) ؛ فإنه يستحق أن يقابل بالعقوبة؛ ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة ».

أقول(الشيخ ربيع):

هذا هو منهج الله الذي شرعه في كتبه وعلى ألسنة رسله، وهو توضيح دين الله عقيدة وعبادة وأحكاماً بالحجج والبراهين، والجد في إبطال ما يضاده في أي جانب من جوانبه دق أو جل مهما كان مصدر هذه المضادة والمخالفة طالحين أو صالحين، ولو كانوا أئمة مجتهدين فكيف بالمبتدعين والضالين الجاهلين الأفاكين .

وعلى هذا المنهج سار علماء الإسلام وأئمته وأعلامه من فجر تأريخ الإسلام إلى يومنا هذا حماية للإسلام وذبًّا عن حياضه »(٥٧٢) .

---

(٥٧١) وهذا ما يفعله أهل الأهواء بعلماء السنة ولا سيما هذه الأيام. (ربيع) .

(٥٧٢) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٤/ ١٧٠-إلى- ١٧٩) .

وقال حفظه الله: « فكم أُلِّفت في نقد الرجال عند أهل الحديث، وكم ردَّ الفقهاء بعضهم على بعض، وكم ردَّ الأصوليون بعضهم على بعض، وكم ردَّ اللُّغويُّون بعضهم على بعض، كل هذا لخدمة الإسلام ولبيان الحق، وبهذه الجهود كلها وبهذه الأعمال المخلصة – إن شاء الله – وقد يكون هناك من ليس بمخلص لكن الغالب على علماء الأمة – إن شاء الله – الإخلاص والصدق والنصح، فهذه الجهود كلها ليحقق الله تبارك وتعالى فيها وعده بحفظ هذا الدين الذي تميزت به هذه الأمة على سائر الأمم؛ لأنها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

وقلنا لكم: إن عملية النقد هذه قاعدة عادلة لكل الناس، ولو كانوا من بيت رسول الله ﷺ، أو من بيت الصديق، أومن بيت الفاروق، أومن بيوتات المهاجرين والأنصار، ما جاملوا أحداً، حتى إن الرجل لينقد أخاه، وينقد أباه، وينقد ابنه، كل ذلك نصحاً لله تبارك وتعالى، وبياناً للحق، وتحذيراً من الأخطاء والانحرافات، كل ذلك يصب في بحر الحفاظ على دين الله تبارك وتعالى.

وميزة هذه الأمة من بدايتها إلى أن تقوم الساعة:« لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم »(٥٧٣) على الحق ولكنهم يصارعون الباطل ويبيِّنون أخطاء الناس، ويبيِّنون ضلال الناس، ويحذِّرون من

(٥٧٣) سبق تخريجه .

البدع، ويحذِّرون من أهل الضلال، **هذه الطائفة أعظم جهادها وأعظم ما قامت به في خدمة هذا الدين: نقد أهل البدع وكشف عوارهم، وبيان ما عندهم من ضلال ومن بدع من عهد الصحابة إلى يومك هذا .**

ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه أن أناساً في العراق يتقفَّرون العلم – يعني: يطلبون العلم يبحثون بجد عنه – لكنهم قالوا: « **لا قدر، وإن الأمر أُنُف** »، ماذا قال ابن عمر ؟ هل سكت ؟ أو قال: لعلَّ ولعلَّ، وفلان وفلان لا أتكلم فيهم ؟! بل قال: « **أبلغوهم أني منهم براء، وأنهم مني برآء، والله لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما نفعه ذلك حتى يؤمن بالقدر** »(٥٧٤) .

تبرأ منهم لأنهم جاءوا ببدعة عظيمة في دين الله عز وجل تخالف القرآن والسنة، والقرآن والسنة كلاهما حجة، والمسلم يأخذ من القرآن الحجة لدمغ الباطل، أو يأخذ من السنة، الذي يتيسَّر ويتبادر إلى ذهنه يقوله، فتبادر إلى ذهنه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، حينما جاء النبي ﷺ وسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان، وفيه قال: « الإيمان أن تؤمن بالله ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره »(٥٧٥) .

---

(٥٧٤) أخرجه مسلم في الإيمان (٨) ، وأبو داود في السنة(٤٦٩٥) ، والترمذي في الإيمان (٢٦١٠) ، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠) وغيرهم، (ربيع) .

(٥٧٥) أخرجه مسلم (٨) عن عمر رضي الله عنه .

فساق الحديث كله وبيَّن أن القدر خيره وشره من الإيمان، ركن من أركان الإيمان، فمن كذَّب بالقدر فقد هدم ركناً من أركان الإيمان؛ فإذا انهدم الركن هذا انهدم الإيمان كله، لهذا تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنهما .

وجاء الأئمة بعده من التابعين ومن أتباع التابعين وهلمَّ جرًّا إلى يومك هذا دائماً في بيان، والفقهاء والمفسرون كلُّهم يبيِّنون، لو أحد أخطأ قالوا: أخطأ، أو ضلَّ في تفسير آية قالوا: ضل، ابتدع، كم من شخص ناقش الزمخشريَّ في تفسيره، تكلموا عليه وانتقدوه وبعضهم أخذوا كتابه وحرَّقوه لأن فيه بدعاً خفية، الإحياء للغزالي كم تكلم عليه من العلماء، جمع فيه فقهاً وحديثاً وتفسيراً وتصوفاً إلى آخره، وأدخل فيه الفلسفة وأدخل فيه وحدة الوجود وأدخل فيه الضلالات والبدع، وبعضهم أحرق هذا الكتاب، وبعضهم انتقده، وبعضهم كفَّر الغزالي إلى آخره، لم يقل أحد لماذا تنتقدون الغزالي أو تنتقدون الرازي أو تنتقدون الزمخشري أو تنتقدون فلاناً .

والبخاري ومسلم قبل هذا جاء الدارقطني وانتقد أحاديث منه، وأبو علي الجياني وغيرهم من الأئمة انتقدوا ما في الصحيحين وبيَّنوا ما فيها من علل، وقد يكون الغالب الصواب مع الشيخين لكن ما ثارتْ معارك، لماذا ؟ لأنهم يحترمون عقول الناس، ويحترمون الحق، ويحسنون الظن بالناس في نفس الوقت، وليس كل من انتقد إنساناً أساءوا به الظن وقالوا: قصده حسد وبغض... إلى آخره – كما يجري

الآن – ما قالوا: الآن هم على ثغرات يردون على اليهود، ويردون على النصارى، ويردون على الفلاسفة إلى آخره حتى يردون على الروافض .

المعتزلة كانوا يردون على الروافض، ويردون على الخوارج، ويردون على كذا وكذا، لكن أخطاءهم ما يتركونها، ولأجل أنك ترد على اليهود والنصارى نحسب أخطاءك على الله، ونقول: هي من الدين فتضل بها الأمة ؟! أو نقول: ما دام أن فلاناً يواجه اليهود والنصارى كلُّ أخطائِه نضمُّها إلى الدين، يعني عندنا في الدين مسألة نزيد عليها عشرين مسألة من أخطاء الروافض وننسُبُها لدين الله جائزة لهم !!! يعني هكذا يكون ؟! هكذا يكون النصح للمسلمين ؟! وهكذا يكون البيان ؟! فلو واجههم بالسيوف، وزحف عليهم بالجيوش، وفعل ما فعل ثم أخطأ على دين الله وضل فيه نقول: هذا ليس من الدين، هذا ضلال وبدع لا يمكن أن يحسب على دين الله .

كيف، رسول الله وأصحابه في بدر ما أقرهم الله على الخطأ!! فهل نحن نترك هؤلاء ولو قاتلوا أو تركوا لا نتركهم يحرِّفُون دين الله، ويُزلْزلون أصولَ الإسلام بحجَّة أنهم يواجهون الشيوعيين، دعهم يواجهونهم نسأل الله أن يكتب لهم أجرهم إن شاء الله، لكن أخطاءهم ما نتركها تحسب على دين الله عز وجل، ولا يجوز أن تعتبرها تحسب على الله ونعتبرها وحي نزل من السماء، لا ينتقد ولا يعترض عليه .

نعم أولئك المعتزلة ما يغضبون، وأهل السنة ما يغضبون، وقد يكون المعتزلي أحياناً يصيب إذا انتقد واحداً من أهل السنة، وغالباً يكون الصواب مع أهل السنة، لكن حركة دائبة من ذاك الوقت إلى غدٍ إلى يوم القيامة كل يؤخذ من قوله ويرد، وليس كل يؤخذ قوله أو كل يرد قوله ؟ لا، الشافعي وأحمد ومالك يؤخذ من أقوالهم ويرد، وكذلك الثوري والأوزاعي يؤخذ من أقوالهم ويرد لأنهم ليسوا بمعصومين، يقول ابن تيمية: « **العصمة للأنبياء أما الصديقون والشهداء والصالحون والأئمة كلهم لا بد أن يخطئوا** »(٥٧٦) .

و قال حفظه الله: « **من جهود « أهل الحديث » العظيمة الباهرة:**

علم النقد، والجرح والتعديل لرواة الأحاديث، والآثار، ولأهل العقائد، والنِّحَل، والبدع، والضلال، بل نقدهم لأهل البدع، وجرحهم، وطعنهم فيهم أشد وأقوى وأسد .

فهذا نقدهم وجرحهم وتعديلهم للرواة ولأهل البدع، تزخر به المكتبات من كتب الجرح والتعديل، أو الجرح الخاص، ومن كتب العقائد التي تذم أهل البدع، وتجرحهم، وتطحنهم طحناً، مركزة على إخزائهم وفضحهم، والتنكيل بهم، دون هوادة..» (٥٧٧) .

---

(٥٧٦) انظر: "المرجع السابق "(٢/ ٥٠٢-٥٠٥) .

(٥٧٧) انظر: "المرجع السابق "(٥/ ٣١١-٣١٢) .

المطلب الثاني

التحذير من أهل البدع ونقد أباطيلهم من غير موازنة بين حسناتهم وسيئاتهم، ومن غير حمل المجمل من كلامهم على المفصل منه والمبيَّن

ظهرت في الآونة الأخيرة بدعتان حزبيَّتان باسم العدالة والانصاف، وهما بدعة الموازنات بين الحسنات والسَّيِّئات، وبدعة حمل المجمل على المفصل .

يُطالب أصحاب هاتان البدعتان العصريتان بإنصاف أهل البدع والضلال، وذلك بإيجاب ذكر محاسن المبتدع في سياق الرد على ضلالاته والتحذير من أخطائه، وبحمل كلامه المجمل على المفصل .

أما بدعة الموازنات فقد نقدها كبار علماء السنة في هذا العصر وعلى رأسهم العلامة المجاهد ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، بل هو أول من تصدى لها فكشف زيفها وعوارها، وأبان للناس فسادها ومخالفتها لمنهج السلف الصالح في نقد الرجال والطوائف، وذلك في كتابين لم يُر لهما نظير في بابهما:

الكتاب الأول: **"منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف"** .

الكتاب الثاني: **"المحجة البيضاء في حماية السنة الغراء من زلات أهل الأخطاء وزيغ أهل الأهواء"** .

ثم أردف هذين الكتابين بمقالات وأجوبة نفيسة حول هذه البدعة بما لا تجده عند غيره فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

فقد بيَّن وبكل وضوح خلو منهج السلف في النقد من هذه البدعة العصرية، وأن الموازنة بين حسنات المبتدع وسيِّئاته في سياق الرد عليه، والتَّحذير من أخطائه نصحًا للمسلمين، ليس من منهج السلف، بل هو مخالف لمنهجهم، كما أنه مخالف لأدلة الكتاب والسنة .

فقال حفظه الله:« ومن جهود أهل الحديث العظيمة الباهرة:

علم النقد، والجرح والتعديل لرواة الأحاديث، والآثار، ولأهل العقائد، والنِّحَل، والبدع، والضلال، بل نقدهم لأهل البدع، وجرحهم، وطعنهم فيهم أشد وأقوى وأسد .

فهذا نقدهم وجرحهم وتعديلهم للرواة ولأهل البدع، تزخر به المكتبات من كتب الجرح والتعديل، أو الجرح الخاص، ومن كتب العقائد التي تذم أهل البدع، وتجرحهم، وتطحنهم طحناً، مركزة على إخزائهم وفضحهم، والتنكيل بهم، **دون هوادة، ودون موازنة** »(٥٧٨) .

(٥٧٨) انظر: "المرجع السابق "(٥/ ٣١٢) .

وسئل حفظه الله سؤالًا هذا نصه: ما منا من أحد إلا وله عثرات في طريق دربه الصالح فكانت الضرورة مُلحة في إثبات ذكر حسناته وسيئاته، فما هو الضير في تقرير منهج الموازنات وخاصة أن لها أدلة وشواهد؟

فأجاب:« بيننا وبينكم كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وتطبيق عمل السلف الصالح... .

القرآن مليء بالنقد المرّ لأهل الكفر وأهل الفسوق وليس هناك موازنات، السنة مليئة بهذا وليس هناك موازنات .

وقد فقه السلف الصالح هذا المنهج، فطبقوه على أهل البدع وعلى أهل الروايات بدون الموازنات »(٥٧٩) .

وقال حفظه الله: « ثم إن أئمة الإسلام تكلموا في أهل البدع وفي الرواة، ولم يشيروا من قريب ولا من بعيد إلى وجوب أو اشتراط هذه الموازنة، وألفوا كتبًا في الجرح والتعديل، وكتبًا في نصر السنة والرد على أهل البدع وجرحهم، وكتبًا في العلل، وكتبًا في الموضوعات، ولم يوجبوا هذه الموازنة لا من قريب ولا من بعيد، بل ألفوا كتبًا خاصة بالجرح، وخصصوها بالمجروحين أو بمن تُكلِّم فيهم بجرح، ولم يشترطوا هذا الشرط لا من قريب ولا من بعيد.. .

---

(٥٧٩) انظر: "المرجع السابق "(١٤/ ٤٨٢-٤٨٣) .

وكتب الجرح والتعديل المشتركة مليئة بالطعن في المجروحين، وخاصة كتب الإمام يحيى بن معين، فلم يشترطوا هذه الموازنة.

إن هذا المنهج الذي يشترط الموازنة، لما يعود على أئمة الإسلام بالطعن، وإيقاعهم في شبك الإتهام بالظلم والخيانة، ونعوذ بالله من منهج هذه من نتائجه »(٥٨٠) .

** فصل **

ذكر العلامة ربيع المدخلي حفظه الله جملة من مفاسد منهج الموازنات مما يدل على بطلانه ومخالفته لمنهج السلف، فقال:« إن القول بوجوب الموازنات في نقد أهل الباطل يؤدي إلى مفاسد كبيرة وخطيرة جداً، أهمها:

١ ـ تجهيل السلف .

٢ ـ رميهم بالظلم والجور .

٣ ـ تعظيم البدع وأهلها، وتحقير أئمة السلف وماهم عليه من السنة والحق .

ـ أما رميهم بالجهل:

فإن هذا المنهج لو كان له هذه المنزلة في الإسلام؛ لرأيت السلف الصالح أشد الناس له التزاماً، وأشد الناس له تطبيقاً، في كل أقوالهم، في القريب والبعيد،

---

(٥٨٠) انظر: "المرجع السابق " (٥/ ١٧٩-١٨٠) .

والصديق والعدو، ولأقاموا كتبهم وأقوالهم على هذا الميزان في حق الأفراد والجماعات، وفي الصحائف والمؤلفات .

كيف لا يكونون أقوم الناس به وهم سادة هذه الأمة، وأبرّها، وأصدقها، وأتقاها، وأورعها، وأقومها بالعدل والقسط ؟.. .

٢ ـ وأما رميهم بالظلم والجور:

فإن أقوالهم وكتبهم لتزخر بالجرح الخالص المجرد من الموازنات؛ فماذا يقال فيهم، وفي أقوالهم، ومؤلفاتهم التي هذا واقعها، والتي تضاد هذا المنهج ؟.. .

٣ ـ وأما الأمر الثالث: وهو تعظيم أهل البدع:

فهذا أمر واضح على من اعتنق مذهب الموازنات بين الحسنات والسيئات، كيف لا وما أنشىء هذا المنهج إلا لهذا الغرض »(٥٨١) .

** فصل **

وأما بدعة حمل المجمل من كلام المردود عليه على المفصل، التي أحدثها الحزبيون، للدفاع عن أهل البدع والضلال فقد أبان الشيخ ربيع حفظه الله بطلانها وكشف زيفها وعوارها كذلك، ومخالفتها لمنهج السلف الصالح، وذلك في عدة كتب ومقالات، منها: رسالته **"إبطال مزاعم أبي الحسن حول المجمل والمفصل"** .

(٥٨١) انظر: "المرجع السابق " (٥/ ٣٠٦- ٣٠٩) .

و قد بيَّن حفظه الله بأن حمل مجملات أهل الضلال وأهل الأخطاء على مفصلاتهم يهدم منهج السلف في رد الأباطيل والأخطاء، ويُحوِّل الباطل حقاً والخطأ صواباً .

كما أبان سدَّده الله: بأن الذين ينعقون بهذه البدعة كثيرًا ما تجدهم يعمدون إلى كلام أهل البدع الصريح البيِّن في الضلال، والواضح كالشمس في بطلانه، فيجعلونه من باب المجملات، ثم يحملونه على ما يسمونه المفصل! وليس هو بالمفصل ولا المبين المعروف عند العلماء .

فقال حفظه الله:« كان أبو الحسن المأربي يحارب أهل السنة بأصول اخترع بعضها وقلد في بعضها، وكان فالح معنا ضده في كل أصوله، ومنها:

التاسع- حمل المجمل على المفصل، اعتنق هذا الأصل ليدافع به عن أهل الباطل، فنقلنا له قول جمهور العلماء من أهل المذاهب أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، ونقلنا له حكاية الشوكاني الإجماع على أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، فلم يرفع أبو الحسن بذلك رأساً.

وكان فالح ينتقده بشدة ولا سيما في هذا الأصل، حيث قال في (ص١٤٣) من كتابه "المصارعة": «هذه قاعدة خطيرة، هذه القاعدة من القواعد التي ضل بها أبو الحسن ومن على خطه ومن يؤيده، وهي يعني قواعد خطيرة جداً، مسألة المجمل

والمفصل والمقارنات وقضية الجرح والتعديل، مسألة الجرح المفسر وغير المفسر وإلى آخره ».

ثم أصبح بعد فتنته يقول به، ويطعن فيمن لا يقول به حيث قال في "النقض المثالي" (ص٤) خلال هذيانه بالباطل: «فقد قال بعدم العمل بالمجمل والمفصل إلا بكلام الله أو كلام المعصوم »..

وما يدري هذا الجاهل أن حمل مجملات أهل الضلال وأهل الأخطاء على مفصلاتهم يهدم منهج السلف في رد الأباطيل والأخطاء، ويحول الباطل حقاً والخطأ صواباً.

هذا وقد حكى الشوكاني الإجماع أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم.

وهذا الأصل الباطل يهدم عدداً من أصول السلف منها ما أسلفناه، ومنها ذلك الأصل العظيم، كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ، ويخالف منهج السلف في التعامل حتى مع أقوال الأئمة حيث يأخذون منها ويردون ويصوبون ويخطئون »(٥٨٢) .

وللشيخ ربيع حفظه الله كلام كثير مهم حول هذه البدعة في كتابه **"إبطال مزاعم أبي الحسن حول المجمل والمفصل"** فليرجع إليه من شاء .

---

(٥٨٢) انظر: رسالة الشيخ التي بعنوان "أصول فالح الحربي الخطيرة ومآلاتها " .

المطلب الثالث

منهج النقد عند أهل السنة قائم على العدل والإنصاف

من ميزات منهج النقد عند أهل السنة والجماعة السلفيين أنه قائم على العدل والانصاف، فلا ظلم فيه ولاجور ولا بغي على أحد، فلا يحذِّرون إلا ممن يستحق التحذير منه، ولا يبدعون ولا يكفرون ولا يهجرون إلا من يستحق ذلك .

وفي تقرير هذه الميزة السلفية في النقد يقول العلامة ربيع المدخلي حفظه الله حامل راية الجرح والتعديل بحق في سياق ردِّه على عبد الرحمن عبد الخالق: « **الذي نعرفه عن أهل السنة العدل والانصاف**(٥٨٣)، **فإذا بدَّعوا أحداً من الناس فإنما**

---

(٥٨٣) قال شيخ الإسلام رحمه الله في "منهاج السنة" (٥/ ١٥٧ – ١٥٨):« وَالرَّافِضَةُ فِيهِمْ مَنْ هُوَ مُتَعَبِّدٌ مُتَوَرِّعٌ زَاهِدٌ، لَكِنْ لَيْسُوا فِي ذَلِكَ مِثْلَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، فَالْمُعْتَزِلَةُ أَعْقَلُ مِنْهُمْ وَأَعْلَمُ وَأَدْيَنُ، وَالْكَذِبُ وَالْفُجُورُ فِيهِمْ أَقَلُّ مِنْهُ فِي الرَّافِضَةِ. وَالزَّيْدِيَّةُ مِنَ الشِّيعَةِ خَيْرٌ مِنْهُمْ: أَقْرَبُ إِلَى الصِّدْقِ وَالْعَدْلِ وَالْعِلْمِ، وَلَيْسَ فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ أَصْدَقُ وَلَا أَعْبَدُ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَمَعَ هَذَا فَأَهْلُ السُّنَّةِ يَسْتَعْمِلُونَ مَعَهُمُ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ وَلَا يَظْلِمُونَهُمْ ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ حَرَامٌ مُطْلَقًا كَمَا تَقَدَّمَ، بَلْ أَهْلُ السُّنَّةِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، بَلْ هُمْ لِلرَّافِضَةِ خَيْرٌ وَأَعْدَلُ مِنْ بَعْضِ الرَّافِضَةِ لِبَعْضٍ. وَهَذَا مِمَّا يَعْتَرِفُونَ هُمْ بِهِ، وَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ تُنْصِفُونَنَا مَا لَا يُنْصِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا » اهـ .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في "شفاء العليل" (١/ ٥١):« أهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم؛ فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهله من هذا الوجه، فهم حكام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق، ولا يردون حق طائفة من الطوائف، ولا يقابلون بدعة ببدعة، ولا يردون باطلا بباطل، ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالالتهم بالعدل، والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف..» اهـ .

يبدعونه بحق؛ بل كثيراً ما يتوقفون في كثير ممن يبدع أمثالهم السلف، وعن تكفير من يكفر أمثالهم السلف بل دونهم.. .

لقد كان السلف يبدعون الأفراد والجماعات بحق وعدل والسالكون على طريقهم يترسَّمون خطاهم بحق وعدل ؛ بل قد يحصل فيهم تقصير عما قام به السلف من الحكم والهجر والقتل والنفي لأهل البدع وذلك ظاهر »(٥٨٤) .

وقال حفظه الله: « **ونزه الله منهج أهل السنة والجماعة في النقد وأهله من اعتماد الظلم والكذب ، ومن المحاباة لأهل السنة وغيرهم، إذ المحاباة والتعصب الأعمى لا يوجدان إلا عند أهل الضلال والأهواء** »(٥٨٥) .

وقال حفظه الله:« **إن أهل السنة والجماعة من أبرز صفاتهم الإنصاف والعدل**، فهم يصفون المرجئة بأنهم مرجئة بحق؛ حيث يخرجون العمل من الإيمان »(٥٨٦) .

وقال حفظه الله في سياق ردِّه على المدعو عبد العزيز القارئ المدافع عن الصوفية: « لقد جرى أهل السنة في نقد الفرق ومنها الصوفية على طريقة الكتاب والسنة في بيان الباطل ليحذره الناس، ولم يقولوا: إن ما عندكم من حق فهو باطل حتى يُقال: إنهم قد ظلموهم.

---

(٥٨٤) انظر: "مجموعة كتب ورسائل "(١٠/ ١٣٨-١٣٩) .

(٥٨٥) انظر: " المرجع السابق"(١٠/ ٤٠١) .

(٥٨٦) انظر: " المرجع السابق"(٩/ ٥٧٨-٥٧٩) .

...فمن الإنصاف للمسلمين ومن الحكمة والنصح أن يحذِّر من التصوف والصوفية والرفض والروافض، لأن سلامة الناس ونجاتهم لا تتحقق إلا بهذا الأسلوب..

إن الرسول ﷺ والصحابة وأئمة الإسلام أتقى الناس لله وأخشاهم له، وأشدهم ورعاً وإنصافاً ونصحاً، ومن إنصافهم للناس ونصحهم لهم أن حذَّروهم من بدع الخوارج والروافض والتصوف وسائر البدع وأهلها.

وقولك: « الإنصاف هو منهج أهل السنة والجماعة ».

أقول: هذا حق، وقد ميَّزهم الله بذلك، ومنهجهم في نقد الصوفية هو الحق، والمنهج الذي ترى أنه هو الإنصاف، لا أصل له في شريعة الإسلام، ولو كان من الإسلام لسبقونا إليه »(٥٨٧).

وقال حفظه الله في سياق رده على المالكي الحاقد على أهل السنة: « **لن تجد الأحكام العادلة والمنصفة المستندة إلى نصوص الكتاب والسنة إلا عند أهل السنة السلفيين..**

أيها الرجل إن المنهج السلفي قائم على الكتاب والسنة والعدل والإنصاف والاعتدال والتوسط فيه في كل أبواب الدين.

---

(٥٨٧) انظر: " المرجع السابق"(١١/ ٤٦٥) .

والظلم والانحراف والضلال والجور في الأحكام إنما عند خصومهم.. .

ولو كان عندك أدنى حد من الاعتدال والصدق والإنصاف لما وجهت سهام حقدك لأهل الحق والانصاف والاعتدال أهل السنة والحديث السلفيين ولوجهت سهامك إلى خصومهم المكفرين بالجهل والظلم إلى آخر ما عندهم من المخازي ولكن فاقد الشيء لا يعطيه .

وأخيراً إن التكفير المنصف القائم على الحق والعدل موجود في الكتاب والسنة وعند الصحابة وأئمة الإسلام، والظاهر أنك تحارب هذا التكفير.

أما تكفير الروافض للصحابة وأهل السنة فالظاهر أن هذا لا يهز وجدانك ولا يثير غيرتك والشيء من معدنه لا يستغرب »(٥٨٨) .

** فصل **

ومن عدل وإنصاف أهل السنة في نقدهم للأخطاء والبدع والضلالات: أنه ليس كل من وقع في بدعة يسمى مبتدعًا عندهم، فقد يجتهد المجتهد في طلب الحق مريدًا بذلك وجه الله تعالى فيقع في بدعة خفية، فلا يبدِّعونه ولا يتسرَّعون في ذلك، بل ينصحونه ويُبيِّنون له الحق، بخلاف صاحب الهوى وصاحب العناد والمكابرة فلا يُسوُّون بينه وبين المجتهد صاحب الأصول السلفية في المعاملة، بل

(٥٨٨) انظر: " المرجع السابق" (١٢/ ٣٧٦-إلى- ٣٨٠) .

يعاملونه بما يستحقه من التبديع والتحذير ولا كرامة، وهذا غاية ما يكون من العدل والانصاف الذي هو من أبرز سمات أهل السنة في الرد على المخالف .

وذلك خلافًا للحدادية فإنهم يبدعون كل من وقع في بدعة، فكل من وقع في بدعة فهو مبتدع عندهم .

سئل الشيخ ربيع حفظه الله: هل قول الألباني: إن العمل شرط كمال وليس شرط صحة يجعله مرجئًا؟

فأجاب:« ما نقدر أن نقول إنه مرجئ بهذا الكلام، هذا الكلام يؤخذ على الشيخ ولا نقبله، نقول: إن العمل جزء من الإيمان لا شرطًا فيه، وهذا قاله الحافظ ابن حجر وقاله غيره، وأرجوا أن يراجع الشيخ في هذا ويبين له .

وبعدها يا إخوة، ليس كل من وقع في شيء من البدع يسمى مبتدعًا، ليس كل من وقع في بدعة نسميه مبتدعًا، هذا مذهب الحدادية فقط، إن قاعدتهم في البدعة: لافرق بين ابن عربي وبين من يقول العمل شرط كمال!، ولافرق بين ابن حجر وبين سيد قطب، لا فرق بين الخميني وبين ابن حجر عندهم، عرفتم... .

السائل: فضيلة الشيخ منهج أهل السنة في التبديع...

الشيخ: منهج أهل السنة والجماعة: ليس كل من وقع في بدعة يسمى مبتدعًا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ليس كل من وقع في بدعة يكون مبتدعًا، فإن كثيرًا من الأئمة من الخلف والسلف وقعوا في بدعة من حيث لا يشعرون، إما بسبب حديث ضعيف يحتجون به، وإما بأنهم فهموا فهمًا خاطئًا لنص القرآن أو لنص السنة، فهموا فهمًا خاطئًا، وإما بقياس ضعيف، أو شيء من هذا» .

فمثل هؤلاء في الأمور الخفية يكون له فيها مستند يرى أنه شرعي، هذا لا يبدع،

لكن الذي يقول بخلق القرآن واضح مبتدع، الذي يقول بالقدر بدعة كبرى مبتدع، الذي يقول بالرفض مبتدع، الأمور الكبيرة .

أما الأمور الخفية يقع فيها الإنسان من حيث لا يشعر وهو يريد السنة قاصدًا لها داعيًا إليها، **هذا لا يبدع**؛ فإن كثيرًا من الأئمة وقعوا في شيء من هذا فلا يبدعون، فهذا هو القول الفصل .

أما الحدادية، لا، كل من وقع في بدعة مبتدع »[٥٨٩] .

** فصل **

أفاد العلامة ربيع المدخلي حفظه الله بأن عدم الحكم على كل من وقع في بدعة بأنه مبتدع، والتفريق بين المجتهد المخطئ الذي يريد وجه الله تعالى وإصابة الحق، وبين صاحب الهوى، إنما يكون هذا في الأمور الخفية الغير واضحة، أما من وقع

---

(٥٨٩) انظر: "المرجع السابق "(١٥/ ٢٠٧-٢٠٨) .

في إحدى البدع الكبرى الواضحة كالقول بخلق القرآن، أو إنكار القدر فقد نقل عن السلف أنهم يبدعونه ولا يعذرونه .

فقال حفظه الله مجيبًا على سؤال هذا نصه:« شيخنا –حفظكم الله– هناك سؤال يدور بين طلاب العلم، وهو: هل يشترط في تبديع من وقع في بدعة أو بدع أن تقام عليه الحجة لكي يبدع أولا يشترط ذلك، أفيدونا جزاكم الله خيراً؟

فأجاب:« المشهور عن أهل السنة أنه من وقع في أمر مكفر لا يكفر حتى تقام عليه الحجة.

أما من وقع في بدعة فعلى أقسام:

القسم الأول: أهل البدع كالروافض والخوارج والجهمية والقدرية والمعتزلة والصوفية القبورية والمرجئة، ومن يلحق بهم، كالأخوان والتبليغ وأمثالهم، فهؤلاء لم يشترط السلف إقامة الحجة من أجل الحكم عليهم بالبدعة، فالرافضي(٥٩٠) يقال عنه: مبتدع، والخارجي يقال عنه: مبتدع، وهكذا، سواء أقيمت عليهم الحجة أم لا.

القسم الثاني: من هو من أهل السنة ووقع في بدعة واضحة كالقول بخلق القرآن أو القدر أو رأي الخوارج وغيرها فهذا يبدع وعليه عمل السلف.. .

(٥٩٠) الرافضي أو غيره إن كفر الصحابة كلهم أو جلّهم أو فسقهم أو جلّهم فهو كافر.(ربيع) .

القسم الثالث: من كان من أهل السنة ومعروف بتحري الحق ووقع في بدعة خفية فهذا إن كان قد مات فلا يجوز تبديعه بل يذكر بالخير، وإن كان حيًّا فيناصح ويبين له الحق ولا يتسرع في تبديعه فإن أصر فيبدع »(٥٩١) .

** فصل **

ومن عدل وإنصاف أهل السنة في نقدهم للأخطاء: أنه إذا كان المخطئ من علماء السنة وزلت قدمه في مسألة ما، يردُّون عليه خطأه ولا يقبلونه ؛ لكنهم يحفظون كرامته فلا يذمُّونه ولا ينتقصونه بسبب خطئه ولا يشهِّرون به، كما يفعلون بأهل الأهواء والبدع حيث إنهم يذمُّونهم ويحذِّرون الناس منهم، ويصيحون بهم من كل جانب ليحذر الناس باطلهم، أما من كان من أهل السنة واجتهد فأخطأ من غير قصد فيناقشونه بكل أدب واحترام، مع رفض الخطأ وبيانه .

وفي بيان وتقرير هذه المسألة المهمة يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله مجيبًا على سؤال هذا نصه:

« هل تنصحون بما يفعله بعض طلبة العلم في تجرُّدهم لنقد كتب بعض علمائنا صحَّة وضعفًا، كالنظرات في السلسلة والنظرات في صفة الصلاة؟

---

(٥٩١) انظر: "المرجع السابق "(٤/ ٣٤٧-إلى- ٣٥٣) .

فأجاب: باب النقد للألباني ولأمثاله مفتوح ـ والله ـ، ولا يغضب من ذلك لا الألباني ولا أمثاله من حملة السنَّة، النقد المؤدَّب الذي يحترم العلماء، وليس له هدف إلاَّ بيان الحقّ، فهذا بدأ من عهد الصحابة ولا ينتهي.

فقد انتقد الشافعي مالكًا، وانتقد أصحاب أبي حنيفة وانتقد أحمد ـ بارك الله فيك ـ كلُّ هذه المذاهب واستمر هذا النقد إلى يومنا هذا في شتى العلوم.

فالنقد ـ يا إخوان ـ لا يجوز سدّ هذا الباب، لأنَّنا نقول بسدِّ باب الاجتهاد ـ بارك الله فيكم ـ.

ولا نعطي قداسة لأفكار أحد أبدًا كائنًا مَن كان؛ فالخطأ يُردّ من أيِّ شخص كان، سلفيًّا كان أو غير سلفي.

ولكنَّ التعامل مع أهل الحقِّ والسنَّة الذين عرفنا إخلاصهم واجتهادهم ونصحهم لله ولكتابه ورسوله ولأئمّة المسلمين وعامّتهم التعامل معهم غير التعامل مع أهل البدع والضلال.

وارجعوا إلى كتاب الحافظ ابن رجب رحمه الله: "الفرق بين النصيحة والتعيير".

إذ تكلَّم وبيَّن فقال: بيان الهدى وبيان الحقّ لابدَّ منه وقد انتُقد سعيد بن المسيب وابن عباس وطاووس وأصحاب ابن عباس وانتُقِدوا وانتُقِدوا، وما قال أحد: إنَّ هذا طعن، ما يقول بهذا إلاَّ أهل الأهواء .

فنحن إذا انتقدنا الألباني ما نسلك مسلك أهل الأهواء فنقول: لا لا تنتقدوا الألباني، طيِّب أخطاؤه تنتشر باسم الدين، وإلاَّ أخطاء ابن باز، وإلاَّ أخطاء ابن تيمية وإلاَّ أخطاء أيّ واحد .

أيّ خطأ يجب أن يبيَّن للناس أنَّ هذا خطأ، مهما عَلَت منزلة هذا الشخص الذي صدر منه هذا الخطأ؛ لأنَّنا كما قلنا غير مرَّة بأنَّ خطأه يُنسب إلى دين الله.

لكن نميِّز ـ كما قلت ـ بين أهل السنَّة وأهل البدعة، وكما قال ابن حجر وقال غيره: « **المبتدع يهان ولا كرامة** »، يهان لأنَّ قصده سيِّئ، المبتدع صاحب هوى..

فالنقد هذا موجود ويجب أن يستمر للصغير والكبير والجليل والحقير من الأمور، بيان الخطأ وبيان البدع ونقد الأخطاء ونقد البدع، مع التصريح باحترام أهل السنّة وإثبات أنَّ للمجتهد إذا أصاب أجرين، وإذا أخطأ فله أجر واحد، هذا ما ندين الله به في نقد أهل السنَّة وليس كذلك أهل البدع.

فأهل البدع ما نقول فيهم إنهم مجتهدون لأنهم متَّبعون للهوى بشهادة الله وشهادة رسوله عليه الصلاة والسلام، فالمبتدع الضالّ يفرِّق الآن ويخطئ فيقول لك: هذا اجتهاد، لمّا قَتل حكمتيار والأحزابُ الضالّةُ جميلَ الرحمنِ قالوا: هذا اجتهاد، استباحة دماء السلفيين اجتهاد عندهم، وهكذا لا يقع في ضلالة وطامَّة إلاَّ قالوا: اجتهاد.

فهذا تمييع الإسلام وخلط بين الباطل والضلال والبدع وبين الحقّ، ومساواة أخطاء المجتهدين التي يثابون عليها بالبدع التي توعَّد رسول الله عليها بالنار، وقال: إنها ضلالة وقال: إنها شرّ الأمور.

فهذا تمييع وظلم للإسلام يجب أن يتبصّر فيه المسلمون فيميزون بين أهل الهدى وكيف ينتقدونهم ويبيِّنون أخطاءهم وبين أهل الضلال وكيف يتعاملون معهم»(٥٩٢).

وقال حفظه الله وعفا عنه:« هذا المنهج منهج حق لكن الأئمة والعلماء الذين كتبوا ومنهجهم صحيح قد يكون لهم أخطاء، فابن تيمية لو كان عنده خطأ والله لا نقبله، ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب وابن باز، وغيرهم، إذا عندهم أخطاء نعرضها على كتاب الله وسنة الرسول، على المنهج السلفي، ونقول هذا خطأ وجزاك الله خيراً، لا ذمّ لا طعن لا تجريح لا تشهير، لكن بيان للناس أن هذا الكلام يتنافى مع الأصل الفلاني، ومع النص الفلاني، بغاية الأدب وبغاية الاحترام – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن رجب وغيرهما: أن هؤلاء نناقش أقوالهم باحترام وبأدب ومقاصد حسنة ، والمراد البيان »(٥٩٣) .

---

(٥٩٢) انظر: "المرجع السابق "(١٥/ ٣٢-إلى-٣٦) .

(٥٩٣) انظر: "المرجع السابق " (٢/ ٥٠٦- ٥٠٧) .

فصل

ومن عدل وإنصاف أهل السنة في النقد والرد على المنحرفين، أن ردودهم مبنية وقائمة على الحق والحجة والبرهان، لا على الجهل والهوى، والكذب والبتر والخيانات كما هو حال أصحاب الأهواء والبدع .

يقول العلامة حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي أثابه الله مخاطبًا عبد الرحمن عبد الخالق الطاعن في ردود علماء السنة على المبتدعة:« وإن كنت تريد بعلماء الإسلام هؤلاء المحاربين للسنة ومنهج السلف والمتطاولين على علماء الأمة حقاً **فإن السلفيين ينتقدونهم ويردون بغيهم على الإسلام وتحريفهم له، ويردون تطاولهم على أهله، كل ذلك بالحق والعلم والحجة والبرهان، سالكين في ذلك طريق السلف الصالح ومن سار على دربهم كابن تيمية وابن القيم وابن عبدالوهاب ونظرائهم من دعاة الحق وأنصار الدين** »(٥٩٤) .

وقال حفظه الله ورعاه وجعل الجنة داره ومثواه:« وأما تسميتكم ردود السلف الصالح من الصحابة والتابعين إلى عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب عصرية وتحديثًا، فإن هذا قد لا يرضيهم ولا يرضي العلماء الذين يُجِلُّونهم لأن مصدرهم في الردود على أهل البدع أو الملحدين إنما هو كتاب اللَّـه وسنة رسول اللَّـه ﷺ

(٥٩٤) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ٧٥) .

دون إجراء أي عصرية عليها أو تحديث »(٥٩٥).

** فصل **

ومن عدل وإنصاف أهل السنة في نقدهم للمخالفين، أنهم لا يسقطون المردود عليه بالأخطاء الغير مؤثرة، وإن ردّوا عليه فيها، خلافًا لأهل التحزب الذين لم يجدوا ما يسقطون به أهل السنة من الأخطاء العقدية والمنهجية، فعمدوا إلى بعض أوهام أهل السنة وبعض الأخطاء التي لا يسلم منها بشر مهما علا كعبه، فضخَّموها وشنَّعوا بها عليهم وحاولوا تشويههم بل وإسقاطهم بها!!

وفي بيان بعض ذلك يقول حامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله ونصره:« بلغ بهم البغض لحملة لواء السنة والمنهج السلفي أن يجعلوا من توافه أخطائهم التي لا يجرح بها أحد من المنتمين إلى الإسلام سنيهم وبدعيهم، أن يجعلوا منها العظائم المسقطة والمدمرة؛ بل جعلوا مزايا وفضائل أهل السنة قبائح ورذائل، فضلاً عن افتعال الكثير منها وإلصاقها بهم... .

لقد جعلوا من الأخطاء المطبعية وما شاكلها على قلتها من أعظم العظائم وجسام المسقطات، بعد عجزهم عن وجود أقل ما يجرح به أهل السنة وأئمتهم المعتبرون فيما يرفع ويخفض، فما يخفض عند أهل السنة يرفع ويعلي عند هؤلاء، وما يرفع

---

(٥٩٥) انظر: "المرجع السابق " (١٠/ ١١٣) .

عند أهل السنة يسقط ويحط عند هؤلاء، ولكي تعرف هذه الحقيقة اقرأ مؤلفات هؤلاء التي ذكرتها سلفاً وغيرها، واقرأ كتب الجرح والتعديل وكتب العقائد لأئمة السلف، واقرأ النماذج الآتية بميزان الحق وميزان السلف الصالح الذي هو ميزان العدل والحق والإنصاف .

قال الشيخ ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي رحمه الله بعد كلام سبق:« وإن رأيت اختلافاً في نفس الحديث فذلك من تشعب طرق الأحاديث، ولعلي ما اطلعت على تلك الرواية التي سلكها الشيخ رضي الله عنه وقليلاً ما تجد، أقول: ما وجدت هذه الرواية في كتب الأصول، أو وجدت خلافها فيها، فإذا وقفت عليه فانسب القصور إلي لقلة الدراية لا إلى جناب الشيخ رفع الله قدره في الدارين حاشا لله من ذلك، رحم الله من إذا وقف على ذلك نبهنا عليه وأرشدنا طريق الصواب، ولم آل جهداً في التنقير والتفتيش بقدر الوسع والطاقة، ونقلت ذلك الاختلاف كما وجدت »(٥٩٦) .

فهذه هي أخلاق العلماء العالية .

إن الأخطاء لا يسلم منها بشر وإنما أعطيت العصمة للأنبياء فيما يبلغونه عن الله، ومن عداهم فقد يخطئ في أقواله الاجتهادية، وفيما ينقله عن الرسول ﷺ وفيما ينقله عن غيره، وقد استدركت عائشة على عدد من الصحابة أخطاء وقعوا فيها،

(٥٩٦) " مشكاة المصابيح " (١/ ٧) . (ربيع) .

وللإمام الشافعي مذهبان القديم والجديد، وقد يكون مع ذلك الصواب أحياناً في القديم، وكان في غاية من الإنصاف والتواضع، فيقول: «أنتم أعلم بالحديث والرجال مني، فأي حديث صح فأخبروني به لآخذ به ».

وقد رد على شيخه الإمام مالك ورد على أبي حنيفة وصاحبيه أشياء كثيرة جداً، ورد الليث على الإمام مالك في رسالة معروفة .

وهذا أبو حنيفة رحمه الله يخالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن في ثلث المذهب(٥٩٧) .

وهذا الإمام البخاري أمير المؤمنين في الحديث وعلومه بما في ذلك علم الرجال، انتقده الإمامان أبو زرعة وأبو حاتم الرازيان في حوالي واحد وسبعين رجلاً وسبعمائة رجل، ولم يسلما في نقدهما من الخطأ، وقد اعتذر المعلمي للإمام البخاري بأعذار فارجع إلى مقدمة كتاب " بيان خطأ البخاري " .

وقد انتقد الإمام الدارقطني الإمامين البخاري ومسلما في أحاديث من صحيحيهما.

قال النووي: « إنها مائتا حديث »(٥٩٨).

---

(٥٩٧) " حاشية ابن عابدين " (١/ ٦٢) . (ربيع) .

(٥٩٨) انظر : " مقدمة شرح النووي لصحيح مسلم " (١/ ٧) . (ربيع) .

وقال السلفي: « إنها مائتان وسبعة أحاديث » .

وذكر البقاعي عن الحافظ ابن حجر: « أنها مائتان وعشرة أحاديث » .

ولابن حبان أوهام كثيرة، وكم أورد في كتابه الثقات من المجهولين .

وقد ألف عبدالغني بن سعيد كتاباً في بيان أوهام الحاكم أبي عبدالله في كتاب "المدخل إلى الصحيح " وألَّف الذهبي كتاباً في الأحاديث الموضوعة في المستدرك حيث بلغت مائة حديث، وكم فيه من الأحاديث الضعيفة؟! .

وكم له من الأوهام في قوله: على شرط الشيخين، أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم؟!

وألف ابن القطان كتاباً يقع في مجلدين مخطوطين سماه " بيان الوهم والإيهام " بيَّن فيه أوهام عبدالحق الإشبيلي .

وأخطاء العلماء من هذا النوع وانتقادها كثير وكثير، ولم يفكر أحد من النقاد في إسقاط من ينتقده ويخطئه، ولم يقل أحد بذلك لأن هذه الأمور لا تعد ذنوباً ولا بدعاً يفسَّق أو يكفَّر بها أو يجرح بها في عدالة الراوي أو ضبطه.

هذا هو منهج العلماء من أهل السنة والجماعة من فجر تأريخهم إلى يومنا هذا..

وهذا المنهج الجديد للإسقاط بالأخطاء المطبعية ونحوها مما لا يسلم منه مؤلف أو محقق مهما كان صغر حجم كتابه محققاً كان أو مؤلفاً، كمثل هذا الكتيب الذي تعالم فيه صاحبه أو أصحابه ، فمنهج الموازنات يريدون أن يحموا به أهل البدع الكبرى مهما كثرت وعظمت شناعتها، وفقه الواقع وهذا المنهج الجديد لإسقاط علماء أهل السنة ودعاتهم ؛ بل إسقاط منهجهم.. .

فمئات الأخطاء من هذا القبيل لا تساوي بدعة واحدة، فطعنة أو انتقاص لصحابي واحد عند السلف رفض وزندقة، أما مثل هذه الأخطاء، فلا تحط من قدر أحد ولا تجرح أحداً لا في دين ولا في عدالة، هذا منهج أهل السنة لا مناهج أهل البدع والضلال الذين لا تضر عندهم الموبقات من البدع وينتقصون أهل السنة بدون موجبات التنقص؛ بل بما يختلقونه ويلصقونه بأعراضهم »(٥٩٩) .

وقال حفظه الله:« أنا لم أدع العصمة والكمال في شيء من أعمالي العلمية ولا غيرها.

ولا ادعى هذا أحد من أهل العلم والعقل، فقد يقع العالم في الأخطاء والمخالفات الكثيرة للكتاب والسنة، فضلاً عن الأخطاء اللغوية والإملائية.

وقد يبحث عن حديث أو ترجمة رجل من مظانه من المصادر فلا يقف عليه فيعتذر، وقد يكون إماماً في فن من الفنون فتوجد له كبوات في فنه، فهذا سيبويه

(٥٩٩) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٣٥٩-٣٦٣) .

إمام في اللغة قد استدرك عليه ابن تيمية ثمانين خطأً، وكم من فقيه له أخطاؤه؟ وكم من محدث ومفسر لهم أخطاؤهم الكثيرة .

وكل هذه الأخطاء لا تضرّ أصحابها ولا تحط من مكانتهم؛ إذ لا يحط من مكانة الرجل إلا ارتكاب الكبائر أو اقتحام البدع وعداء أهل السنة، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة، أما أهل البدع ولا سيما الحاقدون منهم فإنهم لحرصهم على إسقاط أهل السنة يفرحون بمثل هذه السقطات التي لا يسلم منها أحد، ظناً منهم أنهم قد ظفروا بما يحلمون به ويتمنونه انتقاماً لسادتهم الذين خرجوا عن منهج أهل السنة عقيدة وشريعة متعمدين لكثير مما خرجوا عنه .

فإذا ظفروا بشيء من الهفوات التي لا تضر جعلوها في مصاف البدع الكبرى وصوروها في صور الموبقات المهلكات، ولا سيما هذا النكرة فإنه لما عجز هو وسادته أن يجدوا لربيع ما يسقطه في مجال العقائد والمنهاج وهزموا في هذا المجال شر هزيمة، ذهبوا ينقبون فلم يجدوا إلا بعض الأخطاء مع سبق إصلاحي لجُلِّها . تلك الأخطاء التي يقع في أكثر منها بعض الأئمة ولا تضرهم، فطار المساكين بها فرحاً وضخَّموها وهوَّلوا عليها بالعناوين الضخمة التي يصدق عليها المثل (يبنون من الحبة قبة) جاهلين أنهم ينادون على أنفسهم بهذا الأسلوب بأنهم أجهل الناس بمنهج أهل السنة والجماعة في الفرق بين ما يسقط وما لا يسقط »(٦٠٠) .

(٦٠٠) انظر: "المرجع السابق "(١٠/ ٣٧٨-٣٧٩) .

** فصل **

ومن عدل وإنصاف أهل السنة في نقدهم للأخطاء والبدع والضلالات، ذكرهم لكلام المردود عليه بنصه ولفظه من مصدره، وبيان ما فيه من مخالفات بالأدلة الصحيحة الواضحة بلا تكلف ولا تحامل(٦٠١) .

وإليك كلام حامل لواء الجرح والتعديل بحق ربيع المدخلي حفظه الله الذي يقرر فيه هذه الميزة السلفية في النقد .

قال حفظه الله في سياق رده لأباطيل أبي الحسن المأربي:« معذرة يا أبا الحسن فإن كلامك في السلفيين فيه تعميم وغموض ومبالغة في الطعن سلكت فيه مسلك عبدالرحمن عبدالخالق والشايجي وأمثالهما.

---

(٦٠١) قال العلامة ابن الوزير :رحمه الله في كتابه «العواصم والقواصم» (١/ ٢٣٦).).«وقد أَخلَّ " السيِّدُ " -أَيَّدَهُ الله- بقاعدَةٍ كبيرةٍ؛ هي أساسُ المناظرة، وأصلُ المراسلة، وهي: إيرادُ كلام الخصْم " بلفظه " أوَّلاً، ثم التَّعَرُّضُ لِنَقْضِه ثانياً. وهذا شيء لا يَغْفُلُ عنه أحدٌ من أهل الدِّرْيةِ بالعلوم، والخوض في الحقائق، والممارسة للدَّقائق، وإنما تختلِف مذاهبُ النُّقادِ في ذلك، ولهم فيه مذهبان:

المذهب الأول: أن يُورِدَ كلامَ الخصْمِ " بنَصِّه "، ويتخلَّص من التُّهمة بتَغْييره وَنقصهِ، وهذا هو المذهبُ المرتضى عند أمراءِ الفنونِ النظريةِ، وأَئِمةِ الأساليبِ الجدَلية. ...

المذهب الثاني: من مذاهب النُّقاد في نقضِ كلامِ الخُصُوم: أن يحكوا مذاهبَهم بالمعنى، وفي هذا المذهب شَوبٌ مِن الظلم، لأن الخصمَ قد اختار له لفظاً، وحرَّرَ لدَليلهِ عبارةً ارتضاها لبيان مقصدِهِ، وانتقاها لكيفيةِ استدلاله، وتراكيبُ الكلامِ متفاوتة، ومراتبُ الصِّيغ متباينة، والألفاظُ معاني المعاني، والتراكيبُ مراكيبُ المتناظرين، وما يرْضى المبارزُ لِلطِّرادِ بغير جواده، ولا يرضى الرافعُ للبناء بغيرِ أساسه، مع أن قطعَ الأعذارِ من أعظمِ مقاصدِ النُّظَار» .

وإنَّ من العدل والإنصاف أن تذكر كلام خصمك وتبيِّن ما عنده من ظلم وباطل بالأدلة الواضحة على طريقة أهل السنة والجماعة، فليس أمام السامع والقارئ الآن لا نصوص ولا ظواهر ولا مجملات من كلام هذا الكثير من الناس المتهمين، ولا مصادر لما تقول فلا تؤاخذ القُرَّاء إن اعتقدوا أن هذه اتهامات لأناس مسلمين أبرياء حرَّم الله دماءهم وأعراضهم أشد الحرمة، وأنهم بعيدون كل البعد عمَّا تصفهم به وأن كلامك بعيد جداً عن أصول أهل السنة والجماعة »(٦٠٢) .

وقال حفظه الله:« ومن أمانة العالم الناقد ومن الأدلة على صدق لهجته أن ينقل كلام من ينتقده بأمانة، ثم يناقشه بالأدلة والبراهين، ويدعم ذلك بأقوال الأئمة الجهابذة في إبطال كلام الشخص المنتقد ودحضه »(٦٠٣) .

---

(٦٠٢) انظر: "المرجع السابق" (١٣/ ٤٢- حاشية) .

(٦٠٣) انظر: "المرجع السابق"(١٠/ ٢٣٦) .

المطلب الرابع

أخذ الناس بظواهر أقوالهم وأعمالهم

من أصول أهل السنة والجماعة السلفيين أنهم يأخذون الناس بظاهر أقوالهم وأعمالهم، ويكلون سرائرهم إلى الله تعالى، فمن أظهر لهم خيرًا أمِنوه وقرَّبوه وأثنوا عليه خيرًا، ومن أظهر لهم شرًّا لم يأمنوه ولم يقرِّبوه ولم يصدِّقوه وإن زعم أن سريرته حسنة .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي الأصيل يقول العلامة المجاهد ربيع المدخلي حفظه الله وغفر له في سياق رده على السبكي المدافع عن الصوفية الطاعن في أهل الحديث:« **وقول السبكي**: « فالواجب تسليم أحوال القوم وإنا لا نأخذ أحدًا إلا بجريمة ظاهرة ومتى أمكننا تأويل كلامه وحمله على محمل حسن لا نعدل عن ذلك لا سيما من عرفناه من أهل الخير ولزوم الطريقة ثم برزت لفظة عن غلطة أو سقطة إنها لا تهدم ما مضى » .

أ- وأي جريمة أشد من التَّفوُّه بالحلول ووحدة الوجود .

ب- الغلطة والسقطة تغتفر للمسلم إذا كانت عن غير قصد وتعمد، أما أن يتفوَّه الصوفي بالحلول ووحدة الوجود فلا يقال فيها غلطة أو سقطة، بل نقول: إن هذه عقيدة توارثها غلاة الصوفية جيلاً عن جيل من قبل عهد الحلاج، ومن عهده إلى

يومنا هذا وأنكرها وشدد النكير على الصوفية علماء الإسلام منذ بدرت بوادر التصوف إلى يومنا هذا، فمن تأول لهم لا يقبل تأويله لأنه يخالف النصوص النبوية، وأقوال وتطبيقات الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام .

٦- كيف يوجب السبكي على المسلمين التسليم بما ظاهره كفر وإلحاد ؟ .

بأي كتاب أو بأي سنة ؟

كان أصحاب محمد ﷺ يَأخذُون ويُؤخَذُون بظاهر أقوالهم وأعمالهم ؟ وكذلك التابعون وتابعوهم بإحسان .

فعن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: « إني لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم »(٦٠٤) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: « إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار فلا يأخذها »(٦٠٥).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦٠٦) عنه يقول: « **إنَّ أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإنَّ الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من**

---

(٦٠٤) أخرجه البُخَارِيّ (٤٠٩٤)، وَمُسلم (١٠٦٤) .

(٦٠٥) رواه البخاري (٢/ ٩٥٢) ومسلم (٣/ ١٣٣٧) واللفظ له، (ربيع).

(٦٠٦) رواه البخاري (٢/ ٩٣٤) ، (ربيع).

أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة »(٦٠٧) .

وقال حفظه الله في سياق رده على أباطيل أبي الحسن المأربي:« قد هوَّشت بشدة على الشوكاني الذي ادَّعى الإجماع على أنه لا يُؤوَّل إلا كلام المعصوم، وهوشت على العلماء: البقاعي وغيره الذين صرحوا ونقلوا عن العلماء أنه لا يُؤوَّل إلا كلام المعصوم .

ومن مستنداتهم الأصل العظيم القائم على الأدلة والبراهين، ألا وهو الأخذ بالظاهر، المأخوذ من أقوال الرسول ﷺ وتطبيقاته، ومن قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتقرير الصحابة له على هذا الأصل، وتطبيقات علماء الأمة وعلى رأسهم أئمة الجرح والتعديل .

فهذه مستندات الشوكاني والعلماء الذين يردون على أهل الأهواء تأويلاتهم لضلالات أهل وحدة الوجود والحلول وغيرها »(٦٠٨) .

وقال حفظه الله وسدَّده:« أين أنت يا أبا الحسن وكل القطبيين من **الأصل الأصيل الذي أجمع عليه أهل السنة ودل عليه الكتاب والسنة ألا وهو الأخذ بالظاهر** الذي

---

(٦٠٧) انظر: "المرجع السابق "(١١/ ٥٦٦-٥٦٧) .

(٦٠٨) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٤٦٧) .

تعارضه بأصل القطبيين، حمل مجمل سيد قطب على مفصله ثم حملت رايته وذهبت تتلون في تطبيقه وتقريره »(٦٠٩) .

وقال حفظه الله:« ولقد خالف أصحاب هذه **القواعد أصلا من أصول الإسلام مجمعاً عليه ألا وهو الأخذ بالظاهر وأنه لا يُؤوَّل إلا كلام المعصوم.**

قال البقاعي رحمه الله في خلال رده على من يتأول كلام ابن الفارض:

« مع أن الفاروق ابن الخطاب رضي الله عنه الذي ما سلك فجًّا إلا سلك الشيطان فجًّا غير فجِّه، قد أنكر التأويل لغير كلام المعصوم، ومنع منه رضي الله عنه ، وأهلك كل من خالفه وأراده وبسيف الشرع قتله وأخزاه، فيما رواه عنه البخاري في كتاب الشهادات من "صحيحه": « **إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر خيراً؛ أمناه، وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، والله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً؛ لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة** » .

وقد تبع الفاروق رضي الله عنه على ذلك بعد الصوفية سائر العلماء، لم يخالف منهم أحد؛ كما نقله إمام الحرمين عن الأصوليين كافة، وتبعه الغزالي، وتبعهما الناس.

---

(٦٠٩) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٢١٥) .

وقال الحافظ زين الدين العراقي: **إنه أجمع عليه الأمة من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح** »(٦١٠) .

(٦١٠) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٣١٥-٣١٧) .

المطلب الخامس

قبول خبر الثقة وبناء الأحكام عليه

من الأصول السلفية المقررة عند أهل السنة والجماعة قبول خبر العدل الثقة، فيما يخبر به، من غير تردد ولا شك، وبناء الأحكام عليه من هجر أو تحذير أو تبديع، وما إلى ذلك، بخلاف خبر الفاسق فإنهم يتبيَّنون ويتثبتون من صحته وصدقه، وذلك عملًا بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾

[الحجرات:٦] .

وفي تقرير هذا الأصل السلفي يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:

« إذا أخبرك الثقة بنبأ كفاك ذلك شرعاً ولا يلزم الثبت إلا في حال إخبار الفاسق كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾، **وهذا منهج أهل السنة والجماعة في تلقي الأخبار وقبولها، أو ردِّها** »(٦١١) .

وسئل الشيخ حفظه الله: ما منهج السلف في مسألة قبول خبر الثقة؟

فأجاب:« منهج السلف الصالح والقرآن والسنة على قبول خبر الثقة، ووجوب بناء الأحكام عليها، إذا كان اثنان يشهدان على أن فلانًا قتل فلانًا، فعلى الحاكم أن يحكم بالحكم الشرعي وهو القصاص من القاتل، وتثبت عقود النكاح بشهادة

---

(٦١١) انظر: "المرجع السابق"(١٣/ ٤٤) .

رجلين ثقتين، وتثبت عقود المعاملات والديون وغيرها بناء على شهود عدلين ثقتين، أو رجل وامرأتين، فهؤلاء يخربون قواعد الشريعة ويصادمون نصوص الكتاب والسنة بأقوالهم الضالة المضلة، **والمعتزلة هم الذين كانوا يشترطون التعدد في الرواة، أما أهل السنة فلا** »(٦١٢) .

وقال حفظه الله:« ابن عمر لَّما بلغه أن قوماً يتقفرون العلم ويقولون أن لا قدر، قال: أبلغهم أنني منهم بَراء، وأنهم مني بُرءاء، لم يفتح ملف وتحقيقات وإلى آخره كما يفعل الآن أهل البدع، يقذفون الناس ظلماً وعدواناً، فإذا ثبت لك شيء من ضلالهم وتكلمت وحذرت منه قالوا: ما يتثبت، نعوذ بالله من الهوى ولو يأتي ألف شاهد على ضال من ضلالهم لا يقبلون شهادتهم، بل يسقطونها، ألف شاهد عدل، على ضال من ضلاَّلهم لا يقبلون شهادته؛ فضيعوا الإسلام وضيعوا شباب الإسلام بهذه الأساليب الماكرة نسأل الله العافية .

ابن عمر لما أخبره واحد، و الثاني يسمع فقط؛ صدقه لأنه مؤمن، عدل، وثقة، وديننا يقوم على أخبار العدول، من قواعده أخبار العدول، فإذا نقل لك الإنسان العدل كلاماً فالأصل فيه الصحة، ويجب أن تبني عليه الأحكام، وحذَّر الله من خبر الفاسق، فإذا إنسان معروف بالفسق وجاءك بخبر لا تكذبه، تَثَّبَت؛ لأن

(٦١٢) انظر: شريط الشيخ "رد شبهات المائعين والذب عن السلفيين " (رقم٢) نقلا عن "صيانة السلفي" (ص٢٨٣) .

هناك احتمالاً أن يكون هذا الفاسق في هذا الخبر صادق، تَثَبَّت لا بأس، أما الآن العدل تلو العدل، والعدل تلو العدل يكتب ويشهد ما يُقبل كلامه.. .

وجاءوا للأمة بأساليب وقواعد ومناهج وفتن ومشاكل وأساليب؛ إذا جمعتها – والله – ما يبقى من الدين شيء، **إذا جمعت أساليبهم وقواعدهم لا يُبقون من الإسلام شيئاً، ومنها أخبار العدول يريدون أن يسقطونها، ومنهج السلف في نقد أهل البدع يسقطونه بطرق خبيثة** »(٦١٣) .

وقال حفظه الله:« إنَّ تلقِّي الأمَّة بالقبول لحديث ما معناه أنَّها آمنت به ودانت به وأنَّ الرسول ﷺ قد قاله وأنَّ هذا النص قد ثبت عنه .

وهذا يا إخوتاه قائم على أصل وهو قبول الأخبار ولو كانت آحادًا إذا جاءتنا عن طريق الثقات عن الثقات إلى رسول الله ﷺ **و هذا منهج أهل السنة و الجماعة وهو منهج الصحابة و منهج من تبعهم بإحسان ومنهج أئمّة الهدى .**

بخلاف أئمة الضلال من المعتزلة والخوارج و الروافض وغيرهم فإنَّ منهجهم يختلف في تلقِّي الأخبار »(٦١٤) .

---

(٦١٣) انظر: "مجموعة كتب ورسائل الشيخ"(٤/ ٣٤٤-٣٤٥) .

(٦١٤) انظر: رسالة " أسئلة وأجوبة مهمة في علوم الحديث" (الحلقة الأولى- السؤال: الرابع) .

** فصل **

ومما يتنافى مع هذا الأصل السلفي في قبول أخبار الثقات وبناء الأحكام عليها، قاعدة التثبت التي أحدثها أهل البدع والتحزب من أمثال أبي الحسن المأربي، ليحاموا بها عن أهل البدع، والمقصود بهذه القاعدة المحدثة رد فتاوى العلماء وأحكامهم على المنحرفين، فيقول قائلهم: لا أقبل الكلام في فلان حتى أقف على خطئه بنفسي، فلا يكفي عندهم أخبار العدول الثقات عن حال الشخص حتى يسمعونها بأنفسهم بصوته، أو يقرؤونها في كتبه، كل ذلك بدعوى التثبت والتأني، مع أن المخبرين من العدول الثقات .

وفي بيان عوار هذه القاعدة المحدثة يقول العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله:« أبو الحسن يسير على منهج عدنان وغيره من أهل الباطل في رد الحق بدعوى أنه يأخذ بأصل التثبت فيقول: « أنا لا أقبل الكلام في أي شخص سواءً كان هذا الكلام في كتاب أو سمعته في شريط حتى أسمعه من الشخص المتكلم فيه أو اقرأه في كتابه (٦١٥)»، ويرد فتاوى وأحكام العلماء الثقات القائمة على الأدلة

---

(٦١٥) سئل الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله كما في كتابه "الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية" (٢/ ٣٢): فضيلة الشيخ نرجوا أن توضحوا لنا هذه الأمور، ما رأيكم في قول بعض الشباب: أنا لا أقبل قول أي أحد، أن فلانًا من الناس مبتدع أو حزبي، إلا إذ كنت سمعت منه شخصيًا؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، وبعد: يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ ومقتضى هذا الأمر: أنه يجب التبين في خبر الفاسق، أما خبر العدل فإنه يؤخذ به، فكيف إذا كان

بهذا الأسلوب الفاسد حتى لو سمع المتكلم أو قرأه من كتابه، ثم يقبل كلام من لعله مجهول أو فاسق أو كاذب، والحق أنَّ تثبته المزعوم إنما هو لرد الحق لا من أجل الوصول إليه، ولا لرد الباطل »(٦١٦) .

وقال حفظه الله:« من الأصول الفاسدة والمناهضة لمنهج السلف الأصل الفاسد المسمى ظلماً وزوراً " بالتثبت " وهو الذي سار عليه عدنان عرعور ثم المغراوي ثم أبو الحسن المأربي وهو أشدهم تلبيساً ومكراً وتطبيقاً لهذا الأصل في مواجهة علماء السنة وطلابها، ولحماية أهل الباطل والضلال، وقد سبق أن هدمنا عدداً من أصوله الفاسدة التي واجه بها منهج أهل السنة وعلمائه وطلابه .

وأرى أن أسوق بعض النصوص في وجوب قبول أخبار الآحاد وفي المراد بالتثبت الذي شرعه الله وفهمه علماء الأمة ليظهر للقاري مدى بعد هذه الفئة عن نصوص الكتاب والسنة وأصول أهل السنة وفقه وتطبيق علماء الأمة وأصولهم...» (٦١٧) .

وقال حفظه الله:« والخلاصة في الأخير أن الرجل(أبو الحسن) يرد أقوال العلماء وشهاداتهم وأحكامهم ويرد أخبار السلفيين مهما بلغ عددهم ويقبل بهواه أخبار أناس مجهولين أو كذابين، فعلام تدل مثل هذه المواقف والتصرفات؟ .

المخبرون جماعة، ومن خيرة المجتمع وأعلاه، وأفضله علمًا وعدالة، فإنه يجب ويتحتم الأخذ به، ومن رده فإنما يرده لهوى في نفسه، لذلك فهو مدان، ويعتبر حزبيًا بهذا الرد، فهو يلحق بهم ويعد منهم، وبالله التوفيق » .

(٦١٦) انظر: " مجموعة كتب ورسائل الشيخ "(١٣/ ٧٨-٧٩) .

(٦١٧) انظر: "المرجع السابق "(١٣/ ٢٨٠) .

وإن أعماله هذه تنافي التثبت الذي شرعه الإسلام، فإذا قال هؤلاء عندي ثقات ولا يلزمني التثبت من أخبارهم فيقال:

١- هات أسماءهم وتعديل العلماء لهم ونفي الجرح عنهم.

٢- لماذا تختفي وراء التثبت لترد أقوال العلماء الثقات بل من هم فوق هذه المرتبة فترد فتاواهم وأقوالهم، فلو كنت ذا منهج صحيح وقصد سليم لماذا تفعل كل هذا؟، ولماذا ترد أخبار السلفيين وإن كثرت أعدادهم؟»[٦١٨] .

---

[٦١٨] انظر: "المرجع السابق" (١٣/ ٣٠٥) .

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله العظيم الذي بنعمته تتم الصالحات أن وفقني لإتمام هذا العمل، وأسأله عز وجل أن ينفع به كاتبه ومن اطلع عليه .

وقد رأيت أن أختم هذا البحث بدرر من كلام الشيخ ونصائحه ووصاياه التي تكتب بماء الذهب لعل الله أن يجعل فيها عبرة لمن يعتبر .

المنهج السلفي هو دين الله الحق

« ثم إن مَن يدرس أحوال السابقين واللاحقين من الفِرق المنتسبة إلى أمة محمدﷺ ويدرُس مناهجَهم وعقائدهم وأفكارَهم بإنصاف وفهم وتجرُّد، يجد أنَّ أهلَ الحديث هم أشدُّ الناس اتباعـًا وطاعةً وتعلُّقـًا وارتباطـًا بما جاءهم به نبيُّهم محمد ﷺ كتابـًا وسنَّةً، في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، ودعوتهم، واستدلالهم، واحتجاجهم؛ وهم على غاية من الثقة والطمأنينة بأن هذا هو المنهج الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الطريقُ السليم، والصراطُ المستقيم؛ وما عدا ذلك من المناهج والسبل فأمرٌ لم يشرعه الله ولم يرضَ به، ولا يؤدِّي إلاَّ إلى الهلاك والعطب »"مجموعة الكتب " (٩/ ١٤-١٥) .

لا خطر على الأمة الإسلامية من المنهج السلفي وقواعده، وإنما الخطر عليها من المناهج الحزبية

« والحق أنه لا خطر ولا ضرر على الشباب من منهج أهل الحديث والسنة ولا من قواعده .

وإنما الخطر عليهم من المناهج والقواعد النيي تخالف منهجهم وقواعدهم .

والذي يريد حماية الشباب بصدق وإخلاص إنما يحثهم ويربيهم على المنهج الحق ونصوصه وقواعده، ويدفع عنهم الشبه بما حواه هذا المنهج من الأصول والضوابط، لا بما يخترع من الوساوس والتمويهات التي تحط من قيمة ومكانة هذا المنهج وقواعده، وتفسد عقول الشباب وتبث بينهم الفتن والخصومات والصراعات، وتقضي على مكارم الأخلاق من الصدق والورع وحب الحق ونصرته والموالاة في الله والمعاداة فيه لا في الباطل والأشخاص والأهواء »"المرجع السابق " (٩/ ٢١-٢٢) .

لا يزال باب الجرح والتعديل مفتوحًا ما دام في الأرض حق وباطل

« ولا يزال باب الجرح والتعديل قائماً ومفتوحاً ما دام هناك أهل حق وأهل باطل وأهل ضلال وأهل هدى ، ولا يزال الصراع قائماً بين الطائفة المنصورة ومن خالفها من أهل الضلال ومن خذلها، « **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خلفهم حتى يأتي أمر الله** ».

ومن قال: إن باب الجرح والتعديل قد انتهى فقد غلط غلطاً كبيراً، ولا تزال أقلام أهل السنة تتدفق بنقد وبيان حال أهل البدع من روافض وخوارج ومعتزلة وصوفية وأشعرية ، وأحزاب منحرفة ، وبيان بدعهم وضلالاتهم.. .

وهذا النهج قائم على امتداد التاريخ الإسلامي، ولا بد أن يستمر إلى أن يرفع القرآن وينتهي الإسلام ثم يقوم شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة » "المرجع السابق " (٩/ ٦٨-٧١) .

الثبات على السنة معناه الثبات على الإسلام الصحيح

« إنَّ الثبات على السنَّة معناه الثبات على الإسلام بكليته: أصوله وفروعه عقائده ومناهجه، نثبت عليه ونتمسَّك به حتى نلقى الله تبارك وتعالى .

والآيات الحاثَّة على الاتباع والالتزام والاعتصام والاستقامة كثيرة، والأحاديث كذلك ترمي كلُّها إلى غاية واحدة وهي ثبات المسلمين على الإسلام .

وإذا قلنا: الثبات على السنَّة ليس المراد فقط ما يفهمه كثير من الناس من لفظ السنَّة؛ فإنَّ السنَّة هنا تعني العقيدة والمنهج، تعني الإسلام، تعني الثبات على الإسلام .

هذا الثبات بتوفيق من الله سبحانه وتعالى »"المرجع السابق " (١/ ٤٣٧) .

وصية بالتآخي بين السلفيين والبعد عن أسباب الفرقة

« ثم أنبهكم يا أخوة إلى أمرين:

أولا: التآخي بين أهل السنة جميعًا، فيا أيها السلفيون، بثوا في مابينكم روح المودة والأخوة، وحققوا ما نبهَنا إليه رسول الله ﷺ، من أن المؤمنين:« **كالبنيان يشد بعضه بعضا** »، وأنهم:« **كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** » .

كونوا هكذا يا أخوة، ابتعدوا عن عوامل الفرقة، فإنها والله شر خطير وداء وبيل، واجتنبوا الأسباب التي تؤدي إلى الإحن والبغضاء والفرقة والتنافر، ابتعدوا عن هذه الأشياء لأنها سادت هذه الأيام على أيدي أناس يعلم الله حالهم ومقاصدهم، سادت وكثرت ومزقت الشباب في هذا البلد في الجامعه وغيرها وفي أقطار الدنيا »

"المرجع السابق " (١/ ٤٨١) .

تنبيه الشباب السلفي إلى مقاصد الطاعنين في علماء السنة

« بعض الناس الآن يطاردون، السلفيين حتى وصلوا إلى العلماء وسموهم مميعين، و الآن ما بقي في الساحة عالم تقريبا إلا طعن به وفيه! وهذه طبعا هي طريقة الإخوان المسلمين، و طريقة أهل بدع، فإن أهل البدع من أسلحتهم أن

يبدءوا بإسقاط العلماء، بل هي طريقة يهودية ماسونية، إذا أردت إسقاط فكرة فأسقط علماءها أو شخصياتها .

فابتعدوا عن هذا الميراث الرديء، واحترموا العلماء... فالذي يكره هذا المنهج يتكلم في علمائه .

الذي يبغض هذا المنهج ويريد إسقاطه، يسير في هذه الطريق، وهي مفتوحة لهم: طريق اليهود، وطريق الأحزاب الضالة من الروافض وغيرهم .

الروافض يبغضون الإسلام وما يقدرون يتكلمون في محمد ﷺ، فإذا بهم يتكلمون في أبي بكر وعمر، وعلماء الأمة، يريدون يسقطون الإسلام .

و أهل البدع الكبرى إذا تكلموا: فما يتكلمون في أحمد والشافعي، ولكن يتكلمون في محمد بن عبد الوهاب، و ابن تيمية، وأمثالهم؛ ليسقطوا هذا المنهج.

و الآن:فإن ناسًا ينشئون في صفوف السلفيين، فما شعرت إلا وهم يشدخون في رءوس العلماء! .

هؤلاء ماذا يريدون ؟! ماذا يريدون ؟! لو أرادوا الله والدار الآخرة، وأرادوا نصرة هذا المنهج وهم يحبون هذا المنهج، والله لدافعوا عن علمائه .

فلا تأمنوا هؤلاء على دينكم، ولا تثقوا فيهم ـ بارك الله فيكم ـ واحذروهم كل الحذر... .

ولهذا؛ فترى هؤلاء: لما فرغوا من الشباب؛ بدءوا بالعلماء يسقطونهم، فهذا منهج الأخوان المسلمين، فقد دخلوا في البلاد، و أول ما بدءوا بإسقاط العلماء، وفي الوقت نفسه يدافعون عن سيد قطب، والبنا، والمودودي، وغيرهم من أهل البدع، وأسقطوا علماء المنهج السلفي، ووصفوهم بأنهم عملاء و جواسيس، وعلماء السلطان... إلى آخر الاتهامات .

فماقصدهم؟!

قصدهم إسقاط المنهج السلفي، وإقامة الأباطيل والضلالات على أنقاضه ، والذين يطعنون الآن فإنهم يقولون عن أنفسهم: إنهم سلفيون، ثم يطعنون في علماء السلفية!

ماذا يريدون ؟ يريدون رفع راية الإسلام؟! ورفع راية السنة والمنهج السلفي؟!

أبدًا ، أبدًا ، هذه قرائن وأدلة على أنهم كذابون متهمون ، مهما ادعوا لأنفسهم ».

"المرجع السابق " (١/ ٤٨١-٤٨٣) .

الزعامات الدينية المنحرفة أخطر من الزعامات السياسية المنحرفة

« الزعامات الدينيَّة المنحرفة أخطر بكثير من الزعامات السياسيَّة المنحرفة، لأنَّ الزعامات الدينيَّة تكسب ثقة النَّاس ومحبَّتهم وولاءهم وينقاد النَّاس لها اختياراً وحباً، فإذا كانت هذه الزعامات الدينيَّة ضالَّة منحرفة انحرفت بالنَّاس عن منهج

الله، وقادتهم إلى غضب الله والنار، وحتى الحكام أنفسهم قد يخضعون لهذه القيادات والزعامات الدينيَّة فهذا يهودي خاضع لزعامة دينيَّة، وهذا نصراني كذلك وفيمن ينتمي إلى الإسلام ذاك شيعي وذاك معتزلي وذاك أشعري وذاك خارجي وذاك صوفي وذاك... وذاك..، فالزعامات والقيادات الدينيَّة المنحرفة هي التي أفسدت عقائد هذه الأمَّة وأخلاقها وعباداتها وثقافاتها ومزَّقتها شرَّ ممزَّق، فلماذا نجاملها ونهوِّن من شأنها ومن خطرها وهي مصدر كلِّ بلاء؟!!.. .

ومن يصوِّر للنَّاس أنَّ منابع الفساد هم الحكام فقط فهو مخالف لما قرَّره القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة والتأريخ الإنساني والإسلامي، ومستدرك على منهج الأنبياء خصوصاً إذا وجَّه الدعاة إلى حصر جهودهم وصبِّها في المجال السياسي.

فمنابع الفساد الأساسيَّة والأصليَّة والخطيرة هي التي قررها الله على أَلسِنة رسله جميعاً ورسم لهم منهجاً لردمها وما عداها فهو تابع لها فليفهم الداعي إلى الله ذلك وليعتصم بحبل الله وليلزم غرز الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-».

"المرجع السابق " (١/ ٣٦١-٣٦٢) .

الصدق والكذب ونتائجهما

« الصدق : خلق نبيل ومن أسس الفضائل به تستقيم الحياة وتسير به سيراً حميداً، وإن الصدق ليعلي صاحبه ويرفع منـزلته عند الله وعند الناس ، فيكون محترم الكلمة محبوباً إليهم مقبول الشهادة والحديث عندهم.

فعليك بتحري الصدق ، في القول، وفي العقيدة، وفي العمل، لقد أرشدنا الرسول الكريم ﷺ إلى مسألة تربوية عظيمة وهي طريق تربية الخلق وتكوينه وتقويته في النفس، وذلك بأن يتحرى الإنسان القول الجميل والصنع المجيد، ويقصد إلى عمله المرة بعد الأخرى والرابعة تلو الثالثة والسادسة بعد الخامسة حتى يؤثر هذا التكرار في نفسه وكلما أصر على متابعة ذلك العمل ازداد لصوقاً بنفسه ورسوخاً فيها.

فمن طمحت نفسه إلى منازل الصديقين وأن يكون الصدق خلقه وشيمته وطبعه فليتحر الصدق في أقواله وأعماله وليتابع ذلك فإذا بالصدق خلقه، وإذا به يحتل بعون الله منازل الصديقين .

وكما أن الصدق من أسس الفضائل، فإن الكذب من أسس الرذائل، به يتصدع بنيان المجتمع ويختل سير الأمور ويسقط صاحبه من عيون الناس لا يصدقونه في قول ولا يثقون به في عملٍ أحاديثه باطلة لذلك حذر منه رسول الله ﷺ، وفي

القرآن الكريم كثير من الآيات المقبحة للكذب المنفرة عنه المتوعدة عليه بالعذاب الشديد »"المرجع السابق " (١/ ٢٢٤) .

نصيحة بالتمسك بما قرره السلف خاصة في باب الأصول والقواعد

« الإمام أحمد بدَّع الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق! بأي شيء؟ لأنهم لا سلف لهم، فنقول نحن: من سلفكم -أيَّها الحدادية- في هذه الفتن؟ من سلفكم في هذا التأصيل؟ من سلفكم في هذه القواعد التي جئتم بها لإهلاك السلفية والسلفيين... .

فهذا أصل أصيل: تمسَّكوا بما قرَّره السلف في كل أبواب الدين، ولا تأتوا بشيء جديد خاصة في الأصول والتأصيلات، الآن كلما يظهر واحد يقول: الأصول..، التأصيل..، عدنان عرعور كان يركض وينادي: أصول..، وتأصيل..، ويأتي بأصول فاسدة! ويأتي أبو الحسن بعده: أصول..، أصول..، ويأتي بأصول فاسدة! ويأتي فالح: أصول..، وأصول..، ويأتي بالقواعد الفاسدة! يمهِّد لضلالته وفتنته بأصول وتأصيل، ويسمي أصوله الفاسدة المهلكة بأصول السلف!» "المرجع السابق " (٢/ ٧٢) .

نداء إلى الأمة الإسلامية حكَّامًا ومحكومين

« إنني لأدعو الأمَّة جميعها حكامها ومحكوميها، أفرادها وفرقها وأحزابها أن يؤمنوا جميعاً حق الإيمان بحاكميَّة الله العامَّة الشاملة لأصول الدين وفروعه، وأن يلتزموا بها كل الالتزام في أصول الدين وفروعه، وأدعو رؤساء الدول مَن كان منهم ملتزماً بحاكميَّة الله وقصَّر ولو في شيء من التطبيق أن يلتزم بالتطبيق الكامل في كلِّ الميادين في العقائد والعبادات والمعاملات، في الاقتصاد والسياسة، وفي باب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وأن يجدُّوا في محاربة الشرك والبدع، وفي محاربة المعاصي والمنكرات، وخصوصاً الربا وسائر الكبائر التي تضرُّ الأمَّة وأخلاقها، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وليستشعروا أن الله سائلهم عن كلِّ صغيرة وكبيرة تقع تحت مسؤليَّتهم « **كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيَّته** ».

وأذكرهم بقوله ﷺ: « **ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حرَّم الله عليه الجنَّة** ».

ومن النصيحة للأمَّة حملهم على الالتزام بحكم الله وشرائعه، بالتعليم والتوجيه والترغيب والترهيب، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والأخذ بكلِّ التدابير التي تدعوهم إلى احترام شرع الله عقيدة وعبادة وسياسة وأخلاقاً .

وأدعو رؤساء الدول في البلاد الإسلاميَّة الذين لم يلتزموا شريعة الله أن يرجعوا إلى الله وأن يحترموا دينه المتمثل في الكتاب والسنَّة، وأن يلتزموا بعقائد هذا الدين وأحكامه، وأن يعتزُّوا بذلك فإنَّ فيه العزة والكرامة .

وإنّ الذلَّ كلّ الذلِّ والهوان في الخضوع لقوانين يضعها أحط البشر من أعداء هذه الأمّة يهوداً كانوا أو نصارى أو مجوساً أو ملحدين، وأن يحترموا مشاعر الأمَّة الإسلاميَّة التي جاهدت وناضلت وضحَّت بالملايين من أبنائها لتحقيق غاية نبيلة هي أن يحكمها الإسلام، والإسلام فقط دين الله خالق هذا الكون وخالق الجنّ والإنس لعبادته وحده وللخضوع لشرائعه وحدها فيلتزموا شريعة الله ويُلزموا بها الأمَّة عقيدة وأخلاقاً وتعليماً ومناهج إسلاميَّة يقوم عليها التعليم والتربية.

وإني أُهيب بعلماء الأمَّة ودعاتها وأحزابها وفرقها أن ينصحوا للأمَّة جميعها شيبها وشبابها ذكورها وإناثها فيجمعوهم على كتاب الله وسنَّة رسوله وعلى منهج وفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أئمة الهدى من فقهاء ومحدثين ومفسرين في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والاقتصاد وسائر أمور الإسلام والإيمان »"المرجع السابق " (١/ ٢٤٧-٢٤٨) .

وأخيرًا أقول:

هذا ما يسر الله جمعه واستخراجه من الأصول والمميزات السلفية من الكتب والمقالات المطبوعة التي وقفت عليها لحامل راية الجرح والتعديل بحق ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله، ولا أزعم أني قد وفيت الموضوع حقه، فلا شك أنه قد فاتني بعض ذلك فإن التقصير ملازم للبشر، لا سيما مع قلة العلم والفهم، وضعف الحصيلة، والله المستعان، وحسبي أنني قد جمعت بعد جهد جهيد، وصبر ومصابرة ما يسر الله به من ذلك .

والحمد لله على تيسيره ومعونته وتوفيقه، الذي بنعمته تتم الصالحات، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتب:

أبو بسطام إبراهيم بويران بن علي الأخضري الجزائري

عفا الله عنه